المرأة

بين عز الإسلام وذل الجاهلية المعاصرة

دراسة منهجية من القرآن والسنة

تأليف

دكتور / سيد جمعة سلام

مكتبة الإيمان بالمنصورة

١٨٠٤١ ح١٠/٤

دراسة منهجية من القرآن والسنة

في

الْمَرْأَةُ بَيْنَ عِزِّ الإِسْلاَمِ وَذُلِّ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ

الشيخ الدكتور

سيد أحمد جمعة سلاَّم

بطاقة الفهرسة

فهرسة الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية .

سلام ،سيد أحمد جمعة .

المرأة بين عز الإسلام و ذل الجاهلية المعاصرة / سيد أحمد جمعة سلام . ـ ط١ . ـ المنصورة : مكتبة الإيمان ، ٢٠٠٧ .

٣٦٨ ص ، ٢٤ سم

تدمك ٥ ـ ٤٠٥ ـ ٢٩٠ ـ ٩٧٧

١ ـ المرأة المسلمة . ٢ ـ المرأة فى الإسلام .

أ ـ العنوان . ٢١٠,٤

رقم الإيداع : ٢١٦٨٤/ ٢٠٠٧

إهـــداء

إلى كل أم مسلمة ... وإلى بناتى زهرواتى:

(فاطمة – أسماء – إيمان – وندا)

وإلى أخياتى المسلمات أمهات المستقبل ... إلى نصف هـــذه الأمة ... بل ... إلى كل هذه الأمة ، لأنهن من يلـــدن النـــصف الآخـــر ... إلى صانعات ومربيات الرجال...

أهدى هذا الكتاب

سيد جمعة سلاَّم

مقدمـــة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحكيم ، عز في ملكه وسلطانه ، وخضعت له الرقاب ، فلا يكون إلا ما يريد سبحانه وتعالى ، بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، أعز عباده المؤمنين فنصرهم ورفع شأنهم ، وأذل الكافرين فكبتهم وأصلاهم جهنم وساءت مصيراً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، أزال الله به ظلمة الجاهلية ، فرفع به العرب من ذل إلى عز ، ومن جهل إلى علم ، ومن صغار بين الأمم إلى قادة للأمم ، فعليه الصلاة والسلام ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين .

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَــا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِــنْهُمَا رِجَــالاً كَــثيرًا وَنسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ به وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيبًا ﴾(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديدًا * يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا ﴾(٣) .

لو خيل إلى كل متبصر يعقل فن الأمور ودرايتها على مستوى مأمول ، لأدرك بيقين أن الجوهرة الثمينة عندما يعجز الحانقون عن تملكها وبسط يد الغصب عليها ، فإنهم ما يفتؤون يوصمون وصمات العار والشنار على تلك الجوهرة ، وبث عبارات التهكم والسخرية والمبالغة في وصفها بالشكل بشيء من البجاحة وقلة الذوق ، وكيف لا يكون ذلك وقد عجزت الأيادي الممتدة أن تخدش شيئاً من جمالها أو تعكر صفواً من جمالها أو تفقدها بريقاً من لمعانها ، وعندما يعجز المرء عن بلوغ المراد يسعى إلى تعزية نفسه بما يكفها عن طلبه إياها وخفت الإلحاح الذي يشتعل في قلبه ويثور في نواصيه .

تلكم هي المرأة ، جوهرة مكنونة ودرة مصونة ، تحتضنها القلوب قبل الأيدي ، وتصونها في خبايا الصدور بمداراة ومحبة ولطف وعناية وحرص واهتمام ، يدرك منه العاقل أنها قيمة

---

(١) آل عمران / ١٠٢ .

(٢) النساء/ ١ .

(٣) الأحزاب / ٧٠ ، ٧١ .

كبيرة لها حظوتها في القلب وشروقها الممتد في النفس، وإشعاعها الغائر في الوجدان، يستدعي عند حدوث الأمر الجلل القلب بسرعة ليحفظ ويحمي، فكل حريص على حفظ ما يطلبه ويود إليه ويهتم به بسعي المحب ومبالغة المغتنم، تلك هي المرأة في مجتمع الإسلام ثروة كبيرة لا تقدر بثمن، مكانتها عالية شامخة كشموخ الجبال الرواسي، وعزتنا تنبع من عزتها وشموخها، وسعادتنا تكمن في سعادتها وسرورها الذي يشرق في نفوسنا ويشع فيها الراحة والدعة والسكون، تلك هي المرأة منبع عطائنا... وسبيل تقدمنا... ومقومة طريقنا...، تلك هي المرأة أمة لوحدها تمضي بحرصها لتشحذ الهمم وتحرك القلوب الساكنة وتشعل العزائم وتأمم النفوس، تلك هي المرأة بحر من العطاء يسبح لا سواحل لها لا يحدها حدود، عطاؤها مستمر متواصل لا يتخلله مد أو جزر، تلك هي المرأة ذات علاقة وطيدة مع أطياف المجتمع، وصلة محببة ومودة كريمة مع الجميع، فهي الأم الرؤوم والصدر الحنون والعاطفة المشفقة والمشاعر الحانية، وهي الزوجة المحبوبة والمحبة الصافية والعلاقة السامية، وهي الأخت ذات الأخوة الفياضة والسمات البراقة، وهي الأخت في الدين تحت مظلة رب العالمين، يجمعنا الدين القويم لكل ما فيه صلاح ورشد مكين، وهي البنت الجميلة ذات الإشراقة البديعة والقسمات الموصولة بمحبة الأفئدة.

هاهي المرأة في شريعة الإسلام صاحبة رسالة زاهرة، ومنهجية كاملة باهرة، فهي منشئة الأجيال ومربية الرجال ومعدة الأبطال ومؤهلة الأمة إلى خير المآل، تلك هي المرأة هي الأم والأخت والبنت والزوجة تربطنا بهنّ علاقات الجمال والسمو، علاقات رعاها الشارع الحكيم في كتابه العظيم وسنة نبيه القويم، أهلها الإسلام لحمل أعظم مهمة وأركزها همة وأقدرها مكانة، مهمة إنشاء الأجيال وقد تسلحوا بنور الإيمان واليقين طواعية ومحبة وإخلاصاً لرب العالمين.

فعلام التدافع والنزاع، وعلام التناقش والخصام في قضية المرأة وإبراز قضية حقوقها، والتي أزبدت منها الأفواه جفاء دون وعي أو إدراك في المطالبة والنداء بإحلالها، وكأنها وضعت على الرفوف دون دور مناط لها ويتوجب عليها القيام به، للأسف تصوروا المرأة كما لو كانت في عصور الجاهلية العربية وأزمان أوروبا الوسطى حينما كانت متاعاً من أدوات المنزل لا تجاوزه، فهمش دورها وباتت البهائم تعيش في حياة خير من حياتها، ومضت تلك العصور المظلمة المقفرة، ليشرق النور الدري عن شريعة غراء لم تغفل جانباً من جوانب البشرية إلا وكانت لها حظوة وإشارة، ولن يقدر أي منصف أن ينكر مدى الاهتمام الجلي والظاهر الذي عناه الإسلام بالمرأة وإخراجها من العزلة القاتمة التي كانت تعيشها إلى نور الحياة، وتفعيل دورها في الحياة بما يتوافق مع نفسيتها وطاقتها وقدرتها،

وهي من الأمور الجمالية والكاملة التي اتسمت بها شريعتنا ، وظلت المرأة تلعب دوراً محورياً تقـوم علـيه شعوب وأمم تنجب أجيالاً وتناط لها أدوار هامة تبلغ من العظمة والمكانة ما لم يـبلغه الـرجال ، وفي حـين كانت المسلمة تؤدي تلك الأدوار الجسيمة كانت المرأة الأوروبية تعيش حـيال الـتذلل والانكـسار والخنوع والقهر من قبل الرجل ، وما كان دورها يتجاوز المتعة واللهو تلقى بعد ذلك كجيفة من حال البهائم!!

المـرأة المـسلمة ملكة متوجة على عرشها ، صيحتها تنهض عزائم الرجال ، تحرك وفوج الجـيوش والقـتال ، ومـا كـان جيش المعتصم يغزو (عمورية) إلا استجابة لاستصراخ امرأة مـسلمة مـزقت سـكون اللـيل المظلم لتبرق الأنوار على مشاهد الرجال ، تلك هي المرأة في الإسـلام تـبذل لها الأرواح وتمزق الأشلاء وتسحق الجماجم وتخضب الدماء وتتفجر ! طلباً لحمـياتها وإدراكـاً لحظـوتها ، ومـا رأيـنا أجـيال الأمة المحمدية على تلك القوة من الشكيمة والمنعة والعزة إلا وخلفها نسوة سهرن الليالي وقطعن القفار وجهدن في التربية لتصل الأمة إلى ما وصلت إليه من معاني الشموخ والعزة .

وهـا هـي المـرأة في الغـرب تتحرر - كما يزعمون - تحرر الخداع والزيف ، فتخرج إلى الأسـواق كاسية عارية ، تدعي مساواتها بالرجل في حين أنها عاشت خدعة لن تطول حتى تـدرك مـدى الـشرك الـذي نصبته حول نفسها ، ظنت أن بمزاحمتها للرجال ومخالطته لـه في العمل هي السبيل نحو تحريرها!! في حين أنها كانت تقود نفسها إلى معتقل الهاوية ، ظنت أن بمـساواتها للـرجل ستدرك شتاتاً من حقوقها في حين أنها أضاعت أموراً كبيرة من حقوقها ، خيل لها أن دعاوى التحرير والمساواة وتطبيقها يخولها للرقي والصعود ، في حين أنها لم تدرك أنها تدنو من هاوية الضياع .

وحيـنما تـوهم الواهمـون ، وخفيت عنهم حقائق من شريعة المؤمنين ، تنادوا بهتافات لتحرير المرأة المسلمة!! على غرار التحرير المماثل والذي اتسمت به المرأة الغربية ، تصارخوا وتصايحوا وادعوا بوقاحة الفكر أنهم مثقفون ، وأنهم على مرتبة كبيرة من العلم وعلى نضج مـن الـتفكير ، فـتعالت صيحاتهم لسفور المرأة وخلع حجابها الطاهر ، ودعوا إلى مساواتها بالـرجل وإلى إبطـال القـوامة ، ونعقـوا بطـرد فـضيلتها التي تصونها وتعنيها وإحلال المجون والتفـسخ والانـسلاخ من شريعتها بدعوى التحجر والتخلف والرجعية وكبت الرأي وقمع الحـرية وفشوا التشددية!! تعالوا باصطلاحات جوفاء بغية نصر فضيحتهم التي ظهرت عياناً للخلائـق ، والـتي بـدأت أوروبـا الحديـثة تـصحو مـن غفوتها العميقة فتدعو إلى الاحتشام والفصل بين الطلاب والطالبات ، بل وإعداد وسائل نقل خاصة بالنساء ، بعد تفشي حالات

التحرش بهن من قبل الرجال، وكأنما هي صفعة حارة وجهت لهم ليستيقظوا من سباتهم العميق وأحلامهم التي غرقوا في أوحالها.

أعجبهم أن شاهدوها ترقص في الأغاني والحفلات والبرامج على شاشات التلفاز، وأن تكون سلعة رخيصة لجذب المشاهد في الفيديو كليب، وكيف سخروهم وسائل للفضيحة والرذيلة من خلال أعمال رخيصة وباهتة، سرهم أن شاهدوها تمثل في أداور التفسخ والخلاعة وصفقوا لحريتها التي حققتها من خلال تلك الأعمال، ولكن لم يعجبهم أن تهتدي شمل من الممثلات إلى طريق الاستقامة، وأن يعدن إلى رحمة خالقهن وشريعة دينهن، لم يعجبهم أن يعود الحجاب وضاءً منيراً دروب الظلمة التي بدأت تحيط المجتمعات، لم يسرهم أن يشاهدن النسوة وقد قرن في بيوتهن وتحلقن في حلق الوعظ والذكر، كلها أمور لم تعجبهم وزعموا الرجعية إلى الوراء، وفقدان النهضة، مارسوا أنواع الضغوطات لطرد الدعاة والمصلحين بعد أن حققوا النجاحات في عودة فتاة الإسلام إلى منزلها، ها هي الحرية التي يرونها ويدعون إليها ويزعمون أنها تحقق كمال الحرية للمرأة، وما هي إلا فخاخ قد نصبوها لسحل المرأة إلى مواطن التهميش وعدم التأثير، وشغلها بسفاسف الأمور وسفسطائية القول بعد أن كانت تقوم بأهم الأدوار على الإطلاق.

تذكري أختي الكريمة...

أن من تركت الحجاب فقد عصَت رب الأرباب، وتنازلت عن الشرف والعفاف، وعرضَت نفسها لأشرار الذئاب - ظانَّةً - أنها أجمل امرأة في أعينهم، وما علمَت أنها كالحلوى المكشوفة لا يأخذها إلا الحشرات والهوام!! أما الإنسان العزيز النظيف لا يرضى بأن يأخذ هذه الحلوى لأنه يعلم أنها لم تبقَ مكشوفةً إلا لقذارتها وفسادها ومرور الدواب عليها..!

فالمرأة كتلك الحلوى.. إن بقيت محجبة مصونة رغبها كل من رآها، وإن كانت متبرجة متفسخة عافها الكل ولم يأتها إلا حشرات البشر ليأخذوا منها أنظف ما فيها وأعز ما تحمله ثم يتركونها ملقاةً على الأرض تدوسها الأقدام.. ويتأفف منها الكرام!

فهل ترضين هذا لنفسكِ أختي الحبيبة؟.. هل ترضين المذلة والسقوط؟

أم الرفعة والعزة والكرامة؟

أمامك طريقان فاختاري أحدهما.. فإما نجاة وإما عذاب في الدنيا والآخرة!!

أختي الغالية...

قــال تعـالى: ﴿ يَــا أَيُّهَــا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١).

فتأملـي معـي كـيف بـدأ الله بـزوجات وبـنات محمد ﷺ . . بدأ بالعفيفات الطاهرات ، الـصالحات الـزاهدات . . أمـرهن بالحجاب والجلباب ، ونهاهن عن التكشف والتبرج وهن أمهات المؤمنين وسيدات نساء الجنة ، ومن أُمِرنَ بالتحجّب والتستر عنهم هم صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين . . أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس العفيفة . .!!

فما بالكِ أخيتي برجال ونساء زماننا؟!!

مـا بالكِ بمن يقضون ساعات طوال أمام قنوات الفساد والدمار وتشبعت قلوبهم بحب الـشهوات المنكـرات ، وطـارت عقـولهم شـوقاً إلى لقـاء حبيـبة ، أو رؤية جميلة ، أو سمـاع صـوت خليلـة!!

فـو الـذي نفـسي بـيده إن الأمر بالحجاب ليشتدّ ويغلّظ في زماننا هذا ، وإن مسئوليتك أمـام الله عظـيمة لأنـك موضـع فتنة - وهي أعظم فتنة على أمة محمد ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: **«ما تركت بعدي فتنة أشدّ على الرجال من النساء»** (٢).

وقلـوب الـرجال في هذا الزمان مريضة - إلا من رحم ربي ، وقليل ما هم - وأعينهم تـصول وتجـول في مجـتمعات النـساء ، ونفوسـهم تـتوق إلى الشر والفساد . . ثم تأتي الفتاة المتبرجة السافرة عن محاسنها لتأجج نار الفتنة في صدورهم وتساعدهم على الاقتراب منها ، والوقـوع معهـا في مـستنقعات الفـساد والعـار ، وفي النهاية يخرج ذلك الشاب من مستنقعه ليغـسل مـا به من قاذورات ونجاسات بماء التوبة ويعيش حياته من جديد - هذا إن كان لـه قلـب حيّ يخشى عذاب الله - أما أنتِ أيتها المسكينة فستبقين عاراً على نفسك وأهلك ولن يغفـر لـك المجتمع زلـتك ، أو يـتجاوز عـن جـريمتك . . حتـى لـو غسلتِ قلبكِ بماء التوبة والرجوع إلى الله . . فمن سيغسل جسدك مما أصابه من خراب ودمار؟؟!

أظـنكِ فهمـتِ ما أرمي إليه فانتبهي قبل فوات الأوان ، وقبل أن تقعي فتندمي . . ولن ينفع ساعتها ندم ولا بكاء ، ولا حزن ولا دموع . . .!

فهـذا الـبحث المتواضـع أضـعه بـين يـدى أختـى المـسلمة . . المؤمـنة . . الـراكعة . . الساجدة . . مع كل نبضة أمل في عصر تكاثرت فيه الأهواء والفتن .

---

(١) الأحزاب: ٥٩ .
(٢) صحيح مسلم٢٨٣٦ .

إلى محمية هذا الدين . وقلعة هذه الدعوة .

إلى جوهرة هذا المجتمع . . وأمل هذه الأمة نبعثها ، إلى كل طالبة ومعلمة . . وكل أخت وزوجة وكل ابنة وأم . .

ولقد جعلته فى ثلاثة أبواب ،تحتوى على فصول ،هذه الفصول تحتوى على مباحث ومطالب ، ومنها (المنهج القرآنى فى تربية المرأة ، وكذلك الزواج أحكام وعقبات ،وحجاب المرأة المسلمة ، وأحكام الزواج وأنواعه وحكم التعدد و . . . .

والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحب ويرضى . . . .

كتبه

الشيخ الدكتور

سيد جمعة سلاَّم

* * * * *

أهمية الموضوع

إن الباعث الحقيقي لأن ننظر إلى واقع المرأة المسلمة، في الأمس القريب زمن وجود الدولة الإسلامية وفي ظل مجتمع يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو مقارنته بالواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة حالياً في مجتمعات غير إسلامية تحكم بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتطبق قوانين الكافر المستعمر صاحب السيادة والريادة حيث يصول ويجول دون رقيب ولا حسيب.

فماذا قدم الإسلام للمرأة؟ وماذا قدمت المرأة للإسلام؟

لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة منذ أن أشرق فجر الإسلام فأكرمها حين أذلها أهل الكفر، وصان عرضها حين داسه أهل الكفر والجاهلية قديماً، فأعطاها حقوقها كاملةً حين لم تكن إلا سلعةً ومتعةً لأهل الكفر، وحافظ على تلك المكانة التي أعظم بها المرأة ورفع من شأنها من خلال الدولة الإسلامية التي كانت تصون أعراض المسلمين وتذود عنها، وكان خليفة المسلمين يجيِّشُ الجيوش من أجل شرف امرأة وعرضها. وفي ظل هذه الكرامة والمجد العظيم شاركت المرأة في الحياة، وكان لها دور كبير لا يمكن أن ينسى أو يهمل على مر العصور.

لقد كُرِّمت المرأة في ظل الإسلام وفي كنف سلطانه فقدّمت من أجل إعزاز دين الله الكثير الكثير... ابتداءً بأم المؤمنين خديجة الكبرى رضى الله عنها كيف صحبت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ودافعت عنه وصدقته حين كذّبه الناس وكانت له عوناً وسنداً في دعوته إلى الله، ومن بعدها عائشة رضى الله عنها وزيرة صدق لرسول الله ﷺ، وسمية أول شهيدة في الإسلام، ونسيبة بنت كعب التي قال لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: **«من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة»** عندما دافعت عن رسول الله وثبتت أمام الكفار في أحد، نِعمَ المجاهدة المطيِّبة المؤمنة التقية النقية هي، وخولة بنت الأزور، وهند بنت عتبة، وصفية بنت عبد المطلب، والخنساء رضي الله عنها التي عرفت بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفَّى إبان الجاهلية، وما أن لامس الإيمان قلبها، وعرفت مقام الأمومة ودور الأم في التضحية والجهاد في إعلاء البيت المسلم ورفعة مقامه عند الله، حتى وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت معركة القادسية تقول لهم: «إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لأبناء أب واحد وأم واحدة، ما خَبُث آباؤكم، ولا فُضِحَت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا، ولما بلغها خبرهم ما زادت على أن قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو ربي أن يجمعني بهم

في مستقر رحمته» هؤلاء المجاهدات الصابرات الحافظات القانتات وغيرهن الكثيرات سُطِّرت سيرتهن بماء الذهب في تاريخ الإسلام العظيم. هكذا كانت أمهاتنا، وهكذا كان الإسلام عظيماً، فعظمت معه المرأة، فأنعم بهن من نساء أكرمهن الإسلام، ورفع من شأنهن، وحمى أعراضهن، ودافع عن شرفهن، فحافَظنَ على دينهن وتمسَّكنَ به أكثر فأكثر، واعتصَمنَ بحبل الله جميعاً وهنَّ على ثقة بأنهنَّ بالإسلام العظيم وصَلنَ لهذه الدرجة العليا.

وبقيت المرأة شامخةً كريمةً عزيزةً مصونةً بعزِّ الإسلام وحامية بيضة الإسلام دولة الخلافة على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان.

ولقد كان عليه الصلاة والسلام رفيقاً لينا مع نساء المؤمنين، يجيب على أسئلتهن، ويرعى حقوقهن، بايعهن عليه الصلاة والسلام فيما استطعن وأطعن له حتى قلن " الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا "، وانظر أيضاً إلى موقفه عليه الصلاة والسلام من المرأة الحائض في حديث عائشة رضي الله عنها قالت " كنت أشرب من الإناء وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِيّ "، وسأله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن سعد الأنصاري رضي الله عنه عن مؤاكلة الحائض؟ فقال: " واكلها ".

إن كرامة المرأة في الإسلام يتجلى في جميع شئون حياتها، في حضورها وغيابها، ولقد كان لاسمها الفخْر والسؤددُ ولا يزال، فهي لا بد أن تكون بعيداً عن نابي القول، وزلاّت اللسان، فالمرأة لوالديها الحب والرحمة، وهي لزوجها المودة والسكن، وهي لأبنائها الملاذ الحقيقي والمدرسة الصادقة.

تلكم هي أمنا وأختنا وزوجاتنا وبناتنا في ديننا، وذلكم القَدْرُ الذي حُبين به من ربهن جلَّ وعلا، وتلكم العناية التي وجدنها من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

ولكي تعرف تلك الأهمية والمنزلة للمرأة في الإسلام بجلاءٍ أكثر، وفهم واضح، فإني أنقل لك ماهيّة المرأة وشأنها ومكانتها في الأديان الأخرى، وعند أقوام آخرين. وإني والله جازم بأنك أختي المسلمة ستعلمين أنه لا قيمة للمرأة إلا بالتمسك بدينها.

المرأة عند غير المسلمين:

المرأة عند الإغريق: —

كانت عندهم محتقرة مهانة، حتى سموها رجساً من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال يقول فيلسوفهم " سقراط " إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميل، ولكن عندما

تأكـل مـنها العـصافير تمـوت حـالاً "، ولقد عُدّ عندهم أن تكون المرأة عاهراً وأن يكون لها عشاق .

المرأة عند الرومان: –

فقـد كانـت تلاقي أشد العذاب تحت شعار اتخذوه وأسموه " ليس للمرأة روح "، ومن ذلك تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويُسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت .

المرأة عند الصينيين القدماء: –

شـبهت المـرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق في أن يبيع زوجـته كالجاريـة، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثروة وتُورث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية .

المرأة عند الهنود: –

فليس للمرأة الحق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحـرق معـه وهي حية على مَوْقِدٍ واحد . وكانت المرأة العَزَبُ والأَيِّم التي فقدت زوجها من المنبوذين في المجتمع الهندي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات .

المرأة عند الفرس: –

فلقـد أبـيح الـزواج بالأمهـات والأخـوات والعمـات والخـالات وبـنات الأخ وبـنات الأخـت، وكانـت تنفـى الأنثـى في فـترة الطمـث إلى مكـان بعـيد خـارج المديـنة وكانـت المـرأة تحـت سـلطة الـرجل المطلقـة يحـق لـه أن يحكـم علـيها بالمـوت أو يـنعم عليها بالحياة .

المرأة عند اليهود: –

فلقـد كانوا يعتبرونها لعنة لأنها أغوت آدم، وكانوا عندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلـونها، ولا تلمـس وعـاءً حتـى لا يتنجس، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة ويضع أمامها خبزاً وماءً، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر .

المرأة عند النصارى: –

فيكفـي أن أذكـر لكـم ما قاله أَحَدُ رِجَال كنيستهم إذ قال: " إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكـم تـرون كائنـا بـشرياً بـل ولا كائـنا وحـشياً إنمـا الذي ترونه هو الشيطان بذاته والذي تسمعون به هو صفير الثعبان " .

المرأة عند العرب في الجاهلية:

فلم يكن لها حق الإرث ، وإذا مات الرجل ورثه ابنه حتى في زوجته ولم يكن للمرأة في الجاهلية حق على زوجها وليس للطلاق عدد محدود ولا لتعدد الزوجات عدد معين ، وكانت المرأة في الجاهلية تُكره على فعل الزنا طلباً في الأجر المادي وكان من مأكولاتهم ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث ولقد كن البنات يؤدن ويدفن تحت التراب وهن أحياء خشية العار والفقر .

تلكم هي المرأة في الأديان الأخرى المختلفة وعند الأقوام الآخرون ولقد سمعتم وقرأتم مالقيته هذه المخلوقة من أصناف التعذيب والإهانة الجسدية والمعنوية ، حتى أشرقت شمس الإسلام عليها فلقيت كل خير وتكريم وحظيت بكل رعاية واهتمام .

إن المرأة المسلمة على الرغم من المكانة المرموقة ، والاهتمام البالغ النظير من هذا الدين العظيم لها ، ومن عباد الله الصالحين إلا إنها لازالت تجد حرباً شعواء من أعداء كثر ، وكل منهم له غاية يريد الوصول إليها من خلال محاربته للمرأة المسلمة ، فمن أعرابي جاهل لا يعترف إلا برأيه ولا يؤمن إلا بسطوته فيحرم قريباته من ميراث مستحق لهن ويمنعهن من تصرفهن في أموالهن ، بل إنه يتجرأ بكل سذاجة وعشوائية فيستحل تلك الأموال غير آبه بمآل تصرفه ذلك .

إلى علماني قذر يدعو إلى حرية المرأة ، وضرورة أن تقاسم الرجل في القوامة والنفقة وغيرها ، يفرح حينما يظهر للمرأة نداء أو صوت في غير محلهما ، ويغضب حينما تلزم بيتها وتعتني بأبنائها وما ذاك إلا لرغبته في أن ينتشر الفساد ، ويعم البلاء ،ومن هنا كان هذا البحث من الأهمية بمكان .

أختي المسلمة . . . . النقية التقية اتقى الله فى دينك وتمسكى بالحبل المتين كتاب رب العالمين ، وإياك وجاهلية أهل الجهل المجرمين . . . . من أرادوا أن ينتشر الزنا والبغاء في بلاد المسلمين وقد عرفوا أن الأمة أصبحت تبعاً لشهواتها وملذاتها من خلال تدمير ذلك الحصن الحصين .

والله المستعان

* * * * *

الباب الأول:

المــرأة والتربية

الفصل الأول
كيف تربي المرأة ذاتها؟!

المبحث الأول
أسس وأُطر تربوية عامة

سيظل معين التربية الإسلامية بأسسه ومنطلقاته منهلاً تربوياً غنياً لا ينضب مع مضي الزمان وتعدد وقائع الأحوال، فالمنهج التربوي الإسلامي منهج ينبثق من نصوص الكتاب والسنة، وعنايته موجهة بالدرجة الأولى إلى تزكية النفس وتهذيبها من نزغات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها.

وفي هذا الموضوع سنتعرض لبيان أهمية تربية النفس، ودعوة الشرع إليها وشحذ همة المرأة المسلمة إلى تربية ذاتها بطرق وخطوات قائمة على المنهج التربوي الشرعي الصحيح؛ حتى تنضم إلى ركب المؤمنات المفلحات.

ويمكن التعبير عن عملية تربية النفس بأنها عملية النهوض بالنفس إلى المستوى الرفيع من التكوين العقدي والسلوكي الشرعي.

وقد ربط القرآن الكريم النجاح والفلاح بتزكية النفس بالإيمان والتقوى، وربط الخيبة بتدنيس النفس بالكفر والعصيان. قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1].

وللتربية أثرٌ عظيم في تزكية النفس؛ ولذلك كان من مهمات الرسول ﷺ تزكية نفوس الناس، قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

والنفس البشرية قابلة للتوجيه والتعديل، والخير المركوز فيها قابل للتنمية، بالتدريب والتعليم وتكرار المحاولات، وتشهد لهذه نجاح المحاولات التربوية الجادة لتوجيه النفس وتعديلها.

وقبل الحديث عن خطوات تربية المرأة ذاتها، لا بد لنا من التنبيه على "أسس وأُطر تربوية عامة" ينبغي للمرأة أن تعتني بها وهي تباشر عملية التربية.. سواء مع نفسها أو مع

---

(١) الشمس: ٧ - ١٠.

(٢) البقرة: ١٥١.

الآخرين ، ومنها:

١ - أن تتوفر في عملية التربية النية الصالحة ، وأن يكون غاية المرأة ومقصودها في التغيير الإيجابي في نفسها مرضاة الله تعالى ، ونيل الثواب الأخروي ؛ فالأعمال تتحدد قيمتها وتتحقق آثارها المباركة بحسب ما وقر في القلب من نيات ومقاصد يعلمها الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[(١)] . وكما في الحديث المشهور: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" ويقول ابن الجوزي: "اصدق في باطنك ترى ما تحب في ظاهرك» .

٢ - مراعاة التدرج في البناء التربوي ؛ لأن عملية التربية ليست عملية تحويل مفاجئ دفعة واحدة ، والرغبة في الإنجاز السريع مخالفة لسنة الله تعالى في كونه ؛ إذ مع قدرته - جلت قدرته - على الإيجاد بقوله: كن فيكون ، لكنه تبارك وتعالى اختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج ، ومن صفات الله تعالى أنه رب العالمين ، والتربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله .

٣ - إعطاء النفس فرصة للتعود وتصبيرها ومكابدتها ، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[(٢)] . وقول النبي ﷺ : «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم» . وتتلخص هذه الخطة التربوية في ممارسة السلوك الإيجابي المزاحم للطبع السلبي .

وبتكرار السلوك المزاحم وتنميته يضمر الطبع السلبي ؛ وذلك لأن في الإنسان استعداداً فطرياً لإيلاف ما يتكرر عليه مرة بعد مرة ، ومن ألف شيئاً أحبه وشعر بالحاجة النفسية إلى معاودته .

ومما يحكى عن "بشر الحافي" أنه سار ومعه رجل في طريق ، فعطش صاحبه فقال له: نشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى ، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى . . فما زال يعلله . . ثم التفت إليه فقال: هكذا تنقطع الدنيا .

وروى "الأوزاعي" عن التابعي الجليل "عبدالله الخزاعي" قوله: "عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي" .

وروي عن "أبي المعتمر" أنه قال: "أمرٌ أنا أطلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست

---

(١) العنكبوت: من الآية ٦٩ .
(٢) الكهف: من الآية ٢٨ .

بتارك طلبه أبداً ، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: "الصمت مما لا يعنيني" .

ويقول ابن المبارك: "إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كرهٍ ، فينبغي لنا أن نُكرِهها" .

وإذا كان هذا قول ابن المبارك فنحن بلا شك نعيش أشد المعاناة مع نفوسنا ، ونلاقي منها معاندة عن قبول الحق ، ونحتاج إلى مكابدة من نوع خاص .

٤ - تذكري أن تربية النفس ليس معناها إلغاء طبائع النفس الفطرية ، وإنما تعمد إلى استغلالها وتحويلها وتوجيهها وتهذيبها ، فالإسلام ما جاء ليحجر الفطر ، وإنما جاء ليقومها ويصحح مسارها .

مثال ذلك: حب الزينة لدى المرأة ، والحرص على الكسب ، ونحو ذلك .

■ - إيجاد الحافز الذاتي ، الذي يشكل القوة الداخلية عند الإنسان الموجهة لإرادته والدافعة له ؛ والحافز الذاتي لدى المؤمن هو الإيمان بالله تعالى ، وباليوم الآخر ، وبقضائه وقدره ، وبالتأمل في الجزاء الذي وُعِدَ به ، فعندما تستقر هذه القاعدة الإيمانية في أعماق قلب الإنسان فإنها ستهيمن على فكره وقلبه وعواطفه وإرادته ، بحيث تعمل على ربط إرادته بما يرضي الله تعالى ، وتتحكم في أنواع سلوكه الداخلي والخارجي وفق ما أمر الله تعالى به رغبةً ورهبةً ، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1] فنهي النفس عن الشر وتزكيتها لا يتم إلا بالخوف من العظيم الجليل الرقيب الحسيب ، الخوف منه تعالى بمقتضى ما أخبر به عن نفسه من عظمته ، وقدرته ، وعزته ، وجبروته ، وبطشه ، وغيرته ، وانتقامه ، واطلاعه عليه في كل لحظة وخاطرة ، وهذا من أهم روافد البناء التربوي الذاتي الذي يورثه الإيمان بالله تعالى بألوهيته وأسمائه وصفاته ، وهو الذي يشعل جذوة الخوف في القلب ، وبخاصة في وقت الحياة والصحة .

ثم هناك الخوف من اللحظة الأخيرة وسوء الخاتمة ، وهذا بمثابة الحافز المحرك نحو عملية التربية والإصلاح على الدوام ، وكذلك الخوف من حدوث العقوبات الربانية العاجلة والآجلة .

ثم إن المؤمن بالله تعالى وبقدرته وحكمته يقابل مقادير الله بالرضا والتسليم ، فيصبر ، ولا يضجر ، ولا يسخط ، ولا يحسد ؛ لأنه يعلم أنها من تدبير الحكيم العليم الرحيم .

وتكوين هذه القاعدة يكون عن طريق اكتساب العلم ، والتعرف على ما أخبر الله به

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١ .

من أصول الإيمان وأمور الغيب في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وهذا الحافز في مستواه الأعلى يوصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان في معظم أعماله، ويجعله من السابقين إلى الخيرات بإذن الله.

٦ - التركيز على عملية التحويل والتصعيد، وتكون بتحويل رغبات النفس إلى جانب من جوانب الخير، ومن ثم توجيهها إلى معالي الأمور، ولما فيه سعادة خالدة، أو مجد حقيقي، ولما فيه كمال ورفعة في الدنيا والآخرة، وهذه القاعدة متعلقة بسابقتها من حيث إنها مرتبطة بالإيمان بالغيب.

ومن أمثلة ذلك: من ترى في نفسها طمعاً مفرطاً في متاع الحياة الدنيا وزينتها، فتشتغل بملء قلبها بالإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ومعرفة أحواله وما فيه من جنة ونعيم مقيم وأجر عند الله عظيم، ثم التأمل في تفصيلات ذلك النعيم الواردة في صحيح الأخبار، ثم تعمل على توجيه طمعها وتحويله إلى ما عند الله تعالى، ثم تجري عمليات تصعيد ما لديها من حرص وطمع وحب لمتاع النفس إلى تحصيل ذلك المأمول الأخروي، وبذلك تنفك شيئاً فشيئاً عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا؛ طلباً لما هو أجل وأعلى وأدوم، فعندها تجد نفسها قنوعة راضية غير مفرطة في الطمع الدنيوي، ومن هذا الأصل التربوي ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [1].

* * * * *

المبحث الثاني
خطوات تربية المرأة ذاتها

١ - شدُّ الرحال إلى تنقية القلوب وإصلاحها؛ فالاعتناء بعملية تربية النفس وتزكيتها لابد أن يكون موجهاً توجيهاً أولياً، ومركزاً على تهذيب السلوك الداخلي، ومراقبة أخلاق الباطن، إذ سينتج عنه استقامة السلوك الخارجي لا محالة، فالاهتمام بأحوال القلوب وإصلاحها من أهم مقومات تربية النفس، كما قال النبي ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» (متفق عليه) إلى جانب أن توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط يكون كالبناء على غير أساس، وكل بناء على غير أساس عرضة للانهيار، يضاف إلى ذلك أن السلوك الظاهر قد لا يكون معبراً

---

(١) طه: ١٣١.

تعبيراً صادقاً عن أحوال النفس الداخلية ؛ كما هو الحال عند المنافقين . ولذلك كان نظر الله تعالى في مراقبته لأعمال عباده موجهاً لما في قلوبهم ونفوسهم .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»**(١) .

وعلى ذلك فلكي يظهر أثر العملية التربوية لابد من تطهير هذه المضغة من كل ما يخالف تعليمات الوحي ، إذ إن تلك التعليمات والكلمات لا تقبل الخلطة والذوبان بما يعارضها ، ولا تستقر إلا في مكان طاهر يليق بقدسيتها .

٢ - الحرص على العلم والتعلم ، وفهم أمور الدين الواجبة . وما من طريقة من طرق التربية ووسائلها إلا وهي متعلقة تعلقاً وثيقاً بالعلم ، واكتسابه ، والانتفاع به ، وكذلك فهم القرآن ، والتواصل معه قراءةً وتدبراً وعلماً وعملاً ، وأخص هذه العلوم وأنفعها في عملية التربية: العلم بالله تعالى الذي يحقق التوحيد الخالص والإيمان الصحيح .

فعلى مقدار التدبر والفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يكون التوفيق والنجاح في تقويم النفس وتزكيتها ، وقد أفرد البخاري باباً سماه: "باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ " حيث جاء فيه أن نساء الأنصار قلن لرسول الله ﷺ : اجعل لنا يوماً من نفسك نتعلم فيه ، فقد غلبنا عنك الرجال ، فقال: **«موعدكن في دار فلانة»** فأتاهن فيها فوعظهن ، وذكَّرهن ، وعلمهن . وهذا مما يؤكد ضرورة طلب العلم الشرعي عند النساء .

٣ - محاسبة النفس واتهامها ، مع الاهتمام بآلية المحاسبة ، بحيث يحاسب الإنسان نفسه على كل خطأ يقوم به في الوقت نفسه ، وهذا يحتاج إلى يقظة دائمة وانتباه للأخطاء وحركات النفس ، واتهامها قبل اتهام الآخرين والبحث عن عيوبهم ، والحذر من الوقوع في وهم الكمال الذي يجعلنا لا نلتفت إلى نواقص أنفسنا ؛ فتتراكم العيوب ونحيد عن الطريق .

إن المحاسبة بمثابة صراع المؤمن مع نفسه الأمارة بالسوء التي تنسيه الآخرة والاستعداد لها .

يقول يحيى بن معاذ: "من سعادة المرء أن يكون خصمه فَهِماً ، وخصمي لا أفهم له" قيل له: ومن خصمك؟ قال: "نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة" .

فزكاة النفس وطهرتها موقوفة على محاسبتها ؛ فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها .

---

(١) رواه مسلم .

قال الحسن البصري - رحمه الله -: "يا ابن آدم، إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بعلاج ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك". وقال بكر المزني - رحمه الله - "إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به".

ومن مواقف المحاسبة المنقولة عن السلف قول أحدهم: "ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذباً".

بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد، وتحفظ النفس من الانحراف عن الجادة[١].

* * * * *

المبحث الثالث

المنهج الإيماني الذي رسمه السلف في تربية الأولاد

لا يملك المرء منا عندما يقرأ في حال السلف مع أبنائهم، إلا أن يتملكه العجب، وترتسمه الدهشة، وتزداد الغبطة، وتحتويه الفرحة... في شمولية التربية التي ساهموا في إعدادها لأبنائهم، وهي بحق السبب الحقيقي الذي أنتج شخصيات عظيمة، وأجيال حكيمة... لازالت مضرباً للأمثال، ومحطاً للآمال.

فالبداية كانت في تعلم الإيمان عن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة - الغلام إذا قارب البلوغ - فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[٢]. فما هي أبواب الإيمان التي كانوا يعلمونها أبناءهم قبل القرآن: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان»**[٣].

١- تربيتهم على مراقبة الله:

فهذا الحديث العظيم والتوجيه التربوي من الرسول ﷺ لأحد الأطفال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشي**

(١) أسماء الرويشد.
(٢) شعب الإيمان ج١/ ص٧٦.
(٣) رواه البخاري.

كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»(١).

الإمام السلمي لما أراد الحج قال: استأذنت أمي في الحج، فقالت لي: توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غدا (٢).

والمراد بحفظ الله: قال ابن رجب: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ،وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه(٣)

فما أجدر بنا ونحن نعلن حالة الطوارئ في منازلنا عند الامتحانات المدرسية أن نعيد ونكرر على مسامع أبنائنا هذا الحديث الشريف، ففيه غرس مراقبة الله، وفيه تطمين لنفوسهم.. فنوفر عليهم مراقبة ذاتية من أنفسهم! حتى لا يقعوا في ما لا تحمد عقباه.

٢- مجانبة أهل الكفر والانحراف:

كما تربى الأجيال على محبة أهل الإيمان:

* فقد قال أنس بن مالك: كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن(٤).

* قال صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يحب أن أكون مثله (٥).

أما في بغض أهل الزيغ والانحراف: حكى محمد بن عمار قال: قدمت بغداد سنة ٢١٥ هـ - وقد مات المريسى بها - والمريسى من رؤوس أهل المبتدعة آنذاك - وبقي في داره ثلاثة أيام لا يجسر أحد أن يدنو منه حتى ذهبوا إلى السلطان فقالوا: يجيف فيؤذينا؟!!! فبعث بالشرط ورأيت الصبيان يرمون المريسى بالحجارة ويقع على السرير(٦)!! الحارث المحاسبي مات أبوه وخلف مالا كثيرا ولم يأخذ منه حبة واحدة وقال: أهل ملتين لا يتوارثان.، وكان أبوه رافضياً.

قال أحدهم: رأيت الحارث بباب الطاق في وسط الطريق متعلقاً بأبيه والناس قد

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٤٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٤٩٢.

(٤) السنة للخلال.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٥٢٩.

(٦) السنة للخلال ٥/ ١١٤.

اجتمعوا عليه يقول: أمي طلقها!! فإنك على دين وهي على دين غيره[١]

ابن عياض رجل صالح حكم شرق الأندلس عندما حضرته الوفاة قالوا له: إلى من تسند أمرنا وكان له ولد، فأشاروا به عليه؟ فقال: لا يصلح!! لأني سمعت أنه يشرب الخمر، ويغفل عن الصلاة[٢].

٣ - تعظيم حرمات الله ونواهيه:

عن ابن عمر قال أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد**» فقال ابنه: والله لنمنعهن! فقال: فغضب غضباً شديداً وقال: أحدثك عن رسول الله وتقول إنا لنمنعهن[٣].

عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنب ابن أخ له فخذف فنهاه وقال: إن رسول الله نهى عنه!. وقال: «**إنها لا تصيد صيداً ولا تنكي عدواً وإنها تكسر السن وتفقأ العين**». قال: فعاد ابن أخيه يخذف، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تخذف لا أكلمك أبداً[٤].

الملك المسعود صاحب اليمن، لما مات ابنه سرّ والده بموته لأنه كان يعسف التجار، ويشرب الخمر بمكة[٥]؟

أما تعظيمهم لأوامر الله:. فعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: ختنني ابن عمر أنا ونعيما فذبح علينا كبشاً فلقد رأيتنا وإنا لنجذل به على الصبيان أن ذبح عنا كبشاً[٦].

٤ - تحفيظهم كتاب الله:

أول ما يجب أن يعنى به الوالدان هو الحرص على أن يحفظ الأبناء كتاب الله منذ صغرهم فيشبوا وقد علقت قلوبهم حب الله، وتعظيم كتابه، وتدبر آياته... فيأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، فإن كانت من مكارم الأخلاق اطّلع عليها واقتدي بها، وإن كانت عبرا وعظات، اعتبر بها وقرعت فؤاده، وكان السلف الصالح أول ما يسألون عنه

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٧.
(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ٢٧٩.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه ابن ماجه.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣١٢٢.
(٦) الأدب المفرد ٢/ ٦٤٥.

حفظ كتاب الله، وهذه قصة عمر بن أبي سلمة أصح دليل على سرعة حفظ الطفل والحث على المسارعة في تحفيظ الأبناء، قال عمر بن سلمة: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم مال الناس؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله أوحى إليه بكذا فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يقر في صدري فلما أسلم قومه وأمرهم النبي بالصلاة قال: فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني! لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين؟؟[(١)] . .

ومما يدل على أن هذا دأب الصحابة قول ابن عباس: جمعت المحكم في عهد رسول الله؟؟ . فقلت له: ما المحكم؟ . قال: المفصل! - أي من الحجرات إلى آخر القرآن - . وقال أيضاً: سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير . .

وعن ابن عباس قال: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا [(٢)] .

ومما يستطرف في هذا الشأن حكاية الفرزدق حيث دخل مع أبيه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: إن ابني يوشك أن يكون شاعراً . فقال له: أقرئه القرآن فهو خير له! . فقال: ما زالت كلمته في نفسي حتى قيّد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه [(٣)] .

٥- تأديبه على ترديد الأدعية:

حرص النبي ﷺ على الأدعية سواء أذكار الصباح والمساء أو المتفرقة، وجاء عنه الحرص الشديد في بعضها حتى قال في حقها الصحابة كان يعلمنا هذا الدعاء كما كان يعلمنا السورة من القرآن كما جاء عن ابن عباس: " أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر . . ."[(٤)] .

• دعاء الاستخارة: عن جابر قال: كان النبي يعلمنا الاستخارة في الأمور كالسورة من القرآن [(٥)] . .

• ترديد الأذكار وتعليمها لأبنائهم: كان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال " سبحان الذي سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . . . " . .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح١/ ٢٤٤ .

(٣) خزانة الأدب: ١/٢٢٢ . (٥) .

(٤) الأدب المفرد للبخاري .

(٥) الأدب المفرد للبخاري .

٦- الصبر على الطاعات:

إن أم الأسود بن يزيد قعدت من رجليها فجزعت ابنة لها.. فقالت: لا تجزعي، اللهم إن كان خيرا فزد[١]!

وكان مسروق لا يعصى ابنته شيئًا قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب!. قال: ما أردت بي يابنية؟. قالت: الرفق!. قال: يابنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [٢].

*****

المبحث الثالث:
تخلى المرأة المسلمة عن واجباتها هو أصل المشكلة

إن العالم اليوم بأسره يشكو من المشكلات والمصاعب، ويتأوه من الصعوبات والمآزق، ويجدُّ الباحثون عن حلول ومقترحات، ويفتش المصلحون عن أدوية وعلاجات، ليعيش الإنسان في راحة وأمان، ولمّا يهتدوا لسبيل بعد، وإنه لمن حسن العمل أن يدرك المصلحون أصل المشكلة، ويعرفوا أُسَّ القضية، ألا وهي الإنسان.

فعلاج أي مشكلة منبعه الإنسان، ذلك أنه هو محور الكون، والإنسان في الحقيقة ليس هو الجسد، فكل الكائنات الحية تمتلك هذه الصفة، بل الإنسان هو التربية التي يحملها، والقيم التي يعتقدها، والسلوك الذي يقوم به.

فأهم مشكلة تواجه الأمة اليوم، هي الإنسان وبناؤه؛ بناءً متصلاً بتراثه وثقافته، متفاعلاً مع عصره، وملتزماً بقضايا مجتمعه وأمته.

وإذا أُهمل الإنسان ونشأ بلا تربية انفصل عن جذوره، فضاع وأضاع مَن حوله.

وإن التقدم والرقي لا يتحقق بالسياسة ولا بالمال فحسب، بل يتحقق بالأساس، وهو إعداد الجيل الذي يُسهم في إيجاد بنية ذاتية متطورة تعزز التقدم المنشود، وتكرس الرقي المطلوب.

وإن ما يميز أفراد مجتمع ما عن أفراد مجتمع آخر، هو ثقافة ذلك المجتمع، ونوع التربية السائدة فيه، إذ لا يميزهم غناهم أو فقرهم، ولا يتميزون بألوان عيونهم، أو أشكال أجسادهم، وإنما يتميزون بالتربية التي يتلقونها، والتي تجعل منهم أشخاصاً أصحاب هوية

---

(١) إسناده صحيح. الرضا عن الله ٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٦٨٩.

معينة ولون محدد، وفي الحديث الشريف عن رسول الله : «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

فعلى سبيل المثال عندما يُذكر المجتمع الياباني هذه الأيام فإنه لا يقفز إلى الأذهان إلا العلم والتكنولوجيا والتقدم والاختراع والعمل الدؤوب، وعندما يُذكر مجتمع الصحابة في عهد رسول الله يقفز إلى الذهن عصر العلم والحضارة، والتنشئة السوية والتربية الصالحة.

العلاقة بين التربية والتعليم:

التعليم: إيصال المعلومات كما هي عليه إلى طالبها ومن يريدها، فالعلم: إدراك الشيء على حقيقته.

أما التربية فهي: فن وملكة وخبرة إيصال المعلومات يوجهها الصحيح إلى المتلقي.

وبالتالي فإن العلاقة بين التربية والتعليم علاقة تلازم، وعموم وخصوص، والعلم جسد، والتربية روح هذا الجسد، فالتعليم جزء من التربية، والتربية عامة شاملة، ولا يمكن الفصل بينهما بحال، بدليل أو كلمة في أمة العرب التي أصبحت خالدة خلود الرسالة، قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[١]، أي تعلم مع التربية، إذ لم يكن النص: اقرأ باسم خالقك، أو رازقك، بل ربط التعليم بالتربية.

والرب والتربية من اشتقاق لغوي واحد، كما قال الإمام البيضاوي في تفسيره: [والرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً].

وإذا كانت التربية أداة التغيير، والتعليم أداة البناء، فكلاهما يسعى للمستقبل الأفضل، والتعليم جزء ووسيلة من أجزاء ووسائل التربية، إذ إن مدلول التعليم موضوع معين، أما التربية فمدلولها شامل عام.

فالتعليم قد يهدف إلى تحصيل المعرفة، أو التدرب على مهارة، أو حفظ نص، أو الاطلاع على قانون رياضي أو طبيعي، **أما التربية فتهدف في ما تهدف إلى**:

تنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون.

وتربية الضمير والوجدان.

وتنمية الإرادة الحرة الواعية.

والنهوض بالقيم الإنسانية.

---

(١) العلق: ١ ـ ٣.

وتعديل أنماط السلوك البشري .

والتعليم الجيد هو الذي يكون له هدف تربوي ، ولا تعارض بين التربية والتعليم ، وليس بينهما أي انفصال أو انفصام ، بل هما متآزران ومتكاملان .

ولما كانت التربية أشمل وأعم من التعليم فسيتم التركيز في الحديث عنها:

أهمية التربية:

التربية أساس كل تقدم وصلاح ، وعنوان كل تغيير ونهضة .

والتربية بالتعريف: هي الجهد الذي يقوم به المربون في مجتمع ما لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها .

وبالتالي: إذا كانت حياتهم مادية كانت تربيتهم مادية ، وإذا كانت حياتهم فلسفية روحية كانت تربيتهم من جنس نظريتهم .

وإن الدين - لَمَّا كان من عند خالق الكون والحياة - فقد اكتملت فيه عناصر المادية والروحية ، بلا إغراق أو تطرف لأحد الجوانب على الآخر .

وهذه هي التربية الشاملة المتوازنة ؛ التي تجمع بين الروح والمادة ، بين الدنيا والآخرة ، بين السلوكيات المادية والقيم الروحية .

فالتربية الشاملة ليست تلك التي تهتم بالجانب المحسوس أو الجانب العقلي أو الجانب الروحي فقط ، **بل التربية الشاملة هي:**

التربية المتوازنة ؛ الجامعة بين فضائل المادية ومحاسن الروحانية .

التربية الواقعية ؛ التي تلامس الحياة وتخاطب الإنسان وتتجاوب مع فطرته .

التربية العملية ؛ التي تقارن العمل مع القول ، والسلوك مع النظرية .

التربية المستمرة ؛ في مناحي الحياة ، وظروف الإنسان ، وليست مقتصرة على مكان أو زمان معين .

التربية القيمية ؛ التي تحوي مفاهيم الخير والعدل والمساواة ، لا مفاهيم التسلط والفساد .

خصائص التربية الناجحة:

لا يمكن أن تكون التربية ناجحة إلا إذا كانت شاملة ، ولا تكون شاملة إلا إذا تمتعت بخصائص ، منها:

ربانية المنهج ؛ إذ إن المناهج البشرية خاضعة للخطأ والزلل ، عرضة للانتقادات ، كونها صادرة عن إنسان متأثر ببيئة معينة ، فتبقى مناهجه ضمن إطار بيئته ، أما المنهج الرباني فهو عام لكل البشر ، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، وتفاوت طباعهم ، وتعدد آرائهم .

إنسانية النزعة ؛ ليست مقتصرة على شعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم ، أو تخدم مصالح جماعة معينة أو مجتمع بمفرده ، فكلما كانت التربية إنسانية كان نفعها أعم وأشمل .

عملية التطبيق ؛ غير مغرقة في خيالات كاذبة أو فلسفيات مادية عقلية ، بل هي تربية قابلة للعمل والتطبيق .

ذاتية المنطلق ؛ نابعة من الشعور بالنفس والآخرين ، لا تحتاج إلى رقابة مادية محسوسة ، فرقابة صاحب المنهج وهو الله الرب المربي كافية ومغنية عن كل الرقابات المادية مهما كانت دقتها عالية .

اجتماعية المحتوى ؛ ليس فيها من الأنانية القاتلة ، ولا الأثرة المهلكة ، بل هي تربية التعاون والتكامل ، وتربية التكاتف والتكافل .

غايات التربية المنشودة:

إيجاد جيل يحمل الصفات الآتية:

العلم النافع .

العمل الصالح .

الخُلُق القويم .

والطريق إلى ذلك تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ، وبناء الأمم .

فالتربية في مجملها: الإنسان في جوانبه الجسمية ، والعقلية ، والعلمية ، واللغوية ، والوجدانية ، والاجتماعية ، والدينية ، وتوجيهه نحو الصلاح ، والوصول به إلى الكمال .

الاهتمام بحامل التربية:

تقدم المجتمعات ونجاحها من نجاح التربية فيها .

من الأمور التي اجتمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيسياً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات ، ويجمع المربون والمصلحون والحكماء على أن البيت والأسرة هما محضن التربية الأول ؛ فإذا كان المحضن واعياً لدوره مقدِّراً لمسؤوليته استقام الجيل ونما .

وإذا كان المحضن مستهتراً بمسؤوليته جاهلاً دوره ضاع الجيل وفسدت الأسرة .

فالأسرة هي الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرةً من خلال ما تلقاه في البيت من تربية، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشّأته عليه أسرته، ويقيِّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة، من خلال ما غرسته لديه الأسرة. وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي.

والإنسان يولد ولادتان: ولادة عضوية جسدية، وولادة تربوية اجتماعية.

وإذا لم يكن في مقدور المجتمع التحكم بولادته الإنسان الطبيعية، فإنه قادر على التحكم بولادته الاجتماعية، وهي الأهم.

المرأة محضن التربية:

في الحديث عن المحضن الأول للتربية يجب الانتباه إلى وعاء هذا التربية، وهي المرأة (الأم) التي يعيش معها الجيل أكثر وقته، ويمضيه أول سني عمره، ويكتسب من معين المرأة غراس الحياة.

وهنا يكون دور المرأة الأم في:

المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

تنمية المواهب والاستعدادات لدى الناشئ.

توجيه الفطرة والمواهب نحو الصلاح اللائق.

التدرج في العملية التربوية.

وللمرأة دور بارز في إنهاض المجتمع وتطويره، ومعارف المرأة وتربيتها له أثر كبير في أخلاق الأجيال.

فالطفل الذي يرى أمه مقبلة على مطالعة الكتب واكتساب العلوم والمعارف، والاشتغال بالتربية والتنشئة، غير الطفل الذي يرى أمه مقبلة على مجرد التزين والتبرج وإضاعة الوقت بهذا الكلام والزيارات غير اللازمة.

الخروج من المشكلة!!!

أم فاضلة وزوجة صالحة.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن قضية التربية يجب ألا تكون تابعاً بل يجب أن تحتل الصدارة في الاهتمام والرعاية، وأن تأخذ التربية زمام المبادرة الفعلية، بأن يكون دورها دور الموجه

والقائد؛ سعياً وراء مصلحة المجتمع، وتحقيقاً للمنفعة فيه.

رسالة المرأة في الحياة:

رسالة عبادة: قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١).

رسالة علم: قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ - أي القرآن - وَالْحِكْمَةِ - أي السنة النبوية - إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٢).

رسالة تربية: قال الله تعالى: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ (٣).

رسالة رعاية بيت الزوجية: قال رسول الله: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

رسالة توجيه المجتمع: قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

أثر تربية المرأة في تحقيق التنمية الشاملة:

في الجملة: إن تربية المرأة تعني تربية المجتمع بأكمله حيث أن لها دورها في التعبئة الشاملة من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمسائل التنفيذية مثل: حملات التوعية من أجل الادخار، ورفع الوعي الغذائي، ورعاية الأطفال، والتزام الأمهات بقواعد الصحة العامة، وتحسين مستوى الخدمة في جميع مراحل التعليم، انتظام التلاميذ في الدراسة.

ورحم الله ابن باديس القائل: مَن علَّم ذكراً - رجلاً - فقد علَّم فرداً، ومَن علَّم أنثى - امرأة - فقد علَّم شعباً.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) الأحزاب: ٣٤.
(٣) الأحزاب: ٣٢.
(٤) التوبة: ٧١.

وما أجمل قول معروف الرصافي:

ولم أر للخلائق من محل ::: يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت ::: بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حُسناً ::: بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ::: كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جِنان ::: كمثل النبت ينبت في الفلاة

وعود على بدء: إذا أردنا حلاً لمشكلات الأمة، ونصراً على مختلف الصُعُد: فالتربية هي الوسيلة الأمثل.

فالنصر العسكري يحتاج إلى نصر اقتصادي، ونصر اجتماعي، ونصر ثقافي، ونصر تربوي.

فنصر صلاح الدين سبقه نصر تربوي؛ من خلال الأئمة الأعلام: الإمام الغزالي، والإمام الجيلاني، ونور الدين زنكي، وغيرهم.

فتكوين قيادات المستقبل هي أهم أهداف التربية.

إن من يستقرئ النصوص الصحيحة المتعلقة بالمرأة المسلمة التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يجدها ملمّة ومستوعبة لكل صغيرة وكبيرة في حياتها، مبيّنة لسلوكها في علاقتها بربها، وفي تكوين نفسها، وفي علاقاتها بغيرها من الأقربين (والديها - زوجها - أولادها - أهل زوجها) والأبعدين، وفي تعاملها الاجتماعي عامة" وتلك السلوكات بمثابة معالم هادية إلى حياة راشدة متزنة سعيدة تضمن لصاحبتها السعادة والنجاح في الدنيا، والفوز العظيم في الآخرة".

ذكّرنا في الأعداد السابقة بواجب المرأة في تقويم علاقاتها بربها، وعلاقاتها مع زوجها، وسنستعرض في هذا المقال سوياً: واجب المرأة مع ثمرة زواجها: أولادها" لا يشك أحد في أن الأولاد قرة عين الإنسان، ومصدر سعادته، وبهجة حياته، بهم يطيب العيش، ويستجلب الرزق، ترى الأم في أولادها أمل الحياة وبهجة العيش وأمان المستقبل، ولكن هذا كله لا يتحقق إلا إذا حسنت تربيتهم وصح تكوينهم وإعدادهم للحياة، وبذلك يكونون كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١).

(١) سورة الكهف: ٤٦.

أما إن أهملت تربيتهم وأسيء تكوين شخصياتهم كانوا وبالا على والديهم، وشرا مستطيرا على المجتمع، ولا يخفى أن مسؤولية الأم في تربية الأولاد أكبر من مسؤولية الأب، لقرب الأولاد من أمهم، ولكثرة الوقت الذي يقضونه معها في البيت، ولمعرفتها الدقيقة بكل أحوالهم خاصة في فترة المراهقة الخطيرة التي تحدث فيها تغيرات جسمانية وعقلية وعاطفية وسلوكية تؤثر على الطفل وعلى تكوين شخصيته، وقد قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[١].

وقال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته**»[٢].

فالأم مسؤولة عن تربية أولادها تربية إسلامية لينشؤوا على عبادة الله وعلى مكارم الأخلاق، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ وقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٣].

والمرأة المسلمة الواعية تدرك مسؤوليتها في تربية أولادها فيظهر ذلك جليا في أبنائها وليس أدل على ذلك من أن الممتازات من النساء ربين أولاداً أنبل وأفضل من أبناء الممتازين من الرجال، حتى إنك لا تكاد تجد عظيما من عظماء أمتنا إلا وهو مدين إلى أمه العظيمة فالزبير بن العوام مدين بعظمته لأمه صفية بنت عبد المطلب، وعبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير مدينون لأمهم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وكل واحد منهم له مقامه المحمود، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لقّن الحكمة ومكارم الأخلاق من صدر أمه فاطمة بنت أسد، وعبد الله بن جعفر سيد أنبل العرب حرم من أبيه صغيرا فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس التي تعتبر من نساء الإسلام الخالدات، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب التي كانت أكرم أهل زمانها كمالا، وأمها المرأة العابدة التقية التي اتخذها عمر زوجة لابنه عاصم، إذ رأى فيها الصدق والأمانة مجسدين، يوم لم ترض أن تخلط اللبن بالماء كما طلبت منها أمها لأن الله يراها.

---

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

أول أمر على الأم أن تمنحه لأولادها هو الحب والحنان، فالأم المسلمة التقية رحيمة بأولادها وأسوتها في ذلك رسول الله ﷺ، كما أخبرنا أنس رضي الله عنه إذ قال: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجع"(١).

ويروي أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كلما مرّ بصبيان هشّ لهم وسلم عليهم(٢)، وكان من أقواله التربوية الخالدة: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»**(٣).

ويروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قبّل الحسن بن علي، فقال الأقرع ابن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فقال رسول الله ﷺ: **«من لا يرحم لا يُرحم»**(٤) وقد جاء يوما أعرابي للرسول ﷺ فقال: أتقبّلون صبيانكم؟ فما نقبّلهم، فقال النبي ﷺ: **«أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**(٥).

وقد مدح رسول الله ﷺ نساء قريش لصفة معينة فيهن وهي الحنان، حيث قال: **«نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده»** رواه البخاري. فالأم الذكية تستعمل في تربيتها لأبنائها اللين من غير ضعف، والشدة من غير عنف، فالأم حنونة على أولادها، إلا أن بعض المواقف تتطلب منها الشدة والحزم من غير عنف طبعا.

ومن أهم جوانب تكوين شخصية الطفل الجانب العلمي، فعلى الأم أن تراقب وتعلّم الطفل وأن تحثه على طلب العلم وعلى مراجعة الدروس وحفظها، وأن تساعده في تنظيم وقته بين التعلم واللهو المباح، وأن تهيئ له الجو المناسب من أجل التعلم، ومتى أخلصت الأم نيتها لله هان عليها التعب وسهل عليها الصعب بإذن الله، وأبناؤها فلذات كبدها محل كل تضحية صعبة منها(٦).

* * * * *

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ وتواضعه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أحمد.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخاري.
(٦) الدكتور/ علاء الدين زعتري - أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامي في جامعات سورية ولبنانية.

الفصل الثاني:
تربية البنات من المهد إلى الزواج
تمهيد

في الإطار العام ركزّت الشريعة الإسلامية على التربية من كل النواحي ، واعتبرت أن أهم وسائلها هي السير على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾(١) إضافة إلى وسيلة ثانية مهمة هي اتخاذ القدوة الحسنة ، وذلك لأنها تؤدي إلى صلاح الفرد والجماعة ، فمن خلالها يكتسب الإنسان الأخلاق والآداب والسلوكيات ، مصداق ذلك قوله تعالى في معرض توجيه خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢) .

وقوله سبحانه في معرض توجيه المؤمنين إلى اتخاذ رسول الله ﷺ أسوة وقدوة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(٣) .

إضافة إلى وسيلة أخرى وهي الموعظة الحسنة والدعوة بالحكمة ، مصداق ذلك ما ورد في حكاية لقمان وهو يعظ ولده ، قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٤) وقد وضع العلماء جملة من المبادئ والقواعد تتعلق كلها بالتربية ، من ذلك مثلا التربية العقلية ، وذلك في إعطاء الولد ذكراً أو أنثى ما يناسب سنه ، مع تعويده على أخذ المعلومات الصحيحة والموثقة ، وتحريضه على منهج النقد العلمي ، ليعيش الولد وهو ينمو رويداً رويداً بعيداً عن التفكير الخرافي .

ومثلها أيضاً ما يتعلق بالتربية الخلقية ومن أهم مبادئها ، غرس المحبة في نفوس الأطفال ،

---

(١) الأنفال ، ٢٠ .
(٢) الأنعام: ٩٠ .
(٣) الأحزاب ، ٢١ .
(٤) لقمان ، ١٦ - ١٩ .

وغرس الثقة فيهم ، مع تعويدهم على قوة الإرادة ، والاعتناء بمفهوم بناء الشخصية السوية .

وهكذا فيما يتعلق بمبادئ التربية الاجتماعية ، بحيث يشعر الولد بالأمن والاستقرار في البيت والمدرسة والمسجد وما إلى هنالك ، بعيداً عن القسوة والكبت ، وبعيداً عن الدلال الزائد .

لكن السؤال الملح هنا هو: هل تُربى البنت في عمرها الأول كما تُربى في فترة المراهقة ونحو ذلك؟!

أبداً فعلماء التربية وعلماء الشريعة الإسلامية وضعوا لكل مرحلة ما يناسبها من الأمور التربية .

ففي المراحل الأولى على ولي أمر البنت أن يتذكر كيف كان رسول اللّه ﷺ يعامل البنات ، وذلك من أجل أن يكون في تلك التعاليم النبوية منهجاً للتربية والتعليم ، من ذلك أن النبي ﷺ قد اهتم بالنصيحة ووجه الآباء والأبناء إلى الاهتمام بالموعظة والنصيحة ، مثال ذلك ما رواه البخاري في الصحيح أن رسول اللّه ﷺ لما وجه علي بن أبي طالب إلى فتح خيبر قال له ﷺ : **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللّه تعالى، فو اللّه لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** وتارة ما يكون ذلك عن طريق انتهاج أسلوب القصة ، أو الحوار ، أو الموعظة مع المداعبة أو بضرب الأمثال وما إلى هنالك .

والمهم في الحكاية أن تكون تربية الأولاد تحت مظلة الرحمة ، مثال ذلك ما أخرجه البخاري أن أبا قتادة رضى الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه ، فصلى ، فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع رفعها .

فلك أن تراعي طبيعة الولد أثناء استعمال العقوبة ، مع التدرّج في المعالجة من الأخفّ إلى الشدّة ، وذلك من خلال الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه أو الملاحظة أو الإشارة أو التوبيخ أو بالهجر ونحو ذلك .

وبالتالي فالبنت في المراحل الأولى لا تحتمل دروساً أكاديمية في التربية ، إنما المهم في تلك المرحلة أن يتم التركيز على حبّ الله وحب رسوله ﷺ، بحيث تتلخص المسألة بما أخرجه البخاري من قول الرسول ﷺ : **«ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟»** ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللّهِ﴾(١) وكيف تكون البنت التي يربطها ووالدتها بحب الله ورسوله؟ وهل يستطيع شياطين الجن والإنس أن يؤثروا بأخلاقها وسلوكياتها أو أن يحرفوها عن جادة الصواب؟؟

إضافة إلى ذلك على الآباء والأمهات تربية البنت على العيش ضمن محيط الأسرة والبيت، حيث تسود المحبة والوئام وللتعاون بين جميع أفراد الأسرة، وقد أكدت الوقائع أن الطفل الذي يعيش في جو منزلي هادئ، مليء بالحب والعطف فسيكون الحال شعوره بالاستقرار والطمأنينة، مما ينعكس على علاقاته العامة مع الناس جميعاً، والعكس صحيح، فالطفل الذي يستيقظ وينام على مشاجرات الأهل يفقد الأمن والأمان، ويتأثر بذلك كله، فيعيش الانطواء والعزلة والعقد من المجتمع!

ولا يتصور أولياء البنات أن القيام بتربية البنات أمراً سهلاً، إنما أكدت الشريعة والواقع صعوبته، وذلك قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه من كان له أختان أو بنتان فأحسن إليهما، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعه السبابة والوسط.

وقال ﷺ: «**من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة**».

فقيل: يا رسول الله واثنتين؟

فقال ﷺ: «**واثنتين**».

فقيل: يا رسول اللّه وواحدة؟

فقال ﷺ: «**وواحدة**».

كل هذا يوجب على الآباء والأمهات أن يربّوا بناتهم على جميع الأخلاق واحترام الآخرين، والمحافظة على حقوق الآخرين، سواء كانت مادية أو معنوية، كما قال اللّه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢).

ومثله قول الرسول ﷺ وهو يوجه الأفراد إلى الإحساس بالانتماء إلى المجتمع: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**».

ثم تأتي مرحلة تربية البنت وتعليمها الواجبات والفرائض الإسلامية كالصلاة والحج

(١) الروم: ٣٠.
(٢) الحجرات: ١١.

ونحو ذلك .

مصداق ذلك قول النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١).

مع التركيز على التأمل والبحث والتفكر ، وذلك من أجل أن يتكون لديها إدراك عقلي سليم ، وهذا يؤدي إلى تهذيب النفوس وتربية الروح وما إلى هنالك .

يرافق ذلك كله ترويض الفتاة على الانضباط الإسلامي فيما يتعلق بالاختلاط ، وذلك انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» .

ويدخل في ذلك تربيتها وتعوديها على ستر العورة وعلى ارتداء الحجاب الشرعي ، وذلك من خلال ما قاله الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وبذلك كله ، وبغيره ، تكون الفتاة قد وصلت إلى مرحلة الزواج عسى الله أن يوفقها إلى الزواج بزوج متدين ملتزم بأحكام الشريعة العصماء .

تعليم البنت واجب أم لا؟!

لم تحصر الشريعة الإسلامية العلم بالذكور دون الإناث ، وهذا ما نلمحه في الأسلوب القرآني ، حيث ظاهر المسألة تخص الذكور ، لكن حقيقة هي دعوة للذكور والإناث من أجل تحصيل العلم ، وهي هنا من باب تغليب الذكر على الأنثى ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(٤)

ومثله قول النبي ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى**

(١) أخرجه أبو داود .
(٢) النور ٣١ .
(٣) النور ، ٥٦ .
(٤) المؤمنون ، ١ - ٢ .

الجنة» .

الإسلام يتعامل مع الإنسان ككل متكامل تتفاعل فيه الأجهزة المتعددة ، سواء الدورية أو النفسية أو الغدية أو الهضمية أو التناسلية . . . إلخ . . وجعل لكل جانب من جوانب الإنسان حضوراً وقدراً وتوجيهاً وأحكاماً .

الإسلام لا يلغي الحديث عن جانب النمو الجنسي ، بل يبين متى يبلغ الإنسان وأمارات ذلك لدى كل من الرجل والمرأة ، ففي الرجل . . الاحتلام ، وإنبات شعر العانة ، وفي الأنثى كذلك مع حدوث الحيض . . وجعل الإسلام لذلك أحكاماً وآداباً تضبط مسار هذا الأمر وتحفظه .

* * * * *

المبحث الأول:
ضوابط الإسلام في هذا الجانب

أولاً - الأحكام: خاصة مسائل الطهارة وضرورة تعليمها للصغار في بداية حياتهم .

ثانياً - الآداب: ولا سيما في الأسرة ، خاصة في الأماكن التي هي فطنة تحريك غرائزهم . . أو وقوع أعينهم على أمور تشغلهم وهم بعد غير مهيئين لها ، ومثال ذلك أحكام الخلاء ، من التستر والذكر والاستنجاء والاستحمام ، كذلك أحكام الدخول والاستئذان ، خاصة بعد البلوغ .

الإسلام لا يلغي الشهوة ، بل يضبطها ويوجهها . . ولذا يلاحظ أن الإسلام أمر بالزواج باكراً حين البلوغ وحث عليه . . إلا أن طرقنا التربوية ، والتعليمية بل والبيئية هي التي تؤخر الزواج وتكوين الأسرة .

يلاحظ أيضاً أن الإسلام يشدد على مسألة حفظ حرمات الأشخاص وأعراضهم من رجال أو نساء ، وجعلها من الكليات الخمس ، ويبيّن خطورة ذلك على المجتمع وأثره ، ورتب على ذلك عقوبات شديدة حتى يحفظ الإنسان هذه الطاقة ويصرفها المصرف الحلال ، وهي واضحة ميسّرة ، ولذا على جميع المربين والأسر والمؤسسات الرسمية الاهتمام بتلبية هذه الرغبة باكراً وتسهيل أسبابها . . الحذر من تعريض النشء إلى مواطن إلهاب المشاعر وتأجيج الشهوة . . بالإعلام ووسائل التقنية المختلفة .

١ - معنى التربية الجنسية:

يعرف الدكتور عبدالعزيز القوصي التربية الجنسية هي التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية

والخبرات الصالحة والاتجاهات اللازمة والسليمة إزاء المسائل الجنسية بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي في إطار الدين والأخلاق مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل، مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة الجنسية .

٢ - أهداف التربية الجنسية:

التربية الجنسية تقوم على أسس دينية وأخلاقية يتم من خلالها تحقيق أهداف إنسانية واجتماعية .

يرى الدكتور فاروق صادق أن الجانب الجنسي في شخصية الفرد يلعب دورا هاما في الحياة البشرية حيث يتم من خلاله التكاثر واستمرار الحياة، وبذلك يجب أن يكون للفرد ثقافة في هذا الجانب التي تهدف إلى:

١ - تزويد الفرد بالمعلومات الصحيحة عن حقيقة الحياة الجنسية والنشاط الجنسي دون حرج وبطريقة علمية تتناسب مع عمره وإدراكه وتصحيح المدركات الخاطئة المرتبطة بالجنس إن وجدت .

٢ - تشجيع الفرد على تنمية ضوابط إرادية على رغباته الجنسية في ضوء المسئولية الاجتماعية مع توضيح خطورة إشباع الدافع الجنسي بلا ضوابط .

٣ - وقاية الفرد من الوقوع في أخطاء جنسية وتجارب غير مسئولة .

٤ - ضمان علاقات سليمة جنسيا بين الرجل وزوجته مع تقدير المسئولية المرتبطة بهذه الجوانب .

٥ - تكوين اتجاهات إيجابية نحو إحاطة النشاط الجنسي بالضوابط الدينية والخلقية والاجتماعية والنفسية، التي يرضاها المجتمع وبذلك فإن المراهق يصبح رقيبا من نفسه على نفسه دون صراعات نفسيه .

٣ - متى تبدأ التربية الجنسية:

قد يظن البعض أن التربية الجنسية لا وجود لها ويرى آخرون التربية الجنسية تبدأ مع البلوغ .

يقول رضا موسى يفضل أن تبدأ التربية الجنسية منذ العام الأول من العمر من خلال تنظيم أعضاء الطفل فيجب أن تكون بحذر ورعاية الطفل يلتزم بها الأم أو مربية ذات خلق ودين .

ومن هذا المنطلق نحذر من الاعتماد على من المربيات الأجنبيات لما قد يمارسه البعض

منهن من العبث أو استخدام الأعضاء الجنسية لإحداث النشوة لدى الطفل وتتأثر عملية التربية الجنسية خلال عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة قبل البلوغ، ويخضع النمو الجنسي كغيره من نواحي النمو الأخرى لقواعد وأصول النمو. فإذا وجد الطفل البيئة الصالحة التي تعامله منذ ولادته معاملة صحيحة فإنه ينمو صحيحاً.

أما إذا شب الطفل في أسرة لا تسمح بالنمو الجنسي السليم فإن المشكلات الجنسية تبدأ في الظهور وتتراكم حتى تعبر عن نفسها في مرحلة المراهقة وتظهر الانحرافات الجنسية.

* * * * *

المبحث الثاني:
من يقوم بالتربية الجنسية؟

إن عملية التربية الجنسية عملية مستمرة مسئول عنها كل من الوالدين والمدرسة ورجال الدين وأخصائي الإرشاد والتوجيه.

كيف تتعامل مع الطفل قبل البلوغ مباشرة من الناحية الجنسية؟

يحدد الدكتور عبدالعزيز الأحمد كيفية التعامل مع الطفل قبل مرحلة البلوغ في أربع نقاط أساسية وهي:

أولاً: يكون التعامل طبيعياً وتبعد الحساسية المفرطة في الكلام حول بعض هذه الأمور.

ثانياً: يلاحظ في أحكام التوجيه في الإسلام الأمر بتعليم الصبيان ومَن هم قبل البلوغ الأحكام، خاصة العملية وتدريبهم عليها، سواء الصلاة والوضوء لها، ونواقض الوضوء وأحكام الطهارة.. وكذلك الصوم.. إلخ.. طبعاً الطهارة والوضوء يترتب عليه بيان نواقضه.. وسائل رفع الحدث والاستئذان.. وكل هذه أمور حقيقية لا توجد بهذا الوضوح إلا في الإسلام، إضافة إلى أن بيان موجبات الاغتسال وطريقة الاغتسال من الحدث الأكبر، الذي هو "الجنابة"، وكيف يكون الإنسان جُنباً أو حائضاً ويعلم في الذكور عند سن ١٣ سنة أو ١٤ سنة أما في الإناث فقبل ذلك، وهذا من وجهة نظري أمر طيب حتى ولو لم يبلغ الصبي.. كل هذه الأمور، سواء من الأمر الشرعي بتعليم الصبيان أو الطريقة التعليمية في مناهج الفقه والحديث.. تهيئهم وتمنحهم التعامل السليم مع هذا المتغير "الفسيولوجي" في حياتهم.

ثالثاً: من المناسب جداً عدم التهرب من أسئلة الصبي، خاصة إذا كان ذكياً أو صبياً لا تقنعه الإجابات العادية.. ومن الحصافة للمربي والوالدين عامة الإجابة بطريقة واضحة صادقة تناسب عمره العقلي والزمني مع استخدام بعض الأمثلة المشابهة في الحيوانات

والطيور، خاصة إذا كان صغيراً دون العاشرة.

رابعاً: ليس من التربية السليمة زجر الصبي أو الصبية إذا سأل حول الأمور الجنسية، أو نهره أو زجره إذا لمس أعضائه التناسلية، لأن ذلك "أصلا" حياء عرضاً.. والبُعد عن تكرار كلمة "عيب" أو كلمة "هذا عيبك"، فهذا يوحي إليهم بأن هذا شيء مقزز وعيب ومشين.. إلخ.. واستبداله بكلمات ألطف وأهدأ "فرج"، "قُبُل"، و"دُبُر"، "ذكر".. إلخ.

كيف ننمي في المراهق قدرته على الضبط والتحكم في الرغبة الجنسية؟

١ - يجب أن يدرب المراهق على احترام الرأي العام المتعلق بالمسائل الجنسية وتمثل الآداب الجنسية وتقديرها وفقا لما جاء في الحديث النبوي الشريف، عندما جاء شاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتأذن لي بالزنا؟ فهاج القوم وماجوا، فقال الرسول ﷺ: «**دعوه..**» أقبل يا ابن أخي فأجلسه بجواره ثم قال له: «**أترضاه لأمك؟**» فقال: **لا يا رسول الله**، قال: «**فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم**» (وكرر عليه عدداً من الأقرباء..) ثم مسح على صدره ودعا له..

٢ - على المراهق أن يتذكر دائما أن له محارم يجب أن يراعي الله فيهم.

٣ - لا بد للمراهق من معرفة النتائج الدينية والخلقية والقانونية والاجتماعية والطبية للممارسة.

٤ - أن يشعر المراهق بالمسئولية الشخصية والاجتماعية والطبية للممارسة الجنسية

٥ - حث المراهق على تقليد الأشخاص الأخيار الطيبين قولاً وسلوكاً.

٦ - تنمية وسائل الإشباع الروحي والديني لدى المراهق.

٧ - ممارسة الألعاب الرياضية لتنمية الجسم مثل السباحة وركوب الخيل والصيد، وليصرف الاهتمام بالطاقة الجنسية.

٨ - تنمية العفة والطهارة لدى الفرد ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[١].

٩ - اكتشاف رأي المراهق واستطلاع مواقفه في القضايا، والمناسبات المختلفة وذلك باستشارته في الأحداث، وعند المشكلات، وبإلقاء الأسئلة والاستشارات وبطرح الأفكار.

* * * * *

---

(١) النور: ٣٣.

المبحث الثالث:
دور الوالدين في التربية الجنسية

يقول الدكتور سليمان الجمعة يجب على الوالدين الإلمام بالثقافة الجنسية حتى لا يخطأ أحدهم في إعطاء إجابات غير كافية للأبناء عن دور الجنس في الحياة العامة ويتمثل ذلك في:

١ - علاج المشكلات الجنسية بحكمة والموعظة الحسنة واللين وليس العنف.

٢ - وكذلك ما ورد عن الفاروق عمر عندما سمع امرأة تتمنى لقاء زوجها فلم ينهى عن ذلك بل أرسل إلى زوجها وهو في الجهاد وذهب إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر وسألها كم تستطيع المرأة فراق زوجها، قالت شهر اثنين ثلاث وفي الرابع يفيض صبرها.. فأمر أمير المؤمنين عمر بأن لا يغيب الرجل عن زوجته إلا ثلاث أشهر حتى لو كان في الجهاد.

٣ - أعطي ابنك الثقة في التعبير عن ذاته وتحمل المسئولية.

٤ - لا تطلب من المراهق قمة المثالية فهو بشر يمكن أن يخطئ في بعض الأمور فحاول أن تعالجها بهدوء.

■ - يجب على الوالدين أن يتقوا الله في كل شيء يصلح لهم ذويهم.
﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ ﴾[(١)].

٦ - يجب الصدق مع الطفل في الإجابة عن تساؤلاته الجنسية بطريقة علمية حتى لا يأخذ هذه المعلومات من مصادر لا نثق فيها وتكون خاطئة.

٧ - يجب أن نشرح للطفل أن هناك أشياء "خاصة به" وحده لا يمكن لأي أحد أن يشاركه فيها (الأعضاء التناسلية) ومن هنا نستطيع أن نحمي أطفالنا من التحرش الجنسي، لأنه يدرك أن هذه الأشياء لا يحق لأحد أن يلمسها غيره (ومن هنا نحذر من مداعبة الطفل في تلك المناطق الحساسة).

وتطرح ليلي الأحدب أسلوبا للحوار من الطفل حول الأمور المتعلقة بالجانب الجنسي تصلح كمثال أو نموذج).

يبدأ الطفل في تلك الأسئلة في سن ٦ سنوات

الطفل: من أين أتيت؟

الأم: من مكان أسفل البطن خلقه الله عز وجل لخروج الأطفال.

---

(١) النساء: ٩.

الطفل: في أي وقت يخرج الطفل؟

الأم: لا ، عندما يلتقي الزوج مع زوجته في الفراش ، يظل الطفل في بطن أمه ٩ شهور ، وهناك يرعاه الله عز وجل .

الطفل: سن ٨ سنوات هل يخرج الطفل عن طريق شق بطن الأم؟

الأم: ليس في كل الحالات ، ولكن يمكن ذلك وفي الحالات العادية يخرج من مكان أسفل البطن جعله الله سبحانه وتعالى مخصصاً لذلك وهي فتحة قريبة من فتحة البول تتسع عند الولادة ثم تعود إلى طبيعتها بأمر من الله عز وجل .

الطفل: في سن ما قبل البلوغ: (ما معنى الحلم أو البلوغ)؟

الأم: هي أن يبلغ الطفل مبلغ الرجال ، فيرى الشاب حلما بأنه يقبل فتاة فيجب عليه الغسل قبل الصلاة ، وهذا ما يمكن أن يحدث لك بعد عام أو اثنين .

تحذير للوالدين:

- يجب أن نغرس في الأبناء التربية الجنسية الصحيحة وأنها ليست مجرد لذة حيث أنها متعة جسدية وخلقية كريمة تتم بين الأزواج وقد أحلها الله حتى تدوم الحياة ويحدث التكاثر بشكل إنساني وليس بشكل بهيمي .

- وقد يبدأ الطفل بممارسة العادة السرية منذ الصغر والطفل لا يفعلها بغاية الوصول إلى النشوة كما في المراهقة ، ولكن لأنها قد تحقق له شيئا من اللذة التي لا يعرف سببها .

كيف نتصرف مع الطفل في هذه الحالة؟:

لا يعني ذلك بداية انحراف للطفل أو انحطاط أخلاقي ، بل هذا مجرد إنذار بأن الطفل يحتاج أشياء منها: المزيد من العطف والرعاية النفسية والعاطفية بل والجسمية من قبل الوالدين .

ومن هنا نقول: أن الوالدين يقع عليهما العبء الأكبر في تربية الأولاد من الناحية الجنسية وفقاً للمعايير الدينية ونحذر من ترك الشغالات والخدم والسائقين دون متابعة ومراقبة .

* * * * *

المبحث الرابع:
نماذج من تساؤلات المراهقين والمراهقات وإجابتها العلمية

- ما هي الدورة الشهرية وكيف تحدث؟

البويضة تخرج من المبيض وتنزل إلى الرحم في انتظار أن يتم تلقيحها فإذا لم يحدث تلقيح فإنها تذبل وتموت ويطردها الرحم مع بعض الدم، وتسمى بالدورة الشهرية لأنها تحدث كل شهر قمري بشكل دوري.

١ - ما هو الشذوذ الجنسي؟

خلق الله عز وجل الرجل وخلق المرأة ليتزوجا وينجبا الأطفال وجعل لذلك مسارا محددا في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) ولكن هناك أناس تنحرف رغباتهم الجنسية عن مسارها الصحيح وهذا مايسمى بالشذوذ الجنسي.

٢ - كيف يعرف الولد وصوله إلى سن البلوغ؟

قبل سن البلوغ مباشرة تحدث طفرة في النمو الجسمي للمراهق وتظهر علامات لدى الفتى منها ظهور (الشارب) (وعلى العارضين والذقن واللحية) إضافة إلى خشونة الصوت كما تظهر لدى الفتاة منها طفرة في النمو ونعومة في الصوت وبروز الثديين والأرداف وتصل الفتيات إلى سن البلوغ قبل الذكور بعام أو أكثر ثم يحدث في مرحلة البلوغ القذف عند الرجل (الاحتلام)، ويحدث عند الفتاة نزول دم الحيض أو مايسمى بالدورة الشهرية.

- هل هناك أمراض جنسية تصيب الجهاز التناسلي؟

نعم هناك أمراض جنسية فتاكة بالإنسان والبشرية جميعا بسبب اللقاء الجنسي غير الشرعي (الزنا واللواط)، وهذا ما يطلق عليه الغرب بالأمراض السرية لأنها صاحبها يخشى الإعلان عنها مما يساعد على انتشارها ومن أخطر هذه الأمراض مرض الإيدز.

* * * * *

(١) البقرة: ٢٢٢.

المبحث الخامس:
التربية الجنسية في المنهج الإسلامي

كيفية علاج الإسلام للمقدمات التي توقع الفرد في الانحرافات الجنسية:

يقول الدكتور عبدالعزيز الأحمد: إن أعظم وأفضل وسائل التربية في كل مجالات الحياة تتجسد داخل الدين الإسلامي الحنيف، لننتظر إلى علاج الإسلام للانحرافات الجنسية وما يسبقها من إغراءات.

١ - التفريق في المضاجع:

نجد أن توجيهات الدين الإسلامي تبدأ منذ المراحل الأولى من عمر الإنسان في قول الرسول ﷺ: «..... **وفرقوا بينهم في المضاجع**» رواه أبو داود في سننه.

- غض البصر:

ومع تقدم العمر بالنسبة للطفل يأمر المولى بتحريم التبرج في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (١).

ويحرم المولى النظر إلى غير المحارم في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تتبع النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية**» (٣).

٢ - الاستئذان:

ويؤمر الأطفال بالاستئذان على الوالدين في أوقات قد يضعان أو يخففان من ثيابهما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤).

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) النور: ٣٠.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) النور: ٥٨.

- تحريم المصافحة بين الجنسين:

قال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء»(١).

وقد نهى الله جل وعلى الاقتراب من الزنا في قوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾(٢) وحذر من اتباع خطوات الشيطان في أربعة مواضع في القرآن.

فالإسلام يحرم مقدمات إثارة الشهوة والتهيج الجنسي حتى لا يقع الفرد فريسة للأهواء والضعف أمام الشهوة وما ينتج عنها من معاصي تغضب الله رب العزة في علاه.

* * * * *

المبحث السادس:
مجالات إشباع الجانب الجنسي

يقول الدكتور إبراهيم النقيثان: إن الإسلام لم يغفل الجانب الجنسي لدى الإنسان فقد تحدث عنه القرآن بأسلوب مهذب جميل، قال تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾(٥)، وقال جل شأنه: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٧)، وقال جل ذكره: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴾(٨)، وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً

---

(١) رواه مالك.
(٢) الإسراء: ٣٢.
(٣) البقرة ٢٢٣.
(٤) البقرة ٢٢٢.
(٥) البقرة ١٨٧.
(٦) النساء ٤٣ ، والمائدة ٦.
(٧) النور ٥٨.
(٨) القيامة ٣٧.

خَفِيفاً ﴾(١)، وقال جل جلاله ﴿ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾(٢)، وقال أيضا: ﴿ مَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾(٣).

وفي السنة إشارات نحو الفعل الجنسي بطريقة مهذبة فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»(٤)، وقال أيضا: «**إذا أتى أحدكم أهله فليستتر**»(٥)، وقال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله...**»(٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ولك في جماعك زوجتك أجر**»(٧)، والأحاديث في هذا كثيرة جدا، وإنما أردت الإشارة فقط.

من هذه الأدلة والتوجيهات، ننطلق في تأصيل التربية للمسلم والمسلمة في جانب هام من حياتهما، وهو التثقيف الجنسي المنضبط، إن إغفال هذا الجانب يترتب عليه كثير من المحاذير الشرعية والنفسية والاجتماعية.

* * * * *

المبحث السادس:
نصائح عامة في التربية الجنسية

يذكر الدكتور عبد العزيز الأحمد بعض النصائح التي ينبغي على المربين الأخذ بها ومنها:

١ - يجب عزل الأطفال في المراحل الأولى من العمر عن بعضهم وعدم نوم الطفل مع والديه بعد عامه الأول.

٢ - العناية بنظافة أعضاء الطفل دون المبالغة في التنظيف ويجب أن يقوم بذلك الأم أو مربية ذات دين.

٣ - إعطاء الطفل الحنان اللازم وعدم ظهور المشاكل الأسرية أمام الطفل.

٤ - الإجابة عن تساؤلات الطفل بطريقة علمية ومناسبة لعمر السائل.

٥ - إعطاء الطفل مزيدًا من الحرية للتعبير عن نفسه حتى نستطيع أن نكتشف مشاكله

---

(١) الأعراف ١٨٩.

(٢) البقرة ١٨٧.

(٣) البقرة ١٩٧.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه ابن ماجه.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه أحمد والنسائي وغيرهما.

وعالمه الخاص .

٦ - عدم استخدام أساليب العنف أو العقاب عندما يلعب الطفل في أعضائه التناسلية .

٧ - ينبغي أن يتفهم الأهل القضايا الجنسية قبل شرحها لأبنائهم .

٨ - الأب يقوم بتوجيه الأولاد والأم بتوجيه البنات جنسيا .

٩ - ينبغي تجنب الإثارة أثناء التعليم واختيار الألفاظ المهذبة خاصة تلك التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، مثل وصف الإسلام للجماع بالمباشرة واللمس والقرب .

١٠ - ينبغي أن يربى كل جنس على الاعتزاز بجنسه وعدم التشبه بالجنس الآخر .

١١ - الاهتمام بطاقات الشباب الجسمية وتفريغ الشحنة الجسدية في أشياء مفيدة .

١٢ - تسهيل أمر الزواج المبكر أمام الجنسين .

١٣ - تدريب الطفل قبل البلوغ على صوم الأيام المسنونة مثل (عرفة ، عاشوراء . . .) .

١٤ - تعليم الطفل المبادئ الإسلامية الراقية مثل (العفة ، الطهارة ، الحفاظ على العرض ، الحياء ، الغيرة على المحارم . . . .) .

١٥ - تعويد الطفل على الاستئذان قبل الدخول على والديه في أوقات النوم والراحة .

١٦ - تجنيب الأولاد والبنات المثيرات للشهوة من الأفلام والقنوات الإباحية أو مواقع على الشبكة العنكبوتية أو مجلات وجرائد وكتب .

١٧ - طرق هذه المواضيع الحساسة من قبل العلماء وشرحها بشكل علمي سليم حتى لا يأخذها الأطفال والمراهقين من مصادر أخرى غير شريفة أو غير دقيقة .

كما يوصي الدكتور إبراهيم النقيثان بالآتي:

١ - فمن المحاذير الشرعية أن يجهل الشاب أو الشابة أمورا تتعلق بالطهارة من الجنابة والحيض فيما يتعلق بالعبادات واللبث في المسجد ونحو ذلك ، فكم من شاب يجهل حكم الاحتلام وما يترتب على ذلك من أمور ، سواء بوجوب الغسل عند قراءة القرآن ونحوه ، ومثله ذلك للفتاة في وجود الفشل بعد انقطاع الحيض مع ترك الصلاة والصوم وقضاء الصوم بعد الطهر ، وكذلك الاغتسال من الجنابة والامتناع من قراءة القرآن ومس المصحف ونحو ذلك .

٢ - والمحاذير الصحية في معرفة أمراض الجهاز التناسلي والعناية به، والبعد عن العبث في الأعضاء الجنسية، وخطورة انتقال الأمراض، وخطورة فض غشاء البكارة بالنسبة للفتيات.

٣ - والمحاذير النفسية المتمثلة بما يتلقاه الفتى أو الفتاة من معلومات مغلوطة من مصادر غير موثوقة، كالأصدقاء ونحو ذلك، إضافة إلى الانحرافات الجنسية العديدة والتي يكون منشؤها نفسيا في الغالب.

٤ - والمحاذير الاجتماعية مما يتعلق بمخاطر الاختلاط، والعلاقات بين المراهقين والمراهقات أو حتى الكبار ممن عرف عنهم الأخلاق السيئة، فكم من جريمة خلقية ورائها صديق فاسد، أو صديقة فاسدة، مع انعدام التوصية والتربية من قبل الوالدين.

إذا كيف نتعامل مع المراهقين في هذا الجانب؟:

لا شك أن من يقوم بالتوجيه والتعليم يختلف باختلاف الجنس.

فبالنسبة للذكور: يبدأ الأب أو من يقوم مقامه، ببناء علاقة مودة وثقة بينه وبين المراهق فيذكر له أنه على وشك دخول مرحلة الرجولة، إذ سيصبح رجلا كالرجال، فقد بدت علامات ذلك، من خلال التغيرات التي تطرأ عليه، مثل ظهور شعر الشارب، وظهور شعر الإبط والعانة، وكذلك تغير الصوت من صوت طفولي إلى صوت أقرب لصوت الرجال، كذلك هذا التغير في النمو الجسمي السريع، فها أنت أصبحت تشعر بأن ملابسك بدت تصبح ضيقة عليك وقصيرة، وأن حذاءك أصبح غير مناسب لك..، أنت بدأت تخطو سريعا نحو اكتمال الجسم... لتصبح رجلا كأبيك.

ويبدأ يشرح له أسباب هذه التغيرات من جانب فسيولوجي، ولو يستعين بقراءة مراجع متخصصة حول هذا الجانب... ثم بعد ذلك يشرح التغيرات الجسمية والوجدانية المتعلقة باكتمال النمو، ويذكر له مسألة الاحتلام كيف يحدث... وأسبابها وما يترتب على ذلك من أحكام شرعية،، مع الإشارة إلى ما يصاحب هذا الحدث من تغيرات في المشاعر والعواطف نحو الآخرين، خاصة الجنس الآخر، مع ربط هذا الميل وتلك المشاعر بكونها جبلة جبل الله الناس عليها، لكي يتم الزواج وتعمر الأرض ويكثر النسل، إلا أن هذا الميل قد ضبطه الشرع بضوابط، لا يجوز تجاوزها، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[1]، وفق المقابل حذر الله من الانسياق وراء الشهوات دون ضابط

---

(١) آل عمران: ١٤.

من الشرع فقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ خَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾(٥).

ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها مع مداومته لصيانة نفسه من الوقوع في الزنا واللواط والفحش والفسق وممارسة العادة السرية ونحو ذلك مع تبسيط لهذه المعاني، لكي يعي ذلك ويدرك مخاطره، ولا بأس بشرح مبسط مصور لتشريح الجهاز التناسلي للذكر مع بيان وظائف كل جزء وكيفية حدوث الاحتلام.

كما ينبغي للأب أن يحذر من أساليب وأماكن الشر والفساد، الموجودة في بيئة الشاب، ويبث فيه خلق التقوى والصبر ومراقبة الله جل وعلا، فهو المطلع على الإنسان، فهو السميع البصير سبحانه وتعالى، كما يبث فيه خلق الحياء وغض البصر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٦).

مع بيان لبعض الأمراض الجنسية، التي تصيب من تعدى حدود الله وأوامره، ويفضل أن يكون ذلك كله بلغة واثقة جريئة وبلهجة أو لغة يفهمها الشاب بعيدا عن الأسلوب الرسمي الذي يشعر المراهق بدرس تعليمي إضافي لما يأخذه في المدرسة.

أما بالنسبة للفتاة: فتقوم بهذه المهمة الأم أو من يقوم مقامها، حيث يسبق هذا الدرس الهام بث الطمأنينة وبناء علاقة حب وثقة ومودة بين المراهقة والأم، فتشير إلى أنها على أبواب دخول مرحلة الأم الكاملة الناضجة، والتي لها موقعها المهم في الأسرة والمجتمع، وأنك قاربت بطلاق مرحلة الطفولة والدخول إلى مرحلة الشباب والنضج واكتمال الأنوثة،

---

(١) النساء ٢٧.
(٢) مريم ٥٩.
(٣) النور ٣٠.
(٤) الأحزاب ٣٥.
(٥) المؤمنون ٤ - ٧، المعارج ٢٩ - ٣١.
(٦) النور ٣٠.

والتهيؤ لأن تصبحي زوجة وأما .

ثم تشير إلى التغيرات الحاصلة لديها ، كنمو سريع حيث أصبحت الملابس تضيق عليها وأصبح الحذاء لا يناسب قدمها . . . مع الإشارة إلى المظاهر الجسمية من مثل تغير الصوت من صوت طفولي إلى صوت أنثوي ناعم وعميق . . . ، والإشارة إلى ظهور الشعر في الإبطين والعانة ، وتحول الوبر في الساقين والساعدين إلى خشن ، كذلك بروز الصدر ونمو الثديين ، وتراكم الدهون في الأرداف . .

ثم تدخل إلى أن ذلك مؤذن بحدوث الحيض ، فتشرح لها طبيعته ومدته ودورته وسببه ، وما يترتب عليه من أحكام شرعية ، منها وجوب الحجاب فقد أصبحت امرأة ناضجة ، ومنها ترك الصلاة والصيام أثناء الحيض وقضاء الصيام دون الصلاة ، وغير ذلك من الأحكام ، ولا بأس بالاسترشاد بكتاب فقهي حول هذا الموضوع ، كذلك أهمية الاغتسال من الجنابة نتيجة الاحتلام لو حديث وما يتعلق به من أحكام .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهمية المحافظة على النظافة والصحة لهذه الأعضاء وطبيعة ووظيفة أجزاء الجهاز التناسلي للفتاة ، مع رسم تشريحي للجهاز الأنثوي ، من مبايض ورحم ومهبل وغشاء بكارة .

ثم تبين لها أهمية الصحة والاجتماعية والزوجية لهذه الأجهزة وأهمية المحافظة على غشاء البكارة وكيف ينظر المجتمع لهذا الأمر ، وخطورة العبث في هذا العضو ، ثم تعرض جانبا من الأمراض التي تصيب هذا الجهاز في حال مخالفة شرع الله أو التساهل في أمور النظافة والعناية بتلك الأعضاء ، وخطورة العبث فيها .

ثم تشرح له وظيفة الزواج في حياة الفتاة وفي دورة المجتمع ، وكيف يتم الحمل وكيف أن الإنجاب هو من المهام السامية للفتاة ، وكيف تصبح أما ، وطبيعة العاطفة في المرأة على عكس الرجل ، ووظيفة مثل هذه الجوانب في العطف على الأولاد وتربيتهم والصبر عليهم ، فدافع الأمومة عنصر هام في سبيل حماية الأبناء ورعايتهم .

كما تشرح لها أهمية التحكم بالعاطفة تجاه الجنس الآخر ، وطبيعة إشباع الدافع الجنسى من خلال ما شرعه الله ، وما وضع له من ضوابط ، وعدم الانسياق وراء العاطفة ، والتعقل والصبر في هذا الجانب .

كما تربي فيها خلق الصبر والمثابرة لحين قدوم فارس الأحلام ، ولذا تبين لها مما هو محمود من خلق المرأة من الخفر والدلال والحياء ونحو ذلك .

كما تربي فيها خلق غض البصر وفوائده ، كما قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ

مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(١) .

كما تبصرها بأساليب وحيل الأشرار من النساء والشباب والرجال في الإيقاع بالفتيات وسلب أعز ما لديهن بعد دينهن .

تلك أهم النقاط التي لو سار عليها الأبوين لجنبا أولادهم من ذكور وإناث بإذن الله مشكلات شتى لا حصر لها .

وقد لا يكون الأب مؤهلاً أو ليس لديه الاستطاعة في القيام بتلك الخطوات فليعهد بذلك لمن يقوم به كالأخ (العم) أو مربي الشاب أو المعلم أو إمام المسجد إن كانوا مناسبين للقيام بهذا .

كذلك الأم قد لا تكون مؤهلة لذلك ، أو لا تستطيع القيام ببعض الخطوات فالتعهد بذلك لغيرها ، إما أختا لها أو عمة للفتاة ، أو صديقة حكيمة أو غير ذلك .

نسأل الله أن يحفظ شبابنا وفتياتنا من كل سوء ومن مكر شياطين الإنس والجن ممن عناهم الله ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾(٢) .

* * * * *

المبحث السابع: ختان الإناث

الأصل في الخطاب بالأحكام التكليفية أنه يشمل الذكر والأنثى ، ولا يجوز تخصيصه أو تقييده أو الاستثناء منه إلا بدليل .

و من الأحكام الشرعية التي جاءت مطلقةً غير مقيَّدة مسألة الختان ، وهي مسألة دقيقة ليس في نصوص الشريعة أمرٌ بها بصيغة قاطعة الدلالة على الوجوب ، ولكنَّها مذكورة في خصال الفطرة التي أرشدت الشريعة إلى اعتبارها .

فقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الفطرة خمسٌ – أو قال: خمسٌ من الفطرة – الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقصُّ الشارب**» .

و ما جاء من ذكرٍ للختان في خصال الفطرة استدلَّ به العلماء على ما ذهبوا إليه في

---

(١) النور ٣١ .

(٢) النساء ٢٧ .

حكم الختان للذكر والأنثى، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال مشهورة، فيما يلي بيانها:

القول الأوَّل: وهو إيجاب ختان الذكر والأنثى على حدٍّ سواء، وإليه ذهب الشافعية والحنابلة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والقاضي أبو بكر بن العربي من المالكية رحمهم الله جميعاً [(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: (الختان واجب على الرجال والنساء عندنا، وبه قال كثيرون من السلف، كذا حكاه الخطَّابيُّ، وممن أوجبه أحمد... والمذهب الصحيح المشهور الذي نص عليه الشافعي رحمه الله وقطع به الجمهور أنه واجب على الرجال والنساء)[(٢)].

و قال البهوتي الحنبلي: (و يجب ختان ذكرٍ، وأنثى)[(٣)].

و قال الحافظ ابن حجر: (و أغرب القاضي أبو بكر بن العربي فقال عندي أن الخصال الخمس المذكورة في هذا الحديث كلها واجبة فإن المرء لو تركها لم تبق صورته على صورة الآدميين فكيف من جملة المسلمين كذا قال في شرح الموطأ) [(٤)].

القول الثاني: وهو أنَّ الختان سنَّةٌ في حقِّ الذكر والأنثى على حدٍّ سواء، وهو مذهب الحسن البصري، وإليه ذهب الحنفية، ومالك، وهو رواية عن أحمد.

قال ابن جزي: (أما ختان الرجل فسنة مؤكدة عند مالك وأبي حنيفة كسائر خصال الفطرة التي ذكر أنها واجبة اتفاقاً)[(٥)].

و قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن قرر وجوب الختان على الجنسين في مذهب الشافعية، وعزا القول به للإمام أحمد رحمه الله، وجمهور السلف: (... قال مالك وأبو حنيفة: سنة في حق الجميع، وحكاه الرافعي وجهاً لنا - أي للشافعية - وحكى وجهاً ثالثاً: أنه يجب على الرجل وسنة على المرأة).

وقال صاحب الدر المختار رحمه الله: (الأصل أن الختان سنة كما جاء في الخبر، وهو من شعائر الإسلام وخصائصه؛ فلو اجتمع أهل بلدة على تركه حاربهم الإمام، فلا يترك إلا لعذر... وختان المرأة ليس سنة بل مكرمة للرجال وقيل سنة)[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢١ / ١١٤.
(٢) المجموع: ١ / ٣٦٧، ٣٦٨.
(٣)كشاف القناع: ١ / ٨٠.
(٤) الفتح: ١٠ / ٣٤٠.
(٥) القوانين الفقهية: ١ / ١٢٩.
(٦) المجموع: ١ / ٣٦٧.

و قـولـه مكرمة للرجال؛ أي مما يفعل لأجل من يحل لـه الإفضاء إلى المرأة منهم، إذن إن المرأة تكرم بعلها بالتزين والتهيؤ لـه بما يحب، ومن ذلك الخفاض.

و قـال ابـن عابدين الحنفي رحمه الله: (وفي كتاب الطهارة من السراج الوهاج: اعلم أن الختان سنة عندنا - أي عند الحنفية - للرجال والنساء)(١).

القـــول الثالث: وهو أنَّ الختان واجب متعيِّنٌ على الذكور، مكرمةٌ مُستحبَّةٌ للنساء، وهو قول ثالث للإمام أحمد، وإليه ذهب بعض المالكيَّة كسحنون، واختاره الموفق ابن قدامة في المغني.

قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن إبراهيم عليه السلام أول من اختتن وقـال أكثـرهم: الختان من مؤكدات سنن المرسلين، ومن فطرة الإسلام التي لا يسع تركها في الرجال، وقالت طائفة: ذلك فرض واجب... قال أبو عمر: ذهب إلى هذا بعض أصـحابنا المالكـيين إلا أنـه عـندهم في الـرجال... والـذي أجمـع المسلمون عليه الختان في الرجال على ما وصفنا)(٢).

وقـال ابـن قدامة المقدسي رحمه الله: (فأما الختان فواجب على الرجال ومكرمة في حق النساء، وليس بواجب عليهن، هذا قول كثير من أهل العلم)(٣).

وتتميماً للفائدة أرى من المناسب - لأهمية هذا الموضوع وتكرار طرقه في هذه الأيام أن أسرد على سبيل الإيجاز أدلة أصحاب كل قول مما تقدم ذكره فأقول مستعيناً بمولاي تعالى:

أدلَّة القائلين بوجوب ختان الجنسين:

أوَّلاً: قولـه ﷺ لرجل أسلم: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**»(٤).

ثانـــياً: روى الحاكم بإسناد قال عنه: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي، عـن ابـن عـباس رضـي الله عـنهما في قـولـه عزّ وجل: ﴿ وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَـأَتَمَّهُنَّ ﴾(٥)، قـال: (ابتلاه الله بالطهارة؛ خمسٍ في الرأس، وخمسٍ في الجسد. في الرأس: قـص الـشارب، والمضمـضة، والاستنـشاق، والـسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم

---

(١) ٦ / ٧٥١.
(٢) التمهيد: ٢١ / ٦٠.
(٣) المغني: ١ / ٦٣.
(٤) رواه أبو داود وأحمد وإسناده ضعيف.
(٥) البقرة: ١٢٤، مستدرك الحاكم: ٢ / ٢٦٦.

الأظافر، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل مكان الغائط، والبول بالماء).

ثالثاً: حديث اختتن إبراهيم بعد ما أتت عليه ثمانون سنة (١)..

ووجه الدلالة في أثر ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث ختان إبراهيم الخليل عليه السلام مترتب على وجوب اتّباع سنّة خليل الرحمن، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)، ولا شك أن هذا الأمر يتعدى النبي ﷺ إلى أمّته، إذ لا قرينة على تخصيصه به.

رابعاً: قول النبي ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع - أي أطرافها - ومسَّ الختان الختان فقد وجب الغُسْلُ» (٣) ووجه دلالة هذا الحديث على المراد هو ذكر الختانين؛ أي ختان الزوج وختان الزوجة؛ فدل بذلك على أن المرأة تختن كما يختن الرجل.

قلت: ولا يمنع من الاستدلال بهذا الحديث كون التقاء الختانين ليس شرطاً لتمام الجماع، بل قد لا يقع أصلاً، لأن المقصود هو مجاوزة ختان الرجل ختان المرأة أو محاذاته في موضع الحرث - كما هو مبسوط في أبواب الطهارة من كتب الفقه - لأن الاستدلال قائم بمجرد ذكر ختان المرأة في مقابل ختان الرجل فلزم منه أن يكونا في الحكم سواء.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (قال العلماء: معناه غيبت ذكرك في فرجها، وليس المراد حقيقة المس، وذلك أن ختان المرأة أعلى الفرج، ولا يمسه الذكر في الجماع، والمراد بالمماسة: المحاذاة).

خامساً: تشديد السلف الصالح رضوان الله عليهم في الختان، وما كان لهم أن يفتروا على الشريعة، أو يقولوا على الله بغير علم، فلو لم يكن واجباً لما كان ثمة معنى لما روى الإمام أحمد من تشديد ابن عباس في أمر الختان أنه لا حج لمن لم يختتن ولا صلاة (٤) وعنه رضي الله عنه، أنه قال: (لا تقبل صلاة رجل لم يختتن)، قال البيهقي: وهذا يدل على أنه كان يوجبه، وأن قوله: (الختان سنة) أراد به سنة النبي ﷺ الموجَبة.

و قال الإمام مالك رحمه الله: (من لم يختتن لم تجز إمامته، ولم تقبل شهادته)(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) النحل: ١٢٣.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى مالك في الموطأ نحوه بإسنادٍ صحيح عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: المغني، لابن قدامة: ١ / ٦٣]، ونحوه ما رواه البيهقي [في السنن الكبرى: ٨ / ٣٢٥].

(٥) ذكره الشوكاني، في نيل الأوطار: ١ / ١٣٩.

و قال عطاء: (لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه حتى يختتن)[١] .

قالوا: فلو لم يكن الختان واجباً ، لما كان لهذا التشديد على من تركه وجه ، وإذا ثبت وجوبه فلا بد من دليل لصرف الوجوب إلى الذكر دون الأنثى ، وليس ثمة دليل على ذلك .

أما من قال بسنّية الختان في حقّ الجنسين ولم يوجبه على أحدهما فلم ير في النصوص التي استدل بها موجبوه أمراً صريحاً يوجب الختان على ذكرٍ أو أنثى ، وردوا على المخالف بمثل قولهم:

أولاً: لا يصح الاستدلال على وجوب الختان بكونه من خصال الفطرة ، لأن في خصالها ما لا يجب على عموم المسلمين ، وفيها ما يفرق فيه بين الذكر والأنثى كقص الشارب ، وهذا صارف عن القول بوجوب الختان .

ثانياً: لو كان الختان واجباً لما تساهل فيه من تساهل ، ولوجب إلزام حديث العهد بالإسلام به ، من غير تخيير ، مع أن الحديث الوارد في ذلك ضعيف مرسل ، وهذا ما لم يقع ، ولا يستقيم وقوعه .

قال الموفق ابن قدامة: (و الحسن يرخص فيه - أي في ترك الختان - يقول: إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن ، ويقول: أسلم الناس الأسودُ والأبيضُ؛ لم يُفَتَّش أحدٌ منهم ، ولم يَخْتَتِنوا)[٢] .

و قال ابن المنذر: (لَيسَ فِي الْخِتَانِ خَبَرٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ، ولا سَنَدٌ يُتَّبعُ)[٣] ونقل عنه نحو ذلك الحافظ في الفتح .

فهذا التساهل في أمر الختان لو كان واجباً لما كان متصوراً من أئمة أعلام أن يتساهلوا في أمره على هذا النحو .

قلتُ: ولما كان بعيداً عن ابن المنذر رحمه الله أن تفوته أخبار الختان مع أن منها ما رواه الشيخان وغيرهما ، واشتهر عند الفقهاء وسائر العلماء ، تعيَّن أن يُحمَل كلامه هذا على أخبار ختان الإناث ، والله أعلم .

و عليه فإن الأمر لا يعدو أن يكون سنة ، وخصلة من خصال الفطرة يندب المسلم إلى فعلها ذكراً كان أم أنثى ، من غير نكير على من تركه ، إلا أن يكون من باب النهي عن ترك

---

(١) فتح الباري ١٠ / ٣٤٠ .

(٢) المغني: ١ / ٦٣ .

(٣) كما نقل عنه الشوكاني ، في نيل الأوطار: ١ / ١٣٨ .

السنن، أو الاستهانة بها، أو إنكارها، أو ردها، فالأمر حينئذ أمر بلزوم السنة، وليس بالاختتان خاصة.

أما من فرَّق في الحكم بين الذكور والإناث، فجعله واجباً على الذكور، مستحباً للنساء فقد قيَّد كل ما ساقه موجبو الختان على الجنسين بكونه في حق الذكر دون الأنثى. واستدل على التقييد بأمور منها:

أوَّلاً: أن ختان النساء كان معروفاً قبل الإسلام، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فأقرَّه، وأرشد الخافضة إلى ما ينبغي أن تراعيه في عمَلها، وهذا يجعله - على أقل تقدير - من قبيل السنَّة التقريرية، وكفى به دليلاً على الاستحباب.

روى أبو داود في كتاب الأدب من سننه بإسناد فيه محمد بن حسان الكوفي، وهو ضعيف الحديث، عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ: «**لا تنهكي! فإنه أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل**»[(١)].

وإذ صح هذا الحديث فإن في إقرار النبي ﷺ للخافضة على فعلها، وتوجيهها إلى ما يصلح لبنات جنسها من صفة الخفاض يدل على استحبابه

و قد أبعدَ الشقَّةَ من فرَّق في حكم الختان بين الذكر والأنثى إذ استدل بحديث: «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**»[(٢)].

الترجيح:

بعد النظر في أقوال أهل العلم الثلاثة المتقدمة، وأدلة كل قول منها، يظهر - والله أعلم - أن نصوص الشريعة تحث على الختان باعتبارات منها كونه من سنن النبيين، ومن خصال الفطرة، غير أن هذا لا يرقى إلى حد الإيجاب، إذ أن الإيجاب حكم تكليفي لا بد له من نص صريح يحسم مادة الخلاف، بل الراجح هو الثابت، وليس فيما ثبت ما يدل على أكثر من كون الختان سنة، وهذا ما يترجح لنا، والله أعلم.

أما عن التفريق في الحكم بين الذكر والأنثى فيفتقر إلى دليل، إذ إنه من قبيل تقييد المطلق، وهو حق للشارع الحكيم وحسب[(٣)].

---

(١) وللحديث طريق أخرى أوردها الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة[٩٢١] وحكم عليها بالصحة.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني: ١ / ١٣٩ وما بعدها.

و عليه فلا أرى وجهاً لمن فرّق في حكم الختان بين الجنسين، بل يظل الحكم سنة في حقهما.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (و الحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب، والمتيقن السنّة، والواجب الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه[١].

* * * * *

المبحث الثامن:
المرأة والمجتمع

إنَّ كثيراً من الفتيات، ما إن تنتهي إحداهن من الدراسة النظامية حتى تهجر الكتب، بل والمطالعة عموماً، وتنتكس إلى الأمية لارتباطها المعدوم بالكتاب، وتصبح اهتماماتها المحدودة لا تتعدى لباسها وزينتها والتفنن في ألوان الطعام والشراب، وهي هموم دنيوية قريبة التناول، لا غير...

- المرأة المسلمة عضو في مجتمع الإسلام، فهي مؤثرة ومتأثرة به، لا شك في ذلك؛ فهي ليست هامشية فيه أو مهملة، ولا يصح بحال أن تكون سلبية أو اتكالية، وإن كان الأمر كذلك فهو الجحود بعينه، والنكران للجميل، والابتعاد عن الإيثار والتضحية.

أمتنا الإسلامية تنتظر من يعيد لها أمجادها من أبنائها البررة وبناتها الوفيات.

- وللمسلمة حضور اجتماعي واضح في كل ما هو نافع، وهكذا ينبغي أن يكون.

فعليها أن تضع نصب عينيها قول عمر رضي الله عنه -: لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا.

- للمرأة رسالة تربوية هادفة للرقي بمجتمعها، وتبدأ هذه الرسالة بإيفاء حق جيرانها، فتعلّم الجاهلة ما تحتاجه لدينها ودنياها، وفي ذلك خدمة تؤديها للأجيال الناهضة؛ فتصبح اجتماعات الجارات ليست للقيل والقال، بل للارتفاع بأسرنا المسلمة من الاهتمامات السطحية الساذجة إلى آفاق سامية؛ فكل حديث يمكن أن تحوّله المسلمة الصالحة إلى حديث هادف، حتى الحديث التافه لن تعدم المسلمة اللمّاحة أن تحوله للعبرة والتأمل، والجارات الصالحات يتدارسن أفضل السبل لتربية أولادهن وحل مشاكلهن.

---

(١) د. أحمد بن عبد الكريم نجيب.

ومن الصور المشرقة في التعاون بين الجارات:

أنَّ أحد الأبناء كان يسرق المال من جيب أبيه وينفقه على ثلة من أصحابه الذين كانوا يشجعونه على ذلك العمل المشين.

عرفت الأم ذلك عن طريق جارتها الناصحة التي ساعدتها في اجتياز الأزمة، بمدارسة المشكلة والنظر في جذورها، ومن ثم احتواؤها وإيجاد الحل المناسب.

ومن مهام المرأة المسلمة أن توطد العلاقات الحميمة بين الأقارب: من صلة للأرحام، وزيارة للمرضى، ومشاركة في الأفراح... وغير ذلك من أعمال الخير مما يشيع روح التعاون والمحبة، فتنشأ الأجيال على مُثُل الإسلام، وقيمه السامية، بالتعامل الطيب وبالمحاكاة الودودة. وعلى المرأة المسلمة أن تشجع كل بادرة خيرة تبدو من أجيالنا الناشئة، فتهنأ بنجاحهم، وتفرح لتفوقهم.

أمّا ما نسمعه عن خروج التافهات إلى الساحات العامة ليشجعن المباريات؛ فذلك حرام قطعا لا يجوز فضلاً عن أنه لا يدل بحال على وعي المرأة لما يناسبها من مهام.

- وبالمقابل أن تتيح الفرصة لمناقشة الصغار وسماع آرائهم وتقدير أعمالهم الناجحة دون ضجر، ولنذكر أن من يعتبره بعض الناس طفلاً كثير الثرثرة قد يكون ممن له شأن في المستقبل، وكثرة أسئلته ما هي إلا دليل على قوة ملاحظته، وتعبير عما يجيش في نفسه التواقة للمعرفة والاطلاع. ولا ننسى الأثر الطيب في توجيه الصغار وتشجيعهم.

سمعنا أن محاضِرة كانت تتحدث بطلاقة تبهر كل من تسمعها من بنات جنسها، وكان من أكثر ما أثر فيها أن جاراتها ومعارف أبيها كانوا يستمعون لخطبها ويشجعونها وهي لا تتعدى السادسة من عمرها.

فعلينا ألا نبخل بكلمة طيبة نشجع بها صغارنا؛ فالكلمة الطيبة صدقة، والتوجيه الهادف لن يعدم له أثر، والكلمة المخلصة تصل إلى القلوب بلا حواجز.

من المهام الأساسية للمرأة المسلمة أن تساهم في تحصين الأجيال بالثقافة الأصيلة والعقيدة الصحيحة، ولا تترك قيادة الأجيال بيد العابثات اللاتي يركبن كل موجة من أجل الوصول إلى أهدافهن في تخريب النشء.

إننا إذ نطلب مساهمات المرأة والاستفادة من عمرها الذي ستسأل عنه وعن علمها الذي تعلمته، لا نعني بذلك التزامها بعمل رسمي مهني تداوم فيه ولو أدى ذلك إلى إهمال حق زوجها ورعاية أبنائها ولا نعني المرأة العاملة التي تعود إلى بيتها مكدودة الجسم مثقلة

النفس بهموم العمل ؛ فأنّى لأمثال هذه المكدودة المتعبة أن تفيد الأجيال التي تنتظر اللمسة الحنون منها ، فلا يجدون لديها إلا الزجر والتأنيب ؛ لأن أمهم متعبة وتريد أن ترتاح من عناء العمل طوال يومها! . . . كلا وإنما ينبغي أن تؤدي الفرائض قبل الانشغال بالنوافل بل إن فرض العين مقدم على فرض الكفاية فخطابنا للمرأة الصالحة صاحبة العقيدة السليمة فهي الواعية التي لا تضيع حق ربها ولا تخلط حقا بباطل والمسلمة الواعية تتعامل مع الواقع بفطنة وحذر ، ولا يفوتها أن من مقاصد التشريع الإسلامي حفظ الكليات الخمس وهي: الدين ، والعقل ، والنسب ، والنفس ، والمال ، فإذا وجدت المسلمة ما يعمل على إضاعة هذه الكليات أو بعضها فيجب أن تسعى لتكون حائلاً دونه . إننا نريد من المرأة نشر الفضيلة ، وتسفيه رأي شياطين الإنس وبيان زيفهم وضلالهم لأولادها وفي بيتها

لابد من مواجهة العدو الماكر بتخطيط سليم وعمل مضاد ، وإذا لم نبذل الجهد لتدعيم الأخلاق الفاضلة وترسيخ العقيدة السليمة ، ندمنا حيث لا ينفع الندم ؛ فقد تُكَرّس الخرافة والمثل الهابطة ، وتعيش الأجيال وهي تستنشق ذلك العبق القاتم .

ومن المزايا التي اختصت بها نساؤنا في الماضي كثرة القصص يسلين بها الأطفال ، ويجذبنهم للأسرة ولمعتقداتها .

فلماذا تترك نساؤنا المثقفات أبناءهن هدفاً لقصص الفسقة والمجرمين والكفار يشوهون تاريخنا ويسيئون إلى مُثُلنا؟

فلنساهم في الإعلام المقروء والإعلام المسموع كل واحدة بقدر طاقتها ، حتى الأناشيد ينبغي أن تنظمها المسلمة ليترنم بها أبناؤنا ، ولتحل محل الأغاني الهابطة ، ولتغرد الأجيال بكلمات عذبة تظهر الصورة الوضيئة للإسلام ومثله السامي وتستميل قلوب الناشئة للخير .

وكذلك الحال في المجالات والقصص والروايات التي تعلم في كثير من حالاتها خداع الآخرين في سبيل المال وتكرس القيم والأفكار الخاطئة ، من العنف أو اللامبالاة ، أو العقوق وغير ذلك من سيئ الأخلاق ؛ فإن واجب المسلمة أن تستفيد من وسائل المعرفة السريعة هذه ، حتى تصبح منبراً يعلم الخير ويدعم العقيدة ، ويثقف العقل ، وفي الوقت ذاته يروّح عن النفس .

- إنّ أخطر أنواع الإعلام الحديث هو التليفزيون ؛ إذ زاحم الأسرة في توجيه أبنائها وبناتها وذلك بجاذبية مدروسة ، وغزو مستور ، وشياطين الإنس تؤزّره لهدم كل فضيلة . وقد قال الرئيس الفرنسي السابق ديغول - متحدثاً - عن أثر التلفاز: أعطني هذه الشاشة أغير لك الشعب الفرنسي .

ولو علمنا أن كثيراً من الأسر قد تخلت عن دورها نهائياً في مهمة التربية العقدية والفكرية، وأسلمت أبناءها للتليفزيون يصنع بهم ما يحلو له من التوجيه وغرس المفاهيم والعقائد المغايرة في كثير من الحالات لعقائدنا وحضارتنا؛ لقدّرنا أي واجب يحتم على المثقفة المسلمة أن تستفيد من إمكاناتها إن كانت تحسن كتابة القصة أو الأنشودة أو الحوار أو المقالة وتحمي أطفالنا وبيتها من عوامل الهدم الداخلي الخارجي.

أختي المسلمة:

لا تتعللي بالأسباب فتقولي: أنا متعبة الصحة، كثيرة الالتزامات، ضيقة الأوقات؛ فاغتنام الوقت والصحة والغنى من تعاليم شرعنا الحنيف؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**.

- فإذا نظمت المرأة حياتها واستفادت من جزئيات وقتها، وضنت به أن يستهلك في فضول الكلام... فإننا عند ذلك لن نسمع لها شكوى من ضيق الوقت؛ فتلتفت إلى واجبها داعية للخير وقدوة لغيرها، تثري الفكر في المجالات التربوية والصحية التي تعود بالفائدة على الأجيال المؤمنة والمجتمع الإسلامي بأسره، وتبذل جهدها لإيجاد بديل إسلامي لمواجهة هذا الزخم الهائل من الهجمة الفكرية، وتدافع عن حوزة الدين في مجتمع الذئاب الذين يدأبون على التخطيط والعمل لصرف الناس عن دينهم.

إنّ على المرأة المسلمة أن تنبذ الراحة الموهومة، والنوم والكسل الذي ران على نفوس الكثيرات، وتجتهد لتقوم بواجبها نحو أمتها المسلمة، ونحو أجيالها الرشيدة بما تقدر عليه، وتستثمر وقتها بما يفيد؛ مع انتهاز الفرص المناسبة؛ علّنا نزيل الظلمة الحالكة التي ألمت بأمتنا... ونورث الخير للأجيال القادمة... وإلا بقيت آمالنا حبيسة لا تتعدى صدورنا، وبقيت أجيالنا في مؤخرة الركب بدلاً من قيادته.

أسأل الله تعالى العظيم أن يرنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطل ويرزقنا اجتنابه وأن يستعملنا جميعا لنصرة دين الحق على منهج الحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

* * * * *

الفصل الثالث:
المنهج القرآني في تربية المرأة المسلمة
(تربية المرأة في سورة التحريم)

تمهيـــد:

تتم في الحياة الدنيا قبل الموت عملية التعليم والتعلم للوصول بالإنسان إلى أفضل حياة ممكنة لـه في الدنيا والآخرة، فمنذ أن خلق الله تعالى آدم - عليه السلام - علمه الأسماء كلها، وما تبع ذلك من عمليات تقويمه، حتى بعد هبوطه - عليه السلام - إلى الأرض، فقد تابعه بالوحي كما تابع الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه، ليبلغوا رسالات ربهم، التي يحقق مضمونها على مر العصور الأهداف العامة للتربية الإسلامية، والناظر في كتاب الله، وسنة رسوله يقف على عدد من تلك الأهداف التي تسعى لتحقيقها.

و بما أن الإسلام رسالة عالمية لا تختص بأمة، أو مجتمع أو عصر فضلا عن أن تختص بجنس دون آخر، وهو للمرأة كما هو للرجل، وتخاطب بمثل ما يخاطب. فقد اخترت أن أناقش - ولظروف بحثية بحتة - كل ما من شأنه أن يكون تربية للمرأة في سورة من سور القرآن الكريم، ألا وهي سورة التحريم؛ لتضمنها دروسًا تربوية، ومبادئًا أخلاقية، يستنير منها المسلم - ذكرًا كان أو أنثى - مسالكه ويستوضح مطالبه. وهو موضوع - كما ترون - كبير، يستهوي القلوب، ويدعو لحث الخطا والمثابرة على الجهد، ولكنني - للأسف - لم أرعه تلك الرعاية، فاقتصر الجهد على وضع الخطوط، وتمني وجود محاولات أخرى في هذا الميدان تكمل النقص الحاصل بمواصلة البحث في هذا السياق، وكأن الأمر غدا بذرة دفنت في الأرض، وتنتظر من يرويها.

* * * * *

المبحث الأول:
أهمية تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية

المطلب الأول:
المرأة مصنع الأمة وأساس بنيان

المرأة مصنع الأمة، وأساس بنيانه، فإن صلحت صلح البناء، وإن فسدت تزعزع وانهار، ولذا يجب أن تربى تربية صالحة، وأن تعلم تعليما جيدا، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ

به في نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١] .

و الإسلام اهتم بها وبتربيتها ، كما اعتنى بها في كل أطوارها (بنتا ، وأختا ، وزوجة ، وأماً . .) فالقرآن والسنة يرسمان منهجا واضحا في تحديد شخصية المرأة المسلمة من حيث هي مكافئة للرجل تتحمل في جواره ما يتحمل ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[٢] " كما أنها تشاركه في الأمور العامة ، مثل مسألة الهجرة ، والمبايعة ، فقد بايع الرسول النساء كما حدث ذلك في بيعة العقبة الثانية ، وأفرد لهن بيعة يوم فتح مكة كما أنها تشاركه في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، و . . . "

و أيضا فيما يتعلق بشؤون الأسرة .

* * * * *

المطلب الثاني:
أولا: التعريف بسورة التحريم

هي سورة مدنية تتناول الشؤون التشريعية ، كما أنها تعالج قضايا وأحكاما تتعلق "ببيت النبوة " وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات ، وذلك في إطار تهيئة البيت المسلم ، والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة .

تناولت السورة الكريمة في البدء الحديث عن تحريم الرسول ﷺ لجاريته ومملوكته " مارية القبطية " على نفسه ، إرضاء لرغبة بعض زوجاته الطاهرات ، وجاء العتاب له لطيفا ، يشف عن عناية الله بعبده ورسوله محمد ﷺ ، ثم تناولت السورة أمرا على جانب كبير من الخطورة ألا وهو "إفشاء السر" الذي يكون بين الزوجين ، وختمت السورة بضرب مثلين: مثل للزوجة الكافرة في عصمة الرجل الصالح المؤمن ، ومثلا للزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الفاجر الكافر ، تنبيها للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد ، إذا لم يكن عمل الإنسان صالحا ، وهو ختم رائع يتناسق مع جو السورة وهدفها في ترسيخ دعائم الفضيلة والإيمان .

ثانيا: سبب نزول سورة التحريم:

أ- روي أن النبي كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبويها فأذن لها ، فلما خرجت أرسل إلى جاريته " "مارية القبطية" فعاشرها في بيت

---

(١) التوبة: ١٠٩ .
(٢) النساء: ١ .

حفصة، فرجعت فوجدتها في بيتها، فغارت غيرة شديدة، وقالت: أدخلتها بيتي في غيابي وعاشرتها على فراشي؟! ما أراك فعلت هذا إلا لهواني عليك! فقال لها رسول الله ﷺ مسترضيا لها: «إني حرمتها علي ولا تخبري بذلك أحدا»، فلما خرج من عندها قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة - وكانتا متصافيتين - وأخبرتها بسر النبي فغضب رسول الله ﷺ وحلف ألا يدخل على نسائه شهرا واعتزلهن فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ.. ﴾.

ب- وروي أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه "زينب" رضي الله عنها فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها: أكلت مغافير - وهو طعام حلو كريه الريح - فلما مر على حفصة قالت له ذلك، ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك - وكان رسول الله ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة - فقال عليه السلام: «لا ولكني شربت عسلا عند زينب ولن أعود له» وحلف، فنزلت الآية.

* * * * *

المطلب الثالث:

١- تربية المرأة على عدم تحريم ما أحله الله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... ﴾ [التحريم: ١].

لا يجوز للمؤمن أن يحرم ما أحله الله عليه من متاع، فهذا رسول الله استوجب حرمانه لنفسه مما أحله الله له المؤاخذة وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته، حتى لقد فرض الله تحلة ليمينه التي يشير النص القرآني أنه قد حلفها، ما دامت في غير معروف، والعدول عنها أولى، فالله سبحانه وتعالى يأمر الإنسان بما يناسب طاقته، وبما يصلح له، وما عليه أن يحرم إلا ما حرم، ولا يحل غير ما أحل.

و بعد استقراء للواقع المعاش، نلاحظ أن المرأة يحلو لها أن تحرم حلالا ولو على سبيل المجاملة، في طريق الجود والكرم النفسي الذي عرفت به امرأة هذا البلد، غير مدركة أنها توقع نفسها - ربما - في دائرة المحذور ألا وهو الشرك والعياذ بالله.

* * * * *

المطلب الرابع:
٢- تربية المرأة على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

قال تعالى: ﴿ . . . تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ. . . ﴾ .

تكلف المرأة بتكاليف شرعية توجب عليها الالتزام، ولا تتمكن من هذا الالتزام ما لم تتحرر من أي تبعية قد تكلفها غيره. فالأمر والنهي لله وحده، وعلى المرأة أن تعرف بأن لا ولاء لا لأب أو زوج أو غيرهما، وأنها كيان مستقل لها رأيها الخاص والتزاماتها الخاصة، فهذا رسول الله قد بايعها بيعة مستقلة ليؤكد استقلاليتها وعدم تبعيتها للرجل، وبأنها مكلفة مثله وأهل لتحمل المسؤولية.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] .

* * * * *

المطلب الخامس:
٣- تربية المرأة على التوبة

قال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا. . . ﴾ .

و قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ. . . ﴾ [التحريم: ٥] .

قد تخطئ المرأة مبتعدة عن جادة الصواب، التي رسمها دينها الحنيف، إلا أن المؤمنة لا يدوم بقاؤها على معصية، وسريعا ما تؤوب وتستغفر تائبة إلى الله. فلا عصيان مع إيمان، فالمعصية لا تخالط قلب مؤمنة، وإنما هي لأهل عرفوا بها، وهي (أي المعصية) إن قاربتها سارعت إلى طردها بالتوبة، والمؤمنة لا يستريح قلبها، ولا تطمئن نفسها إلا متنسمة روائح التوبة والغفران والرحمة.

* * * * *

(١) الآية ٢٣: سورة التوبة.

المطلب السادس:
٤- تربية المرأة على كتم الأسرار

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيراً ﴾ [التحريم: ٣، ٤].

للسر حرمة كبيرة، وخطورة عظيمة، وإفشاؤه موجد لمفاسد كثيرة تعود على المجتمع بأسره بمشاكل عديدة، فحفظه أمانة يتحملها الإنسان ويسأل عنها أمام الرحمن وبين عباده، وإفشاء السر بين الزوجين يكون على جانب أكبر من الخطورة؛ لأنه يهدد الحياة الزوجية، يؤكد ذلك سبب نزول سورة التحريم التي تناولت هذا الجانب، مبينة عظم شأن السر وخطورة إفشائه، فهذه حفصة ومعها عائشة بدأ الأمر بإفشائهما السر وانتهى بالتحريم مما أوجب العتاب للرسول ﷺ والوعيد والتخويف لأزواجه والسبب ما بدر منهن من إفشاء للسر. فالصبر على كتمان السر دائمًا أيسر من الندامة على إفشائه.

* * * * *

المطلب السابع:
٥- تربية المرأة على الإيمان

قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ... ﴾ [التحريم: ٥].

إيمان المرأة بالله ويقينها بأن ما يجري في هذا الكون من حوادث إنما هو من قضاء الله وقدره، وما على الإنسان إلا أن يسعى في طريق الحق متوكلا على الله، هذا الإيمان هو أبرز ما يميز المرأة المسلمة، وهو الإيمان العميق الذي يزيد شخصيتها قوة ووعيا ونضجا، ويجعلها تتقي الله في السر والعلن، في الخلوة والجلوة، لعلمها أن الله معها دومًا يسمع ويرى، فتجني بذلك ثمرة إيمانها النفسية التي تسعى بها إلى أعلى المراتب.

* * * * *

المطلب الثامن:

٦- تربية المرأة على عبادة الله

قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ . . . ﴾ [التحريم: ٥].

تعلم المرأة المسلمة الواعية أنها مكلفة بالأعمال الشرعية التي فرضها الله على كل مسلم ومسلمة حيث لم تخلق في هذه الحياة الدنيا إلا لهدف كبير حدده رب العزة بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]. ومن هنا كان عليها أن تؤدي فرائض الإسلام وأركانه أداءً حسنًا، لا ترخص فيه ولا تساهل ولا تفريط. ومن كمال شخصية المرأة المسلمة أن تقبل في عبادتها لربها بصدق وهمة عالية عبادةً تمتزج بقلبها حتى تكون سجية لها، تقيم الصلوات الخمس وتزكي مالها، وتصوم شهر رمضان وتقوم ليله، وتحج بيت الله الحرام، وتطيع أمر ربها، فهي وقافة عند حدود الله لا تتعداها، ولا تقع في الحرام، بل تلتمس دائمًا حكم الله ورسوله وتنزل عنده في كل ما يعرض لها في حياتها من شؤون، فالحياة في نظرها ليست في قضاء الوقت بالأعمال اليومية المألوفة، وإنما رسالة على كل مؤمن أن ينهض بها على الوجه الذي تتحقق فيه عبادته لله، يكون باستحضار النية في أعماله كلها، أن يبتغي بها وجه الله، ويتحرى مرضاته، ذلك أن الرسول ﷺ قد أكد أن الأعمال في الإسلام موقوفة على النية في قوله: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

و عليه تستطيع أن تحول المرأة المسلمة أعمالها كلها إلى عبادة في أكلها وشربها وعملها في بيتها وخارج بيتها، في وقوفها وجلوسها، وتربية أبنائها وصلة أرحامها . . . إلخ، ما دامت تريد بما تفعل طاعة الله وعبادتها إياه.

* * * * *

(١) الذاريات: ٥٦.

المطلب التاسع:
٧- تربية المرأة على الهجرة إلى الله

قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [التحريم: ٤].

السياحة سفر في الأرض للاعتبار، وفي مقامنا هنا تعني الهجرة، أي الخروج من أرض إلى أخرى، والانتقال من مكان إلى آخر سعيًا وراء مطلب من المطالب.

و لقد كان حكم الهجرة الوجوب حتى فتحت مكة، فسقطت الهجرة الواجبة وإن بقي حكمها من بلاد الكفر (الحرب) إلى بلاد الإسلام واجبًا إلى يوم القيامة ما خشي المسلم على دينه.

يقول الدكتور البوطي:

"... أما الهجرة من دار الإسلام فحكمها بين الوجوب والجواز والحرمة، أما الوجوب فيكون عند عدم تمكن المسلم من القيام بالشعائر الإسلامية فيها كالصلاة والصيام والأذان والحج.. وأما الجواز فيكون عندما يصيبه فيها بلاء يضيق به، فيجوز له أن يخرج منها إلى دار إسلامية أخرى. وأما الحرمة فتكون عندما تلتزم هجرته إهمال واجب من الواجبات الإسلامية لا يقوم بها غيره".

مما سبق تستطيع المرأة أن تحدد حكم هجرتها إلى الله بحسب الواقع الذي تعيشه، ويبقى أن يصح عزمها، وتنشط همتها في اللجوء إلى الله والسير على نهجه وصراطه المستقيم.

* * * * *

المطلب العاشر:
٨- تربية المرأة على وقايتها لنفسها وأهلها من النار

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... ﴾ [التحريم: ٦].

إن الإسلام دين أسرة، ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته وواجبه في بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي المجتمع الإسلامي، لذلك كان المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين بيته لذا كان لا بد من الأم المسلمة أن تعاونه ليقوما معًا على الأبناء والبنات، فعبثًا يحاول الرجل أن ينشأ المجتمع

الإسلامي بمجموعة من الرجال، فلابد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء الذي هو بذور نجني ثمارها في المستقبل وبذلك كان واجب المرأة أن تتجه بالدعوة أول ما تتجه إلى بيتها وأهلها فهو قلعة من قلاع العقيدة ولابد من سد الثغرات فيه، قبل أن تذهب بدعوتها بعيدًا لوقايتهم من النار الشديدة الغليظة وتحول بينهم وبينها قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار في يوم الجزاء. ويكون ذلك بإدراكها لمسؤوليتها الكبرى تجاه أولادها في تكوين شخصياتهم الخيرة الصالحة. وعبر عن ذلك الحديث الشريف بقوله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**، ثم قال: **«والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»**. كما أن على المرأة المسلمة أن تسلك في تربية أبنائها أنجع الأساليب وأذكاها في صقل نفوسهم لتغرس فيها القيم العليا والشمائل الرفيعة والأخلاق العالية. وعلى المراة أيضا أن تكون منتبهة إلى كل ما يؤثر في تكوينهم وتوجيههم مفتحة العينين على أولادها ترقب تحركاتهم ونشاطاتهم وهواياتهم بحكم قربها منهم ومكثها بينهم مدة أطول من الأب وإنفتاح نفوسهم لها والإفضاء بما فيها لوالدتهم أكثر من والدهم، فتصوغ شخصياتهم الملائمة لمبادئ الإسلام وقيمه وأعرافه. ووعيها لمسؤوليتها هذه، يدفعها إلى أن لا تسكت عن أي انحراف أو ضعف أوتقصير تجده في بيتها أو أسرتها فيتحقق فيها الامتثال لقوله تعالى: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وقبل أن أختم هذه النقطة أذكّر بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

* * * * *

المطلب الحادي عشر:

٩- تربية المرأة على الطمع في الجنة

قال تعالى: ﴿ ... عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [التحريم: ٨].

يعرف الناس الطمع صفة ذميمة، لكن لولا الطمع لما تحرك الناس في الأرض ودبوا فيها دبيبا يعمرون أرض الله، ممكلين فيها استخلافا مشروعا، بل وحالا مأمورين به. فكأن الطمع إذا وهو الطاقة الدافعة إلى بذل الجهد والنشاط أمرا مطلوبا (و إن لم يكن كل الطمع كذلك) وإذا كان هذا الطمع في الجنة فلصاحبه الحمد والثواب، حيث هذا الطمع يعد

---

(١) التوبة: ١٠٩.

المغزى وهدف الأهداف، كيف لا وكل سعي المسلم لأجل نيل رضا الله والفوز بجنته، فبهذا الطمع تصح النيات وتخلص الأعمال لوجه الله الكريم، وتحسن الأفعال، ويحل الرضا والتسليم، وتحلو الحياة، وتهون الملمات، إن الطمع في الجنة فضيلة تقود إلى كل خير وصلاح، وعلى الإنسان أن يتحلاها، ويتجلاها في كل أعماله.

* * * * *

المطلب الثاني عشر:
تربية المرأة على مجاهدة أعداء الله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

منذ أزل الأزل تلون العداء لله بألوان الطيف كلها، تقليدًا أو ابتداعًا، إظهارًا أو إخفاءًا، كبيرًا أو صغيرًا، سريعًا أو بطيئًا... لكنه في نهاية المطاف عداء لله.

فكيف تُجاهدُ المرأة المسلمة أعداء الله؟؟

بالدعوة لإسكات أصواتهم والتقليل من آثارهم الضارة بالدين عليها وفي مجتمعها، وإن كان لابد فيكفيها أن تؤدي دور الجهاد في بيتها فبصلاحه يصلح المجتمع. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

* * * * *

المطلب الثالث عشر:
١١- تربية المرأة من خلال ضرب الأمثال

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

في القرآن نماذج جيدة من النساء، وأخرى سيئة وما هذه وتلك إلا للفت الانتباه،

---

(١) التوبة: ١٦.

والسير على نهج خطاها إن كانت جيدة، وأخذ العظة والعبرة بالابتعاد عما أتت به النماذج السيئة.

و في آخر سورة التحريم أمثلة من تلك النماذج وهي لنساء مؤمنات في بيوت كفار، ونساء كافرات في بيوت أنبياء، وقد يبدو القصد الواضح من ذكر هذه النماذج هنا هو تقرير الحقيقة الآتية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩].

فالإنسان أولا وأخيرًا مسؤول عن نفسه، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهو وإن أُلزم وقاية أهله من النار كما سبق وورد معنا، إلا أنه لا يحمل أوزار الآخرين ويحاسب عليها وقد أدى ما عليه تجاههم من نصح وإرشاد وأمر ونهي قدر استطاعته كما أن قرب الإنسان وقرابته للصالحين لا تشفع له وتمنع عنه عذاب الله، " فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان ".

و النماذج المذكورة تحمل في طياتها العبر إثر العبر، وما على المرأة المسلمة إلا أن تمعن النظر فيها لتستشف دروسًا كثيرة تربيها تربية إسلامية حقة، فهاتان امرأتا نوح ولوط خانتاهما في أمور تتعلق بالدعوة فنالتا عقابًا في الدنيا، وفي الآخرة نار جهنم وبئس المصير.

و بعد تلك النماذج السيئة ترد نماذج لنساء سرن وراء كلمة الحق فكانت السعادة في الدنيا والآخرة، وهذه النماذج هي لامرأة فرعون التي أعطت الأجيال إثر الأجيال دروسًا عملية في الثبات على الإيمان والصبر على المحن وعلى تعذيب فرعون وترك نعم الملك وملذات الدنيا كلها لأنها تعلم أن بعض الشر أهون من بعض، وفي المقابل رضوان من الله سبحانه وتعالى وفوز بجنته، وامرأة أخرى هي مريم بنت عمران عليها السلام، التي اصطفاها الله وأنبتها نباتًا حسنًا، هي خير امرأة تعلم المرأة في كل زمان ومكان أنموذج الصبر وكيف تكون النفس الطاهرة الزكية، العابدة، المصدقة، القانتة.

تم بحمد الله وتوفيقه كتابة هذه الصفحات عن تربية المرأة في سورة التحريم، استخلصت فيها نقاطا تربوية عدة لم أناقش إلا أهمها، فهناك ما زال بعد: تربيتها على القنوت، وتربيتها على معرفتها لقدر نفسها، وتربيتها على غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والغايات السامية النبيلة التي بها تعمر الأرض وتزدهر الحياة وتحلو الدنيا، وكل ذلك وأكثر منه يلخص ويوضح جليًا المنهج القرآني للتربية الصحيحة المستقيمة، إلا أن الناس اليوم يرتضون لأنفسهم مناهج بشرية الوضع دونية المضمون فيستقدم أبناء الإسلام أعداءه ليؤطروا لهم سياسيات التربية الحديثة ومناهجها الدخيلة وهم (مدعيي الإسلام) يقلبون بين أيديهم كتاب رب العالمين الأعلم بهم وبمصالحهم!!

.. لكنني وكما سبق وأشرت اقتصرت فيما كتبت على وضع النقاط وحسب؛ لفقدان الكفاءة العلمية مرة، وتهيبا مرة أخرى فكانت الورقات السابقة مجرد ملاحظات سجلتها، وخطوط وصفتها بعد مداومة النظر في القرآن الكريم العظيم.

*****

المبحث الثاني: المنهج النبوي في التعامل مع النساء

لقد أمر الله تعالى بأن يُعاشر النساء بالمعروف فقال جل ذكره: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩]، والمعروف كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق نبيل يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه".

لقد كان عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة لأمته، والنموذج البشري الكامل قال جلّ ذكره: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، والحديث عن هديه عليه الصلاة والسلام مع النساء حديث طويل متشعب ولا غرو فقد أوضح لأمته: «**أنهن شقائق الرجال**»، ولعلي أقصر حديثي عن هديه الشريف مع نسائه، أو بعبارة أخرى: كيف عاش عليه الصلاة والسلام زوجا؟ وكيف تعامل مع نسائه؟ وكيف راعى نفسياتهن؟ وماهي وصاياه وإرشاداته للرجال بضرورة رعاية حقهن زوجات، وأمهات لأولادهم؟ وحسبي أن أسوق بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق فهي كافية في إيضاح المراد مكتفيا بالإشارة إلى بعض ماتدل عليه تلك الأحاديث الشريفة:

* فقد أوصى بهن خيرا في نصوص كثيرة: منها حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**»، وحديث أبي ذر عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها**». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خيارهم لنسائهم**» وفي لفظ: «**وألطفهم بأهله**».

وعن بهز قال: حدثني أبي عن جدي قال: قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما ندع؟ قال: حرثك أنى شئت غير أن لا تقبح الوجه ولا تضرب وأطعمها إذا طعمت واكسها

إذا اكتسيت ولا تهجرها إلا في بيتها كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها .

* وخوّف ورهّب من تزوج بأكثر من واحدة ثم لم يعدل بينهن: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل**» .

* وأرشد بفعاله ومقاله إلى أهمية مراعاة ما طبعن عليه من الغيرة: عن أنس قال: (كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «**غارت أمكم كلوا**» فأكلوا فأمر حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها) ، وعن عائشة قالت: (افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «**سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت**» فقلت بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي آخر) ، وقالت أيضاً: (التمست رسول الله ﷺ فأدخلت يدي في شعره فقال: «**قد جاءك شيطانك**» فقلت: أما لك شيطان؟ قال: «**بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم**» .

* وكان وفيا لبعض نسائه غاية الوفاء حتى بعد وفاتهن: فعن عائشة قالت: (ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين) .

* كما كان عليه الصلاة والسلام يتيح لهن أن ينفذن شيئا من غيرتهن بحيث لا يتجاوزن الحد المشروع ، ويضفي على سلوكهن ذلك المرح والابتسامة: فعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها حريرة أو قال خزيرة فقلت كلي فأبت فقلت لتأكلي أو لألطخن وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك فإذا عمر يقول: يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله ﷺ : «**قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلا**» .

* بل إنه عليه الصلاة والسلام بيّن لأمته أن اللهو واللعب مع الزوجة مما يثاب عليه الرجل ، بل لا يعد من اللهو أصلا: ففي حديث عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين يرميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر كسلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو إلا أربعة خصال مشي بين**

الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة» .

* وكان يراعي فيهن حالهن والسن التي كان عليها بعضهن: فعن عائشة قالت: (كنت ألعب بالبنات فربما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ كما أنت وكما أنتن) .

* وكان إذا بدر منهن شيء يسوؤه لم يكن يقابله إلا بالحكمة واللطف: فعن أنس بن مالك قال: كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر وكان ذلك يومها فأبطأت في المسير فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول حملتني على بعير بطيء فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها فأبت إلا بكاء فغضب رسول الله ﷺ وتركها فقدمت فأتت عائشة فقالت يومي هذا لك من رسول الله ﷺ إن أنت أرضيتيه عني فعمدت عائشة إلى خمارها وكانت صبغته بورس وزعفران فنضحته بشيء من ماء ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ : «ما لك» فقالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعرف رسول الله ﷺ الحديث فرضي عن صفية وانطلق إلى زينب فقال لها إن صفية قد أعيا بها بعيرها فما عليك أن تعطيها بعيرك قالت زينب أتعمد إلى بعيري فتعطيه اليهودية فهاجرها رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر فلم يقرب بيتها وعطلت زينب نفسها وعطلت بيتها وعمدت إلى السرير فأسندته إلى مؤخر البيت وأيست أن يأتيها رسول الله ﷺ فبينما هي ذات يوم إذا بوجس رسول الله ﷺ فدخل البيت فوضع السرير موضعه فقالت زينب يا رسول الله جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم هي لك فدخل عليها رسول الله ﷺ ورضي عنها[(١)] .

* * * * *

المبحث الثالث:
دور المرأة التربوي... المأمول والمعوقات

من الأمور التي اجتمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيساً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات، ولمدى أهميتها فقد لفتت انتباه العلماء المسلمين الذين دوّنوا في موضوعات التربية الإسلامية مؤصلين لها، ومبرزين عناصرها وأهدافها وسبلها، والمؤثرات التي تؤثر في نتائجها، والتأثيرات التي تشعها التربية الإسلامية في المجتمع، بل كان من اهتمام علماء التربية الإسلامية التركيز على التربية البيتية أو المنزلية باعتبارها قاعدة

---

(١) د. محمد علي الغامدي.

أساسية في إعداد الأفراد موضحين بشكل بارز أهمية دور الوالدين في تلك المهمة .

وتبعاً لهذا فإن إبراز دور المرأة التربوي والعوامل التي تساعد على إظهار ذلك الدور بوصفها وظيفة من أهم الوظائف بل هي أهم ما يجب أن تتقنه المرأة ، والأمور التي تعيقها عن أداء وظيفتها تلك يعد موضوعاً جديراً بأن يهتم به كل من يعنيه أمر التربية والنشء ومستقبل الأمة .

* * * * *

المطلب الأول :
دور المنزل في تنشئة الفرد

تعد السنوات الأولى التي يقضيها الطفل في منزله من أكبر المؤثرات المسؤولة عن تشكيله في المستقبل ؛ ذلك أن المجتمع المنزلي يعد أول مجتمع ينمو فيه الطفل ويتصل به ويستنشق الجو الخلقي منه ، بل إنه ومن خلال الجو العاطفي الموجود في البيت فإن الطفل يعتمد على والديه في أحكامه الأخلاقية وفي مَدِّه بتقاليد وعادات وأعراف مجتمعه .

ولأجل ذلك فقد أرجع المربون أن إحساس الطفل بحب الأبوين ناشئ من ممارسة الأسرة لوظيفتها في التنشئة الاجتماعية ، بل إن تفعيل كل الوظائف التربوية لن يتحقق إلا بتكاتف جهود وأهداف الوالدين .

فمن الأدوار التي يجب أن تمارسها الأسرة ويضطلع بها المنزل قبل وبعد سن دخول المدرسة العناية بالنمو الجسمي من خلال رعاية الطفل صحياً ؛ وذلك باستكمال أسباب الصحة في الغذاء ، والراحة الكافية ، والمسكن الملائم ، والرعاية الصحية الوقائية .

ومن الأدوار كذلك العناية بالنمو العقلي للطفل الذي يتأتى من خلال اكتسابه للغة الأم في المنزل ، وما يتبع ذلك من توسيع لمداركه وزيادة لمعارفه ، كذلك فإن من أهم الأدوار الوظيفية التي تمارسها الأسرة هي إشباع حاجات الطفل النفسية ، ومن خلال الأسرة يتحقق للطفل النضج الانفعالي ؛ وخاصة إذا توفرت في المنزل أسباب ذلك النضج ؛ فمن خلال الأسرة يتعوَّد الطفل القدرة على التعامل مع الآخرين ، ومن خلالها أيضاً تساهم الأسرة في الارتقاء الأخلاقي لدى الطفل ؛ إذ تنمو شخصيته الأخلاقية ؛ ويُعزز ذلك كله حين تقوم الأسرة بدورها في إكساب الطفل الدين الذي تعتنقه .

ومن أجل ذلك نستطيع أن نقرر حقيقة أن للوالدين دوراً هاماً في تربية الطفل لا يستطيع المعلم أو أي شخص آخر أن يحل محلهما ؛ فقد يستطيع المعلم أن يزوِّد الطفل بحصيلة من المعلومات قد تجعل منه دائرة معارف ، لكنه يفتقد ما للوالدين من تأثير على

اتجاهات الطفل نحو الحياة .

ولهذا فقد حرص علماء التربية الإسلامية على تأكيد ضرورة إعداد المرأة لممارسة دورها بل وانتقائها قبل إنجاب الأولاد مؤكدين على حقيقة أن تربية النشء تحدث قبل ولادتهم باختيار الأمهات .

يقول أكثم بن صيفي لأولاده: "يا بَنيَّ! لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ؛ فإن المناكح الكريمة مَدْرَجةٌ للشرف" .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: "لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا . قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تُسَبُّون بها" .

ولهذا فإن من أول حقوق الولد على والده أن يختار لـه الأم المؤمنة الكريمة ذات الهدف من الحياة التي تحسن تربيته ، وتقوم على شؤونه ، وتتعاهد دينه وعقيدته ؛ لأن الطفل والطفلة ينتقل إليهما كثير من صفات أمهما النفسية والخلقية ، بل يمتد هذا التأثير مدى الحياة .

* * * * *

المطلب الثاني:
الأدوار التربوية المنا ـة بالمرأة الأم

مما هو معروف بالبديهة أن الأدوار التربوية المناطة بالمرأة الأم تتخذ أهميتها من كونها هي لب العمل الوظيفي الفطري الذي يجب أن تتصدى لـه المرأة ، وهذا يعني ضرورة أن تسعى الأم إلى ممارسة دورها بشكل يحقق نتائجه التي يأملها المجتمع ، وهذا يعني أيضاً ضرورة إعداد المرأة الأم لأداء ذلك الدور قبل مطالبتها بنتائج فعالة ، وأعتقد أن ذلك الإعداد لا بد أن يشمل:

١ – غربلة المناهج الدراسية: بحيث يكون الغرض الأساسي من تلك الغربلة وإعادة الصياغة إعانة

(المرأة الأم) في وظيفتها داخل منزلها الذي يُعد المقر الوظيفي الرئيسي لها ؛ لا أن يكون دور المناهج الدراسية تهيئة المرأة لتمارس وظيفة خارج المنزل ، وفي حالة إعادة التكوين والصياغة هذه ؛ فإن المناهج ستساهم في دعم دور الأبوين في إعداد الفتيات للاقتناع أولاً بمهمتهن الأولى ، ثم في التعرف على صور وأنماط عديدة لأصول التربية السليمة وطرقها ، والتي من الممكن الانتقاء منها حسب عدد من المعطيات ووفقاً للظروف المواتية ، وبهذا

ستؤدي المناهج الدراسية دورين أساسين:

أ - دوراً إعدادياً للمرأة للقيام بوظيفتها التربوية.

ب - دوراً مسانداً؛ حيث ستشكل المناهج معيناً نافعاً تستمد منه المرأة سبلاً وطرقاً تربوية ناجحة ونافعة.

٢ - **الإعلام:** نظراً لأن إعداد المرأة لممارسة وظيفتها التربوية يشكل ثقلاً عظيماً في النظرة الشاملة لمصلحة الأمة عموماً؛ فإن إعادة اهتمامات الإعلام بتلك المسألة من الأهمية بمكان؛ وهو أمر يستلزم قيام جميع القنوات الإعلامية بإبراز ذلك الدور والتركيز على ممارسة المرأة دورها بنفسها؛ فهي وظيفة لا يجوز فيها التوكيل، بل إن تصدي المرأة لدورها بنفسها بوصفها أيضاً مربية يعد مسلكاً عظيماً في رقي الأمة، بل هو الطريق الأساسي لتحقيق آمال الأمة ثم إعادة صياغتها فعلياً عبر التربية إلى نواتج قيِّمة تضاف إلى رصيد الأمة الحضاري، ولأجل ذلك فإن من الضروري أن تضع وسائل الإعلام ضمن أهدافها تبني المفهوم القائم على أن رقي الأمة مطلب إسلامي حضاري لن يتأتى إلا من خلال إعادة تكوين النظريات التربوية وتأسيسها بما يتفق مع الأصول والمصادر السليمة التربوية المعتمدة على المصادر الإسلامية، وأيضاً من خلال إعداد الكوادر التي تستطيع ترجمة تلك النظريات إلى واقع؛ أي العناية والتشجيع لإعداد المرأة الأم المربية التي تمتص ما يجب أن تفعله لتعيد تكوينه رحيقاً تربوياً يداوي جراح الأمة.

٣ - **تبني مسؤولية التربية:** لا تستطيع المرأة أن تؤدي دورها التربوي ما لم تتبنَّ تلك القضية وجدانياً من خلال حملها همّ التربية، ويقينها التام بدورها في إعداد الفرد، وانعكاس ذلك على صلاحه وصلاح الأمة، ثم سعيها الدؤوب نحو تزويد من تعول تربوياً بما صح وتأكد من مغانم تربوية كسبتها

من خلال ما نالته في رقيها التربوي الإسلامي، ويتأتى ذلك عن طريق دعم حصيلتها العلمية الشرعية؛ إذ إن جزءاً من مهامها التربوية يعنى بتشكيل عقيدة الأبناء ومراقبتها، وتعديل أي خلل يطرأ عليها.

ولهذا، ولأهميته فإن أول دور يُناط بالأم هو:

١- التربية العقائدية:

لا تتمكن الأم من القيام بتلك المهمة ما لم تكن معدة لهذا الأمر من خلال علم شرعي يعينها على أداء هذه المهمة، ولا يعني هذا أن تتوقف المرأة عن ممارسة ذلك حتى تكون

طالبة علم . إن على الأم معرفة الأساسيات التي لا يقوم دين العبد إلا بها كأصول المعتقد وما تشمله من أصول الإيمان ، وأقسام التوحيد وشروط لا إله إلا الله ونواقض الإسلام ، وأقسام الشرك والكفر وأنواع النفاق ، كما أن عليها معرفة الحلال والحرام خاصة ما استجد في هذه الأزمنة من مستجدات أوضح العلماء حكمها .

إن دور المرأة الأم هو قيادة قاطرة التربية في أرض مليئة بشوك الشبهات المضلة ، والشهوات المغرية ، والفتن السوداء .

على المرأة الأم أن تدرك أن منهج تربية النشء في الإسلام يقوم في أصوله وأساساته على مرتكز الإيمان بالله وحده ، وهو منهج متوافق مع نظرة الله التي فطر الناس عليها . قال ﷺ : **«كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»** .

إن التطبيقات الضرورية لهذا الدور التربوي الهام تتضح من خلال عدد من الإجراءات منها:

تربية الأبناء على حب الله ورسوله ، ربط قلوبهم بالله ومراقبته في كل تصرفاتهم ، ويكون ذلك منذ طفولتهم المبكرة ؛ إذ يُعلَّمون النطق بالشهادتين ، ويُوجَّهون إلى إرجاع كل نعمة إلى الله وحده ، وحينما تشب أعوادهم يُعوَّدون على قراءة كتب العقيدة المناسبة لأعمارهم .

- ربط أصول العقيدة وفروعها بمناحي الحياة ؛ مما ينتج عن ذلك حماسهم لها ودفاعهم عنها ؛ فيتأكد لدى الطفل أنه لأجل الإيمان بالله وعبادته خُلق ؛ فيعيش تأكيداً لمعاني ذلك الإيمان محققاً العبودية لله وحده ويموت دفاعاً عنها .

ومهمة المرأة الأم في هذه الأمور واضحة ؛ فهي من يُشربه عند نُطق الحروف الأولى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ثم هو يراها نموذجاً قائماً أمامه يحاكيه ويقلده حين تكون كل حركاتها وسكناتها تهدف إلى تأكيد معنى كلمة الإخلاص ؛ فهي حريصة على ألا يُعبَد في المنزل إلا الله وحده ؛ فلا يدعى إلا هو ، ولا يسأل إلا إياه ، ولا يستعان أو يستغاث إلا به ، ولا يُخاف إلا منه ، ولا يُتوكل إلا عليه ، ولا يُذبح إلا له ، ولا يُصرف أي شيء من أمور العبادة إلا لله وحده ، فيشب الناشئ وينشأ الطفل وهو يرى العقيدة الصافية تشع في كل أنحاء البيت .

ويندرج ضمن هذه التربية تعويد الطفل منذ مرحلة تمييزه على الأداء الصحيح للعبادات ؛ فقد قال ﷺ : **«مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»** ؛ إذ على الأم أن تُعوِّد مَنْ تعول على البعد عن الأمور المستنكرة شرعاً وعُرفاً ، وتعرفهم على أحكام الحلال والحرام حتى يعتادوا ذلك ولا يأنفون منه ، وعلى الأم أن تُعوِّد الأطفال على الطاعات كالصلاة والصيام وقراءة القرآن ، وتحذرهم من

ارتكاب المعاصي كالكذب والسرقة والخيانة والغش .

التربية السلوكية:

بتأكيد أهمية البيت في تبني السلوكيات الطيبة تتضح مسؤولية ما تقوم به المرأة في تفعيل دورها العظيم في زرع هذه السلوكيات ، وقلع أي سلوك سيئ ينشأ في حديقتها التربوية حيث رعيتها الصغيرة ، وتهذيب أي سلوك ينشأ منحرفاً عن مساره .

إن مهام المرأة في ذلك الدور كما هو في جميع مهامها التربوية لا بد أن يسير بمشاركة الوالد تدعيماً وعوناً ، وفيما يخص مهمته التربوية ؛ فإن تعاضد المرأة والرجل في بذر السلوك الحسن وتكوين القدوة الصالحة له أنجع الأمور للوصول إلى نتائج سريعة ومثمرة ، ولأن المربين قد أدركوا أن من ضمن الأسس التي ترتكز عليها المنهجية التربوية الإسلامية في التربية هو إيجاد القدوة الحسنة ؛ فقد حرصوا على ذلك الأمر من منطلق أن الطفل يبدأ إدراكه بمحاكاة ذويه ومن حوله حتى يتطبع بطبائعهم وسلوكياتهم وأخلاقهم .

وفي مقابل غرس السلوكيات الحسنة كان إهمال أي سلوك يأخذه الطفل من البيئة المحيطة يعني تشرُّبه السلوكيات الخاطئة واستنكاره أي نصيحة مقومة له . وغالباً ما يأتي الإهمال من قِبَل الوالدين جميعاً أو باتكال أحدهما على الآخر ، أو كما قال ابن القيم: "وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله ، وترك تأديبه ، وإعانته على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ، ففاته انتفاعه بولده ، وفوَّت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قِبَل الآباء"

ولهذا أيضاً كانت المنهجية التربوية الإسلامية تعتمد على مراقبة سلوك الطفل وتصرفاته وتوجيهه في حينه إلى التعديل المناسب لذلك السلوك مهما كان ذلك السلوك حقيراً أو عظيماً .

وتبعاً لذلك فإن من تطبيقات تلك المهمة التربوية:

١ - حفظ الطفل من قرناء السوء .

٢ - أن تمارس المرأة مهمتها بإخلاص في غرس الفضائل والعناية بالواجبات ، وتعويد الصغار على معالي الأمور .

٣ - ربط النشء بسيرة الرسول ﷺ والصحابة ، وتعليقهم بما تشمله سيرة الرسول ﷺ وتراجم الصحابة من علو ورفعة وعزة .

٤ - أن تضع المرأة شعاراً تطبقه في تربية من تعول تعتمد على تفعيل حديث الرسول ﷺ : «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِقِ الناس بخُلق حسن**» .

التربية النفسية:

تعتمد تلك المهمة على إقرار حقيقة في الصحة النفسية هي أن العطف والحنان بلا إفراط ولا تفريط هما أساس الصحة النفسية لدى الأفراد ؛ فينشأ الأطفال ويشب النشء وهم مترفلون بهذه الصحة ؛ ولهذا فقد مدح الرسول ﷺ صفة الحنان في نساء قريش بقوله: **«صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»** .

وهذه التربية النفسية لا تتأتى فقط بما تمنحه الأم من رعاية وحنان وعطف جُبلت النساء عليه ، وإنما لا بد من تعاضد الوالدين جميعاً في تهيئة البيئة المنزلية لتكون بيئة صالحة هادئة ينشأ فيها الطفل متزناً واثقاً من نفسه ؛ إذ ثبت أن الحياة العائلية المضطربة والمشاحنات بين أفراد الأسرة وبخاصة قطبيها الأب والأم يؤثران بشكل ملحوظ على تكوين شخصية مضطربة تنفر من الحياة وتكرهها ، وثبت أيضاً أن أغلب الأمراض الخُلُقية مثل الأنانية والفوضى وفقدان الثقة بالنفس وعدم الإحساس بالمسؤولية والنفاق إنما تبذر بذرتها الأولى في المنازل ، وأن من الصعوبة على المدرسة والمجتمع استئصال تلك الأمراض إذا تزمَّنت وتمكنت في نفس النشء أو الأطفال .

التربية الجسمية:

تبدأ تلك التربية منذ وقت مبكر حين تركز المرأة عنايتها بما خُلق في رحمها من خلال اهتمامها بالتغذية والراحة ، ثم تستمر تلك التربية بعد الولادة حين يضع المنهج الإسلامي مسألة الرضاعة وتغذية الرضيع من المسائل الأساسية التي تُكلَّف بها المرأة . قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[1] .

ولكي تمارس الأم ذلك الدور لا بد أن يكون لديها وعي تام بأهمية هذا الجانب التربوي المعتمد على الثقافة الصحية المتوازية مع التطبيق العملي لهذه الثقافة[2] .

* * * * *

---

(١) البقرة: ٢٣٣ .

(٢) د . أفراح بنت علي الحميضي .

المطلب الرابع:
معوقات في أداء الأدوار التربوية

إذا كانت تلك بعض الأدوار التربوية المناطة بالمرأة بوصفها أُمّاً فإن مما يُعطل تلك الأدوار عن أداء مهمتها بفعالية، ومما يعيق المجتمع عن الحصول على ثمار يانعة معوقات من الممكن حصرها في

١ - معوقات ذاتية تتمثل في:

- قصور في الإعداد النظري للمرأة لممارسة دورها التربوي.
- قلة وعي المرأة بأهمية دورها التربوي وأهمية ناتجها على المجتمع.
- إشغال الأم أو انشغالها بممارسات ثانوية تعطل وظيفتها الأساسية كانشغالها بوظيفة خارج المنزل.

٢ - معوقات خارجية تتمثل في:

- الاعتماد على شخصيات بديلة تمارس دور الأم كالمربية الخارجية والخادمة، ويتأتى ذلك الاعتماد السلبي حين تعتقد الأم أن التربية عبء لا ناتج له معطل لقدراتها.

- تشجيع وسائل الإعلام المرأة للخروج من المنزل وممارسة أدوار بديلة لدورها الأصلي الأساسي، بل الدعاية لتلك الأدوار والوظائف واعتبارها خدمات أولية تقدمها المرأة للمجتمع تفوق في ناتجها دورها التربوي، وهذه الدعاية ساهمت في صرف المجتمع عن تأكيد دور الأم المربية إلى تشجيع دور الأم العاملة أو المرأة العاملة؛ وذلك بتشجيع تأخير الإنجاب.

- عدم قيام المؤسسات التعليمية بأدوارها في إعداد المرأة الأم وتشجيعها لممارسة دورها التربوي إضافة إلى ازدحام قائمة المناهج الدراسية بمواد بعيدة الصلة عن الحاجات الفعلية للمرأة مما يترتب على ذلك عدد من النتائج أبرزها طول فترة اليوم الدراسي باعتبارها أول تلك النتائج، وثانيها طول فترة المرحلة الدراسية، ثم ثالثها ضعف إعداد المرأة تربوياً، وتبعاً لذلك فقد تتأخر المرأة أو تتعطل في أداء دورها التربوي.

توصيات:

أخلُص من ذلك كله إلى عدد من التوصيات تتعلق بالمرأة المربية والنشء والطفولة بل والأسرة مما يعزز فعالية المرأة:

أولاً: تكثيف البرامج التعليمية في مدارس تعليم البنات فيما يخص إعداد المرأة إعداداً فعلياً لأداء دورها الوظيفي.

ثانياً: إنشاء مراكز لأبحاث الطفولة والناشئة تكون غايتها بحث أفضل السبل لوضع منهجية تربوية قائمة على أصول شرعية قادرة على مواجهة المتطلبات المتصاعدة للحياة العصرية؛ بحيث تمد تلك المراكز الأمهات ودور الحضانة ومدارس المرحلة الابتدائية بالأبحاث والدراسات فيما يخص الطفولة والناشئة وكيفية تواؤمها مع المجتمع بما يحافظ على أصالة التربية.

ثالثاً: إنشاء مراكز لسلامة الطفولة ودعمها، غايتها بث وعي إعلامي وقائي للأمهات والآباء فيما يخص سلامة أطفالهن من كافة أنواع المخاطر كحالات الحرق، والغرق، والخنق، والسقوط، . . . إلخ.

رابعاً: تكثيف المواد الإسلامية وخاصة مسائل التوحيد في مناهج ما قبل المدرسة، وعرضها بطريقة تناسب عقول الصغار؛ ففي هذه المرحلة تغرس مبادئ التوحيد بأنواعها الثلاث في عقولهم الغضّة، مما يشكل دعماً لجهود الوالدين في تلك القضية.

خامساً: إنشاء هيئة عليا للدراسات الأسرية التربوية تختص بتذليل كافة السبل لدعم البرامج التربوية في مناهج التعليم، وتهيئة الظروف لتحقيق توافق أسري داخل البيوت من خلال البرامج والدورات التدريبية التي تشمل فيما تشمل دورات أسرية لمرحلة ما قبل الزواج ثم مرحلة ما بعد الزواج، كما يكون من ضمن اختصاصها فتح قنوات اتصالية مع الأمهات لبحث ما يعتريهن من مشاكل تربوية تعيقهن عن أداء دورهن.

* * * * *

المطلب الخامس:
علم المرأة وعملها

لم يكن الذين يدعون إلى تحرير المرأة في بداية القرن يحلمون بالوصول إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من العلم، بل إنهم كانوا يعترفون أن أقصى ما يطالبون به هو تعليم المرأة العلم الابتدائي الذي يساعدها على تربية أولادها ومساعدتهم على التعلم، أما ما وصلت إليه المرأة الآن من الثقافة والعلم فهذا أمر لم يكن بالحسبان، خاصة أن طموح المرأة لا يقف عند حد، فهي تسعى لإزالة كل ما يمكن أن يؤدي إلى التفرقة في المساواة بينها وبين الرجل، لهذا ليس من المستغرب أن نجد في بنود الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة بنوداً تتعلق بواجب الدول الموقعة على الاتفاقيات في إيجاد المساواة بين الرجل والمرأة عبر تهيئة " نفس الظروف

للتوجيه الوظيفي والمهني، وللوصول إلى الدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية في جميع الفئات، في المناطق الريفية والحضرية على السواء ".

والواقع أن هذه الاتفاقيات إذا كان يمكن أن تتماشى مع المجتمعات الغربية الأخرى فإنها لا تتماشى مع المجتمعات العربية التي لا زالت الفطرة تغلب على شريحة كبيرة من نسائها، حيث لازالت الفتاة تتعلم لمجرد أن تنال شهادة ما تؤمن لها الزوج المناسب وتقيها عثرات الأيام. هذا ما تؤكد عليه الدكتورة إلهام منصور حيث تقول عن المرأة اللبنانية: " إذا سألنا الأهل عن فائدة العلم بالنسبة للفتاة نسمع، في أغلب الأحيان، الجواب التالي: إن واجب المرأة الأول هو الزواج، وإن لم توفق المرأة بزوج كما تريد، أو إذا افتقر هذا الزوج أو إذا انقطع عن العمل لسبب من الأسباب فالمرأة المثقفة تستطيع العمل لتأمين العيش فقط، فالعلم والعمل عند المرأة اللبنانية هما قوة احتياطية أكثر الأحيان لا تُستغل".

لقد أنكر دعاة التحرر رغبات المرأة وحاجاتها الفطرية إلى تكوين الأسرة وإنجاب الأولاد، وحاولوا الإثبات أنه ليس هناك فروق بيولوجية تمنع المرأة من العلم والعمل وإثبات الذات، إنما الموانع هي موانع خارجية تتمثل في الإسلام الذي يقف حاجزاً في سبيل تعلم المرأة، مع أن هذا مناف للحقيقة، فالإسلام "لن يمنع المرأة من طلب العلم، فهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها، ولكن الإسلام يشترط في تعليمها وفي نشاطها كله شرطين اثنين: أن تحافظ على تربيتها وأخلاقها، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها، وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال، وفي حدود هذين الشرطين تتحرك حركتها كلها ".

هذا هو المطلوب فقط، المطلوب التعامل مع الأولويات ومع حاجات المرأة بصراحة لا كبتها كما تطلب إحداهن من زميلاتها المتحررات حيث تقول: " المتحررة حقاً هي التي تستطيع أن ترفض أي تدبير يتنافى مع اكتمال شخصيتها وتحقيق استقلالها، وبين الاستقلال والزواج تختار المرأة المدركة الواعية الاستقلال حتى ولو ضحت بحياتها الاجتماعية، لأنها تعلم أن حياتها الحالية في حياة لا تحمل مقومات استمرارها إلا من حيث الناحية الحيوانية فقط ".

هل هذا الكلام مقبول، لا، إن الإصلاح لابد أن يراعي حاجات الإنسان والمجتمعات، ولا يفكر في مصلحة فرد دون آخر، فما ينفع النساء إن حصلن على الشهادات العالية وحُرمن من نعمة الأمومة، التي لا يكتمل كيان المرأة إلا بها، وصَدَقت إيمان السباعي حين قالت: " ويل لأمة تفخر بنسائها في كليات الهندسة ورجالها على الأزقة لا يجدون عملاً، ولا

يفكرون في قضية، ولا يحملون مسؤولية، ويل لأمة أهانت رجالها لتثبت ذاتية نساء ضائعات".

تمهيد:

أول ما نزل من كتاب الله هو الدعوة إلى القراءة. قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١].

وقد حث القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف على العلم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٢]. وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣]. وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٤]، وقال رسول الله: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»[٥]. وقال: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين - حتى النملة في جحرها وحتى الحوت - ليصلون على معلِّم الناس الخير»[٦].

أشهر المعلمين:

وقد اشتهر كثير من الصحابة بالعلم، كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم، وكانت أزواج النبي (المطهرات - ولاسيما عائشة رضي الله عنها - معلمات عظيمات؛ نقلن إلى الأمة كثيرًا من الأحاديث النبوية، وأحكام الشريعة الإسلامية.

* * * * *

المطلب السادس:
تعليم المرأة

والعلم فرض على كل مسلم ومسلمة، فقد كان النساء في عهد النبي ﷺ يتعلمن منه آيات الله وما أنزل عليه من الأحكام، وقد جعل النبي ﷺ لهن موعدًا يحضرن فيه لتلقي

---

(١) العلق: ١ - ٥.
(٢) الزمر: ٩.
(٣) فاطر: ٢٨.
(٤) ابن ماجه والطبراني.
(٥) أحمد.
(٦) الترمذي.

العلم مثلهن في ذلك مثل الرجال تمامًا. فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قالت النساء للنبي: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن(١).

١ - منــــزلة طالب العلم:

وقد كان الرسول ﷺ يفرح إذا رأى أحدًا من الصحابة مهتمًا بالعلم، طالبًا له، فقد ورد عن صفوان بن عسال المرادي - رضي الله عنه - أنه رأى النبي ﷺ وهو يبكي على برد له أحمر، فقال له: إني جئت أطلب العلم. فقال النبي من: **«مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلــم تحفه الملائكة بأجنحتها»**(٢) ويستحب طلب العلم في الصغر، فقد ورد عن النبي ﷺ من قوله: **«أيمـا ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله - تعالى - يوم القيامة ثواب** اثنين **وسبعين صديقًا»**(٣).

ولم يقف أمر التعليم على الحرائر من النساء والرجال؛ بل نبه النبي ﷺ إلى ثواب تعليم العبيد والإماء، حيث قال: **«أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران»**(٤).

والإسلام يحث أتباعه - رجالا ونساءً - على التعلم، ففتح أمام الرجل كل أفاق العلم أن يسبح فيها، مادام هذا العلم نافعًا للإسلام والمجتمع، ولم ينس الإسلام للمرأة حظها من العلم، وإن كان يحثها على أن تتعلم ما هو أولى في حقها، كالطب لعلاج النساء، والتدريس لتعليم الفتيات، والتمريض لتمريض النساء والفتيات، فهذا أحرى، كي يعلّم الرجل الشباب، والمرأة النساء، وكذلك الأمر في العلاج وغيره، درءًا للاختلاط، ومنعًا لانتشار الفساد في المجتمع.

٢ - ضوابط لتعليم المرأة:

وإن كان الإسلام أباح للمرأة أن تتعلم، فقد وضع لها العديد من الضوابط، ومن هذه الضوابط:

(١) تجنب الاختلاط الفاسد صونًا للأعراض وسدًا لأبواب الفساد، ولتوفير الجو

---

(١) البخاري.
(٢) أحمد والطبراني.
(٣) الطبراني.
(٤) البخاري.

المناسب الذي يساعد على تحقيق الهدف المطلوب من تربية المرأة وتعليمها .

(٢) عدم سفرها للتعلم دون محرم أو صحبة مأمونة من النساء ، حفظًا لها وتأمينًا لسلامتها ، قال ﷺ : **«لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم»**[(١)] .

(٣) الاهتمام بتعليمها العلوم التي تفيدها أولا ، فيجب التركيز في تعليم المرأة على ما يثبت عقيدتها ، ويصحح عبادتها ، ويزكي أخلاقها ، ويتوافق مع فطرتها وأنوثتها ، ويخدم حياتها ، ويساعدها في تربية أبنائها ورعاية بيتها ، وبالجملة تعلم كل ما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الأصلية ، وطالما يفيد المجتمع المسلم .

(٤) عدم تعلم ما يفسد عليها معيشتها وحياتها ، ولا يتفق مع طبيعتها مثل الالتحاق بمعاهد السينما والتمثيل والمسرح .

٣ - نساء معلمات:

لقد أقبلت النساء في صدر الإسلام على التعلم والتفقه في أمور دينهم ودنياهم إقبالاً عظيمًا ، ولنا في أمهات المؤمنين القدوة الحسنة ، فقد كان ﷺ ينيب السيدة عائشة في شرح المراد من حديثه لمن لا تعي ما يقوله ﷺ مما في تصريحه به إحراج للسائلة ، كذلك علّم الرسول ﷺ أسماء بنت عميس كيف تغسل المرأة الميتة ، فغسلت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - ، وعلم أم عطية الأنصارية كيف تُختن الفتيات .

واشتهرت زينب طبيبة بني عواد بالطب في الجاهلية والإسلام ، وكانت فضلاً عن معالجتها الأبدان ، تحسن طب العيون والجراحة ، ولم يقتصر ظهور المتعلمات النابغات على الصدر الأول للإسلام ، بل امتدت الرحلة العلمية عبر مختلف حلقات التاريخ الإسلامي تاركة لنا القدوة الحسنة والنهج السليم ، والذي كان سبيلاً سلكته الكثيرات في العصر الحديث ، ومن بينهن السيدة ملك حفني ناصف (باحثة البادية) ، والتي أطلقت دعوتها بحق الفتاة في التعليم بما يوافق النظرة الإسلامية السليمة .

ومن الأفضل أن تخصص مناهج لتعليم المرأة خصوصًا ما ينفعها شخصيًا وينفع أسرتها وأولادها مثل الخياطة والتطريز والخدمة الاجتماعية ، ولعل أخطر ما يشهده تعليم المرأة هو التقليد الأعمى لكل أساليب ومناهج التعليم في الغرب الذي نتج عنه انحرافات في توجه المرأة نحو المجتمع وإهمالها لشؤون أسرتها وبيتها ، ويترتب على ذلك العديد من الأخطار التي لابد من معرفتها والقضاء عليها .

---

(١) البخاري .

(٥) كما يجب ألا يكون التعليم - رغم أهميته - عائقًا أمام سير المسلمة في حياتها الطبيعية؛ كأن تؤخر سن الزواج بحجة إنهاء التعليم، أو أن تهمل المرأة في حقوق زوجها وأبنائها بحجة الحصول على المزيد من التعليم والشهادات.

ومن الأمور التي يجب أن تراعى في التعليم في بلاد الإسلام:

(٦) عدم التقليد الأعمى للغرب، بل يتعلم الطلاب ما يوافق طبيعتهم وبيئتهم، مع محاولة رفع كفاءة المدرس والطالب، حتى يكون التعليم في بلاد الإسلام ذا مستوى أعلى؛ ليرجع على ما كان عليه في العصور الوسطى، يقود العالم كله إلى الخير والتقدم والحضارة، كما يستحب التشجيع من قبل الهيئات والمؤسسات للابتكار والتفوق بين الطلاب، وأن يكون تعليم الطالب وفقًا لما يحب ويرجو، حتى يستطيع خدمة دينه ووطنه.

٤ - الحرية:

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما قال لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو والي مصر: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!).

وذلك عندما ضرب ابنٌ لعمرو بن العاص غلامًا من مصر، ولم يقتص عمرو من ولده، فبعث عمر بن الخطاب - لما علم بذلك - إلى عمرو بن العاص أن يضرب ابنه.

وكثيرًا ما نسمع إنسانًا يقول حينما نريد أن ننبهه إلى خطأ ما قد ارتكبه: أنا . . . حر.

فنقول له: إنه ليس من حق الإنسان أن يقول إنني حر ثم يخطئ في غيره ويضربه؛ فقد قال: **«لا ضرر ولا ضرار»** [(١)].

ويشير هذا الحديث إلى ضرورة فهم المعنى الصحيح للحرية، فهي لا تعني أن يفعل الإنسان ما يحلو له وما تشير إليه نفسه دون النظر إلى نتيجة هذا الأمر على نفسه أولاً ثم على غيره بعد ذلك.

والإسلام لم ينكر الحريات والحقوق، بل صانها وأكد عليها، فالحرية في الإسلام مشروعة بضوابط الأمر والنهي (افعل ولا تفعل). فالإسلام أعطانا جوانب كبيرة من الحرية، وأمرنا أن نمارس الحرية في إطار ضوابطها الشرعية التي حددها الله - سبحانه -.

فمثلاً أباح الإسلام التزين للمرأة ولكن بحدود معينة وضوابط محكومة، فإذا خرجت

---

(١) ابن ماجه ومالك.

عن هذه الضوابط بزعم الحرية فقد أضرت بنفسها لأنها قد عصت الله تعالى وخالفت أوامره، وأضرت بمن حولها من الشباب الذين قد يفتتنون بما يرونه من مظاهر التبرج. وقد كفل الإسلام الحرية السياسية للأفراد والجماعات، فليس في الإسلام كبت للرأي، أو قيد على حرية، فمن حق الشعب أن يحاسب حكامه على التقصير، ويجب على الحاكم أن يشاور شعبه في أمور بلدهم.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة في ذلك؛ فكان الرسول (يشاور أصحابه في الأمور كلها، وكذلك فعل خلفاؤه الراشدون، فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في يوم توليه الخلافة: (إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني). وكذلك فعل عمر بن الخطاب وعثمان وعلي - رضي الله عنهم -.

وإذا نظرنا إلى المجتمعات الغربية، نجد أهلها يفهمون معنى الحرية فهمًا غريبًا وعجيبًا؛ فعندهم أنه من حق الإنسان أن يفعل ما يراه صحيحًا من وجهة نظره، ما دام لا يخرج على القانون، ومن المعروف أنهم هم واضعوا هذه القوانين؛ لتتوافق مع رغباتهم وأهوائهم، وهي قوانين غير محكومة بضوابط أو محدودة بحدود.

وبعض هذه القوانين قد أباحت بعض التصرفات غير الأخلاقية، بل إن القانون هو الذي يحميها ويحرسها، فالقانون عندهم يبيح لعب القمار وشرب الخمر والتعامل بالربا وممارسة الزنا وممارسة الشذوذ، وهناك قوانين لبعض الدول تعطي الحق للفتى والفتاة بعد سن البلوغ حرية الاستقلال عن أسرهم، وبلغ الأمر في بعض المجتمعات أن هناك جمعيات موجودة تقدم الإرشادات لأولئك الذين يرغبون في الانتحار والتخلص من حياتهم!! وتبين لهم أفضل وسائل الانتحار!! كل ذلك بحجة أن هذه حريات شخصية، لا ينبغي المساس بها أو منعها!!

أما في الإسلام، فليس من حق المسلم أن ينهي حياته بنفسه وينتحر، فالانتحار جريمة يحاسب عليها المرء يوم القيامة، وشرب الخمر، والزنا، ولعب القمار والربا جرائم يحرمها الإسلام. ويجب على كل مسلم أن يوقن أن الله - عز وجل - ما حرم شيئًا إلا وفيه ضرر عظيم للإنسان، وما أحل شيئًا إلا وفيه الخير له.

ومن عظمة الإسلام وحكمته أن من يخالف أوامر الله وتعاليم الإسلام ويتعدى الحدود المقررة، جعل الله له عقوبتين، فإذا أفلت من واحدة لن يفلت من الأخرى فالذي يسرق أو يزني أو يشرب الخمر - مثلاً - يُقام عليه الحد أمام أعين الناس؛ حتى يعتبروا به، وبذلك تنتظم شئون الناس فيما بينهم، وهذه عقوبة دنيوية.

أما العقوبة الأخروية فهي التي يذوقها الإنسان يوم القيامة، فالذي ينتحر - على سبيل المثال - قد أفلت من عقاب الدنيا، ولكنه سوف يحاسب حسابًا عسيرًا يوم القيامة على جرمه الكبير في تدخله في قدر الله - عز شأنه.

أسئلة لا بد من الإجابة عليها: ما هو مفهوم الحرية؟ ومن هو الإنسان المتحرر (رجلاً كان أم امرأة)؟ هل هو ذلك الإنسان الذي أطلق العِنان لنفسه وشهواته يفعل ما يشاء متى شاء وفي أي وقت شاء؟ وهل الحرية تعني تفلت الإنسان من المسؤوليات والواجبات كي يصبح كالحيوان هدفه من الحياة إشباع غرائزه وشهواته؟

لا، إن معنى التحرر هو ذلك " التفكير العقلي والمنطقي في التخطيط للحياة بعيداً عن غول المؤثرات الخارجية مثل الأجواء والبيئة والعادات والتقاليد ومتطلبات العصر وغيرها، أو الداخلية مثل النفس، والشهوات والغرائز وما شابه، والتحرر أيضاً يعني العمل قدر الإمكان والمستطاع لإعطاء كل ذي حق حقه فللنفس حق.. وللغرائز حق.. وللمجتمع حق.. وحدود كل ذلك هو عدم تجاوز حقوق النفس والآخرين، وعدم الإسراف في ذلك".

هذا المعنى لم يفهمه بعض دعاة التحرر من المسلمين الذين اعتبروا التحرر إطلاق العِنان للغرائز والشهوات دون اعتبار لمصلحة المرأة أو مصلحة عائلتها، لقد فهموا التحرر بأنه التهجم على القيم والأخلاق والإسلام الحامي لهذه القيم، لذلك اعتبروه العدو الأول للمرأة دون تفكير أو دراسة لتاريخه وتشريعه مكتفين بترداد ما نقله المستشرقون الحاقدون دون تمحيص، مما يسهل على المطلعين على أقوالهم انتقادهم بسهولة لما فيها من كذب وتدجيل، من هؤلاء أتباع الحركة النسوية العربية حيث تقول إحداهن: أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بمزايا وحقوق سلبها منها الإسلام وتقول أخرى أن السيدة خديجة رضي الله عنها منحت الرسول أول عمل له ليتاجر في دمشق وكان عمره ١٢ عاما.

إن المشكلة التي تعاني منها المرأة العربية المعاصرة هي الفجوة الزمنية التي تفصلها عن العالم الغربي حيث تخطت الحركة النسوية العالمية feminism مرحلة تحرير المرأة والمطالبة بمساواتها بالرجل لتصل إلى مرحلة جديدة تسمى " مرحلة ما بعد الفمنزم " تحول فيها عمل المرأة العالمية إلى معالجة المشاكل الاجتماعية التي تسببت بها خروج المرأة إلى العمل وإهمالها لأسرتها.

لقد كان من آثار اتجاه المرأة نحو العمل ذلك التفكك الأسري الكبير الذي ترك بصماته على وضع المرأة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، فكان أول هذه النتائج غياب نموذج

الأسرة التقليدية التي تشير الإحصائيات الغربية إلى أن نسبتها المئوية في تناقص كبير، فنسبة الأسر التي يعمل الأب فيها بينما تبقى الأم في البيت لرعاية الأطفال، أصبحت تمثل ٣٠٪ من العوائل في أميركا و١١٪ في بريطانيا، كما ارتفع في الوقت نفسه نسبة الذين يعيشون حياة زوجية دون رابطة قانونية، ففي بريطانيا ازدادت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من ٨ ٪ علم ١٩٨١ إلى ٢٠٪ عام ١٩٨٨ .

وكان من هذه النتائج أيضاً تقليل معدلات الولادات، ورفع نسبة الطلاق وانتشار ظاهرة الأمومة المنفردة والعنف المنزلي الذي كثيراً ما يستدعي تدخل الدولة لتخليص المعنفة، وظهور مشكلة المسنين التي أصبحت أحدث مظهر من مظاهر تحلل روابط الأسرة التي لا تكن للمشاعر العائلية أي اعتبار .

* * * * *

المطلب السابع:
مسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله

إن الله تعالى أمرنا بعبادته وحده وطاعته، ثم أمرنا بتبليغ دينه إلى الآخرين، وهو الدعوة إلى الصراط المستقيم دين الإسلام، دين الله الحق، قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[1].

يقول ابن تيمية – رحمه الله –: (إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا) .

وهذا يشمل الدعوة إلى العقيدة وأصول الإيمان، والتحذير من الشرك وأنواعه، والحث على فعل الطاعات والواجبات، والحث على اجتناب المعاصي والمحرمات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب في الفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق، ونبذ الباطل .

كما أوجبت الشريعة على المسلمين التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تتضافر الجهود، ويتعاون الجميع على إقامة الحق والعدل ومحاربة الفساد والظلم .

وقد جاء الخطاب الشرعي بالأمر بالدعوة إلى الله عاما لجميع الأمة يشمل الجنسين رجالا ونساء، لأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابا للنساء أيضا، إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيه، والقاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها،

---

(١) النحل: ١٢٥ .

فإن للمرأة حقوق وعليها واجبات مثل الرجل إلا فيما يختلفان فيه من القدرة والكفاية مما هو مناط التكليف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[(١)]، وعلى ذلك فالدعوة إلى الله واجبة في حق النساء كما هي واجبة في حق الرجال كل بحسب قدرته.

ومن الآيات والأحاديث التي جاءت آمرة بالدعوة إلى الله تعالى، قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[(٢)].

يقول الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي: ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي، وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعوة إلى الإيمان به وتوحيده، والعمل بما شرعه لعباده.

وجاء الأمر بها صريحا في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(٣)].

يقول ابن كثير - رحمه الله -: (المقصود منها أن تكون فرقة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه).

وأما النص على وجوب الدعوة إلى الله في السنة فمنها قول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٤)].

وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، فتدعون فلا يستجاب لكم**»[(٥)].

كل هذه النصوص وغيرها كثير تدل على وجوب القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بذلك عام على جميع المسلمين رجالا ونساء، ولكن للدعوة مجالات وميادين مختلفة، منها ما يكون مناسبا للجميع، ومنها ما يكون مناسبا لفئة دون أخرى.

ولقد ضرب لنا نساء الأمة في جيلهن الأول أروع المواقف الدعوية مع الزوج والأبناء والأهل وفي أوساط النساء، كأمثال أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ وكثير من نساء

---

(١) رواه البخاري.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) موطأ مالك ١٠٣٦.

(٥) مسند أحمد ٢٢٢١٢.

الصحابة ، كأسماء ذات النطاقين ، وأم سليم ، ونسيبة بنت كعب ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم شريك وغيرهن رضوان الله عليهن جميعا .

وعلى هذا فلا يختص هذا الواجب بالعلماء والدعاة وطلاب العلم بل هو عام على الجميع ، ولكن يختص العلماء وطلاب العلم بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه ، بل إن الواجب يتعلق بالعلم ولو بجزئية يسيرة من الدين ، فمن تعلمها وصار عالما بها وجب عليه العمل بها مع تبليغها للآخرين . فالمسؤولية مسؤولية كل مسلم ومسلمة ، كل على حسب قدرته وعلمه ، وقد قال النبي ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»[1] .

إن بعض النساء تحصر الدعوة إلى الله في الدروس العلمية والمحاضرات ، وتستبعد أن يكون قيام المرأة بتربية أولادها وتأثيرها على زوجها ونصحها لزميلاتها في العمل أو صديقاتها في الدراسة أنها دعوة ، بينما هي في الحقيقة دعوة مباركة بلا هي أهم مجالات الدعوة .

هناك جانب مهم في موضوع الدعوة له أثر عظيم في تقوية الرغبة لغوص مجالات الدعوة والحرص عليها ، كما أنه يبعث العزيمة ويحمل على الصبرعلى ماقد يصيب الداعية ، ألا وهو العلم بما أعده الله تعالى من الأجر العظيم والمنزلة الرفيعة التي شرف الله بها الدعاة إلى طريق الخير والصلاح .

من هذه الفضائل العظيمة على وجه الاختصار:

١) من دعا الناس فهو خير الناس ، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2] . وقال ﷺ : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[3] .

٢) الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

٣) الدعاة أحسن الناس حديثا ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى

---

(١) صحيح البخاري .
(٢) آل عمران ١١٠ .
(٣) رواه البحارى .
(٤) آل عمران - ١٠٤ .

اللَّهِ﴾[١].

٤) أهل السماء والأرض يستغفرون لمن دعا إلى الله، قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»، وصلاة الله على خلقه ثناء ورحمة، وصلاة الملائكة والخلق دعاء واستغفار.

٥) الدعاة لا تنقطع أجورهم، قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا».

٦) الدعاة لهم في هدايتهم لغيرهم ما هو خير من الدنيا وما فيها، كما في قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «لئن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[٢] وفي رواية: «خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت» هذا في شأن هداية شخص واحد، فكيف إذا كان سببا في هداية أسرة أو جماعة أو أمة بأسرها؟

إلى غير ذلك من الفضائل والمكرمات التي امتن الله بها على من دعا إلى سبيله.

وحيثما تحدثنا عن أهمية الدعوة إلى الله ووجوبها في حق المرأة وفضلها، فمن المهم أن ألقي الضوء على بعض مجالات الدعوة وميادينها التي هي من مهام المرأة ومسؤوليتها[٣].

فمن تلك المجالات:

أولا: قيامها بالدعوة داخل بيتها:

وأهم ذلك وأوجبه تربية الأولاد تربية إسلامية، قال قتادة: (تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصيته، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه).

فالأم هي الداعية الأولى في البيت، وهي في التأثير على الأبناء أقدر من الأب، وذلك لاتصالها بهم منذ اللحظة الأولى من ولادتهم، والأعرف بنفسياتهم وما يلائمهم، ولأنها معهم أغلب الأوقات، فهي تلاحظ ما يطرأ عليهم من التغيرات، ومايقع منهم من أخطاء.

بالإضافة إلى أن اعتناء الأم الداعية بإصلاح بيتها وتربية أبنائها هو أسلوب مؤثر وفعّال من أساليب الدعوة بالقدوة، والإشعار العملي للآخرين بإمكانية تكوين أسرة صالحة على

---

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) سنن الترمذي ٢١١٧.

(٣) أسماء بنت راشد الرويشد.

نهج السلف في زمن عمّت فيه الصوارف والفتن، ويتعذر فيه كثير من الآباء والأمهات بصعوبة تنشئة أبناء صالحين في هذا الزمان.

إن على الأم أن تعتني بتربية أبنائها على بعض الأمور الأساسية مثل:

١ - بناء الأساس العقدي لديهم وتلقينهم كلمة التوحيد في سن مبكرة، وغرس محبة الله تعالى في قلوبهم وتربيتهم على مخافة الله، وكذلك محبة الرسول ﷺ ليقتدوا به في جميع أفعالهم وأقوالهم، ويتم ذلك بقراءة سيرته ﷺ عليهم.

٢ - تعليمهم القرآن وتجويده وشرح بعض معانيه.

٣- تعليمهم واجبات الدين وشعائره كالوضوء والصلاة بأسلوب عملي.

٤ - مناقشة بعض السلبيات والمخالفات الموجودة في المجتمع معهم.

٥ - تعويدهم على حب القراءة، وإنشاء مكتبة إسلامية مقروءة ومسموعة.

٦- تربيتهم على حسن اختيار الأصدقاء، ومراقبتهم من بعد في ذلك.

٧- بناء الأساس الخلقي لديهم بحثهم على الاتصاف بالأخلاق الحميدة، وتحذيرهم من الصفات الذميمة مع مراعاة حسن الأسوة من قبل الأم.

ومن مجالات دعوة المرأة في البيت محاولة دعوة زوجها والتأثير عليه، ولكن الأمر قد يتطلب بعض المجاهدة وقد يطول أمد الاستجابة فيحتاج إلى صبر، فعلى الزوجة الداعية أن تكون صابرة محتسبة حكيمة في دعوة زوجها، سائلة الله له الهداية.

وفي المقابل فإن من مهام المرأة الدعوية مساندة الزوج الداعية وتشجيعه والتخفيف عنه، وأن تبث في نفسه الثبات على طريق الدعوة.

ومن مظاهر الدعوة إلى الله في البيوت: ممارسة المرأة الدعوة مع الخدم بدعوتهم لتصحيح العقيدة، وتحذيرهم من الشرك والبدع المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية، وتعليمهم أمور الدين المهمة كالطهارة والصلاة ونحوها. وقد تيسرت وسائل دعوة المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، فقد انتشرت الكتب والأشرطة الإسلامية باللغات الأجنبية عن طريق مكاتب دعوة الجاليات التي ترعاها وزارة الشؤون الإسلامية.

ثانيا: قيامها بالدعوة خارج البيت:

فتسهم بالدعوة إلى الله في المجتمع الذي تعيش فيه، كدعوة القريبات وزميلات العمل، والصديقات والجارات، بتقديم النصح لهن بأسلوب مناسب يتفق مع آداب النصيحة

وبأسلوب محبب ولطيف. والاعتناء بتحسين العلاقة معهن والتعاون فيما بينهن لكسب قلوبهن للخير وقبول النصيحة.

وعليها استغلال الجلسات الأسرية في طرح مواضيع مفيدة تصلح للمناقشة، وإقامة المسابقات الممتعة، والاعتناء بتوزيع الأشرطة والمطويات والكتيبات التي تعني بمواضيع المرأة.

ولانغفل دور المعلمة في ممارسة الدعوة مع طالباتها، بل هو من أخصب وأهم مجالات الدعوة إلى الله وأرجاها لقبول الطالبة. فمن المعلوم أن تأثر الفتاة وخاصة في سن المراهقة بمعلمتها يكون أكثر من سواها ولا سيما إذا أحبتها.

فعليها أن تهتم بالأمور الآتية:

١- عدم الاقتصار على المنهج الدراسي المحدد في الكتب، بل عليها أن تربط العلم بالخالق جل وعلا، خاصة وأن كثيرا من العلوم تكشف وتوضح عظمة الخالق وقدرته على خلقه، مما يولد تعظيم الرب جل وعلا في نفوس الطالبات.

٢- أن تكون المعلمة قدوة حسنة لطالباتها في التزامها بأوامر الشرع، ومسارعتها لأداء الصلاة، وفي مظاهر اللباس والحجاب والأخلاق وأهمها التواضع مما يؤدي إلى حب الطالبات لها وتقبلهن لما تنصح به.

٣- التعرف على بعض مشاكلهن الخاصة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة مع ربط قلوبهن بالله.

٤- محاولة كسب قلوبهن بتقديم المساعدة لهن في مذاكرة الدروس وفهمها، مما يسهل التأثير عليهن ونشر الدعوة بينهن.

٥- أن تعلمهن مسائل الطهارة التي غالبا ما يعم الطالبات الجهل بها، وتعليمهن كيفية الصلاة الصحيحة، وبيان أهميتها وخطورة تأخيرها أو تركها.

وعلى المعلمة أن تهتم بدعوة زميلاتها في المهنة، وحثهن على الإخلاص في العمل وإتقانه، والتحدث معهن في أوقات الراحة في مواضيع تهم المرأة المسلمة.

وقد ضربت لنا أم شريك - رضي الله عنها - مثالا عمليا في الدعوة في أوساط النساء كما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: (وقع في قلب أم شريك - رضي الله عنها - الإسلام، فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العكر الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها

وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم) .

ومـن مجالات الدعوة إلى الله في وسط النساء اصطفاء مجموعة من النساء لمدارسة بعض العلـوم الشرعية وللتفقه في الدين ، وتخصيص هذا الأمر بالزمان والمكان ، حتى تعد الداعية نفسها وغيرها بالعلم والبصيرة في الدين لاسيما في المسائل التي عمت بها البلوى في أوساط النساء كالسفور والاختلاط والغيبة وغيرها .

ثالثا: ومن مجالات الدعوة إلى الله تعالى المناسبة للمرأة الدعوة بالتأليف والكتابة:

وعـن طـريق القـصة الهادفة ونظم الشعر والمشاركات الصحفية في المجلات والصحف ، وألا تترك تلك المجالات للأقلام الهدامة والعابثة ، فعلى المرأة التي تحمل هم الدعوة وأن تعني بهذا الجانب الهام والخطير في الوقت نفسه ، والذي هو من أقوى عوامل التأثير الفكري

ومـن المجـالات الحديـثة المناسـبة لقـيام المـرأة بالدعوة إلى الله المشاركة عن طرق شبكة الإنترنت ، وهي تفتح باباً دعوياً عالمياً ومتيسراً في كل زمان ومكان

والآن وبعد ذلك لعلنا أخواتي المسلمات نشعر بأبعاد مسؤوليتنا في الإصلاح والتغيير ، ويتأكد لدينا واجب الدعوة في هذا العصر الذي عصفت بالناس فيه رياح الفتن وروّجت فيه الـشبهات ، فأصـبحت الدعـوة واجـبة علـى كـل من حمل هذا الدين بصدق وإخلاص من الرجال والنساء ، والشيب والشباب ، كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله وطاقته ، وعلى حسب إيمانه وعلمه ، ومن ثم على حسب تحسسه لواقع المسلمين وأحوالهم .

التوصيات:

(١) تقـوى الله عـز وجـل ، وجعـل القرآن والسنة النبوية المصدرين الرئيسين في تشريع جميع الأمور ، مع الرضا بذلك والتسليم لـه .

(٢) أن تعـي المـرأة المـسلمة أن الإسلام جاء بتكريمها ، وبين مساواتها بالرجل في أصل الخلق والتكوين ، وفرض لها حقوقا وواجبات ، مثل ما للرجل إلا فيما يختلفان فيه من الاستعداد والكفاية والقدرة مما هو مناط التكليف .

(٣) علـى المـرأة المـسلمة أن تعـي مـسؤوليتها في القيام بالدعوة إلى الله تعالى بين الأهل والأقارب والجيران والزميلات ومن لها احتكاك بهن .

(٤) علـى كـل مـن رضـت بـالله ربـا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا أن تعي أن المكان الـصحيح لهـا والمهمـة الدعـوية الرئيسية هي في تربية الأولاد ورعاية شؤون البيت والزوج ، وأن تضبط خروجها بضابط المصلحة والحاجة .

٥) يجب أن يكون طلب المرأة للعلم وممارستها للعمل بالكيفية الملائمة لطبيعتها وغير المعارضة لتعاليم الشريعة وآدابها.

٦) الحذر من التعرض للخلوة أو الاختلاط أو السفور خلال قيام المرأة بطلب العلم أو العمل أو الدعوة إلى الله تعالى.

٧) يجب أن تكون مناهج تعليم البنات مناسبة لفطرتهن التي فطرهن الله عليها، وأن تكون صالحة لتخريج جيل من ربات البيوت الصالحات والعاملات في المجالات الخاصة بالنساء.

٨) أن من فاتتها القدرة على الدعوة إلى الله فلا يفوتها الأجر في ذلك بمساندة ودعم أمور الدعوة بالنفقة والمال، وبكفالة الدعاة وطباعة الكتب الإسلامية والمصاحف ودعم المراكز الإسلامية وغيرها.

٩) ضرورة التواصل بين الداعيات ومعايشة هموم الدعوة، والتخطيط لحلها والتعاون مع الأخوات الداعيات في تبليغ الدعوة.

* * * * *

المبحث الرابع:
العلاقات الزوجية في المنهج الإسلامي

إن من نعم الله - تعالى - على عباده أن شرع لهم الزواج ليكون سنة محكمة من سنن الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله - ﷺ - وجعله سنة لأتباعهم إلى يوم القيامة قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[١].

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن نعمة الزواج نعمة عظيمة امتنّ الله بها على عباده كما قال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[٢].

وقال - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ

---

(١) الرعد ٣٨.
(٢) النساء١.

قَدِيراً ﴾[١]، وقال - جل شأنه -: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾[٢]، إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت النظر إلى هذه النعم.

كما حثّ النبي على الزواج بأحاديث كثيرة منها قوله - عليه الصلاة والسلام -: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[٣]، عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: **«أربع من سنن المرسلين؛ الحياء والتعطر، والنكاح، والسواك»**[٤] وقال ﷺ: **«مسكين مسكين رجل ليس له امرأة وإن كان كثير المال، مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج وإن كانت كثيرة المال»** رواه الطبراني في الأوسط، وروى الحاكم في المستدرك عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»** والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: النكاح باعتبار ذاته مشروع، مؤكد في حق كل ذي شهوة قادر عليه، وهو من سنن المرسلين.

وأضاف قائلاً: وقد تزوج النبي - ﷺ وقال: **«إني أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»** متفق عليه، ولذلك قال بعض العلماء: إن التزوج مع الشهوة أفضل من نوافل العبادة، لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة والآثار الحميدة، وقد يكون النكاح واجباً في بعض الأحيان كما إذا كان الرجل قوي الشهوة ويخاف على نفسه من المحرم إن لم يتزوج، فهنا يجب عليه أن يتزوج لإعفاف نفسه وكفها عن الحرام[٥].

* * * * *

(١) الفرقان٥٤.

(٢) النحل٧٢.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي وأحمد والبيهقي.

(٥) دكتور/ إبراهيم بن حمد النقيثان.

المطلب الأول:
من حكم الزواج

للزواج حكم وفوائد شتى منها:

١- تطبيق السنة ، قال - عليه الصلاة والسلام: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متفق عليه .

٢- حفظ كل من الزوجين وصيانته ، قال - عليه الصلاة والسلام - «**فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» متفق عليه .

٣- أنه ملائم للفطرة الإنسانية ويوافقها وينسجم معها .

٤- حفظ المجتمع من الشرور وتحلل الأخلاق وانتشار الرذائل .

٥- بقاء النوع الإنساني على وجه سليم .

٦- استمتاع كل من الزوجين بالآخر بما يجب له من حقوق وعشرة ، الرجل يكفل المرأة ويقوم بنفقاتها ، والمرأة تكفل الرجل بالقيام بما يلزمها في البيت من رعاية وإصلاح .

٧- طلب الولد وتكثير سواد المسلمين .

٨- تدريب الذات على تحمل المسؤولية والقيام بشؤون الطرف الآخر وشؤون الأولاد والرحم .

٩- إتاحة الفرصة للزوج أو الزوجة أن يشعر أنه محبوب كما يُحبُ في الوقت نفسه .

١٠- الشعور بالنوع فالزواج يحقق إشباعاً اجتماعياً يورث توازناً في الشخصية ، فالإنسان لايستطيع أن يعيش في عزلة عن الآخرين .

١١- النمو النفسي السليم بإشباع الدافع الجنسي في مجال ما أباحه الله ، مما يعود على الذات بالطمأنينة والراحة النفسية .

١٢- يخلص الإنسان من التصرفات الرعناء والانحرافات السلوكية والانفعالية .

١٣- إشباع دافع الأمومة والأبوة لكل الزوجين .

١٤- تحقيق إثبات الذات من خلال الحياة الزوجية السعيدة .

١٥- ما يثمره الزواج من ترابط الأسرة والعائلات والقبائل وتوطيد أواصر المحبة .

* * * * *

المطلب الثاني:
الكفاءة في الزواج

يقصد بالكفاءة: المساواة والمماثلة، والكفء: المثيل والنظير، والمقصود أن يكون الزوج كفؤاً لزوجته، أي مساوياً لها في المنزلة والمركز الاجتماعي وغيره، وكلما كانت منزلة الرجل مساوية لمنزلة المرأة، ربما كان ذلك أدعى لنجاح الحياة الزوجية.

هذه الكفاءة ما موقف العلماء منها، فبعضهم - كابن حزم - ذهب إلى عدم اعتبار الكفاءة، فيرى أن أي مسلم مهما - مالم يكن زانياً - فله الحق في أن يتزوج أي مسلمة ما لم تكن زانية.

فلا اعتبار للنسب والحسب فقد زوج النبي - ﷺ - القرشية زينب بنت جحش مولاه زيداً، وزوج المقداد بن عمرو ضباعة، وذهب جماعة من العلماء إلى خلاف ماذهب إليه ابن حزم حيث اعتبروا أن الكفاءة معتبرة، ولكن اعتبارها بالاستقامة والخلق خاصة، فلا اعتبار لنسب ولا صناعة ولا حرفة أو غنى أو نحو ذلك. وذهب آخرون إلى أن الكفاءة أعم من الصلاح والخلق لتشمل النسب والمال والسلامة من العيوب.

* * * * *

المطلب الثالث:
الحقوق الزوجية

- هناك حقوق مشتركة بين الزوجين، وهناك حقوق للرجل وهناك حقوق للمرأة، فمن الحقوق المشتركة بين الزوجين:
- استمتاع كل من الزوجين بالآخر وثبوت التوارث بينهما بمجرد العقد.
- المعاشرة بالمعروف كي يسودهما الوئام ويظلهما السلام.
- أما حقوق الزوجة فمنها:
- حقوق مالية كالمهر والنفقة وحقوق غير مالية كالعدل بين الزوجات إن كان متزوجاً بأكثر من واحدة وعدم الإضرار بالزوجة.
- إكرامها واحترامها ومعاملتها بالمعروف وحسن الخلق معها والتزين لها وإظهار جانب اللين والرقة والتواد والقيام على شؤونها.

أما حقوق الزوج فمنها:

- طاعة الزوج في المعروف وحسن التبعل للزوج وخدمته وحفظه في نفسه وبيته وماله

وولده والتزين للزوج وإظهار المودة والمحبة والقرار بالبيت .

عندما يعرف كل من الزوجين حقوق كل منهما على الآخر ، فهذه علاقة صحيحة في سبيل السعادة الزوجية ، ولكن ليس الأمر بالمقايضة ، فإذا وصلت الحال إلى هذا المستوى فهو نذير ببدء المشكلات الأسرية ، ولكن الأمر يحتاج إلى تنازل من الطرفين لكي تدوم العشرة ، أما إذا تمسك كل من الطرفين بحقه فستحصل المشكلات ويتكدر العيش .

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - لزوجه: إذا رأيتني غضبت فرضني ، وإذا رضيتك غضبى رضيتك ، وإلا لم نصطحب .

وأوصى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال:

إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء .

ولعل من أبرز الوصايا ما أوصت به أمامة بنت الحارث ابنتها أم إياس بنت عوف بن ملجم الشيباني لما زفّت إلى عمرو بن حجر ملك كندة ، وهي وصية عظيمة اشتملت على مقدمة عن الزواج والحياة الجديدة وعشر وصايا ذهبية ، حيث قالت:

أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت لك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليهما ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العيش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فأصبح عليك رقيباً ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبداً .

واحفظي له خصالاً عشرا يكن لك ذخرا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله ، والادعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك إن خالفت

أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه ، إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له موافقة واعلمي أنك لا تصلين على ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك .

فلما تزوجها عظمت عنده وولدت الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده .

أمور تراعى عند الزواج وبعده:

١- الدين: ونقصد به مستوى تدين الزوج أو الزوجة ، فلا ينبغي أن يذهل عنه الخاطب او المخطوبة ، قال رسول الله - ﷺ -: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»(١) ، وقال أيضاً: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي**»(٢) ، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٣) .

وقد يقول الخاطب أو المخطوبة: بعد الزواج سأدعوه إلى التوبة والالتزام ، وهذا هدف نبيل ، ولكن قد يحدث العكس فقد يسحب ضعيف الإيمان التقي إلى مستواه ، وقد يحدث العكس ، ولكن الأولى الحرص على ذى الدين وذات الدين .

٢- الحسب والنسب: وقد عدّه بعض الفقهاء من الكفاءة لكن الإسلام لا يعوّل على ذلك فقد زوج النبي - ﷺ - ابنة عمه زينب بنت جحشٍ مولاه زيداً ، وغيره من الصحابة فعل ذلك ، والإسلام يفاضل بالتقوى فقط ، ولكن نظراً لتفشي ظاهرة الاعتداد بالحسب والنسب في بعض المجتمعات الإسلامية ، فتراعى مثل هذه الأعراف ، لا لكونها ديناً كلا لكن لما ينشأ من تخطيها من المشكلات الاجتماعية والنفسية الشيء الكثير خاصة في بعض البيئات فقد وصل إلى القتل أو التهديد به والنبذ الاجتماعي ونحوه ، فمراعاة لمثل هذا على الشاب والشابة ألا يتجاوز مثل هذه الأعراف .

٣- الجمال وحسن الخلقة: الجمال عنصر لم يغفله الإسلام والإنسان بطبعه يعشق الجمال وهو نسبي يختلف في معاييره من فرد لآخر وقد قال - عليه السلام -: «**خير النساء**

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني والحاكم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك...»[١]، وقال - عليه الصلاة والسلام: للمغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - حين خطب امرأة: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٢]، ولكن لا ينبغي أن نغلّب جانب الجمال على الدين والخلق، فإن روعة وقتية، بعد فترة تصبح عادية، ولذا لا يعوّل عليه كثيراً، إذ نسمع الشباب يركزون عليه وكذلك الشابات وما ذاك إلا تأثرا بالحضارة الغربية التي تقدس الجسد، وغاية الزواج الاستمتاع بالجسد فغزت تلك النظرة وهذا التوجه مجتمعات المسلمين فصار يأتي بالمقام الأول معيار الجمال للأسف.

٤- السن: التقارب في السن مما يعين على دوام العشرة وبقاء الألفة، فليس من المستحسن أن يكون الفارق السني كبيراً بين الزوجين، ولا يعني ذلك فشل الزواج، بل هناك حالات كثيرة ناجحة، رغم التفاوت الكبير في ذلك لكن التقارب العمري يجعل التفاهم والانسجام أحرى، ولنا في زواج رسول الله - ﷺ - قدوة فقد كان بينه وبين أم المؤمنين خديجة خمس عشرة سنة وكانت من أحب نسائه إليه.

٥- المستوى الاجتماعي والاقتصادي: إن التقارب في هذا مما يدعم العشرة الحسنة بين الزوجين وبين أسرتيهما، ولكن حين يكون أحدهم أعلى مرتبة من الآخر في الجانب المادي فقد يؤدي ذلك إلى تفاوت في الاهتمامات والتصرفات ويؤدي إلى تباعد بين أسرتي الزوجين وخاصة من جانب النساء، فتحدث القطيعة مما قد ينعكس سلباً على الزوجين.

٦- المستوى الثقافي: يفضل أن يكون مستوى الخاطبين متقارباً كي تسير عجلة الحياة الزوجية في تفاهم وتقدير، ومشاركة الطرف الآخر للطرف الآخر في الاهتمامات والميول والاطلاع وحسن النقاش والحوار.

المشكلات الأسرية:

الإنسان يسعى لتحصيل السعادة عموماً والسعادة الزوجية خصوصاً، والمشكلات بين الزوجين أو مع الأولاد هي ما يحصل كثيراً ولعل ذلك مما يبتلى به المرء ذكراً كان أم أنثى، ولعله مما يكفر به السيئات وتعلى به الدرجات، قال - تعالى -: ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾[٣]، وقال - سبحانه -: ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ**

(١) رواه النسائي.
(٢) رواه النسائي والترمذي وابن ماجه.
(٣) النساء: ١٩.

لَكُمْ ﴾[١] ، وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«مايصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[٢] ، وقال - عليه الصلاة والسلام -: **«ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حطّ عنه بها خطيئة»**[٣] .

الحياة الأسرية لا تسلم من منغصات ولو سلم منها بيت لسلم منها بيت خير الخلق - ﷺ - ، ثم إن الحياة المثالية الخالية من الصعوبات والمشكلات لا توجد إلا في عقول المراهقين والمراهقات والحالمين والحالمات ، وفي الروايات والقصص والمسرحيات ، بل لو افترضنا أن أسرة عاشت سنوات دون هذه المنغصات لملّ أصحابها منها ، ولكن غضب ورضا ، خطأ وغفران ، خطأ وتسامح ، عتب ومسامحة ، زعل ورضا ، لوم وإقرار بالخطأ . . . إلخ ، بهذا تسير الحياة بصورة طبيعية ، فابن آدم خطاء ولا معصوم إلا من عصمه الله ، قال - عليه الصلاة والسلام -: **«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**[٤] .

نخلص مما سبق أن المشكلات بين الزوجين أو مع الأبناء من الأمور المتوقعة في مسيرة الحياة ، كما أن الإنسان مأجور عليها حين الصبر والاحتساب ، ولا يعني هذا إهمال البحث عن العلاج والحلول . . كلا ولكن القصد التنبيه لبعض الأخوة والأخوات إلى أن وجود مثل هذه الأمور لا يعني انتفاء السعادة من الحياة الزوجية أو انعدام الحل ولكن ليوطد الإنسان نفسه لمثل هذه الأمور .

ونعرض فيما يلي بعض التوجيهات لحصر المشكلات في أضيق نطاق ولعلاجها داخلياً ما أمكن ذلك:

١- أخي . . أختي راجعوا أنفسكم فما وقع بلاء إلا بذنب ، فتفقدوا أحوالكم وأصلحوا ما بينكم وبين خالقكم جل شأنه تصلح لكم أموركم .

٢- العمل على محاولة تضييق المشكلة وحصرها في أقل ما يمكن .

٣- عدم إفشاء السر سواءً لأهل الزوجة من قبل البنت أو لأهل الزوج من قبل الزوج ، أو لغيرهم من الأصدقاء والصديقات وزملاء العمل وزميلات العمل .

---

(١) البقرة: ٢١٦ .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

٤- عدم تمسك كل فرد برأيه والإصرار على اعتراف الطرف الآخر بالخطأ، فهذا الأمر يوصل لطريق مسدود.

٥- محاولة أحد الزوجين امتصاص غضب الآخر وعدم زيادة استفزازه.

٦- معالجة المشكلة أولاً بأول وعدم التهرب منها، فالتهرب والإرجاء في حلها قد يعقّد المشكلة.

٧- حين يصل أطراف المشكلة إلى طريق مسدود، فحينئذ يمكن الاسترشاد بالوسطاء من أهل العقل والتجربة أو الاختصاص كمراكز الاستشارات العائلية والزواجية.

٨- عدم إثارة مشكلة سابقة والاستدلال بها على خطأ الطرف الآخر ونحو ذلك ن فهذا مما يزيد الطين بلّة.

٩- لا بأس بالتنازل للطرف الآخر ولوكان هذا المتنازل هو صاحب الحق لكي تستمر عجلة الحياة الأسرية.

١٠- مع وجود مثل هذه المشكلات فلا يفتقد أطراف المشكلة المعاملة بالمعروف واحترام الآخر.

١١- البعد عن محاولة الانتصار للذات.

١٢- محاولة اقتناص وقت مناسب لأطراف المشكلة لمناقشتها وإيجاد الحلول لذلك.

١٣- الحرص على ضبط النفس والاتزان حين الاستفزاز من قبل الطرف الآخر.

١٤- مما يقلل المشكلات هو عدم السماح للغير - خاصة الأقربين - بالتدخل في الحياة الزوجية لأنها لا تسلم من الانحياز لأحد الطرفين.

تلك أبرز النقاط التي أحببت إلقاء الضوء عليها داعياً الله أن يجمع الزوجين على الطاعة وأن يرزقهم الذرية الصالحة وأن يعم الجميع بالسعادة في الدنيا والآخرة.

أختي المسلمة..

* اعلمي أن من سنة النبي ﷺ الزواج. ولذلك قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

* ولذلك إياك ثم إياك من العزوف عن الزواج بحجة الدراسة أو الشهادة أو العمل.

* واحرصي على من يتقدم لك من أهل الدين والخلق الحسن. وكما قيل: فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يهنها.

* والنكاح المبارك هو الذي لا كلفة فيه فوق طاقة الزوج. «أكثر النساء بركة أقلهن مؤنة».

* يا مكنونة الإحسان: قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لجمالها ولحسبها، ولمالها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فهل أنت ملتزمة بالدين؟!

* أيتها الفتاة الصالحة.. قال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».

* احذري من دبلة الخطوبة فإنها من عادة النصارى.

* كوني حريصة على حفلة زفاف إسلامية خالية من المنكرات مثل:

- النصة (الكوشة) وهى صعود العريس مع العروس أمام النساء.

- التعاقد مع المغنيات والمطربات أو المطربين بالنسبة للرجال.. لأن ذلك حرام وضياع للأموال.

- وضع أشرطة الغناء عبر مكبرات الصوت ولربما الرقص معها من قبل الفتيات.

- التصوير الفوتوغرافي أو بالفيديو لمحذورات شرعية كثيرة.

- الذهاب إلى الكوافيرات لما في ذلك من المنكرات والمحذورات الشرعية.

- التغالي بملابس ليلة الزفاف والإسراف فيها.

- السهر في ليلة الزفاف حتى ساعات الفجر الأولى.

واسمعي إلى هذه الوصية:

قالت أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس بنت عوف ليلة زفافها:

" أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت.

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه.. ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال!

أي بنية! إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا، واحفظي له خصالا عشرا تكن لك ذخرا..

أما الأولى والثانية، فالخضوع له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة، فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، لا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة، فالتفقد لوقت نومه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة، فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة، فلا تعصين له أمرا، ولا تفشين له سرا فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتما والكآبة بين يديه إن كان فرحا[1]!... أهـ.

س: ما حكم حضور المرأة حفلات الزواج وأعياد الميلاد مع أنها بدعة، وكل بدعة ضلالة، كما يوجد بالحفلات المذكورة بعض المطربات لقضاء السهرة، وهل حضور المرأة فيها حرام لمشاهدة العروس وتقديرا لأهل العروسة لا لسماع المطربة؟

ج: إذا كانت حفلات الزواج خالية من المنكرات، كاختلاط الرجال بالنساء والغناء الماجن أو كانت إذا حضرت غيرت ما فيها من منكرات جاز لها أن تحضر للمشاركة في السرور، بل الحضور واجب إن كان هناك منكر تقوى على إزالته، أما إن كان في الحفلات منكرات لا تقوى على إنكارها فيحرم عليها أن تحضر لعموم قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3].

والأحاديث الواردة في ذم الغناء والمعازف كثيرة جداً. وأما الموالد فلا يجوز لمسلم ولا مسلمة حضورها لكونها بدعة إلا إذا كان حضوره إليها لإنكارها وبيان حكم الله فيها..[4].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

* * * * *

---

(١) تحفة العروس: ٩١.

(٢) سورة الأنعام: ٧٠.

(٣) سورة لقمان: ٦.

(٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم ١٩٣٨ - في ٢٤/ ٥/ ١٣٩٨هـ.

المطلب الرابع:
عندما يتنازل الرجل عن قوامته

إن قوامة الرجل على المرأة حق تكليفي وتشريفي أيضاً لا مناص منه، ولا يمكن للرجل أن يتنازل عنه؛ لأن القوامة مسؤولية تنتظم بها شؤون الأسرة، فمن خلالها تحدد المسؤوليات، وتوزع الواجبات، ويعرف كل فرد في الأسرة مكانه ودوره.

كما أن لكل سفينة قبطاناً يقودها فلا بد لكل أسرة قواماً أو قيماً يدبر أمرها ويشرف عليها، وإلا عمت الفوضى وظهر الاضطراب، كما هو واقع الأسر في الدول التي ساوت بين المرأة والرجل في كل شيء.

وقوامة الرجل على أهله ليست قوامة تعسف وتجبر وتكبر؛ بل هي قوامة رحمة وعدالة؛ إذ أن من أهم الواجبات المترتبة على هذه القوامة رعايتهم وتوجيههم وإعفافهم وحمايتهم من كل شر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[1].

وكم هو مزر أن تضعف قوامة الرجل على أهل بيته إلى درجة أنه لا يستطيع أمرهم بمعروف ونهيهم عن منكر، ولكن أسوأ من ذلك أن يتنازل هو عن قوامته.

ولقد رأيت صوراً مزرية عديدة تدل على المفاسد العظيمة الناتجة من ضعف قوامة الرجل أو تلاشيها، ولعلي أنقل هاتين الصورتين - على سبيل المثال - واللتين تعكسان شيئاً من هذه المفاسد:

دخلت الزوجة محلاً لبيع "الحلويات" وتبعها زوجها.. كشفت الزوجة شيئاً من حجابها وكأنها دخلت بيتها... فما حرك الزوج شفتيه بكلمة يأمرها بالاحتشام والاحتجاب؛ بل ظل واقفاً خلفها يحمل طفلاً ويمسك بيده الأخرى طفلاً آخر.. أخذت الزوجة تجادل البائع في سعر البضاعة وتماكسه.. فارتفعت منها قهقهة لفتت أنظار الرجال الذين اكتظ بهم المحل، والزوج "المصون" قد وقف خلفها كأن الأمر لا يعنيه... وبعد جدال طويل بينها وبين البائع اقتنعت أخيراً بالسعر فاشترت البضاعة.. وذهبت لكي تحاسب.. أخرجت من حقيبتها أوراقاً نقدية دفعتها للمحاسب وخرجت.. والزوج يتبعها.

أما الصورة الثانية فتبدأ عند باب المنزل حيث خرجت تاركة زوجها في فراشه نائماً فقد تأخرت عن موعدها، وكان السائق في انتظارها عند الباب.

---

(١) الحجرات: ٢٦.

الزوجة للسائق: إلى السوق بسرعة . . . أدار السائق مفتاح السيارة واتجه حيث أمرته سيدته . . وقبيل المغرب استيقظ الزوج من نومه فنادى الخادمة قائلاً: سيري أين "ماما"؟ فأجابت سيري "ماما يروح للسوق".

لبس الزوج ملابسه دون اكتراث لخروج زوجته دون إذنه وعلمه، فقد اعتاد على ذلك؛ بل هو الذي عودها عليه يوم أن تنازل عن حقه في قوامته عليها . .

إنه ينبغي للرجل والمرأة أن لا يرضيا بهذا الحال، أما الرجل فلأن المرأة عرضه وشرفه فأين دينه؟ وأين رجولته وشهامته؟ وقد ترك لزوجته الحبل على غاربه، وفتح لها الأبواب التي تصفر فيها رياح الشهوات الآثمة والنزوات الفاجرة.

وأما المرأة فلأن الرجل حاميها وراعيها، فأين محبته لها؟ وغيرته عليها؟ وأين اهتمامه بها؟ وأين دفاعه عنها؟ وقد تركها تكشف زينتها للرجال، وتضاحكهم وتمازحهم، كأنه لا يعنيه أمرها، ولا يهمه حفظها.

* * * * *

المطلب الخامس:
الزواج أحكام وعقبات

حديثنا هذا يتناول تشريعاً ربانياً حكيماً وسنةً من سنن المرسلين وآيةً من آيات الحكيم الخبير.

إنه الزواج . . . وما أدراك ما الزواج.

إنه من آيات الله تعالى الدالة عليه، فبه تحصل المودة والمحبة والرحمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] وبه دوام النسل واستمرار الحياة ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[٢]. وهو سنة الأنبياء والمرسلين: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[٣].

إنّ الزواج أمرٌ تقتضيه الفطرة، وتحث عليه الشرائع، فبه تكوين الأسر، وتربية الأبناء، وقضاء الأوطار في الحلال، وفيه راحةٌ وسكينةٌ للنفس، وفيه رحمة وألفة، وفيه تحصيل

---

(١) الروم: ٢١.
(٢) النساء: ١.
(٣) الرعد: ٣٨.

للأجر العظيم ▪ وهو ضرورة لدوام الحياة واستمراريتها، وهو من أسس إقامة أوثق العلاقات الاجتماعية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(١).

إضافة إلى ما سبق من الآيات القرآنية فقد جاء الثناء على الزواج والأمر به في السنة النبوية، ففي الحديث الصحيح: عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ منكم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢) كما أرشد النبي ﷺ لمعايير اختيار الزوجين، وبيّن أن الاعتبار والمقياس في المقام الأول إنما هو لمسألة الدين والخلق، فقد قال عليه السلام: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»(٣) إذن فالدين والخُلُق مقدمان على الأنساب والأموال والجمال.

ومما أرشد ﷺ وحثّ عليه، أن يتزوج المسلم من الودود الولود ففي الحديث: عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: «لَا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»(٤).

وتعرف الولود بالنظر إلى أسرتها. وأمّا الودود فهو إشارة إلى الحنان والعطف وحسن العشرة.

وقال ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(٥).

ومع حثّ الشرع على اختيار الزوجين وفقاً للمعايير المذكورة، فلا مانع من النظر إلى الاعتبارات الأخرى التي تعين على بناء الزوجية كالجمال، وتقارب الطباع، وتقارب الأعمار والأنساب.

لقد حثّ عليه الصلاة والسلام على اختيار الأسر الكريمة الصالحة فقال عليه السلام:

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) رواه البخاري رقم(٤٦٧٨) ومسلم (٢٤٨٥).
(٣) رواه البخاري (٤٧٠٠) ومسلم (٢٦٦١).
(٤) روه أبو داود (١٧٥٤).
(٥) رواه مسلم (٢٦٦٨).

«تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»(١).

إنّ على أولياء البنات اختيار الزوج الصالح، وقبوله إذا تقدم لخطبة أحد كريماته، فإنّ أول اعتبار في الشرع إنما هو للدين والخلق. وقد قال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلاّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ(٢). واللفظ له.

ومما يجدر التنبيه إليه أن مقصود الزواج في الإسلام هو إنشاء الأسرة الصالحة وبقاء الزوجية، لذا حُرِّمَ زواج المتعة وأمثاله.

إنّ كثيراً من الزيجات المبنية على الشهوة فحسب، لا يحالفها النجاح بل يكتب لها الفشل، ومثال ذلك: الزواج مع تباعد الأعمار، أو الزواج من خارج الديار والأوطان من أجل معيار الجمال فحسب.

وليت الأمر يقتصر على فشل الزواج فحسب، لكن الأمر يتجاوز ذلك فتزداد المصيبة إذا ماكان الزوج قد أنجب ذرية ثم فشلت الحياة الزوجية، وهو ما يحصل غالباً كما دلت عليه الإحصائيات نتيجة لتباين الطبائع واختلاف العادات.

إنّ أمثال هذه الزيجات الفاشلة قد يترتب عليها أن ينشأ الأولاد بعيداً عن أحد والديهم.

إذن فالأولى أن يتزوج المرء من نفس مجتمعه.

إن البعض - للأسف - لا يهتم بمعيار الدين والخلق عند تزويج بناته، وهذا يترتب عليه فساد كبير. وكذلك الحال بالنسبة للرجال ممن ينوي الزواج فبعضهم لا يفكر إلا في الجمال متناسياً ما يجب أن تكون عليه أمُّ أولاده من استمساك بالدين وحسن الأخلاق.

وللأسف فإن بعض الآباء يمنع الأكفاء ذوي الدين والخلق طمعاً في أصحاب الأموال، فربما زوج بعض بناته بكبار السن، وهو أمر قد لا تحصل معه الألفة والمودة بين الزوجين.

إنّ هذا الصنف من أولياء الأمور إضافة لكونه أجحف في حق ابنته فإنه قد خان الأمانة لأنه ردّ الأكفاء من أصحاب الخلق والدين بسبب طمعه في المال. وقد نبه النبي ﷺ على هذا الاعتبار فإنه لما خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها قال عليه السلام إنّها صغيرة، فلما خطبها عمر رضي الله عنه قال: إنها صغيرة، فلما خطبها علي

---

(١) ابن ماجة ١٩٥٨.

(٢) رواه الترمذي ١٠٠٥ وابن ماجة ١٩٥٧.

رضي الله عنه وكان مقارباً لها زوجه إياها . ففي الخبر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ» فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ(١) إنّ ظاهرةَ العنوسة وتأخر الزواج وما ينتج عنها من أخطار إنّما نتجت بفعل أسباب من صنع أنفسنا ، فإننا نرى بعض الشباب يؤخر الزواج سنوات وسنوات وهي معدودة من عمره ، وما ذاك إلا لأنه يواجه شروطاً تعجيزيةً عندما يهم باختيار الزوجة أو أنه يؤخر هذا الأمر من أجل تجميع الأموال ، مع قدرته على الزواج: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ منكم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»(٢) إنها وصية سيد المرسلين .

تزوجوا أيها الشباب وأبشروا بعون الله تعالى ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»(٣) .

ومن أسباب العنوسة تأخير زواج البنات بحجة مواصلة الدراسة ، ولهذا نرى بعض أولياء أمور البنات يكثر من رد الأكفاء ، وهو لايدري أنه بذلك يجني عليها .

إنّ الزواج أهم من الدراسة وأضف لهذا أنه لا يعيقها .

و للأسف فإنّ البعض الآخر - وهم بحمد الله قلة - يرد الأكفاء طمعاً في راتب ابنته إذا كانت عاملة في وظيفة ، وهذا والله لؤم في الطبع ، وخيانة للأمانة .

ألم يسمع هؤلاء ما قالته أولئك الفتيات اللائي حرمن الزواج بفعل هذه التصرفات؟

ألم يروا ما سطرنه بدموعهن من جراء خيانة آبائهن؟

وكل هذا يحدث بفعل الأخلاق الرديئة المتمثلة في الجشع والطمع ، الذي يقود هؤلاء الآباء ليجعلوا بناتهم وسيلة للاتجار وسلعة للكسب .

إنّ العبرة من الولاية مراعاة مصلحة المرأة لا مصلحة وليها ، وإنّ العبرة في التزويج أن يتم برضاء المرأة ، إذا تقدم لخطبتها كفءٌ من أصحاب الدين والخُلُق ، وإنما كانت الولاية لمراعاة ذلك .

يقول سبحانه وتعالى محرماً عضل المرأة وهو عدم تزويجها: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ

---

(١) رواه النسائي (٣١٦٩) .

(٢) رواه البخاري رقم(٤٦٧٨) ومسلم (٤٢٨٥) .

(٣) راوه الترمذي (١٥٧٩) .

أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١] . فكما أنه يمنع حبسها ومنعها من الزواج ممن تريد فكذلك لا يجوز إجبارها على الزواج ممن لا تريد، فكيف وقد جاءت امرأة لرسول الله تشتكي أن أباها زوجها وهي كارهة فرد عليه الصلاة والسلام نكاحها، فعن عائشة: أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ قَالَتْ اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ النِّسَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ[٢]؟ أيها الآباء اعملوا بالنصيحة النبوية: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] .

تزوجوا أيها الشباب؛ وزوجوا أيها الآباء؛ واهتموا بأمر الدين والأخلاق، ولاتؤخروا هذا الأمر رغبة في الكمال والتعلق بالأوهام، فإنه لأمر مؤسف أن يصل سن الشباب إلى الثلاثين وأكثر دون زواج.

إنّ العنوسة وعزوف بعض الشباب عن الزواج له مضاره الخطيرة وآثاره الوخيمة سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، فتأخير الزواج قد يفتح باباً عظيماً من الفتن والفساد، أمّا تعجيل الزواج ففيه حصول الراحة والاستقرار: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] إنّ هناك معوقات تقف في طريق الامتثال لهذا الأمر العظيم الذي أمر الله به ورسوله. مما صدّ كثيراً من الشباب عن الزواج وحمّل البعض الآخر جبالاً من الديون والهموم. فقد أصبح بعض الآباء والأمهات يشترطون شروطاً ثقيلة على من تقدم خاطباً لابنتهم، ومن أقرب الأمثلة على ذلك المغالاة في المهور.

نعم إنّ المهر دلالة على صدق النية في الاقتران، ودليل على الكفاءة لتحمل المسئولية وهو برهان على صدق الرغبة في الزواج، وإضافة لذلك فهو أمر أوجبه الإسلام: ﴿ وَآتُوا

---

(١) البقرة: ٢٣٢ .

(٢) رواه النسائي ٣٢١٧ .

(٣) النور: ٣٢ .

(٤) الروم: ٢١ .

النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾[١] .

إنّ المهر بكل تأكيد ليس ثمناً للمرأة ، ولا يمكن أن يمثل إهانة لها إذ أنها ليست سلعة تباع وتشترى ، فهو عطية افترضها الله سبحانه وتعالى ، وقد جعل حق التصرف فيها راجعاً للمرأة ، وليس لوليها .

إنّ الإسلام لم يحدد قيمة للمهر وإنّما ترك الأمر لاختلاف المستويات والتفاوت في الاستطاعة بين الناس ، ولما رأى عمر رضي الله عنه مبالغة الناس في هذه الأمر ومخالفتهم لسنة النبي ﷺ القائمة على التيسير ورفع الحرج ، أراد تحديد قيمة المهور فأعلن ذلك في الخُطبة ، ولكن عزمه توقف لما نبهته إحدى النساء وذكرته بآية من كتاب الله العزيز ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء . فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر ؛ إن الله يقول: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً مِنْ ذَهَبٍ ﴾ قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله ﴿ فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ فقال عمر: إنّ امرأة خاصمت عمر فخصمته[٢] . ومع أنّ هذا الدليل القرآني يدل على عدم تحديد حدّ معين للمهر وأنّه أمر منوط بقدرة الرجل وما عنده من سعة أو ضيق ، فإنّ كثرة المهر لا تُعدُّ كرامةً للمرأة وكذلك فإنّ قلته لا تشكل إهانة لها ، فالأمر ليس كما يظن بعض أصحاب الأفهام القاصرة .

فمن كان ميسوراً فأعطى وأغدق في عطائه فهو مثابٌ ، ومن كان معسراً فلا يجوز التشديد عليه ، فإنّ الاتجاه العام في الشريعة يقضي بتيسير الأمور لا سيما على من لم يستطع ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ له رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ زَوِّجْنِيهَا ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ؟**» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**» ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ ، قَالَ سَهْلٌ: وَمَا له رِدَاءٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ**» ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَاهُ أَوْ دُعِيَ له فَقَالَ له: «**مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟**» فَقَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ يُعَدِّدُهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَمْلَكْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ**»[٣] ، وبهذا يكون النبي ﷺ قد زوج هذا الرجل بما معه من العلم .

وعَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: «أَلَا لَا تُغَالُوا بِصُدُقِ

---

(١) النساء: ٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (١٠٤٢٠) والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٤١١٣ ، ١٤١١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٧) .

النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»[١].

إنّ على الآباء أنّ ييسروا أمر المهور ولا يبالغوا فيها، فإنّ من يَسَّرَ يَسَّرَ الله عليه، ولنعلم أنّ البركة في التيسير وعدم الاشتراط فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً**»[٢] وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا**»[٣].

إنّ على الآباء أن ييسروا أمر الزواج إذا أتاهم من يرضون دينه وخلقه. وعليهم ألا يبالغوا في اشتراط النفقات الإضافية على الزوج كالهدايا أو نحوها لأن هذا مما يعيق الزواج أو يكلفه ما لا يطيق.

وعلى الآباء أن يحذروا من الإسراف والتبذير في حفلات الزواج التى أحدثها الناس من باب التفاخر والمباهاة، وربما تحمل بعضهم ديوناً أو تكلف ما لا يطيق إرضاءً للنساء، أو تقليداً للغير. وقد نهى سبحانه وتعالى عن ذلك وغلّظ النهي فقال: ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾[٤].

إنّ كل هذه المخالفات سببها ضعف الإيمان، وقلة العلم، وذهاب هيبة الرجال، والاهتمام بالمظاهر الكاذبة.

و من المخالفات التي أحدثها البعض في هذه المناسبات أن يختلط الرجال بالنساء وأن يدخل الزوج على النساء وهن بكامل زينتهن.

إنّ الزواج شريعة ربانية وسنة نبوية فلا يجوز أن ترتكب باسمها أمثال هذه المنكرات والمخالفات التي تُغضب الله جلّ وعلا، وتفرح الشيطان وحزبه.

فعلى الأزواج أن يحرصوا على بداية هذه العلاقة الطيبة بتقوى الله تعالى ورضوانه، حتى يوفقهم ويبارك لهم في مقبل حياتهم[٥].

* * * * *

---

(١) رواه أبوداود (١٨٠١) والنسائي (٣٢٩٧).

(٢) رواه أحمد (٢٣٣٨٨).

(٣) رواه أحمد(٢٣٣٣٨).

(٤) الإسراء: ٢٧.

(٥) د. خالد بن عبدالله القاسم.

المطلب السادس:
مقومات السعادة الزوجية

إن السعادة الزوجية مطلب ضروريّ لك راغب في الزواج، ومقبل عليه، وواقع فيه.

٢- كثرة وقوع المنازعات والخلافات الزوجية التي تؤدي إلى الفرقة والشقاق، ومن ثمّ الطلاق؛ وليس هذا في مجتمعنا فحسب، بل لا يكاد مجتمع يسلم من زخم الأرقام الهائلة لحوادث الطلاق، وخير دليل نقدمه على صدق هذه الدعوى ما أثبتته الإحصائيات لنسب الطلاق على المستوى الدولي.

ففي أمريكا وصلت نسبة الطلاق إلى ٤٨٪

بينما وصلت في ألمانيا لمن هم دون الخامسة والعشرين عاماً إلى ٣٥٪

وفي أوروبا عموماً وبعض الولايات الأمريكية وصلت إلى ٦٢٪

وإذا انتقلنا إلى الدول العربية، وجدنا بعضها قد وصلت فيه النسبة إلى ٢٠٪

وهذه النسب كلها مذهلة، حيث تجد نسب الطلاق تصل إلى ما فوق النصف، أو الثلث، أو حتى إلى الخمس.

فضلاً عن تلك البيوت التي تتشبث بعقد الزوجية مع ما تعيشه من اختلاف وتمزق وتعاسة.

٣- أن الأسرة المستقرة تُخرّج الأجيال الذين يُعدون لحمل رسالة الإسلام.

فنحن بحاجة إلى الشاب الصالح والفتاة المؤمنة اللذين يتربيان في بيت ترفرف عليه السعادة؛ لا الفراق والشقاق، وهنا ينشأ الأولاد في جو نفسي رائع بعيد عن التوتر والقلق، وفي مثل هذا البيت يتخرّج الدعاة والمصلحون.

وقد استشرت في هذا الموضوع المهم وهو "مقومات السعادة الزوجية" ذوي الاختصاص، كما رجعت إلى بعض المراجع، واستفدت من ذوي الخبرة والتجربة، وخرجت من هذا كله بخلاصة تحوي (معظم) مقومات السعادة الزوجية.

ولطول الموضوع، وكثرة ذيوله، فإنّي سأذكر هذه المقومات على سبيل الإيجاز والاختصار والتركيز الشديد.

وقبل أن ألجَ في خِضَمّ الموضوع، أحب أن أشير إلى اهتمام الإسلام وعنايته البالغة بشأن الزواج، وترغيبه التام، وحثّه المطّرِد عليه، وذلك في آيات وأحاديث كثيرة، أشير إلى بعض منها على عجالة:

فمن الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2].

٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

- ومن صفات المؤمنين التي يذكرها الله لنا في معرض المدح: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[4]. فهم ينشدون السعادة في أزواجهم وأولادهم، ويسألونها من القادر عليها - سبحانه -.

ومن الأحاديث:

١- قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»[5].

٢- ما رواه أنس، أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ، سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء! لا وقال بعضهم: لا آكل اللحم! وقال بعضهم: لا أنام على فراش! فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام؛ وأصوم وأفطر؛ وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»[6].

أيها الأحبة إن بناء الأسرة من ضرورات قيام هذا الدين، لأن الأسرة لبنة المجتمع الأولى، وأساس هذا البناء الزواج الناجح المبني على أسس سليمة وأهداف مستقيمة، لأن اختلال الأسس، وتفاهة الأهداف تؤدي إلى انعدام الثمرة من التزاوج، وخذ على هذا مثلاً: أولئك الذين يقدمون على الزواج للمتعة، وقضاء الوطر فقط مجرداً عن المعاني العظيمة التي يُقصد الزواج من أجلها، فسرعان ما يمل أولئك الحياة الزوجية، لأنهم أخطأوا تحديد الهدف منذ البداية.

والإسلام حينما نزل هداية للبشرية، جاء بتشريع كامل شامل لجميع مناحي

(١) النساء: الآية ١.
(٢) الروم: من الآية٢١.
(٣) الذاريات: الآية٤٩.
(٤) الفرقان: ٧٤.
(٥) رواه البخاري (٩/ ١١٢) ومسلم (١٤٠٠).
(٦) رواه البخاري (٩/ ١٠٤) ومسلم (١٤٠١).

الحياة، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1]. لا تجد مسألة إلا وفي الإسلام تشريعها، ولا مشكلة إلا ولها دواؤها. يقول أبو ذر - رضي الله عنه - مترجماً هذا المعنى: "لقد تركنا رسول الله ﷺ، وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علماً"[2].

والحياة الزوجية حظيت كغيرها بتشريع متكامل، وعالج الإسلام جميع جوانبها مما يضمن حياة سعيدة هانئة مستقرة.

ولقد كنت أتساءل عن سر هجوم أعداء الله الشرس على الأسرة المسلمة، ومحاولتهم نصب الشباك لإيقاعها في شرَك التمزق والاختلاف؟

فكان الجواب: أن الأعداء أدركوا أن انهيار الأسرة المسلمة معناه تلقائياً: انهيار المجتمع الإسلامي بكامله؛ فمتى فرَّخت القلاقل والمشكلات في بيت، فلا تنتظر أن يتخرّج فيه جيل صالح.

لقد زرت إحدى دور الأحداث، وأذهلتني الإحصائيات المتوافرة هناك، والتي أثبتت أن ما بين ٧٠ إلى ٨٠٪ من أسباب دخول الأحداث للدار، هو وجود الخلاف الناشب بين الزوجين، أو وقوع الطلاق.

وقد قسمت إحصائياتهم حسب الأحياء، وبتتبع يسير، وجدتُ أن الأحياء التي يكثر فيها وجود الخلافات والمنازعات بين الأزواج يكثر دخول أحداثها للدار، خلافاً لتلك الأحياء التي يقلُّ في بيوتها وقوع الشقاق بين الأزواج، فإن دخول أبنائهم للدار قليل جداً.

أرأيتم - أيها الأخوة - ما تُسببه نارُ المنازعة من تصدع في كيان الأسرة، وتقطُّع لأوصال المجتمع، وانهيار في بناء الأمة، ومن هنا فَطِنَ الأعداء لهذا المدخل الخطير، وبذلوا ما في وسعهم لهدم بنائه وتحطيم جدرانه، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم[3].

ما هي مقومات السعادة الزوجية؟

١- القدرة على حل المشكلات

ما من زوج ولا زوجة إلا ويريد أن يجعل من نفسه شخصاً قادراً على حل المشكلات الزوجية، والتغلب عليها، ولذا سنطيل النظر فيها لأهميتها، وعظم خطرها. ويتم ذلك في نظري بمراعاة عدة أمور:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه أحمد ٥/ ١٦٢، ١٥٣.

(٣) هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ ناصر العمر.

أ - التروي والحكمة:

عندما يمعن المرء النظر في الحياة الزوجية عند عامة الناس لا يكاد يجد بيتاً يسلم من مشكلة تخْبو نارها إلى وأخرى على إثرها يتأجج أُوارُها. وليس هذا غريباً على طبائع البشر، حتى بيت النبوة لم يكن بمنأى عن تلك الخلافات لكنها حكمة الله تتجلى في وجودها، ليظهر للناس كيف يقف المصطفى ﷺ منها، فتقتدي الأمة به، وتتأسى بهديه، ولو شاء الله لصفّى للمصطفى حياته من الكدر، ومشكلات البشر.

يروي أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بِصَحْفَةٍ فيها طعام، فضربت التي كان النبي ﷺ في بيتها يد الخادم. فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارَتْ أمُّكم»، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه(١).

فانظر - رعاك الله - إلى هذه الأناة وتلك الحكمة من هادي البشرية في معالجة الخلافات، واحتواء المشكلة قبل أن تكبر وتتعاظم.

إن من أعظم ما يجب الاستمساك به عند اندلاع نار الفتنة في بيت الزوجية هو أن يطفئ المرء نارها بماء الأناة والحكمة وإلا فإن النار قد تزداد اشتعالاً فتُهْلِك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

ولقد حدث لأحد الأزواج خلاف مع زوجته، أثار غضبها، وطلبت منه الطلاق بقوة وإلحاح، فأمرها أن تأتي بورقة وقلم ليكتب ما تريد، فجاءت بهما، فأشار عليها أن يؤجل الكتابة إلى الغد، فوافقت، فما أشرقت شمس غد حتى أشرق نور الوِفاق بينهما، بعد زوال سَوْرة الغضب، وحِدّة التوَتّر وعلمت الزوجة أثر أناة زوجها في حل المشكلة وتلافيها.

ب - التكيف:

ونقصد به: حمل كل من الزوجين نفسه على التأقلم مع صاحبه ومراعاة اختلاف طبيعته، وطريقته في التعامل.

وهذه المسألة من أخطر المشكلات التي تواجه الزوجين في بداية الزواج، كما حدثني

---

(١) رواه البخاري (فتح ٩/ ٣٢٠) والصَّحْفَة: إناء يشبع الخمسة. والخادم: واحد الخَدَم يطلق على الذكر والأنثى.

بذلك أحد المختصين، لأن كلاً منهما قد عاش في بيئة تختلف عن بيئة الآخر وعلى منهج مغاير، فهل ينتظر منهما أن يتوافقا في الأذواق والأمزجة والطبائع في غضون ليالٍ قليلة إن لم يحمل كلٌّ نفسه على التكيف مع صاحبه، خصوصاً في بدء حياتهما. وعندما ينعدم التكيف نسمع أن فلاناً طلق عروسه ليلة عرسه، وآخر فارقها بعد أسبوع، وأخرى طلبت الطلاق بعد شهر، وكان الأجدر بهؤلاء أن لو تريثوا وحملوا أنفسهم على الاختلاف الطارئ في التعامل.

جـ - ضبط اللسان:

حفظ اللسان من سيئ الكلام، وبذيء الحديث، والثرثرة أعظم مفتاح يمتلكه المرء لإغلاق باب المنازعات على نفسه، إذ لو تأمل العاقل في غالب منازعات الناس، فضلاً عن الزوجين، لوجدها من عثرات الألسن، وصدق رسول الله ﷺ، حين قال لمعاذ - رضي الله عليه -: **«وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»** (١).

نعم إن فلتات اللسان مقاتل الإنسان، وأماني الشيطان، ولذا فعلى كل من الزوجين حفظ لسانه وبخاصة عند حدوث المشكلات وارتفاع سَوْرَة الغضب، فمنه كلمة ومنها أخرى حتى يقع المحذور.

د - عدم نقل المشكلات خارج البيت:

إن نقل المشكلة خارج نطاق البيت يعني بقاءها، وازدياد اشتعال نارها، وخصوصاً إذا نقلت إلى أهل أحد الزوجين، لأنهم لا يدركون أبعاد المشكلة وأسبابها، وغالباً ما يسمعون القضية من طرف واحد، هو خصم، والخصم لا يسمع كلامه إلا بحضور خصمه، فيحكمون حكماً جائراً أعور، وقد تأخذهم الحمية لإنقاذ ابنهم أو ابنتهم، فيُضْرِمون نار العداوة والبغضاء بين الزوجين إضراماً يذهب بالبقية الباقية من أواصر المحبة بينهما.

وغالب ما يحدث من منازعات بين الزوجين إنما هي أمور طفيفة لأسباب تافهة، تقوم لسوء مزاج أحدهما في وقت معين أو نحو ذلك، ثم تُصور للآخرين بألفاظ أضخم من حقيقة المشكلة فيظن السامع لها الذي لم يعايشها أنها كبيرة ومستعصية، فتأتي على إثر ذلك حلول شوهاء، يذهب ضحيتها الزوجان. ولذلك كان من المستحسن أن يتواصى الزوجان، ويتعاهدا على عدم نقل مشكلاتهما خارج عشّ الزوجية، وأن يحرصا كل الحرص على ألا

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، والترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

تبيت المشكلة معهما ليلة واحدة.

هـ - استشارة ذوي العقول وأهل الاختصاص:

إن التشاور مع ذوي الشأن وأرباب الحِجى عامل مهمّ في كل ما يحدث من خلاف بين الزوجين، ذلك لأن غيرك يعرف من الحلول ما لا تعرفه، وقد يكون ممن وقع في حَدَثٍ مماثل فَوُفِّق للحل المناسب. وعادة ما يصاب المرء حين المشكلة بضيق في الرأي، وتعكير على صفو التفكير، يحتاج معه إلى الاستناد إلى آراء الآخرين، للخلاص مما هو واقع فيه.

وأعرف شاباً وقع في بيته حدث كاد يُودِي بالحياة الزوجية إلى أمر محزن، لولا أن الله وفقه لاستشارة صاحب رأي من إخوانه، فطمأنه إلى أنه لا مشكلة فيما حدث، إن عمل بمشورته بإذن الله، وفعلاً انقلبت المشكلة إلى سعادة ورضا، وصارت الزوجة تخجل من نفسها إذا تذكرت ما حصل منها، وحمد الزوج ربّه على الأناة، وضبط اللسان، واستشارة ذوي الشأن.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾(١).

و - الرضا بالقضاء والقدر:

إن من أعظم ثمرات الإيمان بقدر الله وقضائه، الاطمئنان إلى عدل الله وحكمته، فإن أمر المؤمن كلّه له خير، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له، والصبر على مُرِّ القضاء دليل على قوة الإيمان وهو ابتلاء من الرحمن لعبده، أيقابله بالشكر والرضا، أم بالكفر، والسخط بما قدره الله تعالى، والاعتراض على حكمته وتدبيره.

وليعلم الزوجان أن رضاهما بما قدر عليهما كعدم الإنجاب، أو ضعف الولد أو تشويهه أو نحو ذلك من أسباب المشكلات، واحتسابهما الأجر عند ربهما وصبرهما على بليتهما خيرٌ لهما في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا سعادةٌ وانشراحُ صدرٍ. وفي الآخرة جنة ورضوان من الله أكبر.

وإنه ليتقضي عجبك من قوم تسمع عن أحدهم أنه هدد امرأته بالطلاق؛ لأنها تنجب البنات. وكأنه لا يدري أن أمر الولد ليس موكولاً إليها، ولا إلى أحد من المخلوقين، بل هو

---

(١) النساء: ٣٥.

تقدير العزيز العليم ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ (١) . وكأنه أدرى بالحكمة وأعرف بالمصلحة من ربه - جل وعلا - وهذا التصرف دليل على ضعف الإيمان، وقلة اليقين .

وقد روت كتب الأخبار أن رجلاً سخط على امرأته وهجرها لأنها مئناثٌ لا تَلِدُ إلا البنات، وتزوج من أخرى، فأنشأت أبياتاً تقولها وهي ترقص إحدى بُنياتها وتبين أنه لا مجال للسخط عليها:

فأدرك الزوج خطأه، وعاد إلى زوجته، وعاشرها بالحسنى .

وقد يبتلى بعض الرجال بزوجة دميمة، فعليه أن يصبر على ما ابتلي به ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (٢) . وعليه ألا يُعَيِّر المرأة بدمامتها، وهو أمرٌ ليس من تقديرها وخلقها، وقد يؤدي مثل هذا التعيير والتنقص إلى إثارة المرأة ومحاولتها الانتقام من زوجها، كما نشرت جريدة الرياض قصة امرأة مصرية، قتلت زوجها، وقطعته عدة قطع، لأنه كان يعيرها بقبحها، ويهددها بالزواج عليها .

ومثل ذلك إذا أنجبت المرأة أولاداً معوقين، فعليه بالرضا بالقضاء والقدر، ولعل الله أراد به خيراً، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه، وعليه بفعل ما يشرع من الأسباب لتلافي مثل ذلك، وقل مثل هذا إذا أصيب أحد الزوجين بمرض أو عاهة فعلى الآخر الرضا والصبر والاحتساب، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وعلى الزوجة أن تصبر إذا افتقر زوجها بعد غنى، أو ابتلي بمصيبة من مصائب الدنيا كالسّجن والتغرب وغيرها ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ (٣) .

* * * * *

---

(١) الشورى: الآيتان ٤٩، ٥٠ .

(٢) النساء: من الآية ١٩ .

(٣) الطلاق: من الآية ٧ .

المطلب السابع:
الحث على تيسير المهور في الكتاب والسنة

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ (١) والصداق إن كان باهظاً مرهقاً فإنه عند ذلك لا يكون نحلة عن طيب نفس، وإنما يضطر إليه راغب النكاح ليسد حاجته ولينال مقصده، وجاء عن النبي ﷺ قوله: «خير النكاح أيسره» (٢).

يقول ﷺ: «خير النكاح أقله كلفة» (٣) ويقول عمر بن الخطاب: لا تغالوا في صدقات النساء؛ فإنها لو كانت مرغوبة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسولكم ﷺ؛ فإنه ما أصدق أحداً من نسائه ولا أصدقت واحدة من بناته أكثر من خمسمائة درهم أي: ما يعادل مائة ريال تقريباً.

والفضلاء الكرماء من الرجال لا يؤثر قلة الصداق في نفوسهم شيئاً، وإنما جل مقصدهم أن يتصل خاطبهم بابنتهم في حالة تنبعث من المودة والمحبة، ألا وإن اعتذار بعض الأولياء في تزويج البنات من قلة الصداق جريمة من أعظم الجرائم التي يرتكبها ذلك الأب، ولو أدرك قليلاً مما في قلب ابنته لوجد أنها تريد الزواج ولو على أدنى اليسير من لقمة العيش، ونحن في خطر ومصيبة حينما يقدم الكفء خاطباً فيرد لقلة ماله أو لقلة صداقه الذي قدم وما شابه ذلك؛ لأن الولي إذا وقف أمام الكفء في طريقه إلى الزواج من ابنته؛ فإنه بهذا يغلق طريق السعادة على ابنته لا قدر الله ذلك إن بقيت بلا زوج، أو تزوجها سفيه لا يبالي بالمرأة على أي ذنب سقطت تحت خشونته وعبثه.

ولقد جاء عنه ﷺ قوله: «من آتاكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم» (٤).

وليعلم أولئك الذين يردون الخطاب الأكفاء عن بناتهم لقلة المال أنهم حرموا أنفسهم وبناتهم خيراً كثيراً، ولو تمسكوا بأمر المال والمتاع من باب قوله جل وعلا: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ (٥) والأيامى: جمع أيم وهو الذي لا زوج له من بنت أو ولد: ﴿ إِنْ يَكُونُوا

---

(١) النساء: ٤.
(٢) رواه أبو داود عن عقبة بن عامر بسند حسن.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) النور: ٣٢.

﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[(١)] لوجدوا أن الغنى أسرع ما يكون لمبتغي النكاح قاصداً لذلك الستر والعفاف والذرية الصالحة، ما رأيكم برجل أقسم الله على نفسه أن يعينه أترونه يحتاج إلى الناس وقد أعانه الله، أترونه يفتقر إلى العباد وقد أغناه رب العباد: «ثلاثة حق على الله عونهم: - ذكر منهم - الناكح يريد العفاف»[(٢)]. فاتقوا الله يا معاشر الأولياء ولا تردوهم من أجل مال.

أيها الأحباب! إن المغالاة في المهور تجر مصائب كثيرة:

أولها: الإسراف في وليمة النكاح التي تمد لها فرش الموائد مزينة بألوان الأطعمة ولذيذ أصنافها، ولا يؤكل منها إلا القليل، وبعدها أترضى أن توزع على المستحقين والفقراء؟

لا والله، بل تقذف في الفضلات، حيث ترمى بين أنقاض التراب بعيداً في البرية، والآلاف من غيرهم يجوعون ولا يجدون ما يأكلون، وإن جاء بعد ذلك من يأكل منها بعد انصراف الضيوف عن الموائد فلن يأكل إلا أقل القليل، والباقي مصيره ما تعرفونه وتشاهدونه في كثير من الملاهي والحفلات، وإن زواجاً أوله وبدايته إسراف وتبذير في نعمة الله، واحتقار لقدرها في كتابه؛ لحقيق أن يعاقب بالفشل والفرقة في وقت قريب. وإذا تأملتم - أيها الأحباب - في واقع الزواجات المتواضعة، ذات الصداق المتواضع الذي لا كلفة فيه ولا مشقة، ترونها تسير براحة وعدم إسراف وتبذير.

وتذكروا قول المصطفى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أولم ولو بشاة» معنى ذلك: دليل على بركة الاقتصاد في هذا النكاح، وسبيل إلى التوفيق والمودة بين الزوجين فيه، ولكن الأدهى والأمر أن يأتي عائل مستكبر لا يملك شيئاً من المال إلا يسيراً، وقد تدين ذلك المال من أهل المداينات، ثم يخطب امرأة ويطلب منه من المال الشيء الكثير، ومن ثم يوافق على المهر؛ فيأخذ المهر على ما فوقه من الشروط والتكاليف، ويتم الزواج على ما يتم عليه في لحظة إسراف في الوليمة؛ فإذا انتهت أيام الولائم والأفراح وضع ذلك الزوج يده على خده، وثنى رأسه بين ركبتيه يتفكر في هم الديون العظيمة التي لحقته، فتنقلب حياته نكداً وشقاء عليه وعلى زوجته المسكينة الضعيفة، وإن من كرم الشمائل وتمام العقل أن ينظر الولي للمتقدم إلى ابنته؛ فإن قدّم مهراً كثيراً رد عليه ما زاد عن المئونة المتواضعة والكافية لحاجة ابنته، لكي يكسب بذلك أجراً عظيماً من الله، ويكون أدعى للقرب منه، لما عرف من تواضعه وزهده، أما ما شاع بين الناس أن فلاناً أخذ على ابنته من المهر كذا.

---

(١) النور: ٣٢.

(٢) سنن النسائي٣١٦٦.

فليعلم أن الذي يرغب في مصاهرته بعد ذلك ويريد الزواج من بقية بناته أنه لا بد أن يقدم مهراً كالمهر الذي قدمه غيره أو ينافسه، وإلا فلا يقبل، وبها تبقى بناته واحدة بعد الأخرى في البيت لا نصيب لها بسبب ما جره صداق الزوج الأول، وقبول الولي لذلك الصداق دون مراعاة ودراسة لحال ذلك الذي قدمه.

نسأل الله جل وعلا أن يستر على بناتنا، اللهم لا تفضح لنا ستراً، ولا تكشف لنا عورة، واستر على بناتنا واجعلهن في كنفك وسترك وعافيتك من أيدينا أمانة إلى أزواجهن سعداء شرفاء، إلى قبورهن شهداء سعداء [١].

* * * *

المبحث الخامس:
هل ترضونه لأخواتكم...؟!!

المطلب الأول:
الزواج العرفى

كثرت ظاهرة انتشار الزواج العرفى فى هذه الأيام عن ذى قبل، وكانت المرأة تلجأ إليه عادة إذا كانت متوفى عنها زوجها وتتقاضى معاشًا شهريًا من الجهة التى كان زوجها يعمل بها، لأنها لو تزوجت بعقد رسمى عن طريق المأذون الشرعى، فإن العقد سيوثق بمحاكم الأحوال الشخصية، ومن ثم فإن جهة العمل تمنع المعاش الشهرى الذى تصرفه للأرمل لدخولها فى عصمة زوج آخر يتولى الإنفاق عليها ومهما يكن الأمر فليس ولكن الأدهى والأَمَرّ. أن هذه الظاهرة الخطيرة قد تفشت كثيرًا فى هذه الأيام، وحكم الشرع فى هذا الزواج أنه باطل ويجب فسخه قبل الدخول وبعده، وحرمته ثابتة بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال العلماء وأئمة المذاهب الفقهية. وهذا كله نتناوله بمشيئة الله بشىء من البسط فى النقاط الآتية:

١) بادئ ذى بدء نقول: إن تسمية هذا النوع من الزواج باسم الزواج العرفى تسمية غير صحيحة ولا تتفق مع الحقيقة والواقع، لأن معنى كون الشىء عرفيًا أن الناس قد تعارفوا عليه وارتضوه وألفوه، وهذا الزواج لم يتعارف عليه الناس ولم يرتضوه ولم يألفوه. بل تعارفوا على الزواج الموثق الذى يكون فى النور والعلن، بحيث إنه إذا أطلق لفظ الزواج فإنه لا ينصرف ولا يعنى إلا شيئًا واحدًا عند العامة والخاصة وهو الزواج الموثق الذى يحضره الولى،

---

(١) للشيخ سعد البريك بتصرف.

ويدعى إليه القريب والغريب، ويباركه جميع الناس الأقربون منهم والأبعدون. فإن هذه التسمية خاطئة وغير صحيحة. ومن أراد أن يسميه فليكن الاسم الصحيح والمناسب له هو: الزواج الغير عرفي زاد انتشارها بين طلبة الجامعات هذا مسوغًا شرعيًا للجوء المرأة إلى هذا النوع من الزواج وتعبيرى عنه هنا باسم الزواج العرفى ليس اعترافًا به، ولكن من باب التجاوز كى أبين حكم هذا النوع من الاقتران الذى أطلق عليه الناس هذا الاسم.

الزواج العرفى:

يتم عادة من غير ولى. وقد اتفق جمهور الفقهاء على أن الولى شرط فى عقد الزواج أو ركن فيه لقوله: «**لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل**». ولقوله: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل، فنكاحها باطل**» وقد صح عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قولها: كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء. فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.. فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. وما هو نكاح الناس الذى أبقاه النبى وهدم كل ما عداه؟ إنه هو النكاح الذى يحضره الولى بدليل قولها - رضى الله عنها - "يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته" فقد أفاد الحديث أن الخاطب يخطب المرأة من وليها أو من أبيها وليس منها هى.

أما فى الزواج العرفى تتولى المرأة تزويج نفسها بنفسها. وهذا غير جائز شرعًا لقوله: «**لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها**». فأى وصف أقسى وأفحش وأشد وأشنع من الزنا توصف به المرأة التى تتزوج من غير ولى. حتى إن النبى ﷺ قد أخبر عن المرأة التى ليس لها ولى أصلا، أو لها أكثر من ولى وتنازعوا واختلفوا فى اختيار الزوج الكفء أن هذه المرأة يزوجها الحاكم أو القاضى، ولم يأذن لها صلى الله عليها وسلم فى تزويج نفسها بنفسها بنص الحديث: «... **فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى لها**» فقد أفاد الحديث ضرورة حضور الولى حتى ولو كان هو الحاكم نفسه عند فقد المرأة وليها.

الزواج العرفى هو فى حقيقته نكاح سر، لأنه يتم فى الخفاء، ولا يكفى فيه الشهود وحدهم من غير الولى لما ذكرناه. والمالكية يشترطون فى الزواج الإعلان والإشهار لقوله: «**أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف**»(١). وهنا نجد أن النبى أباح الغناء فى الزواج

---

(١) سنن ابن ماجه١٨٨٦.

لإشهاره وإعلانه . والغناء الذى أجازه النبى في الزواج هو قطعًا الغناء المباح الذى لا مجون فيه ولا إسفاف . ولم يرخص النبى في الغناء فى أى شىء أبدًا إلا الزواج .

قال الحافظ بن حجر في الفتح: وللطبرانى من حديث السائب بن يزيد أن النبى قيل له: أترخص فى هذا؟ - الغناء والضرب بالدف - قال: «**نعم. إنه نكاح لا سفاح، أشيدوا النكاح**» . و«**فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف**»(١) .

وما أشبه الزواج العرفى بنكاح الخِدْن الذى كان معروفًا فى الجاهلية وأبطله الإسلام ، وهو أن يكون للمرأة خليل فى السر يعاشرها معاشرة الأزواج . قال ابن حجر فى الفتح: وهذا النوع من النكاح هو المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ أى أصحاب وخلان . فالزواج العرفى هو هذا ولا فرق غاية الأمر أن فاعليه قد تحايلوا على حِلِّهِ بحضور شاهدين وورقة مهملة ، ثم تكون المعاشرة سرية ، ولا يكون الحرام حلالا أبدًا مهما تبجح فاعلوه وحبكوا من أجله الحيل .

التوثيق ضرورى ولابد منه حماية للمرأة وحفاظًا على حقوقها ، لأن الزواج الذى يسمى بالعرفى ، ويتم فى هذه الأيام بين طلبة الجامعات يتم بين شباب فى مرحلة المراهقة ، لا يقدر المسئولية ، ولا يقصد من وراء هذا الزواج إلا المتعة الجسدية والشهوة الجنسية لا غير ، ونكاح المتعة باطل باتفاق جماهير أهل العلم سلفًا وخلفًا ؛ لأن الزواج مبناه على السكن والمودة وإنجاب النسل والذرية ، كما أخبر عن ذلك المولى عز وجل فى كتابه الكريم . قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٢) .

فأين السكن هنا فى زواج فى الخفاء يختفى فيه الزوجان عن أعين الناس كى يتقابلا ، ويلتقيان فى مكان سرى خفية بعيدًا عن الأهل كى يقضيا الشهوة الجنسية؟ . ما الفرق بين تصرفهما هذا وتصرف الزانيين؟ إنه هو بعينه ولا فرق . وأى مودة ورحمة هنا والزوج بهذه الورقة الغير موثقة يمتلك بها الزوجة ويمنعها من الزواج برجل آخر فى العلن؟ ولما يتقدم لها زوج آخر عن طريق الأهل ويرتضونه زوجًا لابنتهم وهم لا يعلمون بخيبة أملها . بهذا الزواج السرى ، فإنها تكون أمام أحد خيارين كلاهما أَمَرُّ من الآخر: إما أن تقبل هذا الزوج خوفًا من أهلها . وفى هذه الحالة سيظهر الأول الورقة العرفية ويفضح أمرها ، وهذا سيجر عليها من المشاكل والأذى من أهلها ما لا تحمد عقباه ، وإما أن ترفض كل زوج يتقدم لها وهى بهذا تظل طوال حياتها أسيرة ورقة سرية ، وذليلة نزوة جنسية ، فتكون بذلك

---

(١) لأحمد والترمذى والنسائى من حديث محمد ابن حاطب .

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم .

معلقة، لا هى متزوجة ولا هى مطلقة، وحينئذ تعض أصابع الندم، وتتلوى حسرة ومرارة، نتيجة طيشها واستهتارها، وتفريطها فى شرفها وعرضها وماذا يفيد الندم وقد نفذ السهم، وحلت الحقيقة والواقع محل الخيال والوهم، فيبقى الْجُرْحُ نافذا لا يندمل أبدا

يقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (١).

فأين البنون والحفدة من زواج سرى يحرص فيه الزوجان كل الحرص على قطع النسل ومنعه كلية خشية افتضاح أمرهما، وكشف ذل عارهما. وفى هذا ارتكاب محظورين: الأول: هذا الزواج الباطل باتفاق جمهور الفقهاء. والثانى: منع النسل وقطعه، الذى تكون به عمارة الكون، والذى رغب المولى فى الزواج من أجله بهذه الآية، وبقوله: **«تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»**.

من مآسى الزواج العرفى أن الشاب المراهق عندما يقضى غرضه ويشبع رغبته منها يتركها ذليلة مهينة، لا حيلة لها تجاهه، ولا سلاح بيدها تحصل به على حقوقها، وما ضاع عليها من سِنِّى حياتها؛ لأنها لا تستطيع أن تخبر أهلها بهذا العار الذى وصمتهم به، والفضيحة التى لوثت بها شرفهم، كما أنها لا تستطيع أن تلجأ إلى القضاء ولا أن تدنو من ساحته لطلب حقوقها كزوجة من مؤخر صداق - وعادة لا يكون لها ذلك - ونفقة ومتعة وما إلى ذلك، فهذه الحقوق كلها قد ضاعت عليها لأن دعواها لا تسمع لعدم توثيق زواجها طبقًا للفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية، والتى تقضى بعدم سماع دعوى الزوجية عند الإنكار إلا إذا كانت العلاقة الزوجية ثابتة بوثيقة رسمية قد يلحق هذه الزوجة ضررًا أشد عليها من ضياع حقوقها المالية المشار إليها، وذلك عندما يحصل الزوج خِلْسَةً على الورقة الخاصة بها بطريقة أو بأخرى، ثم ينكر الزوجية، وهنا تكون الكارثة والمصيبة الطامة حينما تكون الزوجة حاملا منه، ولا يوجد بيدها شىء يثبت زواجها منه البتة، ولا قيمة حينئذ لشهادة الشهود المجردة عن شىء مكتوب يثبت العلاقة الزوجية، فمن حق الزوج أن يخاصم الشهود ويكذبهم أو يشترى سكوتهم فيكون الحكم الوحيد لكل الناس على هذه المرأة أنها زانية، وأن الحمل من سفاح. وهنا قد يقتلها أبوها أو يموت بسكتة قلبية حسرة وألمًا، وما إلى ذلك من المآسى والأضرار التى تكون بحجم هذا الذنب الكبير والجرم الخطير، فضلا عن المعرة التى تلازم الأهل أجيال وأجيال حتى السابع من الولد، بعد أن تمرغت أنف الأب فى التراب، ووضعت رؤوس الأخوة فى الوحل.

---

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل.

سألنى يومًا بعض الناس من أن شابًا أخرج من جيبه صورة فتاة أمام رجلين وقال لهما: اشهدا أننى تزوجت هذه الفتاة، فقالا: شهدنا على ذلك. ويظن السائل أن هذا الزواج صحيح لأنه قد أشهد عليه شاهدين. فَأَجَبْتُهُ بحرمته وبطلانه. وأقول: إن هذا فى نظر السائل هو الزواج العرفى الذى نتحدث عنه الآن، وإن كان هذا النوع الذى سئلت عنه ليس زواجًا بالمرة لخلوه من الشاهدين فضلا عن خلوه من الولى. أما خلوه من الشاهدين فلأن شهادة اثنين على صورة الفتاة بهذه الطريقة لا تكون شهادة على الزواج، لأنه يشترط لصحة العقد أن يسمع الشاهدان معًا فى مجلس واحد ووقت واحد كلا من الإيجاب والقبول، كما يشترط أن يكون المجلس متصلا. وهنا قد سمع الشاهدان إيجاب الزوج فقط وهو إبداء رغبته فى الزواج من هذه الفتاة، ولم يسمعا القبول من وليها، فلا تكون شهادة إذن، لأنهما قد سمعا أحد ركنى الصيغة وهو الإيجاب فقط ولم يسمعا الركن الآخر وهو القبول. ومن ثم فلا عقد ولا زواج كما قررنا.

إننا ننصح الشباب أن يتقوا الله فى بنات المسلمين، ويحافظوا على أعراضهن ولا يستغلونهن فيما لا يرضونه لأنفسهم، فهل يرضى الشاب ويقبل أن تتزوج أخته أو أمه أو إحدى قريباته بهذه الطريقة المزرية، وما موقفه لو فعلت إحداهن ذلك؟ إننى أسوق لشبابنا هذا الهدى النبوى الكريم لعله يتذكر أو يخشى. حينما ذهب رجل إلى النبى ﷺ يلتمس منه ترخيصًا فى اقتراف الزنا لشدة ميله إلى النساء. فقال: **«أتحب الزنى لأمك»** قال: لا، فقال: **«أتحبه لأختك»** قال: لا. قال: **«أتحبه لبنتك»** قال: لا. قال: **«أتحبه لزوجك؟»** قال: لا فقال: **«هكــذا الناس يا أخا العرب لا يحبونه لأمهاتهم ولا لأخواتهم ولا لبناتهم ولا لزوجاتهم فاتق الله أيها الشاب ولا تفض الخاتم إلا بحقه»**.

كما أننا ننصح فتياتنا وبناتنا المحافظة على شرفهن وأعراضهن، وعدم تلويث سمعة الأهل، وتعريضهم لقالة السوء والغمز واللمز بهذا الزواج الرخيص المهين، الذى يجلب الخزى والعار للآباء والأجداد، والأبناء، والأحفاد. وأن تجعل كل فتاة من نفسها مثالا لبنات جنسها فى الخلق يحتذى، وأسوة فى العفة والطهر تؤتسى، وأن تنأى عما يدنس شرفها وشرف أسرتها، وخير لها أن تخرج من بيت أبيها وقد تولى تزويجها بولايته، وحضر زفافها فى عرس علنى مشرف، وقد أدخلها بيت زوجها معززة مكرمة، وهو مفاخر بابنته التى شرفته ورفعت هامته، لعفافها وطهارة ذيلها، وحميد سيرتها[1].

* * * * *

(١) أ. د. فرج زهران الدمرداش.

المطلب الثاني:
زواج المسيار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
تعريفه

في اللغة: المسيار لغة من السير، وفي المضي في الأرض، يقال: سار يسير مسيراً وتسايراً وسيرورة إذا ذهب.

وتقول العرب: سار القوم يسيرون سيراً ومسيراً، إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا لها، والتساير تفاعل من السير، ومسيار صيغة مبالغة، يوصف بها الرجل كثير السير، تقول: رجل مسيار وسيار "لسان العرب".

وسمي به هذا النوع من النكاح؛ لأن المتزوج لا يلتزم بالحقوق الزوجية التي يلزمه بها الشرع؛ فكأنه زواج الساير أو الماشي الذي يتخفف في سيره من الأثقال والمتاعب، فالمسيار إذن هو المرور وعدم المكث الطويل.

المسيار في الاصطلاح: هو الزواج الذي يذهب فيه الرجل إلى بيت المرأة ولا تنتقل المرأة إلى بيت الرجل؛ وفي الغالب تكون هذه الزوجة ثانية، وعنده زوجة أخرى هي التي تكون في بيته وينفق عليها ،وعرفه الشيخ عبد الله بن منيع: الذي أفهمه من زواج المسيار - وأبني على فهمي ما أفتي به حوله - أنه زواج مستكمل لجميع أركانه وشروطه، فهو زواج يتم بإيجاب وقبول وبشروطه المعروفة من رضا الطرفين، والولاية، والشهادة، والكفاءة، وفيه الصداق المتفق عليه، ولا يصح إلا بانتفاء جميع موانعه الشرعية. وبعد تمامه تثبت لطرفيه جميع الحقوق المترتبة على عقد الزوجية من حيث النسل، والإرث، والعدة، والطلاق، واستباحة البضع، والسكن، والنفقة، وغير ذلك من الحقوق والواجبات، إلا أن الزوجين قد ارتضيا واتفقا على ألا يكون للزوجة حق المبيت، أو القسم، وإنما الأمر راجع للزوج متى رغب زيارة زوجته - المسيار - في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة فله ذلك.

وقيل في تعريفه: هو ا لزواج المستكمل لجميع شروطه وأركانه، فهو زواج يتم بإيجاب وقبول، وبشروطه المعروفة، إلا أن الزوجين قد اتفقا على ألا يكون للزوجة حق المبيت ولا الحقوق المالية؛ وإنما الأمر راجع للزوج متى رغب في الزيارة في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة، فله ذلك، ولعل هذا ما كان يعرف في أيام الحسن البصري رحمه الله بزواج

النهاريات ويفهم من هذا التعريف: أن الزواج يعفي من واجب المسكن والنفقة والتسوية في القسم بينها وبين زوجته أو زوجاته، تنازلاً منها فهي تريد رجلاً يعفها ويحصنها، دون أن تكلفه شيئاً، لاستغنائها بما لديها من مال وكفاية تامة..

الفرق بينه وبين الأنكحة الأخرى، خاصة العرفي والسر:

بالنظر إلى تعريفات زواج المسيار يمكن القول بأنه لا فرق بينه وبين الزواج الشرعي إلا من جهة تنازل الزوجة عن بعض حقوقها، وإسقاطها لما يجب لنا من نفقة وسكن وقسم ونحو ذلك، ولولا هذه التنازلات من قبل الزوجة لكان قريباً من الزواج الشرعي الذي جرى به التعامل بين الناس.

ولكن لما كان هذا الزواج يغلب عليه التواصي بالكتمان الذي ربما يكون وسيلة في إنكار نسب الولد، وقد يجترئ بعض الناس على التقصيرا لمشين فيما يثبت للمرأة من حقوق، وعلى هذا نرى أنه نكاح غير صحيح لما واكبه من إخلال حقوق الزوجة ومن تعريض المرأة للإساءة والتقصير، وقد بينا فيما سبق مكانة الزواج في الإسلام الذي يشترط له الإعلان والإظهار وإشاعته بين الناس بكل الوسائل.

وقفة: الفرق بين المسيار والزواج العرفي:

يمكن القول بأن الفرق بين الزواج العرفي والمسيار، أن الزواج العرفي زواج شرعي قد استكمل جميع شروطه وأركانه، وقد كان هو الزواج المتعارف عليه طيلة ثلاثة عشر قرناً بين المسلمين، وقد جاءت تسميته بالعرفي بعد أن ألزمت الدولة بتسجيل عقد الزواج في المحاكم الشرعية أو دوائر خاصة.

وعلى ذلك فالنقص الذي يكمن في الزواج العرفي كما أسلفنا هو نقص في توثيقه لدى المأذون أو السلطات القضائية لا غير، أما ماهيته فهو عقد استكمل جميع شروطه وأركانه، وترتب عليه جميع آثاره الشرعية والقانونية بما فيه ثبوت حق النفقة والمبيت، لذا فإن الفارق بين هذين النوعين في ثبوت حق النفقة والمبيت في الزواج العرفي وعدم ثبوتها في زواج المسيار، وهذا لا يعني أن زواج المسيار لا يمكن أن يكون زواجاً "عرفياً"، بل من الممكن ذلك، حينما لا يسجل لدى الدوائر القضائية، لكنه لا بد أن يكون قد استكمل جميع أركانه وشروطه المعروفة في الزواج الصحيح.

ثانياً: الفرق بين زواج المسيار وزواج السر (الذخيرة):

لكي يتضح الفرق بين زواج السر، لا من تعريف زواج السر وهو: ما يوصي فيه

الزوج الشهود بكتمانه عن زوجة أخرى أو عن جماعة ولو أهل المنزل.

وعليه، فيمكن بيان الفرق بين زواج المسيار وزواج السر، بأن زواج السر فيه إيجاب وقبول، ويشهد عليه شاهدان، ويكون فيه ولي غالباً ولكن يتواصى الزوجان والولي والشهود على كتمانه وعدم إعلانه، وفيه يثبت حق النفقة والمبيت والسكن وسائر الحقوق، ولا يسقط شيء منها كما هو الحال في زواج المسيار، غير أن الفقهاء قالوا ببطلان نكاح السر فهم إن اختلفوا في هل شرط صحة العقد الإشهاد أم الإعلان لكنهم لم يختلفوا في أن النكاح السري يشبه البغاء فيكون باطلاً.

حكمه الشرعي:

نظراً لأن زواج المسيار من العقود المستحدثة، فقد تباينت آراء العلماء في حكمه بين مبيح إباحة مطلقة، ومبيح مع الكراهة، وقائل بالتحريم، وهذا بيان الآراء بإيجاز:

الرأي الأول: إنه مباح مطلقاً، قال به عدد من العلماء المعاصرين، وعللوا بأن زواج المسيار زواج استوفى شروطه وأركانه، وخلا من الموانع فالأصل صحته، ولا ضرر في الاتفاق الحاصل بين الزوجين على قضية النفقة والمبيت والقسم. وإن حقوق المرأة مكفولة ما دام العقد مسجلاً لدى الجهات الرسمية المعنية بتوثيق العقود.

وقال فريق من العلماء بالجواز مع الكراهة وعللوا: بأن هذا الزواج لا يحقق الهدف المنشود منه وهو المودة والرحمة والسكن وإنما الذي تحقق هو: المتعة والأنس فقط وعدم تحقق كل الأهداف المرجوة قد يبطل العقد.

وأيضاً: إن زواج المسيار وإن بدا صحيحاً في الظاهر لتوافر أركانه وشروطه إلا أنه زواج تنعدم فيه مسؤولية الرجل في التربية والرعاية والإشراف والإعانة على شؤون الحياة وظروفها القاسية.

الرأي الثالث: أن زواج المسيار ممنوع وعلل من قال بذلك: بأن هذا الزواج يتنافى مع مقاصد الزواج في الشريعة إذ إن الزواج في الإسلام يقوم على أركان ثلاثة: المودة، الرحمة، السكنى، الواردة في سورة الروم الآية ٢١، وزواج لا تتوافر له هذه الأركان لا يصح، لأن هذا الأسلوب في الزواج يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[1]، على أن هذا الزواج يظهر فيه استغلال حاجة المرأة حيث يتمتع بقضاء الوطر دون أن يحقق للمرأة كل الأهداف السامية

---

(١) النساء: من الآية ٣٤.

للزواج، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١]، وفي زواج المسيار لا يتحقق للمرأة ما يثبت لها بالزواج في الإسلام والرجل في هذه الحال منتهز لرغبة المرأة في العفاف وتحصين نفسها.

ولا ريب أن الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، فأية مسؤولية تحملها مثل هذا الرجل إذ كيف يتسنى له الإشراف على تربية الأولاد وتعليمهم وحمايتهم من التشرد والضياع حيث لا تقوى الأم غالباً على متابعة أولادها في الشارع وفي المدارس، وغالباً ما يؤول هذا النوع من الزيجات إلى مفاسد وأضرار ولذلك إباحته مطلقاً قد تفضي إلى ذهاب مقصود الشارع من تشريع الزواج والأولى أن يضبط بضوابط متناسقة بحيث يلبي حاجة المجتمع مع الحفاظ على مقصود الشارع في الزواج وأن تكون الفتوى بإباحته مقتصرة على من احتاج إليه ولم يجد حلاً سواه ويجب اتخاذ الوسائل والإجراءات لمنع انتشاره في المجتمع بالرغم من عدم الجزم بحرمته أو بطلانه[٢].

* * * * *

المطلب الثالث:
نكـاح المتعـة

يحرف الشيعة آيات القرآن من أجل إثبات جواز نكاح المتعة فيروي شيخهم القمي في تفسيره ما نصه بالحرف: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ - إلى (أجل مسمى) مزيدة وليست من القرآن - فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ قال الصادق - حسب زعمهم: فهذه الآية دليل على المتعة، أي زادوا عبارة (إلى أجل مسمى) لإثبات باطلهم بإباحة نكاح المتعة، ويرون أن ذكر لفظ " الاستمتاع" بدلا من " الزواج"، ولفظ " الأجور" بدلا من" المهور" يدل على جواز المتعة، لأن الأجر غير المهر وإتيان الأجر بعد الاستمتاع، ولكن ما لا يجب إغفاله حتى نفهم مراد الآية الكريمة هو أن صدرها يتحدث عمن يباح نكاحهن من النساء المحصنات، وذلك بعد أن ورد في الآية التي قبلها المحرمات من النساء فكأن الآية إذن في النكاح، ومعناها فإذا استمتعتم بنكاح النساء ممن يحل نكاحهن فادفعوا إليهن مهورهن، والمهر في النكاح يسمى أجرا. قال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[٣]، أي مهورهن، وكون المهر إنما يكون قبل الاستمتاع لا يعارضه باقي النص

(١) البقرة: من الآية ٢٢٨.
(٢) المغني ٩/ ٤٨٤.
(٣) الأحزاب: ٥٠.

لأنه على طريقة التقديم والتأخير وهو جائز في اللغة ويكون المعنى فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن أي إذا أردتم ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾[١] أي إذا أردتم القيام للصلاة. ولو كان نكاح المتعة مباحا في المجتمع الإسلامي إبان عهد النبي لصرح الله به في كتابه ولذكر مشروعيته، وفصل أحكامه كما هو حال الزواج من الحرائر والإماء، فمن غير المعقول أن يسكت القرآن عن هذا الأمر العظيم في حين ورد فيه ذكر نكاح الإماء ثماني مرات والله يعلم أن هذا النوع من الزواج سيزول بإلغاء الرق.

لو رجع المسلمون في كل أمر عظيم إلى كتاب الله عز وجل يثقون به ويطمئنون إلى حكمه ويكتفون به لما بقي بينهم خلاف. فلنجعل القرآن الكريم مرجعنا ووسيلة اهتدائنا في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق بأخص خصائص الإنسان العربي المسلم: عرضه ونسله وشرفه.

مفتاح الاهتداء بالقرآن الكريم.

يقسم الله عز وجل آيات كتابه العزيز إلى قسمين:

١- آيات محكمات لا اشتباه فيها ولا احتمال.

٢- آيات متشابهات تحتمل أكثر من معنى.

ولقد ذكر الله عز وجل أن مرجعنا في المسائل الخطيرة هي الآيات المحكمات وحرم علينا اتباع غيرها من المتشابهات كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[٢] ونحن امتثالاً لهذا التوجيه الإلهي سنجعل اعتمادنا على محكم القرآن الكريم دون متشابهه. وبهذا نضمن الوصول إلى بر الأمان بسلام. وسنجعل البحث في قسمين:

الأول: نكاح المتعة في القرآن الكريم

والثاني: نكاح المتعة في الروايات وفتاوى العلماء.

الأول: نكاح المتعة في القرآن الكريم

كان النكاح المؤقت موجوداً عند اليهود والفرس وغيرهم وقد تسرب إلى المجتمع الجاهلي في الجزيرة فلما جاء الإسلام حرمه أول عهده في مكة بقوله تعالى في القرآن الكريم

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) آل عمران: ٧.

الذي نزل مرتين: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[1] يتبين من هذا النص المكي أن الأصل في الفروج الحرمة وأما التحليل فاستثناء لابد من ذكره فما سكت عنه فهو حرام، فقوله تعالى: ﴿ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾[2] هذا هو الأصل، أي الحرمة "إلاَّ" هذا هو الاستثناء ومحله: ﴿ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ ﴾.

هذا هو المستثنى من التحريم وهو نوعان من النكاح ماعداهما حرام، وحتى لا يدع الله عز وجل مجالاً للاشتباه أو الالتباس نص على حرمة ما عداهما بقوله الصريح: ﴿ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ فكل فرج دونهما حرام سواء استبيح بالزنا أو بالمتعة أو بالاستبضاع . . . إلخ. هذا في مكة، أي أن المسلمين لم يمارسوا هذا النكاح في العهد المكي لحرمته. ولما هاجروا إلى المدينة لم تذكر الآيات النازلة فيها بخصوص النكاح إلا النوعين الأولين الزواج الدائم ونكاح المملوكة باليمين (الأَمَة). والمتمتع بها ليست زوجة لعدم التوارث قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ... وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ... ﴾[3] ولو كانت زوجة لورثت وأورثت.

انظر الآيات في هذين النوعين في (البقرة/ ٢٢١، النور/ ٣٢، ٣٣، الأحزاب/ ٥٠، ٥٢، النساء/ ٣.

في سورة النور قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ ﴾ - أي الذين لا أزواج لهم من الأحرار - ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ - وهذا نكاح ملك اليمين ثم قال - ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[4] فأمر من لا يجد زوجة أو أمة ينكحها بالصبر والعفاف. وفيه تحريم لما عداهما. فلو كانت المتعة حلالاً لذكرها كأن يقول: (وليستمتع) لا أن يقول: (وَلْيَسْتَعْفِفِ) الذي يقتضي المنع لاسيما وأن الأصل في الفروج الحرمة.

وفي سورة النساء جاء قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ - وهذا هو الزواج الدائم ثم قال: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً ﴾ - أي

---

(١) المؤمنون: ٥ - ٧، المعارج: ٢٩ - ٣١.
(٢) المؤمنون: ٥.
(٣) النساء: ١٢.
(٤) النور: ٣٣.

الحرائر - ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [(١)] فجعل مجال التخيير محصوراً في الإفراد ونكاح الأمة ولو كانت المتعة مشروعة لجعلها موضعاً للاختيار فهي حرام إذن .

ثم جاء قوله تعالى بعد ذكر محرمات النكاح: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ - إلى قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾[(٢)] وهذان هما الزواج الدائم وملك اليمين . ولو فسرنا الأول بنكاح المتعة لما بقي للزواج الدائم الذي هو الأصل في النكاح ذكر في الآيات! وهذا غير معقول وليس من سبب يلجئنا إلى القول به سوى ما اشتبه على البعض من لفظ ﴿ اسْتَمْتَعْتُم ﴾ وهو لا ينهض حجة لأنه متشابه .

لفظ ﴿ اسْتَمْتَعْتُم ﴾ متشابه .

إن الاستدلال بالقرآن الكريم على مشروعية نكاح المتعة لا يصح لأن الموضع الوحيد فيه الذي يحتجون به عليه لفظ متشابه وليس قطعي الدلالة محكماً .

إن استحلال الفروج في الإسلام مسألة عظيمة جداً لا يصح التساهل فيها أبداً بحيث يقبل فيها من الأدلة ما تشابه ، وبما أنه لا يوجد نص واحد في القرآن الكريم صريح الدلالة على نكاح المتعة فالقول بمشروعيته باطل لأنه إتباع للمتشابه .

معنى (الاستمتاع) لغة:

أصل الاستمتاع في اللغة التلذذ: والانتفاع وهذا قد يكون بالطعام كما في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ ﴾[(٣)] ومرة يكون باللباس كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾ [(٤)] ومرة يكون بالمال المدفوع إلى المطلقات: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ ﴾[(٥)] ومرة يكون بالجماع كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ أي جامعتم لأن الجماع أخص ما يتلذذ ويستمتع به . ولقد جاء لفظ (الاستمتاع) ومشتقاته في القرآن الكريم ستين مرة لا علاقة لواحد منها بنكاح المتعة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ

---

(١) النساء: ٣ .

(٢) النساء: ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المائدة: ٩٦ .

(٤) النحل : ٨٠ .

(٥) البقرة: ٢٣٦ .

أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾[١] وقوله: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾[٢] لأن السياق يأبى ذلك وكذلك سياق سورة النساء. ما معنى الآية إذن؟

للمهر أربعة أحوال:

١- إذا حصل الطلاق قبل الدخول ولم يحدد المهر فتعطى المرأة مبلغاً من المال بحسب حالة الزوج المادية كما قال تعالى: ﴿ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ ﴾[٣].

٢- إذا حصل الطلاق قبل الدخول وقد حدد المهر فمقداره النصف كما قال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾[٤].

٣- إذا حصل الطلاق بعد الدخول ولم يحدد المهر فتعطى مهر مثلها من النساء.

٤- إذا حصل الطلاق بعد الدخول وقد حُدد المهر فهنا يجب المهر المحدد كله كما قال تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٥] أي مهما كان الاستمتاع ولو بجماع واحد. والأجور هنا معناها المهور لأن الزواج عقد فيه أجر مقابل الاستمتاع بالمرأة والانتفاع بها كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[٦].

بل إن شيخ الطائفة الطوسي قال مسفهاً من قال أن المراد بالأجر للمتعة: " وفي أصحابنا من قال: قوله: يدل على إنه أراد المتعة لأن المهر لا يسمى أجراً بل سماه صدقة ونحلة وهذا ضعيف، لأن الله سمى المهر أجراً في قوله: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٥] ومن حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكباً لما يعلم خلافه[٧]".

---

(١) الأنعام: ٢٨.
(٢) إبراهيم: ٣٠.
(٣) البقرة: ٢٣٦.
(٤) البقرة: ٢٣٧.
(٥) النساء: ٢٤.
(٦) الأحزاب: ٥٠.
(٧) تفسير التبيان ٣/١٦٦.

وكذا قال الشريف المرتضى من أعلام الشيعة وأشهرهم على الإطلاق في كتابه: " وفي أصحابنا من استدل على أن لفظة " استمتعتم " تنصرف إلى هذا النكاح المؤجل دون المؤبد بأنه تعالى سمى العوض عليه أجراً ولم يسم العوض على النكاح المؤبد بهذا الاسم في القرآن كله بل سماه نحلا وصداقاً وفرضاً وهذا غير معتمد لأنه تعالى قد سمى العوض عن النكاح المؤبد في غير هذا الموضع بالأجر في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وفي قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[١].

وهكذا سقط الاحتجاج بالآية على نكاح المتعة لأنه احتجاج بمتشابه . وكذلك فإن سياق الآية يأباه وذلك من وجوه منها: إن الآيات لم تذكر إلا نوعين من النكاح:

١ – نكاح الدائم.

٢ – ملك اليمين.

وهذا المعبر عنه (بالاستمتاع) فإذا كان المقصود بالأخير نكاح المتعة فمعنى ذلك أن الزواج الدائم لا ذكر له في هذه الآيات وهذا غير معقول فلابد من حمل اللفظ عليه دون غيره .

إن الله عز وجل لما انتقل إلى ذكر ملك اليمين انتقل من الأصعب إلى الأسهل فقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾[٢] وليس أصعب من نكاح الإماء إلا الزواج الدائم بالحرائر فإن نكاح المتعة أسهل أنواع الأنكحة فليس هو المقصود بالآية .

ما ذكر الله عز وجل من شروط لهذا النكاح في قوله: ﴿ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾[٣] ونكاح المتعة ليس القصد منه إلا سفح الماء وقضاء الشهوة وليس فيه إحصان أو حفظ للمرأة لا نفسياً ولا جسدياً ولا أسرياً ، وكذلك الرجل .

وهذا والله لهو نص صريح في المسألة ، إذ بالاتفاق أن المتعة لا تحصن .

خلو المجتمع الإسلامي النبوي من نكاح المتعة

لو كان نكاح المتعة يمارس في المجتمع الإسلامي على عهد النبي ﷺ لصرح الله عز وجل

---

(١) الانتصار للشريف المرتضى ص ١١٢ .

(٢) النساء: ٢٥ .

(٣) النساء: ٢٤ .

به في كتابه العزيز حتماً ولذكر مشروعيته أولاً ، وفصل أحكامه ثانياً كما هو الحال في الزواج من الحرائر والإماء .

ولا شك أنه لو كان مشروعاً لكانت ممارسته أكثر لسهولته فكيف يسكت القرآن الكريم عن هذا الأمر العظيم ويتكلم باستفاضة عن النوعين الآخرين وكلها مشتركة في معنى واحد هو النكاح؟! ونكاح الإماء مع ما فيه ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز ثماني مرات ولا زالت الآيات المتعلقة بشرعيته وأحكامه تتلى . بل ذكر الله عز وجل ما هو أقل منه أهمية وخطراً كالخمر وذلك مراراً في القرآن الكريم وتدرج في تحريمه حتى انتهى منه . فكيف لا يذكر الله عز وجل نكاح المتعة وهو أخطر وأهم وأكثر وقوعاً وأعم بلوى؟!

إن هذا ليس له إلا تفسير واحد هو أن هذا النكاح كان محرماً على المسلمين فلم يمارسوه في مجتمعهم وذلك من أول الإسلام والمسلمون لازالوا في مكة المكرمة كما جاء ذلك صريحاً في سورة المؤمنون وسورة المعارج .

نكاح المتعة في الروايات وفتاوي الفقهاء:

أول ما ينبغي الوقوف عنده رواية ابن عباس رضي الله عنهما في جامع الترمذي أنه قال: (إنما كانت المتعة في أول الإسلام ، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فيها فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى إذا نزلت الآية: ﴿ **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**... ﴾ [المؤمنون: ٦] فكل فرج عدا هذين فهو حرام [(١)] .

وفي هذه الرواية أن المتعة حرمت في بداية الإسلام وأنها من أمور المجتمعات الجاهلية المشركة .

وهذا يعني خلو المجتمع النبوي من نكاح المتعة . وإلى هذا أشار الإمام النووي في شرح مسلم والسرخسي في المبسوط والشيخ مخلوف في صفوة البيان وغيرهم .

قال العلامة شمس الدين السرخسي: (بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه أحل المتعة ثلاثة أيام من الدهر في غزاة غزاها اشتد على الناس فيها العزوبة ثم نهى عنها فلم يبق بعد مضي الأيام الثلاثة حتى يحتاج إلى دليل النسخ)[(٢)] .

وعلى هذا أجمعت الأمة كما نقل ذلك الجصاص في أحكام القرآن ، والقاضي عياض

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي٤/ ٢٦٩ .
(٢) المبسوط١٥٢/٥ .

والخطابي[١].

جميع الروايات الأخرى ليس فيها إلا الترخيص ثلاثة أيام فقط: مرة في خيبر ثم حرمها النبي ﷺ إلى يوم القيامة وما من شك في أن خيبر لم يكن فيها مسلمات في ذلك الوقت فالتمتع كان بنساء يهود أو المشركات وليس مع المسلمات في المجتمع المسلم. ولقصر المدة ولكونه خارج المجتمع المسلم لم ينزل فيه قرآن.

وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما أن الرخصة باقية للمضطر فعارضه كبار الصحابة ولم يعتبروا فتواه وأنكروا عليه بشدة كعلي بن أبي طالب عليه السلام حتى قال له: " إنك رجل تائه نهانا رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر"[٢].

وكذلك أنكر عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنه ونقل الترمذي والبيهقي والطبراني أنه رجع عن فتواه أخيراً مع أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يحكم بإباحتها وإنما قال هي كالميتة للمضطر وهذا يعني تحريمها عنده.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: إن رسول الله أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرمها. والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها"[٣]. وفيها أن عمر رضي الله عنه لم يحرم المتعة من عند نفسه وإنما نقل التحريم عن الرسول ﷺ نفسه. وأنها كانت لثلاثة أيام فقط ثم حرمت لا أنها كانت طيلة العهد المدني إلى خيبر كما هو شائع خطأً.

فالذي يتبين لنا أن الزيدية تحرمه وكذلك الإسماعيلية وهم يتبعون أهل البيت، وقبلهم أهل السنة.

الروايات الأخرى في تحليلها عن الأئمة مكذوبة لتعارضها مع القرآن الكريم والسنة وإجماع الصحابة وفقهاء الأمة ومنهم فقهاء أهل البيت ولضعف أسانيدها.

استنطاق تاريخ الأئمة

لا يعرف أن أحداً من أهل البيت - علمائهم وعامتهم وعلى مدى تاريخهم لاسيما في القرون الثلاثة الأولى - كان ابن متعة، ولو كانوا يبيحونها أو يوجبونها لفعلها الكثير منهم

---

(١) أحكام القرآن: ٢/ ١٥٣، المعلم: ٢/ ١٣١، شرح صحيح مسلم للنووي: ٩/ ١٨١، فتح الباري: ٩/ ٧٨.

(٢) مسلم بشرح النووي٩/ ١٨٩.

(٣) ابن ماجه رقم ١٩٦٣، ومسند الإمام أحمد: ١٣/ ٥٥٢.

ولأنجبوا لهم بنين وبنات، وبما أن هذا غير حاصل - إذ لا تذكر كتب الأنساب من أمهاتهم إلا النوعين: الزوجة الحرة الدائمة أو الأمة - فهذا دليل قطعي على عدم فعلها من قبلهم وهو يستلزم تحريمهم إياها بلا شك، فليُستنطق تاريخهم بكل وضوح وبساطة ليتبين موقفهم العملي من المتعة!، وبه يتبين كذب جميع الروايات المنقولة عنهم بإباحتها ولله الحمد.

والعجيب أن علماء الإمامية يخالفون هذا كله، بل سئل محمد محمد الصدر عن نكاح المتعة فأجاب:

مسألة (١٧٣): " هذا من ضروريات المذهب. ومن ينكره فإنما كأنه خرج من التشيع إلى التسنن أو أي ملة أخرى ودان بغير ما أنزل الله عز وجل بعد كونه منصوصاً في كتابه الكريم

وأخيرا لم تسلم الطفلة الصغير والرضيعة المسكينة من هذا الظلم فقال آية الله الخميني " لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضماً وتفخيذاً - أي يضع ذكره بين فخذيها - وتقبيلاً، وكذا أفتى بجواز مفاخذة الرضيعة المسكينة كل من الكلبايكاني ولطف الله الصافي [1]، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الخلاصة:

١- ليس في القرآن الكريم إلا تحريم نكاح المتعة.

٢- خلو المجتمع النبوي المسلم من نكاح المتعة أما الترخيص فيه فكان لثلاثة أيام في خيبر وهي خارج المجتمع المسلم.

٣- أجمع الصحابة على تحريمها بما فيهم علي وابن عباس رضي الله عنهما.

٤- أجمع فقهاء الأمة على تحريمها بما فيهم أهل البيت وهم الذين لم يكن لهم ولا لبقية أهل البيت أبناء من المتعة.

٥- إن نكاح المتعة حرم منذ الأيام الأولى من عمر الإسلام وإن تحريمه مستمر إلى يوم القيامة ولا دليل على إباحته قط إلا المتشابهات أو المكذوب من الروايات.

كيف تستطيع أمة تحترم شرف الأمهات اللواتي جعل الله - سبحانه وتعالى - الجنة تحت أقدامهن وهي تبيح المتعة وتعمل بها.

ويقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة الإمامية وهو ليس إلا أكثر من

(١) [تحرير الوسيلة آية الله الخميني ٢/ ٢٤١ مسألة رقم ١٢].

إباحه الجنس بشرط واحد فقط وهو أن لا تكون المرأة في عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين ولا تحتاج إلى شهود أو إنفاق عليها وللمده التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين ألف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد.

الفرق بين الزواج الشرعي والزواج عند الشيعة الإمامية:

شروط الزواج:

الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة:

١- يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغة العقد أمام شاهدين.

٢- يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.

٣- لا يجوز له أن يجمع أكثر من أربعة أزواج وبشروط صعبة.

٤- الزوجه ترث الزوج في حالة الوفاة.

٥- موافقة الأب شرط في صحة زواج الباكر.

٦- مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.

الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الإمامية فقط:

١- يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.

٢- الرجل في حل من نفقة الزوجة

٣- يجوز له الجمع بين أعداد لا تحصى وبلا شرط.

٤- الزوجه لا ترث الزوج.

٥- موافقة الأب ليس شرطاً في كل الأحوال.

٦- مدته قد تكون ربع ساعة أو عاما كاملا.. وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

شروط الفسخ:

عند المسلمين:

١- يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.

٢- عدة الطلاق ثلاثة شهور وعشر أيام.

٣- الطلاق لا يقع إذا كانت المرأة في حالة قرء.

٤- يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.

عند الشيعه الإمامية:

١- يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت أو وهبت المدة.

٢- عدة فسخ المدة هو عدة الجارية بعد عتقها أي نصف عدة الحرة.

٣- الفسخ يقع في كل الأحوال.

٤- الرجل في حل من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.

إن فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الاسلامية الأخرى. ولا أشك أن الغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب وأصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر.

* * * * *

المطلب الرابع:
وبعد: أختاه... هل هذا يصدقه عاقل؟؟!!!

الزواج على الطريقة العنكبوتية!!

أحبه جدًا.. لقد ملك قلبي. من؟ "فلان".. حبيبي. ومن "فلان"؟!

تعرفت عليه من خلال الماسينجر.. يقول: أنا معجب بأدبك ودينك.

وكيف عرف أدبك ودينك؟

من الماسينجر.. إنه محترم جدًا وعلى خلق.. ويتمتع بذوق عالٍ.. ولديه أموال وشركات وعقارات..

وكيف عرفت أنه محترم وعلى خلق ولديه شركات وعقارات؟!!

من الماسينجر.. إنه صريح جدًا معي!!

وكيف تأكدت من صراحته؟!!... نعم.. نعم بالتأكيد من الماسينجر!!

التطورات التقنية في حياتنا - والتي كان لها بالغ الأثر في توجيه الشعوب الإسلامية إلى الوجهة التي تريدها؛ نظرًا لأنها مستوردة، وغير خاضعة لتطويعنا ورقابتنا الشرعية، شئنا

ذلك أم أبينا - تسير بنا نحو منحى خطير للغاية، فالثقافة العربية عامةً قد صبغت بهذه الصبغة العنكبوتية "الإنترنت"، وتأثرت بها أيما تأثُّر، فصارت الحياة - والتي من أهم عوامل بقائها الأسرة والزواج - خاضعة لاختيارات ومواصفات فتيان الماسينجر وفتيات الشات.

الكلام الذي بدأنا به ليس من نسج الخيال، ولا من حواديت النساء؛ بل هو واقع وحقيقة، تحدثت به فتاة ترجو النصح، وترغب في حل لهذا المأزق الذي وضعت فيه نفسها؛ فقد حدث معها ما يتكرر كل يوم مئات المرات؛ مع مئات الفتيات في جميع أرجاء المعمورة، وهي لا تدري أهذا الشاب صادق في كلامه أم كاذب، وهل بالفعل يرغب في الزواج بها أم أن كلامه مجرد نزوة يضيع فيها الشاب وقته ويفرغ فيها شحنته العاطفية، وأتركها تروي قصتها بنفسها مع بعض التصرف مني: "تحدث إليّ الشاب وبدأ التعارف. وكان الأمر في البداية لا يعدو كونه حديثًا في الأمور الدينية البحتة، أو تناصحًا لتكميل أساسيات الدين، وكان كلما أكثر هو في الكلام تعلق به قلبي أكثر وأكثر.. حتى جاء في مرة وصرّح لي بحبه؛ بسبب أخلاقي الحسنة ولأنني أهتم بديني - هكذا زعم".

تقول الفتاة: "أحسست أنه إنسان مهذب ومحترم، وعلى قدر من الالتزام، وصرنا نتحدث كل يوم حتى ارتبطت به ارتباطًا عاطفيًا شديدًا، ولا أستطيع الآن منع نفسي من التفكير فيه، ولا أدري هل ما فعلت صحيح أم غير صحيح".

أقول: هذه هي النتيجة الحتمية لمثل هذه اللقاءات.. التعلق القلبي الشديد.. فكل من الطرفين يتحدث مع شخص لا يعرف عنه إلا ما يريد الطرف الآخر أن يظهره.. فقد تكون المسكينة قد وقعت في براثن ذئب بشري مغرق في التمثيل والنصب وهي لا تدري؛ فهو لا يُظهر لها سوى الكلمات البراقة والعبارات المنمقة الجذابة و"الأخلاق الحسنة" و"الالتزام بالدين" كما ذكرت هذه الفتاة، أما ما هو متصل بحياته - الحقيقية - وشكله وطوله وصفاته الخَلْقية والخُلُقيّة.. كل ذلك لا يعدو كونه "مجهولاً".

والنفس الإنسانية شغوفة بذلك المجهول.. تحبه.. تعشقه.. تتعلق به.. حتى وإن كان هذا المجهول وهمًا أو سرابًا، وإنما تتكون لديها راحة نفسية مؤقتة تعتري القلب بتعلقها وانتمائها إلى ذلك المجهول.

كل من الطرفين "الشاب والفتاة" ترتسم في ذهنيهما صورة مثالية لهذا القادم الجديد المجهول.. وسيم.. جميلة.. طويل.. قوامها فتان.. بيضاء.. متدين.. لا يتلفظ إلا بالحسن من الألفاظ والمقالات.. تحب تربية الأبناء وتقدّس الحياة الزوجية...

ولا يدري كل منهما أنهما قد وقعا فريسة سهلة للشيطان.. يلعب برأسيهما.. ويزين لهما المعصية في لباس جميل مطرز باللؤلؤ والذهب.. فإذا نُزع هذا الغطاء فإذا بفاحشة الزنا قد لاحت في الأفق عياذًا بالله، أو على أقل تقدير صدمة عاطفية عنيفة للفتاة خاصة؛ لأنه لم يقبل الزواج منها بعدما رآها؛ فهي لم تكن على الصورة التي تخيلها، حتى وإن كانت مقبولة الشكل.

وتلك هي المصيبة الكبرى؛ فالفتاة تعلقت بوهم هي التي رسمته وبالغت في مدحه والثناء عليه، حتى أصبح في عقلها اللاواعي حقيقة مطلقة ومسلّمة لا تقبل الجدال ولا النقاش، ومعروف أن تكرار عرض الصور على المخ - حتى وإن كانت غير حقيقية - يسهم بقدر كبير في تثبيتها كحقائق غير قابلة للزعزعة أو الاضطراب.

إن العلاقة بين الشاب والفتاة على هذا النحو في غرف الدردشة أو الشات أو على الماسينجر لا تصح بأي حال من الأحوال، إلا لاستشارة أو استفتاء - بحسب ما ذكره أهل العلم - أما فتح الباب على الغارب لكل من هبّ ودبّ ليتجاذب أطراف الحديث ويمزح ويضحك ويروّح عن نفسه ويفرغ شحنته العاطفية... فكل هذا لغو وباطل.. وما بني على باطل فهو باطل..

فعلاقة كهذه يصعب أن يكتب لها البقاء والاستمرارية مادامت مبنية منذ بدايتها على مخالفة شرعية.. فما أدراني بأن الفتاة لم تتحدث مع غيري ولم تتعلق به كما تعلقت بي.. وما أدراني أنها لن تتعلق بغيري في المستقبل بسبب حديثه المنمق وكلامه المعسول.. هكذا يقول.. وتبدأ خيوط الشك والريبة تدب بين الشخصين، الأمر الذي يتسبب في فشل العلاقة الزوجية التي نشأت بينهما، هذا على افتراض حسن نية الشاب ورغبته في الزواج.

فيا كل فتاة تؤمن برفعة الزواج ورسالته ودوره في المجتمع.. للزواج أسس ومعايير وأركان لابد أن ينبني عليها، وأهمها المعاينة المباشرة، فلا يكفي بأي حال من الأحوال سماع أحدكما لصوت الآخر، أو قراءة ما يكتبه، أو حتى مشاهدته على "الويب كاميرا"، بل ينبغي على كل منكما المعاينة المباشرة والرؤية الحالية. وأيضًا أن يسلك الخاطب المسلك الشرعي لطلب الزواج.. لا أن يتلصص بالالتفاف حول أبيك وإخوتك كما اللص الذي ينتهك الحرمات ويسرق أعز ما في البيت..

فلتنتهِ هذه المهزلة الآن.. ولتنأي بنفسك عن مواطن الفتن.. فالمرأة المسكينة - خاصة

المراهقة - تسيِّرها عاطفتها، وغالبًا ما تغلب العاطفة فيها العقل؛ فتفكر وتزن الأمور بقلبها لا بعقلها، وليس ذلك لنقص فيها، بل تلك هي فطرتها التي فطرها الله بها لحكمة رفيعة سامية، وهي تربيتها لأولادها وخوفها عليهم.. وللأسف يستغل الشباب الفاسدون هذه الفطرة فيها ليغرروا بها ويفسدوها..

فلتُنهِ هذه العلاقة فورًا.. حتى وإن كان في ذلك ألم نفسي عليك.. فلابد أن تتجرعي مرارة الدواء.. حتى لا تصابي بعضال الداء.. وتصبّري وتذكّري قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] قال الأوزاعي: "ليس يوزن لهم ولا يكال؛ وإنما يغرف لهم غرفًا". نسأل الله السلامة والسداد في الأمور كلها.

أما مواقع التزويج المنتشرة على الشبكة، فأرى أن يقتصر دورها - بعد التأكد من صدقية المشتركين بها والباحثين عن الزواج، وذلك بفرض التزامات صارمة على المشتركين لضمان الجدية وعدم التلاعب - أرى أن يقتصر دورها على مجرد التوفيق بين الباحثين ليقابل كل منهما الآخر ولا يكتفيان بمجرد التعارف على الشات أو الماسينجر، فإن افترضنا صحة نية الطرفين فلن نضمن الكذب أو التدليس من أحدهما سواء في الشكل أو الأخلاق أو الإمكانات المادية... أو غيره، وقد يحدث تعلق قلبي من خلال المحادثة دون أن يكون أحدهما مناسبًا للآخر، وهذا ليس قدحًا في تلك المواقع ولا تخوينًا لها، ولكن أخذًا للاحتياط؛ فإن بعض من يدخلونها قد يتخذونها مطية لتكوين علاقات آثمة مع الطرف الآخر..

* * * * *

المطلب الخامس:
أختاه..... عودى إلى القدوة

تربية الرسول ﷺ لبناته رضي الله عنهن:

أجمع المؤرخون أن للنبي - ﷺ - أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن هن: فاطمة عليها السلام، ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وزينب تزوجها العاص بن الربيع - رضي الله عنه - ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان - رضي الله عنه - تزوج أم كلثوم بعد وفاة رقية.

و الحكمة من أن النبي - ﷺ - أباً للبنات - الله أعلم بها - ويرجعها البعض لأسباب:

منها: أن البنت في عُرف العرب قبل الإسلام عار يستحق الدفن حياً قال الله

تعالى: ﴿ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١) .

جاء في تفسير هذه الآية: بأن الكظيم هو الكئيب من الهم ، ويمسكه على هون: أي يبقى البنت مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها .

فشاء الله أن يكون النبي محمد - ﷺ - أباً لبنات ليكون القدوة للمؤمنين فيما ينبغي للبنت من حقوق ومكانة لائقة أقرها لها الدين الإسلامي الحنيف .

فأبوة الرسول - ﷺ - لبناته حدثاً جديداً في حياة المرأة ، وفي هذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ماأنزل وقسم لهن ما قسم .

ومنها: أيضاً - والله أعلم - (حتى يكون النبي - ﷺ - بعيداً عن تهمة الاستنصار بالولد ، والاعتماد عليه) كما هي عادة العرب في ذلك الوقت . بل أن ما جاء به من دين نُشر في الأرض لأنه هو الحق ولا حق سواه ، والحق دائماً أظهر وأقوى .

وقد كان العربي في الجاهلية يترقب الأولاد للوقوف إلى جانبه ومساندته ، والدفاع عن الحوزة وحماية البيضة ، أما البنت فكان التخوف من عارها يحملهم على كراهتها حتى بعث الله نبينا محمد - ﷺ - بالدين الإسلامي خاتم الأديان الذي ارتضاه الله عزَّ وجل لعباده قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾(٣) .

فحفظ الإسلام للبنت حقوقها وأنزلها المنزلة اللائقة بها ووعد من يرعاها ويحسن إليها بالأجر الجزيل وجعل حسن تربيتها ورعايتها والنفقة عليها سبب من الأسباب الموصلة إلى رضوان الله وجنته ، جاء في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضم أصابعه(٤) .

يلاحظ في هذا الحديث أن النبي - ﷺ - ضم أصابعه ، ولم يفرق بينهما كناية عن شدة قرب من عال جارتين من الرسول - ﷺ - في الجنة . وفي الحديث الآخر عن عائشة - رضي

---

(١) النحل: ٥٨ .
(٢) آل عمران: ٨٥
(٣) المائدة: ٣ .
(٤) أخرجه مسلم .

الله عنها - قالت: "دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي - ﷺ - علينا، فأخبرته فقال: **«من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»** أي حجاباً ووقاية من النار (١).

أيُّ فضل أعظم من هذا الفضل! وأيُّ أجر أعظم من هذا الأجر!.

وعلى الرغم من هذا الأجر العظيم الوارد في فضل تربية البنات والإحسان إليهن إلاَّ أن هناك من الناس من لا يُسر لمولد البنت - والعياذ بالله - فيظهر الهمَّ والحزن! وما هذا إلا جهل واعتراض على قدر الله، والبعض يفرط ويقصر في تربية وتوجيه بناته ولا يرعاهن الرعاية المطلوبة منه.

ولو أن الإنسان تفقه في دين الله ووقف عند حدوده واقتفى أثر الرسول - ﷺ - في كل أمر من أمور حياته لعاش مطمئناً مرتاح البال قرير العين، ولعرف كيف يعبد ربه وكيف يتعامل مع إخوانه، وأهله، وزوجته، وكيف يربي أولاده فالحمد لله أنه ما من خير إلاَّ ودلنا ديننا الإسلامي الحنيف عليه وما من شر إلاَّ وحذرنا منه.

تربية النبي - ﷺ - لبناته في مرحلة الطفولة: من هديه - ﷺ - في تربية بناته في مرحلة الطفولة أنه كان يُسَّر ويفرح لمولد بناته رضي الله عنهن فقد سُرَّ واستبشر - ﷺ - لمولد ابنته فاطمة رضي الله عنها وتوسم فيها البركة واليمن، فسماها فاطمة، ولقبها بـ (الزهراء) وكانت تكنى أم أبيها.

وفي هذا درس عظيم من دروس السيرة النبوية بأن من رزق البنات وإن كثر عددهن عليه أن يظهر الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه وتعالى على ما وهبه من الذرية، وأن يعزم على حسن تربيتها، وتأديبها، وعلى تزويجها بالكفء "التقي" صاحب الدين حتى يظفر بالأجر الجزيل من الله. ففاطمة - رضي الله عنها - كانت البنت الرابعة للنبي - ﷺ -، وهي أصغر ذريته - ﷺ -.

وفي مرحلة الطفولة يلزم الأبوين الاهتمام بالطفل وتوفير كافة الاحتياجات الخاصة بهذه المرحلة، الحاجات الجسمية والنفسية؛ وبالذات الأم فعليها تقع المسؤولية الكبرى في رعاية أولادها في مرحلة الطفولة فهم أكثر ما يكونون التصاقاً بها وقد حرصت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - على تربية ورعاية أولادها منذ ولادتهم (وكانت إذا

---

(١) متفق عليه.

ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه في البادية حتى ينشئوا على الفصاحة والشجاعة كما كانت عادة قريش، لا كما يفعله بعض الأمهات في زماننا من دفع أولادهم إلى الخادمات والمربيات الأمر الذي قد يحصل معه خلل في عقيدة الطفل وسلوكه.

وفي هذه المرحلة - مرحلة الطفولة - يجب على الأبوين أن يلقنا البنت مبادئ الإسلام، والعقيدة الصحيحة، وتلاوة القرآن الكريم، والصلاة، والتعوّد على لبس الحجاب حتى تنشأ البنت على ذلك منذ نعومة أظفارها.

رعاية النبي - ﷺ - لبناته في مرحلة الصبا.. وإذا كبرت البنت قليلاً وجب على والديها أن يعلماها حقوق الله سبحانه وتعالى، وحقوق الوالدين، وحقوق الآخرين وحسن الخلق وحسن التصرف في شتى الأمور، وعلى المحافظة على لبس الحجاب والتستر والبعد عن أعين الرجال حتى تنشأ البنت على التربية الإسلامية الصحيحة تعرف ما يجب لها وما يجب عليها.

مع الأخذ في عين الاعتبار إعدادها لما هو منتظر منها من دور هام في الحياة بأن تكون زوجةً صالحة، وأماً حانية تربي أولادها وتعدهم لأن يكونوا صالحين مصلحين؛ "لأن للمرأة المسلمة أثراً كبيراً في حياة كل مسلم، فهي المدرسة الأولى في بناء المجتمع الصالح، وخاصة إذا كانت هذه المرأة تسير على هدى من كتاب الله في كل شيء.

وإذا قربت البنت من سن البلوغ (التكليف) يجب أن تدرب على أن تكون زوجة، وأماً وهذه هي سنة الله في خلقه وعلى الأم تقع مسؤولية ذلك، فقد بادرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - بتمرين ابنتها الكبرى زينب - رضي الله عنها - عندما كبرت على المشاركة في أعمال البيت والتدريب على الأمومة فكانت (زينب) لشقيقتها الصغرى فاطمة أماً صغيرة ترعى شؤونها وتمضي فراغها في ملاعبتها.

إن الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لأهلها وعون لبعلها، وكمال لبنيها، أهلها بها يفتخرون، وأولادها بها يسعدون، ومن ذا الذي لا يسرّ فؤاده بابنته الأديبة التي تدبر الأمور المعاشية بالمعرفة، وتدير الحركة المنزلية بالحكمة، ويجد في مجالستها أنيساً عاقلاً وسميراً كاملاً.

تزويج النبي - ﷺ - لبناته:

الزواج سنة من سنن الله في خلقه، وأمر مرغوب فيه حثّ إليه ديننا الحنيف ودعى إليه قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[(٢)] وامتثالاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله - ﷺ - يجب على الأب أن يزوج بناته ولا يعضلهن ويمنعهن من الزواج لأي سبب من الأسباب فواجب الأب أن يزوج ابنته وأن يختار لها الكفء من الرجال والكفء معروف هو صاحب الدين والخلق قال النبي - ﷺ - : «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[(٣)].

وقد زوج النبي - ﷺ - جميع بناته من خيرة الرجال: فزوج زينب - رضي الله عنها - من أبي العاص بن الربيع القرشي - رضي الله عنه - وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد وأبو العاص كان من رجال مكة المعدودين مالاً، وأمانة، وتجارة.

وقد أثنى النبي - ﷺ - على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته خيراً وقال: "حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي" وكان قد وعد النبي أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها.

ومما يدل على شهامته وصدقه قصة إسلامه - رضي الله عنه - فقد كان في تجارة لقريش إلى الشام وفي طريق عودته إلى مكة المكرمة لقيته سرية فأخذوا ما معه، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب - وقد كانت في المدينة وفرق بينهما الإسلام فهو لم يدخل في الإسلام بعد - فاستجار بها فأجارته وخرجت والنبي - ﷺ - صلى بالناس الفجر فقالت: "أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع" فلما سلم الرسول - ﷺ - أقبل على الناس فقال: «**أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟**» قالوا: "نعم" قال: «**أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وأنه يجير على المسلمين أدناهم**» ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فدخل على ابنته زينب فقال: «**أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**» قال: وبعث - ﷺ - فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: "لا فقد وجدناك وفياً". قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلاَّ تخوف أن يظنوا أني

---

(١) الروم ٢١.

(٢) النحل٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي.

إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

وقد زوجه النبي - ﷺ - من ابنته زينب عندما طلبت منه أمها خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - أن يزوجها له فوافق النبي - ﷺ - على طلبها ، لما يعرف من رجاحة عقلها وثقتها بابن أختها فكانت تعده بمنزلة ولدها .

وهنا درس نبوي كريم في تزويج البنات هو أنه لا مانع من أخذ رأي والدة البنت والتشاور معها ففي ذلك إكراماً لها واعترافاً بحقها .

وزوَّج النبي - ﷺ - رقية من عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الخليفة الراشد الزاهد الجواد السخي الحيي ، وكان من أبرز أخلاقه وأشدها تمكناً من نفسه خلق الحياء ، الذي تأصل في كيانه ؛ لذا فقد أشاد الرسول - ﷺ - بهذا الحياء الواسع العميم فقال: **«إن عثمان رجلٌ حييّ»** ، وقال - ﷺ - : **«ألاَّ أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**(١) .

وكان النبي - ﷺ - يحبه كثيراً فلما توفيت رقية - رضي الله عنها - زوجه النبي - ﷺ - بأختها أم كلثوم ولما ماتت أم كلثوم قال النبي - ﷺ - : **«لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان»** .

وزوَّج فاطمة - رضي الله عنها - من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ابن عمه - ﷺ - وكان أول من آمن برسول الله - ﷺ - من الصبيان ، وكان قد تربى في حجر الرسول - ﷺ - قبل الإسلام ولم يزل علي مع رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله نبياً .

يقول ابن كثير رحمه الله: "كان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله - ﷺ - لعمه العباس ، وكان من أيسر بني هاشم: "يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق حتى نخفف عنه من عياله" ، فأخذ رسول الله - ﷺ - علياً فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه" .

و البنت أمانة في بيت والديها ولابد أن تنتقل إلى بيت زوجها يوماً ما ، وقد أوجب لها ديننا الإسلامي الحنيف حق الاستئذان في الزواج فلا يحل لوليها أن يعقد لها على رجل تكرهه قال النبي - ﷺ -: **«لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتنكح البكر حتى تستأذن»** . قالوا: يا رسول الله ، وكيف إذنها؟ قال: **«أن تسكت»**(٢) .

---

(١) اخرجه مسلم .

(٢) اخرجه البخاري .

فكلمة تستأمر في حق الثيب تفيد طلب الأمر فلا يعقد عليها إلاَّ بعد طلب أمرها وإذنها بذلك، وكلمة تستأذن في حق البكر تعني طلب إذنها وموافقتها على النكاح، وإذا عقد الأب لابنته وهي كارهة فالعقد مردود "عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله - ﷺ - فرد نكاحها"[١].

و كان النبي - ﷺ - يستشير بناته قبل تزويجهن فعندما خطب علي - رضي الله عنه - فاطمة - رضي الله عنها - قال لها الرسول - ﷺ -: **«إن علياً يذكرك»** فسكتت فزوجها[٢].

وهنا يجب على الآباء أن يتأكدوا من موافقة البنت قبل إجراء العقد لها.

ويخطئ بعض الآباء من ترديد كلمة نحن أعلم بمصلحتها - لا شك - أن الأب يفوق ابنته في الخبرة، وطول التجربة في الحياة، ومعرفة الرجال ولكن على الرغم من ذلك يجب عليه أن لا يحيد عن تعاليم الإسلام، ولا يجبر ابنته على رجل تكرهه بل عليه أن يستأذنها ويعرف رأيها قبل إجراء عقد النكاح، وفي ذلك خير كبير حيث تشعر البنت بكيانها وأهميتها وتبدى رأيها في الرجل الذي ستنتقل إلى بيته وهو أدعى لدوام السعادة والوفاق لاقتناع كل من الطرفين بصاحبه فالزوج أباح له الإسلام النظر إلى من ينوى نكاحها، وهي كذلك تراه وتستشار في الموافقة على إجراء العقد وهذه من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف.

صداق بنات النبي ﷺ:

والصداق في الزواج حق من حقوق الزوجة يدفعه لها الزوج قال الله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤] وسنة النبي - ﷺ - وهديه عدم التغالي في الصداق، بل إن خير الصداق أيسره، قال الإمام ابن القيم - يرحمه الله -: "إن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته وعسره" فقد زوَّج النبي - ﷺ - بناته على اليسير من الصداق فبعد أن تمت الموافقة على زواج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من فاطمة حُب رسول الله - ﷺ - وأصغر بناته جاء إلى النبي - ﷺ - فسأله النبي: **«ما تصدقها؟»** فقال علي: "ما عندي ما أصدقها" فقال الرسول - ﷺ - : **«فأين درعك الحطمية التي كنت قد منحتك؟»** قال علي: "عندي". قال النبي - ﷺ - : **«أصدقها إياها»** فأصدقها وتزوجها وكان ثمنها أربعمائة درهماً[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

هذا هو صداق بنت رسول الله - ﷺ - وحبه وأصغر بناته سيدة نساء أهل الجنة.

وما يفعله بعض الناس في زماننا من التغالي في المهور هو أبعد ما يكون عن هدي رسول الله ﷺ وهو أمر خطير له أضراره على الفرد وعلى المجتمع والدين الإسلامي دين اليسر والسهولة.

وفي أمر الزواج لا يقتصر اليسر على الصداق بل يمتد إلى الوليمة التي يُشهر بها الزواج وهي أمر دعى إليه الإسلام وحثّ عليه فكان النبي - ﷺ - يولم في زواجه باليسير من النفقة، فعن صفية بنت شيبة قالت: "أولم النبي - ﷺ - على بعض نسائه بمدين من شعير".

وكذلك في زواج أصحابه رضي الله عنهم فعن أنس - رضي الله عنه -: "أن النبي - ﷺ - رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، قال: «ما هذا؟» قال: "إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب"، قال: **«بارك الله لك، أولم ولو بشاة»**[1].

وفي زواج بناته رضي الله عنهن كذلك مظهر من مظاهر اليسر في الوليمة ففي ليلة زواج فاطمة رضي الله عنها قال الرسول - ﷺ -: **«يا علي لا بد للعروس من وليمة»**. فقال سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: **«عندي كبش»**. وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة وأولم الرسول - ﷺ[2].

رعاية النبي - ﷺ - لبناته بعد الزواج:

يختلف الناس في النظر إلى علاقة البنت بوالديها بعد الزواج: فمنهم من يرى أنه يجب على الأبوين أن يتركوا البنت وشأنها بعد الزواج لدرجة أن علاقتهم بها شبه مقطوعة فلا تزاور من طرف الأهل، بزعمهم أن هذا أدعى لسعادتها الزوجية واستمرار العلاقة بينها وبين زوجها وأهله.

وفي المقابل نجد أن هناك من الأسر من يتدخل في حياة ابنتهم بشكل مباشر فيتطلعون إلى معرفة كل صغيرة وكبيرة في حياة ابنتهم، ولهذا التدخل سلبياته التي تؤدي إلى إفساد الحياة الزوجية، لدرجة قد تصل إلى الطلاق! فما هو الهدي النبوي في هذا الجانب من حياة البنات؟.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

كان النبي - ﷺ - يزور بناته بعد الزواج ويدخل عليهن الفرح والسرور، فقد زار النبي - ﷺ - فاطمة - رضي الله عنها - بعد زواجها ودعا لها ولزوجها بأن يعيذهما الله وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ولم يكن يشغله - ﷺ - عن بناته - رضي الله عنهن - شاغل بل كان يفكر فيهن وهو في أصعب الظروف وأحلكها فعندما أراد النبي - ﷺ - الخروج لبدر لملاقاة قريش وصناديدها كانت رقية - رضي الله عنها - مريضة فأمر النبي - ﷺ - زوجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن يبقى في المدينة؛ ليمرضها وضرب له بسهمه في مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة.

ويجب على الأب أن يحافظ على بيت ابنته وسعادتها مع زوجها وأن يتدخل إذا لزم الأمر ويحرص على الإصلاح بينها وبين زوجها بشكل يضمن إعادة الصفاء إلى جو الأسرة.

فقد حدث أنه كان بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وزوجته فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - كلام فدخل عليهما النبي - ﷺ - حتى أصلح ما بينهما.

وأحياناً يقع الطلاق على الزوجة ظلماً وعدواناً، عندها تحزن البنت كثيراً ويحزن أهلها لحزنها، والعزاء في ذلك أن ابنتي الرسول - ﷺ -: رقية وأم كلثوم طلقتا من عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب ظلماً بدون سبب إلاَّ أنهما صدقتا ما قاله النبي - ﷺ -: من أنه أوحي إليه وأنه نبي هذه الأمة، الكلام الذي أغضب قريش فقد تزوج عتبة بن أبي لهب من رقية بنت رسول الله - ﷺ - فلما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] قال أبو لهب: "رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنت محمد ففارقها قبل الدخول".

ولم يكتف أبو لهب بذلك بل أمر ابنه عتيبة أن يطلق أم كلثوم بنت النبي - ﷺ - ظناً منه أنه بذلك يستطيع أن يشغل النبي - ﷺ - عن دعوته.

هنا درس للبنات وللآباء بأن يصبروا ويحتسبوا الأجر من الله جلَّ وعلا، وأن ما وقع من الطلاق ظلماً ما هو إلاَّ ابتلاء سوف يعوضهم الله خيراً فقد عوض الله ابنتي الرسول - ﷺ - خيراً من عتبة وعتيبة، عوضهما زوجاً صالحاً كريماً هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة وثالث الخلفاء الراشدين، فقد تزوج عثمان - رضي الله عنه - برقية وبعد وفاتها تزوج بأختها أم

كلثوم قال الله تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً ﴾ (١).

وقد يحدث أن يفقد الأب بعض بناته بموتهن فالموت نهاية كل حي وهو المصير المحتوم الذي لا مفر منه قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ (٢).

وليعلم من ابتلى بفقد إحدى بناته أن الرسول - ﷺ - فقد جميع ذريته من الذكور والإناث ولم يبق بعد وفاته إلاّ فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وهديه - ﷺ - في وفاة بناته رضي الله عنهن، أنه كان يحزن لوفاتهن وتذرف عيناه الدمع على فراقهن، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - في نبأ وفاة أم كلثوم - رضي الله عنها - "شهدنا بنتاً لرسول الله - ﷺ - قال: ورسول الله - ﷺ - جالسٌ على القبر، قال فرأيت عينيه تدمعان، وقال: «**هل منكم رجل لم يقارف الليل؟**» قال أبو طلحة: "أنا" قال: «**فانزِل**» قال: "فنزل في قبرها" (٣).

والدموع هذه ليست دموع جزع وسخط من قضاء الله وقدره - والعياذ بالله - إنما هي دموع رحمة وشفقة تذرف من عيون الرحماء، روى أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: "أرسلت ابنة النبي - ﷺ - إليه: أن ابناً لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تقسم ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ ابن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال فرُفع إلى رسول الله - ﷺ - الصبي ونفسه تتقعقع - قال: حسبته قال: كأنها شن - ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» (٤).

ومن هديه - ﷺ - في وفاة بناته - رضي الله عنهن - أنه كان يشرف على غسلهن وتكفينهن، ويصلى عليهن ويدفنهن، ويقف على قبورهن ويدعو الله لهن. فعن أم عطية - رضي الله عنها - قالت: "دخل علينا رسول الله - ﷺ - ونحن نغسل ابنته فقال: «**اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك بماء وسدر**

---

(١) النساء: ١٩.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

واجعلن في الآخرة كافوراً. فإذا فرغتن فآذنني» . فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوة فقال: «أشعرنها إياه»[١] .

وفي كيفية الغسل قالت أم عطية – رضي الله عنها – قالت: "لما غسلنا بنت النبي – ﷺ –، قال لنا ونحن نغسلها: «ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»[٢] .

وكان – ﷺ – يقف على قبر من توفي من بناته ويدعو لها فقد كانت رقية – رضي الله عنها – مريضة أثناء غزوة بدر فأمر النبي – ﷺ – زوجها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بالبقاء إلى جانبها لتمريضها . ولما عاد – ﷺ – من الغزوة وقد ماتت ابنته رقية ، خرج إلى بقيع الغرقد ووقف على قبرها يدعو لها بالغفران

فنسأل الله تعالى أن يصلح بناتنا ويرزقهن العفاف والستر والاقتداء بأمهات المؤمنين وبنات الصادق الأمين ﷺ .

* * * * *

(١) سنن الترمذي ٩١١ .
(٢) أخرجه البخاري .

الباب الثانى:

المــرأة المسلمــة والحجاب

تمهيد

وجوب الحجاب على المرأة، وتحريم إبدائها لزينتها:

إن الحجاب شريعة محكمة قد أوجبها الله على المؤمنات كما قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) ، فجمع سبحانه في هذه الآية بين الغاية وهو حفظ الفروج والوسيلة لذلك وهو غض البصر ، وستر الزينة ، ونهى عن إبدائها ولو بالحركة التي تدل عليها ، وفي هذه الآداب التي اشتملت عليها هذه الآية صيانة لكرامة المرأة ، وسدٌ لذرائع الفساد في المجتمع ليكون المجتمع المسلم طاهراً وسالماً من فشوّ الرذيلة فيه ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(٢) .

فيجب على المرأة المسلمة أن تعمل بوصايا ربها ، وأن تتوب من كل ما يخالف ذلك لتفوز بالصلاح والفلاح قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) ، وذلك لا يتحقق إلا بثياب الحشمة وهي الساترة لجميع بدنها ، غير ضيقة ولا شفافة ، وإذ قد أجمع العلماء على وجوب ستر المرأة لشعرها ونحرها ورجليها ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(٤) ، فستر الوجه الذي هو مجمع المحاسن أوجب وأوجب ، ولا يجوز أن يُتخذ خلاف بعض العلماء وسيلة لاستباحة ما قام الدليل على تحريمه ، فإن الواجب عند التنازع الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(٥) .

ومن المصائب التي حلت بالمجتمعات الإسلامية فشوّ السفور والتبرج الذي هو مطلب

---

(١) النور: ٣١ .
(٢) الأحزاب: ٣٣ .
(٣) النور: ٣١ .
(٤) النور: ٣١
(٥) النساء: ٥٩ .

للكفار والمنافقين وفسّاق المسلمين، ولأن ذلك مفتاح لما يريده الكفار بالمسلمين من الانحلال وفساد الأحوال وهو طريق الفاسقين لنيل شهواتهم المحرمة، قال تعالى في بيان مراد الكافرين والفاسقين:

﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴾(١)، والميل العظيم لا يتحقق إلا بشيوع الفاحشة، ودواعيها مما يفضي إلى استحلالها كما وقع في بعض البلاد الإسلامية من إباحة القانون للزنا إذا كان عن تراضٍ، وتعطيل الحدود التي شرع الله لمنع هذا الفساد المدمر للأمة!

وقد سلك الكفار وتلاميذهم للوصول إلى غاياتهم؛ طريق التدرج، فبدأوا في بلادنا بمحاربة ستر المرأة وجهها مستغلين للخلاف في ذلك، ثم بتشويه عباءات الحشمة، والإغراءات بعباءات الفتنة من مخصّرة وقصيرة مع التشبه بالرجال بوضعها على الكتف، ولن يقف أولئك عند ذلك.

ثانياً: وجوب قرار المرأة في بيتها فلا تخرج إلا لضرورة أو حاجة مباحة أو عمل مشروع على وجه ليس فيه مخالفة لما فرض الله من الآداب على المرأة المسلمة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾(٢) ولقد هُيّئ للمرأة في عصر الحضارة الغربية كل الأسباب التي تلغي من الواقع واجب القرار في البيت، ونفّر المستغربون المرأةَ من القرار في البيت حتى شبهوا البيت بالسجن، ووصفوا التي لا تخرج الخروج المنشود لهم بأنها محبوسة بين أربعة جدران.

فيجب أن يعلم أن مَن طعن في شرع الله وعارضه فهو كافر، ومن خالفه بعمله فهو عاصٍ؛ ولقد كان مما تذم به المرأة أن تكون خرّاجة ولاجة - وهي التي تكثر الخروج من غير حاجة - والتي هذه حالها، صفو حسنها، وتصنعها للشارع؛ ومكان العمل والاجتماع، وكدرها لبيتها وزوجها، وبئست المرأة هذه، ومما تمدح به المرأة قرارها في بيتها مع قيامها بحقوق ربها وزوجها وأولادها ونعمت المرأة هذه.

هذا ومن أقبح خداع المستغربين وتغريرهم للمرأة المسلمة، تعظيمهم للعاملة خارج المنزل حتى ولو كانت مضيفة في طائرة، وتهوينهم من عمل المرأة في بيتها قياماً بحق زوجها وتربية أولادها مع أنه هو الأصل والأعظم أثراً في الأمة والأجدى في تحقيق التوازن بين الرجل والمرأة.

---

(١) النساء: ٢٧.
(٢) الأحزاب ٣٣.

ومن هؤلاء المخادعين من يلبس فيدعي أن المرأة قادرة على أن تجمع بين واجباتها في المنزل وواجباتها الوظيفية، وهذه الدعوى أول من يكذبها النساء المتصفات من العاملات، وأدلّ شيء على ذلك أن أي امرأة عاملة لا بد لها أن تستقدم امرأة تخلفها في البيت إلا ما ندر.

وإمعانا في المكر وتمويه الحقائق تشويهاً للحق وتزيناً للباطل يقوم دعاة التغريب في وسائل الإعلام بالإشادة والتبجيل بمن يكون لها تميّز في الخروج عن حدودها الفطرية والشرعية ولو بعمل لا يمكن أن تمارسه النساء إلا في صورة شاذة كقيادة الطائرة، وكذا الإشادة ببناتنا في مزاولة الأعمال المدنسة لكرامتهن كالتمثيل مع الرجال وكالغناء والعمل مع الرجال سكرتيرة وغيرها من الأعمال المختصة بالرجال، ولصحيفة عكاظ والوطن والرياض تميز في هذا الباطل.

ثالثاً: وجوب تميز النساء عن الرجال وذلك بعدم الاختلاط في العمل والتعليم والمتنزهات، وباجتناب كل عمل يؤدي إلى ذلك كالعمل في الإعلام وشركات الطيران والمصانع والمستشفيات، فإن الاختلاط بين الرجال والنساء في هذه المجالات ونحوها يشتمل على أنواع من المنكرات كالسماع والنظر الحرام والخلوة المحرمة والتبرج والسفور، وكل هذه أسباب تجرّ إلى الفاحشة.

ولهذا جاءت الشريعة بسد هذه الأبواب، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[1]، ومن الأماكن التي يجب على المسلمة أن تحذرها المشاغل النسائية، ومحلات التخسيس!! فإن هذه الأماكن وإن كانت مخصصة للنساء فإنها غير مأمونة لأنه يرتكب في بعضها أو كثير منها أمور محرمة - بعلم المرتادة لهذه الأماكن أو بغير علمها - كالتصوير وكشف العورات التي لا يحل النظر إليها ولا من المرأة إلى المرأة بل قد يصل الأمر إلى كشف العورة المغلظة ومسّها عند التدليك، مع أن كثيراً من العاملات في هذه الأماكن مدربات على قلة الحياء، بل ومنهن الكافرات مما يجعل هذه الأماكن بؤراً للفساد ومصيدة لأصحاب الفجور، فالتردد على تلك الأماكن سبيل إلى خلع ثوب الحياء، بل والوقوع في الفاحشة الكبرى.

وبعد فمن المعلوم أن أعظم باب دخل منه على المرأة المسلمة لتغريبها بنزع حجابها وإخراجها عن قرارها والزج بها في بحر الاختلاط، هو التعليم العصري المستمدة خططه

---

(١) الإسراء: ٣٢.

وأهدافه وصيغته من منظمة اليونسكو، ومن أفكار تلاميذ الغرب المفتونين بهم المنفّذين لأهداف الكفار من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لكن لتعليم المرأة في المملكة تميز فرضه واقع المجتمع فإن هذا التميز - بزعمهم - في طريقه للاضمحلال على سبيل التدرج حسب استعداد المجتمع للتغيير المرسومة خططه سلفاً، وأبرز ما تم في ذلك دمج تعليم البنات مع تعليم البنين تحت وزارة واحدة وما ينشأ عن ذلك، مما يحقق مكاسب لهواة التغريب، وهذا لأن تعليم المرأة في المملكة كان في نشأته مشروطاً ومحدوداً، ولم يزل يُطور حتى ذهبت الحدود وخفت القيود، ولم يبقَ من تميزه عن التعليم في سائر المجتمعات المغرّبة إلا عدم الاختلاط في الأعم الأغلب مع ما تميزت به المملكة في تعليم البنين والبنات من عناية بالعلوم الشرعية.

ولسنا بهذا ننكر تعليم المرأة، التعليم الذي يربي فيها الأخلاق الكريمة، ويجعلها بصيرة في دينها قادرة على تربية النشء التربية الصالحة، بل هذا مما جاءت به شريعة الإسلام التي اشتملت على الفضائل والكمالات وما به صلاح الدنيا والآخرة ومن كمال الشريعة أن جاءت من الأحكام بما يناسب كلاً من الرجل والمرأة بحسب طبيعته وتكوينه لأنها تنزيل من حكيم حميد، وهو أعلم بما يصلح عباده فلا يجوز أن نسوي المرأة بالرجل في أسلوب تعليمها، ولا فيما تتلقاه من العلوم أو تزاوله من الأعمال لاختلاف وظيفتيهما واستعدادهما العقلي والجسدي.

أعداء العفة:

إن أول حاجز حاول الغربيون وأتباعهم من أنصار تحرير المرأة اختراقه هو حاجز الحجاب، إذ اعتبروا أن في ستر الرأس إهانة للمرأة ولكرامتها الإنسانية وعائقاً يمنعها من مشاركة الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية، ودعموا مزاعمهم بحالة التخلف الفكري والثقافي عند المرأة المتحجبة اليوم في بعض أقطار الجزيرة العربية والخليج العربي، والواقع أنه لا تلازم بين الاثنين فلا مجال للربط بين حجاب المرأة وتخلفها لأن ما حصل لهؤلاء النسوة ليس سببه الإسلام بل يعود إلى "ظروف استعمارية وفكرية معينة، وليس أسهل على المصلحين إذا أرادوا الإصلاح الحقيقي من أن يفصلوا بين الواقعين بوعي إسلامي سديد، يؤيد الستر والاحتشام ويدفع إلى التزود من العلوم والثقافة النافعة، ويجعل من كل منهما عوناً للآخر".

وأكبر دليل على هذا الفصل هو تفوق كثير من فتياتنا الجامعيات المتحجبات بحجاب الإسلام، المستمسكات بحكم الله عز وجل، وهنّ مع ذلك " أسبق إلى النهضة العلمية

والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات . . . وإن كل مُطَّلِع على التاريخ يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللواتي جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً ، وعلماً وثقافة وفكراً ، وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك إلى عصرنا الذي نعيش فيه " .

أما ثاني مزاعمهم فهو رفضهم الربط بين الحجاب والعفة ، فيقولون: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها ، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها ، وكم من فتاة متحجبة عن الرجال في ظاهرها هي تمارس معهم البغي والفجور في سلوكها ، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها وسلوكها . إن هذا الكلام فيه شيء من الصحة فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة ، ولا أن تخلق له استقامة معدومة ، وربّ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها ، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة لتخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟ ومن هذا الذي يزعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟

إن الله عز وجل إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها ، لا حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها . . .

فالمرأة عندما تستر زينتها بالحجاب ولا تتبرج تبرج الجاهلية تكون بذلك قد سدّت باب الفتنة من ناحيتها ويكون لغض بصر الرجل دور في إخماد الفتنة ومنع تأجج الشهوات التي تؤدي إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات ، ثم لنتساءل: هل المرأة التي لا تلتزم بالشرع وتخرج من بيتها سافرة قد غطت وجهها بالمساحيق ، هل هي حقاً حرة؟ " أم أنها أسيرة من حيث لا تدري ، وإلا فبماذا نفسر عدم قدرتها على مغادرة المنزل إلا بعد أن تسحق بشرتها بأنواع السحوق . . . " .

وبماذا نفسر العري الإباحي الذي يأبى أن يستر إلا مساحة قليلة من الجسد ، هل يدل تصرف مثل هذا على التحرر الفكري لمن تمارسه ، أم يدل على سعي حثيث للفت نظر شباب يجدون في اتباع موضة رخيصة تحرراً وعصرنة؟ ويعتبرون من تحافظ على حشمتها مثالاً للرجعية والتخلف؟

إن مثل هذا النوع من النساء نوع جاهل إذ تعتقد الواحدة منهن أن ما تفعله من تبرج وزينة يمكن أن يجلب إليها الأنظار أو يجلب لها الأزواج ، لا ، إن الواقع غير هذا تماماً ، فالرجل الشرقي قد يعجب بالشكل واللباس الإباحي لمتعة النظر واللمس أحياناً أما عند

الزواج فإن الأمر يختلف، وقد وصف د. محمد سعيد رمضان البوطي حال رجل اليوم بقوله: إن الرجال اليوم " نظروا فوجدوا فرص المتعة الخلفية المستورة قد كثرت أمامهم بفعل بحث النساء عن أزواج لهن في المجتمع، وأعجبهم الوضع.. فازدادوا تثاقلاً وزهداً في الزواج، لتزداد النساء بحثاً عنهم وسعياً وراءهم، وهكذا كان سعي المرأة في البحث عن الزوج أهم سبب من أسباب فقدها له".

*****

الفصل الأول:
الأنثى والضعف والحجاب

وإذا كان العنصر الأنثوي يختزن بعض الضعف في شخصيتها انطلاقاً من الجانب العاطفي الأكثر بروزاً في مشاعرها، أو الجانب الجسدي الذي لا يستطيع تحمل المهمات الشاقة أو حمل الأثقال كما هو الرجل، فإن ذلك لا يمنع من تحويل هذا الضعف إلى قوة، بتربية الفكر بالمعرفة، وتقوية العقل بالممارسة، وإضعاف العاطفة بالوعي القائم على مواجهة الأمور بطريقة موضوعية من خلال منهج تربوي عملي متوازن، وتدريب الجسم على اكتساب القوة بدرجة معقولة، فقد رأينا في الواقع الكثير من النساء اللاتي يملكن صلابة الإرادة وقوة الموقف ووعي الواقع أكثر من الكثيرين من الرجال الذين أهملوا إمكانات القوة في شخصياتهم، ما يعني أن نقاط الضعف في التركيبة الإنسانية ليست من الأمور الذاتية المرتبة بالتكوين الإنساني الذي لا يقبل التغيير بل هي من الأمور الطبيعية القابلة للتكيف والتطور من خلال الجهد الإنساني في الدائرة الإيجابية أو السلبية.

وإذا كان البعض يرى الحجاب وما يستتبعه من قيود والتزامات عملية لا يسمح بالحركة القوية المتوازنة للمرأة، لأنه يمنعها من الاختلاط بالرجل، والاندماج في المجتمعات العامة، ما يؤثر تأثيراً سلبياً على حركتها في المشاركة في صنع الحضارة الإنسانية في مواقعه المتنوعة.

إذا كان البعض يطرح القضية في هذا الاتجاه، فإننا لا نجد ذلك مانعاً من القيام بالدور الملائم لإمكاناتها والتزاماتها، فهناك الدائرة النسائية الواسعة التي تحتاج إلى عناصر نسائية مثقفة واعية متحركة، من أجل القيام بمهمة التوعية والتثقيف والتعبئة الروحية، والنشاط السياسي والاجتماعي، انطلاقاً من حاجة المرأة إلى ذلك في القيام بواجباتها ومسؤوليتها الإسلامية في حركة الحياة، لأن إهمال هذا الجانب من المرأة، من خلال إهمال دور المرأة الداعية إلى الله، المتحركة في اتجاه خط التغيير وإبعادها عن ذلك. وابتعاد الرجل عن القيام بهذا الدور كنتيجة للحواجز الشرعية المانعة من انفتاح الرجل على المرأة، لا بدَّ أن يؤدي إلى

مجتمع نسائي متخلّف من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية، منحرف من الناحية الدينية على مستوى الالتزام والانضباط في طريق الله. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الإسلام لم يمنع من الاختلاط بين الرجال والنساء بشكلٍ إلزاميّ، إلاّ في الدائرة التي تؤدي إلى الانحراف الأخلاقي، أما الاختلاط المتوازن الذي يضع الحدود الأخلاقية في نطاق متوازن، فإنه لا يبتعد عن الإباحة الشرعية على أساس التربية الإسلامية التي تعمل على تأكيد الالتزام الإسلامي في شخصية كلّ من الرجال والنساء. ولعل كثيراً من التجارب التي عاشتها المسيرة الإسلامية في الماضي والحاضر، تدلّ على أن قضية الانضباط في الحدود الشرعية ليست أمراً بعيداً عن الواقعية فيما هي التجربة الإنسانية الحية.. وإذا كان البعض يقدّم بعضاً من الوقائع السلبية في الدائرة الأخلاقية في مسألة الاختلاط، فيما تمثّله من انحرافات عن الخطوط الشرعية، فإنا لا نجد في ذلك مشكلة كبيرة في ما نعالجه، لأن سقوط التجربة في بعض المواقع ليس بدعاً من الأمور في كل الدوائر الأخلاقية العامة في المجتمع كله، لأنّ طبيعة الضعف الإنساني قد تفرض الانحراف بفعل الغفلة من الاحتراس من السقوط، حتى في الدائرة الذاتية الفردية في دائرة الرجل أو المرأة، فقد لا تخلو أيّة حالة إنسانية من ذلك كله.. ما يستدعي العمل على تأكيدِ الضوابط في النطاق الاجتماعي والفردي من دون حاجة إلى إلغاء أيّ تجربة في نطاق المسؤولية في أيّ جانبٍ من جوانب الحياة العامة والخاصة، لأنها لا تنفصل في بعض مفرداتها عن الانحراف بدرجة وبأخرى.

وقد يثير البعض مسألة الأمومة كمسألةٍ مهمةٍ أساسيةٍ فيما هو الدور الإسلامي البارز للمرأة، بل ربما يكون هو الدور الإنساني الأبرز لها من خلال الالتزامات الطبيعية التي تفرضها أوضاعه المعقّدة من الحمل والإرضاع والتربية.. فقد نستوحي من هذه المسألة تأكيد أصالة الدور الإنساني للمرأة في شخصية الأم في حياتها، بالإضافة إلى شخصية الزوجة في ذلك الدور. ويؤكد البعض على الموانع التي تمنع المرأة من ممارسة أيّ دور آخر في النطاق الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي، ما يعني للمرأة، أنّ عليها أن تقوم بدور الاختيار بين دورها كزوجة وأمّ لا بدّ من أن ترعى زوجها وأولادها، وبين دورها كعاملة في الحقول العامة لا بد لها من أن ترعى الأمة كلها بنشاطها العام. فلا مجال لإيجاد حالة من التوازن بين الدورين، فلا بد أن يطغى جانب على جانب، بحيث قد يلغيه في بعض الظروف العامة.

ولكننا نتصوّر أنّ الأمومة في مسؤولياتها ومشاكلها كالأبوة في بعض هذه المسؤوليات والمشاكل، وإن اختلفت عنها في الطبيعة، فيما هو الحمل والإرضاع والتربية للأولاد والخدمة لهم وللزوج في البعد الواقعي العملي للمسألة ما لا يعيشه الأب أو الزوج ولا يستغرق فيه.. غير أن المسؤولية الشرعية التي يحمّلها الإسلام للزوج وللأب في الإنفاق على

البيت الزوجي ورعاية الزوجة والأولاد، تأخذ أكثر الوقت، وتستهلك أكثر من الطاقة. فالمسألة في هذه الدائرة العائلية متقاربة في ضغوطها ومشاكلها، ولا تقلّ إحداهما عن الأخرى في حجم المسؤولية.

غير أن ذلك لا يمنع الرجل من أن يملك بعض حرية الحركة في ممارسة شخصيته كإنسان، وكمسلم، فيما تفرضه عليه إنسانيته من نشاطات عامة وخاصة على مستوى الثقافة والاجتماع والسياسة، في ما يحتاجه المجتمع الإنساني من حوله، أو في ما يفرضه إسلامه من دعوةٍ وجهادٍ وتقويةٍ وتنميةٍ في حركة الإسلام كرسالة، أو في واقع المسلمين كمجتمع أو كأمة، ولذلك فلا بدّ له من رعاية ذلك في عمله تبعاً للإمكانات التي يملكها من وقت أو جهد، لأنّ الإنسان لا يتجمد في دوره كزوج أو كأب، بل إن الزوجية أو الأبوة تمثّلان عنوانين من عناوين العلاقات الإنسانية التي أراد الله لها أن تحرّك الحياة في حلقات متصلة، في الوقت الذي يفرض فيه الإسلام عليهما الخضوع للخطوط الكبرى التي تحكم كل العناوين الإنسانية في حركة الإنسان.. وعلى هذا الأساس، فلا بدّ من العمل في الدائرة العامة من أجل حماية الواقع كله من كل الاهتزازات والثغرات والأوضاع السلبية التي تنحرف به عن الخط المستقيم الذي يريده الله للإنسان في حركته الفاعلة في الحياة.. وهذا هو الذي يفرض عليه أن يعطي جهده للرسالة في ما تحتاج إليه من جهدٍ فكري وعملي للوصول إلى الأهداف، الأمر الذي يدفعه إلى أن يجعل لوقته مساحة احتياطية للعمل العام في نطاق العمل الخاص في مفرداته المتصلة بحاجات الرسالة، أو نطاق العمل العام في تطلّعاته الواسعة إلى الآفاق الرحبة.

وهكذا نواجه المسألة في شخصية المرأة - الزوجة، أو المرأة - الأم، فإن ذلك لا يلغي شخصيتها كإنسان لا بدّ أن تضيف إلى الإنسانية شيئاً من عطائها الثقافي والاجتماعي والسياسي في المجالات التي تستطيع أن تحرّكها في هذه الاتجاهات، ولا يجمّد حركتها كمسلمة يحتاجها الإسلام في دعوته وجهاده وحركته العملية من أجل التغيير.. ما يفرض عليها أن تحتفظ للإنسانية في عنوانها العام، وللإسلام في حركته الشاملة، ببعض من وقتها وجهدها خارج نطاق مسؤوليتها كزوجة وأم. وربما كانت نشاطاتها في الحقل العام تؤكد حيوية المعنى الإنساني والإسلامي في نشاطاتها في حقل الزوجية والأمومة.

إن التأكيد على مهمة المرأة في دور ربّة البيت، كالتأكيد على مهمة الرجل في دور "رب البيت"، لا يلغي ضرورة التحرك في الخطّ الإنساني الممتد في واقع الإنسانية على هدى انفتاح الإسلام على كل قضاياه الكبيرة والصغيرة في استقامة الطريق في خطّ الأهداف، وفي

الوقوف في وجه الانحراف.

وهـذا هـو مـا نـستوحيه من الآية الكريمة التي تحمّل المؤمنات مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تحمّل المؤمنين ذلك، وتتصاعد القضية في إيحاءاتها الاجتماعية لتؤكّد على الانـدماج الإنساني الإسلامي في الولاية، بحيث يكون بعضهم أولياء بعض في العمل والنـصرة والتأيـيد والتعاون في كل المجالات المشتركة، وذلك هو قولـه تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِـنَاتُ بَعْـضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِـنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

إنهـا صـورة المجتمع المؤمن المتكامل في وقوف المؤمنين والمؤمنات معاً في علاقة الولاية المنفـتحة علـى المسؤولية في مـواجهة الانحراف الاجتماعي والسياسي والعقيدي المتمثل في إهمـال المعـروف وتـشجيع المنكر، ليتحركوا جميعاً في وحدة إيمانية شاملة في إعادة الحياة إلى خـطّ المعـروف وإبعادهـا عـن خـطّ المنكـر، وذلـك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في كل شيء مما تتضمنه رسالة الله في حركة العقيدة في مفاهيمها وامتداد الشرعية في أحكامهـا، وذلـك هـو وحـده الـذي يمـنحهم رحمـة الله ويدخلـهم جنته الخالدة في نعيمها ويرفعهم إلى الدرجة الكبرى التي تتقدّم على ذلك كله، وهي رضوان الله الذي هو غاية كل مـؤمن ومؤمـنة في كل وجوده في الحياة. ونجد، بإزاء هذه الصورة المشرقة المتحركة في آفاق رحمـة الله ورضـوانه، صـورة أخـرى، وهـي صـورة المنافقين والمنافقات، في الواقع السلبي المنحـرف الـذي يمـثله المجـتمع القـائم على الارتباط العضوي بين المنافقين والمنافقات بحيث يتـصل بعـضهم بـبعض ويقوّي بعضهم بعضاً في إبعاد الحياة عن المعروف وتقريبها من خط المنكر، وفي منعها عن الانفتاح على العطاء، وفي نسيانها لله الذي يهملها ويهمل أهلها في ما يوحـي بـه نـسيان الله لهـم، وذلـك قولـه تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُـرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ * وَعَـدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(٢).

إنه المجتمع الذي تتكامل فيه عناصر الانحراف لتبتعد به عن الله، حيث يتحوّل النفاق في

---

(١) التوبة: ٧١، ٧٢.
(٢) التوبة: ٦٧، ٦٨

الرجال والنساء إلى وضع شاذ يعرِّض أصحابه إلى نار الجحيم، حيث يتساوى المنافقون والكفار في استحقاقهم لغضب الله، وهكذا نجد كيف يتحدث القرآن عن الرجال والنساء معاً في حياتهم الحركية بعيداً عن الأبوَّة والأمومة والزوجية، في الدائرة الإيجابية والسلبية، من دون أن يجعل للرجال دوراً أكبر أو أخطر من دور النساء، أو يعزل أياً منهما عن مسؤوليته في واقع الحياة في خط الاستقامة أو الانحراف، ما يعني أن الأدوار العامة في حياة الرجال والنساء لا تغيب عن مسؤوليتهما الإنسانية في غمرة انشغالهما بالأدوار الخاصة فيما هي الأمومة والأبوّة والزوجية، بل ربما كان الدور العام هو الذي يمنح الدور الخاص مضمونه الإنساني أو الرسالي فيما يترك من تأثيراته الإيجابية على فكر الإنسان وروحه، فيمتد إلى واقعه العملي بكلِّ قوة وإيمان.

* * * * *

المبحث الأول: بناتنا والحجاب

إن الحجاب هو أحد أهم القضايا الإسلامية... وعلى الرغم من ذلك فإن حاله بين المسلمين اليوم يدعو للحسرة، والاستغاثة بمدبر الأمور؛ فقد بدأت نسبة لا بأس بها ممن يرتدين الحجاب في التراجع التدريجي عنه، ومسخه بشكل يُفقده الهدف منه؛ ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة، منها المشكلات النفسية الناتجة عن التفكك الأُسَري، أو انشغال الوالدين، أو ضعف الإيمان، أو قلة التوكل على الله عز وجل؛ ومنها الانقياد لشياطين الإنس والجن، أو الاكتفاء بالحجاب باعتباره غاية المنتهى في طاعة المرأة لربها... فإذا عُرف السبب بطُل العجب، وأصبح حل المشكلة أيسر.

أما الأجيال الجديدة القادمة، فيمكننا أن نتدارك أمرها بتعليمها حب الحجاب منذ الصغر، فتنشأ الفتاة وهي تحلم بيوم بلوغها سن التكليف لتتشرف بارتداء حجابها، إرضاءً لربها، واعتزازاً بعفتها وحيائها... فتصير لؤلؤة مكنونة وجوهرة مصونة كما أراد لها الله سبحانه!

١- ما هو الحجاب؟

هو ما يحجب مفاتن المرأة وعوراتها، التي تتمثل في كل جسدها ما عدا الوجه والكفين... والدليل: حديث عائشة رضي الله عنها، الذي قالت فيه: إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا**

بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا» وأشار إلى وجهه وكفيه [(١)].

شروطه:

ألا يصف (يكون فضفاضاً).

وألا يشِفّ (لا يُظهر ما وراءه).

وألا يلفت النظر(ألا يكون به من الحُلي والزينة - أو أن تكون ألوانه - مما يخطف البصر).

وألا يكون معطّرا.

وألا يشبه ملابس الرجال.

وألا يُقصد به الشهرة والتباهي به أمام الخلق.

فالمقصود من الأمر بالحجاب إنما هو ستر زينة المرأة، فلا يعقل حينئذ أن يكون الحجاب نفسه زينة[(٢)] ولا يعقل أن تعتقد المرأة أن قدميها ليسا بعورة فتظهرهما؛ أو تحاول إخفائهما بجورب شفاف يزيدهما حُسنا!

٢ - لماذا الحجاب؟

أ - لأنه أمرٌ صريح من الله ورسوله، وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب قائلاً: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[(٣)] وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾[(٥)].

أما أمر الرسول الكريم به فهو حديث عائشة المذكور سابقا.

ب - لأن الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول ﷺ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[(٦)].

---

(١) حديث ضعيف.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) النور: ٣١.
(٤)الأحزاب: ٣٣.
(٥)الأحزاب: ٥٩.
(٦) الأحزاب: ٣٦.

فهو بالتالي فرض على كل مسلمة بالغة كما جاء في القرآن والسنة .

ويكفي أن نعلم عن ثواب الطائعين لله ما جاء في القرآن الكريم:

- ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (١) .
- ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ (٢) .
- ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ (٣) .
- ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (٤) .
- ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٥) .

ج - لأن الحجاب إيمان:

فالله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات فقال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

د - لأنه يميز العفيفة عن غيرها ، فتسلَم من المضايقات ، وتعرُّض الفساق لها بالأذى ؛ لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (٦) .

هـ - لأن الحجاب حياء وستر ، والله حييٌّ يحب الحياء ، ستِّير يحب الستر قال ﷺ في الحياء: «إن لكل دين خُلُقاً، وإن خلق الإسلام الحياء» وقال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة» ؛ وقال: «الحياء خيرٌ كله» .

و - لأن جسد المرأة أمانة أعطاها الله تعالى إياه ؛ وما أحراها بأن تحافظ على هذه الأمانة ، فلا إيمان لمن لا أمانة له .

---

(١) النساء: ١٣ .
(٢) النساء: ٦٩ .
(٣) النور: ٥٢ .
(٤) الأحزاب: ٧١ .
(٥) الفتح: ١٧ .
(٦) الأحزاب: ٥٩ .

ز - لأن الحجاب تكريم، فلقد كرم الله سبحانه بني آدم على سائر المخلوقات بعدة أشياء منها ستر عوراته، حياً وميتاً؛ وحجاب المرأة ستر لعوراتها، فكيف تهين نفسها؟!!

ح - لأن الحجاب طهارة، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(١) .

ولعله - سبحانه - وصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات لأن العين إذا لم تر لم يشتهِ القلب، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب(٢): ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٣) .

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٤) .

ط - لأن الحجاب غيرة:

فهو يتناسب مع الغيرة التي جُبل عليها الرجل السوي الذي يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حرب نشبت في الجاهلية والإسلام غيرة على النساء وحمية لحرمتهن، قال علي رضي الله عنه: "بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج - أي الرجال الكفار من العجم - في الأسواق ألا تغارون؟ إنه لا خير فيمن لا يغار".

ولعل فيما حدث عند مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عبرة، وعظة لكل ولي أمر من المسلمين، فقد حاولت زوجته "نائلة" أن تدفع عنه الثوار بخلع خمارها، لعلهم إن رأوها استحوا وانصرفوا، ولكن عثمان أبى وقال: " والله لأن أُقطَّع تقطيعاً أحبُّ إلي من أن يرى رجل منك خصلة شعر واحدة"!!

٣ - ما هو حب الحجاب؟:

هو أن تشعر المرأة بأن الحجاب جزء من جسدها، وأنه سترها، وأداة حيائها وعنوان عفتها، وطريقها لحب الله تعالى لها، وسُلَّمها إلى الجنة.

٤ - لماذا نسعى لترغيب بناتنا - منذ الصغر - في الحجاب؟ :

أ - لأن الآباء والأمهات أو المربين سوف يقفون بين يدي الله تعالى ويسألهم عن بناتهم

---

(١) الأحزاب: ٥٣ .
(٢) فضيلة الشيخ" محمد ناصر الدين الألباني". حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة .
(٣) الأحزاب: ٣٢ .
(٤) الأعراف: ٢٦ .

كيف ربينهم ولماذا لم يأمروهن بطاعة الله، يقول ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» هذا بشكل عام، أما بالنسبة للرجال من أولي الأمر كالزوج والأب والأخ فإذا لم يأمر نساءه بالحجاب ويرغبهن فيه أصبح ديوثا أي لا يغار على حرمة نساءه ﷺ، والديوث لا يدخل الجنة.

ب - لأن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل التكليف بها أي قبل بلوغهم؛ فالصلاة مثلاً فرض عين على كل مسلم ومسلمة ولكن الرسول ﷺ أمرنا بأن ندربهم عليها منذ السابعة، ونضربهم عليها في العاشرة، وذلك قبل بلوغهم سن التكليف؛ وقد اختص الرسول ﷺ الصلاة من بين العبادات لكونها عماد الدين[(١)].

والحجاب - كالصلاة - فريضة على المسلمة، بأمر صريح من الله ورسوله كما تقدم.

ب - لأننا لو أطلقنا لهن الحرية منذ الصغر في ارتداء ما يشئن - تقليداً لغيرهن من غير الملتزمات - دون حزم أو توجيه، فسوف يعتدن هذا، ثم يفاجأن - حين يصلن لسن التكليف - بمن يأمرهن بالحجاب، فتكون كالصدمة بالنسبة لهن، مما يؤدي لصعوبة الأمر عليهن وعدم قدرتهن على تنفيذ هذا الأمر؛ بينما لو علمناهن حبّ الحجاب والاقتناع به منذ الصغر لطلبن ارتداءه من تلقاء أنفسهن، قبل أن يؤمرن بارتدائه[(٢)].

ج - لأنهن لو لم يُحببنه ويقتنعن به منذ الصغر؛ فقد يرتدينه بالإكراه خوفاً من أولي الأمر، مما يؤدي إلى تحايلهن - بعيداً عن أعين أولي الأمر - بشتى الطرق لمسخه وإخراجه عن وظيفته - كما حدث حين انقسمت المحجبات إلى فئات - أو حتى خلعه، وهذا يتنافى مع ديننا السمح، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما أن هذا يتنافى مع تعليمهن تقوى الله في السر والعلانية.

كيف ندرب بناتنا على حب الحجاب؟

قبل الزواج:

إن أولى وأهم الخطوات هي التي يقوم بها الرجل حين يختار لبناته أُمّاً ذات خُلق ودين تكون قدوة متحركة؛ فإذا تربت البنت في أحضان هذه الأم كان الحجاب أمرا بديهيا بالنسبة لها، وقضية لا جدال فيها، وأمنية غالية ترنو لتحقيقها.

(١) محمد سعيد مرسي. فن تربية الأولاد في الإسلام، ج٢؛ ص ١٢٩.

(٢) سعاد عبد الرحمن الولايتي. عوديها الحجاب: مقالة على موقع لها أون لاين.

بعد الزواج:

على الوالدين أن يبنيا بيتهما على أساس من الود، والاحترام، والتفاهم حتى ينشأ الأبناء في جو هادئ مستقر؛ مما يبعدهم عن المشكلات النفسية التي تؤدي بهم إلى التنفيس عما يحسون به، بالتمرد والعصيان ومخالفة الأهل.

كما ينبغي أن لا يتوقف الوالدين عن الدعاء لله تعالى بأن يهبهم ذرية صالحة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في عدة مواضع منها: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وفي موضع آخر: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤] ولعل هذا الأمر ضروري لأن الشيطان أقسم قائلاً: ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [١].

مرحلة الأجنة:

إن تقرُّب الأم الحامل إلى الله تعالى بالطاعات المختلفة من شأنه أن يشيع في نفسها السكينة والاطمئنان... هذه المشاعر تنتقل بقدرته - سبحانه - إلى طفلتها التي تصبح مهيئة للطاعة حين تنمو وتكبر.

بعد الوضع، وحتى سنتين:

من البداية، ينبغي أن تحرص الأم على تعليم ابنتها الحياء لأنه أساس الحجاب، ولأنه - كما قال ﷺ - : «خيرٌ كله» [٢]، وكما قال: «لا يأتي إلا بخير».

فلا تغيِّر الأم حفاضات طفلتها أمام أحد، أما حين يبدأ تدريبها على ضبط الإخراج فتعلمها - بلطف ومزاح - أن تغطي عوراتها؛ وأن لا تخلع ثيابها أمام أحد، ولا تظن الأم أنها صغيرة، فالطفل يعي ويدرك ولكنه لا يستطيع التعبير، وكلما بدأت معها الأم مبكرة بهذا الأمر كان أفضل.

بعد ذلك يأتي دور القدوة حيث يكون الطفل متلهفا لاستكشاف العالم من حوله، فحين ترى الطفلة أمها تجري إلى غرفتها لارتداء حجابها لأن شخصا من غير المحارم جاء فجأة لزيارتهم، وحين تلحظها لا تطل من النافذة أو تفتح باب الدار إلا بعد ارتداء الحجاب، وحين تتأملها وهي تربط حجابها بإحكام وإتقان - وهي تستعد للخروج - خوفا

---

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب٧٧.

من أن يظهر منها شيء، وحين تعلم أن أمها لا تتعطر إلا في بيتها، وأمام المحارم فقط؛ ستتلهف تلقائياً لتقليد أمها وتحاول أن تقف أمام المرآة لتجرب أغطية الرأس، وعندها يجب أن تنتهز الأم هذه الفرصة وتقول لها:

" ما أجملك بالحجاب يا ابنتي، إنه يضفي عليك نوراً؛ هل تعلمي أنك حين تكبرين سأشتري لك العديد من أغطية الرأس الملونة الجميلة لتكوني مثل أمك مسلمة طائعة؟ "

كما أنها إذا رأت أمها تغض البصر عن المحارم، أو عن منظر مُخلٍ بالأدب في أي مكان؛ وتستأذن قبل الدخول حتى على أولادها؛ فإن ذلك يكون أمراً طبيعياً بالنسبة للطفلة، مما ييسر عليها الاستجابة حين توجهها الأم لذلك فيما بعد.

من ثلاث إلى خمس سنوات:

في هذا العمر يكون تقليد الكبار من الأمور المفضلة لدى الطفل، لذا فإن عمل طرحة صغيرة مزركشة بلون تفضّله الطفلة وتختاره بنفسها؛ لترتديها حين تصحب والدتها إلى المسجد للصلاة أو حضور درس، أو حين تريد تقليد أمها فتصلي معها أو بمفردها، يكون بمثابة تمهيد لحب ارتداءه فيما بعد؛ كما أن هذا يعين الإبنة أن تصبح عوناً لأمها، فإذا رأت بعضاً من شعر الأم يظهر دون أن تدري سارعت بتنبيهها، وإن جاءهم شخص من غير المحارم فجأة؛ سارعت بإخبار أمها لكي تستتر، أو أحضرت إليها ملابس الصلاة... وهكذا.

وفي هذا العمر أيضاً تكون الطفلة - في الغالب - قد تعلمت ضبط الإخراج، لذا يجب أن تعلم أن لها خصوصيات، فلا تقضي حاجتها إلا بعد إغلاق دورة المياه بإحكام؛ ولا تغير ملابسها إلا في مكان مغلق.

وينبغي أن تعرف أن بعض الناس لا يفعلون ذلك لأن أحداً لم يخبرهم أو لأنهم ليسوا مهذبين مثلنا؛ فإذا رأت أحداً يكشف عورته، فيجب أن تغض بصرها على الفور.

كما نعلمها حدود التعامل مع الغلمان والرجال من الجيران والأقارب، وحتى والدها وإخوتها؛ فتسود علاقتها بهم الود الاحترام، دون تبسط في التعامل.

وفي هذا العمر يمكن أن نحفّظها ما تيسر من القرآن الكريم؛ مما يلين قلبها ويهيئ روحها لطاعة الله تعالى، مع الشرح الوافي للآيات الكريمة على قدر مستوى فهم الطفلة. ومن المفيد أن توالي حفظ القرآن في دار تجمعها بصحبة صالحة من الفتيات المقبلات على طاعة الله، وتحفُّها بالعديد من المعلمات اللاتي يمثّلن القدوة الصالحة لها بالإضافة إلى الأم؛ مع ضرورة

متابعة الأم لما تتلقاه الطفلة في هذه الدار لتتأكد أنهم ليسوا من المتشددين أو المبتدعين . هذا بالإضافة إلى (الحرص على أن يكون لها مصحفاً خاصاً بها - مع تعليمها آداب التعامل معه - وإعانتها ببعض الأشرطة المعلِّمة التي تترك مساحة من الوقت لتردد وراء المقرئ فإن هذا يعوِّدها القرب من القرآن ، والأُنس به ، والإقبال عليه ؛ فإذا ارتبط قلبها بالقرآن فإنها لن تعرف مبدأ تعتقده سوى مبادئ القرآن ، ولا تعرف تشريعاً تستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولا تعرف بلسماً لروحها ، وشفاءً لنفسها سوى الخشوع بآيات القرآن ، وعندئذٍ نصل بها إلى الغاية المرجوة في تكوينها الروحي وإعدادها الإيماني والخُلُقي)[١] .

هذا بالإضافة إلى تحفيظها ما تيسر من الحديث النبوي الصحيح ليكون ذخراً لها في حياتها المقبلة ، بالإضافة إلى القرآن الكريم .

ونعود للحجاب ، فتنصح كاتبة هذه السطور بأن تقوم الأم بتفصيل ملابس الحجاب للدمية المفضلة لدى ابنتها ، تكون ذات ألوان زاهية مزركشة تنتقيها الطفلة ، وتقوم بتغييرها للدمية بنفسها . . . ومن المفيد أن تشاركها الأم في اللعب بها وانتقاء غطاء الرأس المناسب للون الجلباب الذي ترتديه الدمية ، وفي تلك الأثناء تتحدث الأم إلى الدمية قائلة - مثلاً - " كم هو الحجاب جميل عليك! أرجو أن تكوني معنا في الجنة إن شاء الله ، لأنك تطيعي ربك وتحبي حجابك ، فالجنة مليئة بالأشياء الجميلة ومها اللُّعَب" . . . فمن خلال اللعب يمكن أن يتعلم الطفل أكثر وبشكل أيسر مما يتعلمه بالتلقين أو الكلام المباشر .

من ست إلى ثماني سنوات:

في هذه المرحلة - مع استمرار حفظ وفهم القرآن - نستكمل تعليمها الحياء ؛ فنعلمها الاستئذان قبل الدخول على الوالدين - كما جاء في سورة النور - وقبل دخول أي مكان حتى ولو على إخوتها .

وأن يكون صوتها خفيضاً - خاصة أمام غير المحارم - فلا ترفعه بالضحك أو حتى عند الغضب ؛ وألا تمشي وسط الطريق ؛ وإنما عن يمينه أو يساره .

وأن تتعلم حدود عورتها أمام غير المحارم ، وأمام نساء المسلمين ، والنساء من غير المسلمين .

ولعل بعض الأمهات يخطئن بشراء الملابس الخليعة لبناتهن - ومنها لباس البحر المبالغ في تبرجه - بحجة أنهن لا يزلن صغيرات ، ولكن المشكلة أن في ذلك تشبُّه بالكافرات ، كما

---

(١) محمد سعيد مرسي . فن تربية الأولاد ، ص١٣٤ .

أن الحياء لا يتجزأ ولا يرتبط بمكان؛ بالإضافة إلى أن البنات يتعودن على مثل هذه الثياب، حتى يُفاجأن بأمرهن بالحجاب عند سن التكليف، فتكون أشبه بالصدمة بالنسبة لهن، لذا يجب التدرج في تعليمهن الحجاب بشراء الملابس المعتدلة ليكون الحجاب سهلاً فيما بعد إن شاء الله.

كما يجب أن يتعلمن الحياء أمام النفس، من خلال تعليمهن احترام الذات، وذلك بإظهار احترامنا لهن في شتى تصرفاتنا وتعاملاتنا معهن، فإن ذلك يجعلهن حريصات على بذل مجهود أكبر للسمو بسلوكياتهن ليظللن دائما محل تقدير واحترام من الوالدين[1]؛ فيترتب على ذلك ألا تقبل الفتاة أن ترى نفسها في وضع مخل بالأدب أو الشرف!

من تسع سنوات إلى إحدى عشر عاماً:

في هذه المرحلة يرقى فكر الطفلة وتتنوع خبراتها، وتتسع مداركها، وتنمو قدراتها على التأمل والتخيل، وتتحول إلى طاقة إيمانية مستعدة لتقبل أوامر ربها، وتنفيذها أكثر من أي مرحلة أخرى في حياتها الماضية والمستقبلة، فتتجه بتفكيرها نحو الخالق، مدركة جوانب التنزيه والوحدانية، والقدرة لديه ومتقبلة لهذه الصفات تقبلا نفسيا تشعر معه بالراحة والرضا، وتصبح قادرة على تصور العظمة الإلهية؛ فإذا وُجِّهت الطفلة الوجهة السليمة نحو الإيمان والخير، اندفعت إليهما في تعلُّق وشوق. لذا فإن دور الوالدين في هذه الفترة أن يستغلا هذا التطور الإيماني في نفسها، وأن يعملا على تقوية عقيدتها بالله التي سترى فيها خير عون لها على تقبُّل ما تتعرض له من آلام الواقع، وصراعات الحياة، والتي سوف تمسح عنها الكثير من صنوف الحرمان والوهم والخوف، وتعمل على تقوية شخصيتها واستعدادها لتكون عوناً لغيرها، وذلك من خلال التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة في روحها، ومن أهم تلك الجوانب:

- تعليمها صفات الله تعلى التي تربي فيها أن الله تعالى يحب المتقين، وأنه قريب منها يراها، ويرعاها أينما كانت كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[2]، و﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[3]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾[4].

---

(١) هبة حسين. طفلك واحترام ذاته. القاهرة. دار المعارف، ١٩٩٧.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) آل عمران: ٥.

فإن هذا يُعلِّمها مرتبة أرقى من مراتب الحياء (وهو الحياء من الله عز وجل أن يراها على غير ما يحب ويرضى)[(١)].

- دعوتها إلى التعمق في إيمانها بالله تعالى والاطمئنان إلى عظمته وقدرته ؛ من خلال النظر والتأمل والتفكر في خلقه ، فالكون آية الله الكبرى ، ومعرض قدرته المعجزة التي تبهر العقول ؛ ولكن الإلف والعادة يفسدان روعة التطلع في آيات الكون والإحساس به ؛ فتتبلد الحواس لما ترى وتسمع . لذا فقد حث القرآن في الكثير من آياته على هذا ، ومنها: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[(٢)]، و﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[(٣)].
- دعوتها للإيمان بالحياة الآخرة ، والتأكيد على أن السعادة الحقة لا تكون إلا في الجنة ، وأن الجنة أعدت للمتقين الذين يسيرون في طريق الله ورسوله ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» ، ويقول في القرآن الكريم: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[(٤)].
- تربيتها على الاستسلام لله تعالى وطاعة رسوله ، فكثيرا ما تسأل الطفلة عن سبب فعل أشياء معينة ، لأنها لم تستطع إدراكه ، ومن المفيد أن نجيبها على قدر عقلها ، أما الأمور التي تتعلق بالدين ، فيجب أن تعرف أن الإسلام مشتق من الاستسلام لله ، وتسليم الأمر له مع بذل الجهد ، وأنه ليس لها أن تقيس الدين برأيها وعقلها ، لأن العقل له حد ينتهي عنده ، وكثيرا ما تخطئ العقول ، وتعجز عن تفسير جميع أمور الدين ، فالمسلم الحقيقي هو الذي ينفذ أوامر الله - مادام قد ارتضاه ربا - دون أن يعرف الأسباب التي خفيت عليه .
- إعلامها أن الأنثى كالذكر ، كلاهما عبدٌ لله ، خلقهما لعبادته ، يقول تعالى: ﴿ مَنْ

---

(١) د . محمد محمود عبد الله . كيف نربي أولادنا؟ الرياض . دار الشواف ، ١٩٩٣ .

(٢) يونس: ١٠١ .

(٣) آل عمران: ١٩١ .

(٤) السجدة : ١٧ .

عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [(١)] كما نقرأ عليها الآية: ٣٥ من سورة الأحزاب، ونوضح لها أن الأنثى مخاطَبة في القرآن بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، وكذلك بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وبالخطاب الذي قد يبدو ظاهره أنه للذكر، مثل: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [(٢)]ومما يعينها على الاستسلام لله وطاعة رسوله أن نقص عليها من القصص ما يعزز ذلك، مثل قصة هاجر عليها السلام حين تركها إبراهيم عليه السلام ووليدها في الصحراء، وقبلت ذلك حين علمت أنه أمر من الله وقالت، "إذن لا يضيِّعنا"، وقصة النساء المهاجرين الأوَل الذين قالت عنهم عائشة رضي الله عنها: "يرحم الله النساء المهاجرات الأوَل، لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [(٣)] شققن مُروطهن(ستائرهن) فاختمَرن بها"[(٤)] أي لم ينتظرن حتى تحصل كل منهن على خمار وإنما نفذن أمر الله بما تيسر لهن.

- غرس الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام في نفسها، فالكثير من أبناء الإسلام يتقدم بهم العمر دون أن يعرفوا غايتهم أو هدفهم من الحياة، لذا ينبغي أن تعرف منذ طفولتها أن الإسلام نعمة عظيمة اصطفاها الله بها وأنها تنتسب إلى أمة موصولة بالله، تسير على نهجه، وتملك ما لا تملكه سائر البشرية وهو كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، لذا فيجب أن تكون متميزة عن غير المسلمات في مظهرها ومخبرها وغاياتها وآمالها، وأن تتأسى بأمهات المؤمنين، والصالحات القانتات كمريم عليها السلام، وامرأة فرعون، والصحابيات رضوان الله تعالى عليهن. وأن تعلم أن هذا الدين أمانة وأن عليها أن تحمل رايته بالتزامها الديني والخُلقي؛ وأن يكون هدفها من التعلم أن ترضي الله عز وجل بأن تعلم غيرها، أو تنفع أخواتها المسلمات بأن تتعلم الطب أو التدريس، وأن تنصح لله ورسوله أينما كانت ومن المفيد في هذه المرحلة أن تشجعها الأم على تلاوة سورة "النور" مرة كل أسبوع، ففي ذلك تذكرة وتثبيت لها على الخير إن شاء الله.

---

(١) النحل: ٩٧.
(٢) آل عمران: ١٣٣.
(٣) النور: ٣١.
(٤) أخرجه البخاري.

ولعل من أخطاء الأمهات أيضاً ألا ترى الأم في ابنتها سوى عروس المستقبل، وتظل تحلم بيوم زفافها، وتتحدث أمامها عن ذلك، بل وأحياناً حين تطلب البنت شيئاً يكون الرد: "عندما تتزوجين"!!! فيصبح هذا الموضوع هو الشغل الشاغل للبنت، فتعمد إلى المبالغة في إظهار زينتها سعياً لتحقيق حلم الأم الذي أصبح – مع مرور الوقت وإلحاح الأم – حلمها؛ ولعل الحل لهذه المشكلة هو الامتثال لأمر الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» فالعلم الشرعي والعلم الدنيوي مفروض علينا لكي نكون مسلمين أقوياء؛ ولعل الوقت المناسب له هو الطفولة المبكرة.. حين يكون كالنقش على الحجر؛ هذا بالإضافة إلى تنمية ما حباها الله تعالى به من مواهب طبيعية، كالقدرة على تعلم اللغات، أو الحاسب الآلي، أو الخطابة، أو الكتابة الأدبية، أو ممارسة الرياضة – في حدود الشرع –، أو التمريض، أو الزراعة، أو الرسم – في حدود الشرع أيضاً – أو التطريز، أو الأشغال الفنية، أو التفصيل والحياكة، أو الغزل، أو فنون السجاد اليدوي، أو الطهي أو تصنيع المواد الغذائية، أو تربية الطيور والحيوانات... إلى آخر ما يمكن أن يمتعها ، ويصقل مواهبها ، ويشغل عقلها ووقتها بما يفيدها في دينها ودنياها... حتى يأتي الزوج المنتظر، أو لا يأتي؛ فهو أمر بيد الله وحده؛ ولا ينبغي أن تنشغل الفتاة العفيفة به أكثر مما ينبغي؛ والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[1] كما يجب أن تعرف البنت أن قيمتها الحقيقية في عقلها وأدبها وحياءها، فهذه الأشياء تنمو مع الزمن، بينما يتناقص الجمال الحسي مع الزمن، حتى يزول.

ومن المهم في هذه المرحلة – التي تسبق سن التكليف بالحجاب – أن نحكي لهن عن نماذج للعفيفات من السلف الصالح ، مثل:

- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي قالت بعد وفاة الرسول ﷺ وأبي بكر: "كنت أخلع ثيابي في حجرتي ولم أكن أتحرج، أقول: زوجي وأبي، فلما دُفن عمر رضي الله عنه، كنت أشد عليَّ ثيابي حياءً من عمر"!!!
- فاطمة بنت الرسول ﷺ التي لم تعجبها طريقة وضع الثياب على المرأة وهي ميتة خوفا من أن تصفها، فقالت لأسماء بنت أبي بكر: يا أسماء إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء أن يُطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنَتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله تُعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مِتُّ

(١) النور: ٣٣.

فغسّليني أنت وعلي، ولا يدخل عليَّ أحد، فلما توفيت رضي الله عنها غسَّلها علي وأسماء [١].

- امرأة من أهل الجنة حدَّث عنها عطاء بن أبي رباح حين جاءت المرأة فقال لابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقال بلى، فقال هذه المرأة السوداء جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إني أُصرع وإني أتكشّف، فادعُ الله لي، فقال: «**إن شئتِ دعوت لك وإن شئت صبرت ولك الجنة**»، فقالت: أصبر، قالت إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف؛ فدعا لها "!!! [٢].
- الفتاة التي سقى لها ولأختها موسى عليه السلام، وقال عنها القرآن الكريم أنها جاءته: ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥] فكانت تمشي على استحياء وتتحدث على استحياء... فلم تتكلم معه إلا بالضروري من الكلام وهو أن أباها يدعوه، ثم مشت خلفه حتى وصلا إلى أبيها (حلقة الحب، من سلسلة حلقات كلام من القلب للأستاذ عمرو خالد).
- "مريم" ابنة عمران التي قال عنها القرآن الكريم أنها: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢]، ولما ظهر لها جبريل عليه السلام في صورة رجل، قالت له: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً ﴾ [مريم: ١٨].

وبالإضافة إلى ما سبق، يمكننا أن نطلق العنان لأحلامها بذلك اليوم الذي ستحتفل فيه الأسرة والأصدقاء والأقارب بارتدائها الحجاب، فتقيم حفل حجاب"فلانة"!! ويا حبذا لو كانت هناك صديقة لها أو قريبة تحتفل بحجابها أيضاً في نفس الوقت؛ فيكون الحفل لاثنتين أو أكثر؛ فتكون البهجة أكبر!

مرحلة الثانية عشر حتى السادسة عشر:

في هذه المرحلة تكون ابنتك قد بلغت سن التكليف أو قد لا تكون، فإذا بلغته فعليك أن تخبريها - بلطف - أن موعد إقامة حفل حجابها قد حان، فإن استجابت عن طيب خاطر، فبها ونعمت؛ وإن لم تستجب، أختي... لن أطيل عليك، وسأبدأ معك في عرض اقتراحاتي لحل المشكلة، وأرجو منك أن تتفهميها وتسمعيني فيها إلى آخر الحديث:

دعيني أوضح لك شيئًا هامًّا، وهو أن أسلوب الدفع في توجيه البنت وتعديل سلوكها،

(١) فضيلة الشيخ "محمد ناصر الدين الألباني". حجاب المرأة في الكتاب والسنة. ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) رواه البخاري.

لـن يـؤدي إلا إلى الـرفض والبعد ، فكما يقولون: "إن لكل فعل رد فعل مساوٍ لـه في القوة ومضاد لـه في الاتجاه" .

سـأقترح علـيك برنامجًا قد يستغرق منك ٣ أشهر ، وربما أقل أو أكثر حسب توفيق الله وقدره وتنظيمه ، كالتالي:

المرحلة الأولى: وستستغرق منك ٣ أسابيع إلى شهر:

قومـي فيها بالتوقف عن الحديث في هذا الموضوع" الحجاب" تمامًا ، ولا تتحدثي فيه من قـريب ولا بعيد ، ولو حتى بتلميح مهما بعد . أعلم ما قد تبدينه من استغراب قد يصل إلى الاسـتنكار ، ولكـن الأمر بالضبط كالدواء الذي يكتبه لنا الطبيب ونأخذه رغم عدم درايتنا الكاملة بمكوناته وتأثيراته ولكننا تعلمنا من الرسول ﷺ أن لكل داء دواء لتمرد المراهقة وهو الداء الذي يصيب أغلبية الشباب كما يصيب البرد أغلبية الأطفال في الشتاء .

تذكـري أنـنا نربِّـي ضـميرًا ونعـالج موضوعًا إذا لم يُعالج في هذه المرحلة فالله سبحانه وحـده الـذي يعلـم إلى أيـن سينتهي ، فلا مناص من الصبر وحسن التوكل على الله وجميل الثقة به سبحانه .

و نعـود مـرة أخـرى إلى العـلاج ألا وهـو الـتوقف لـمدة لا تقـل عن ثلاثة أسابيع عن الخـوض في موضـوع الحجـاب ، والهـدف مـن تـوقفك عن الحديث في هذا الأمر هو نسيان ابنتك لـه ، حتى تفصل بين الحديث في هذا الأمر وبين علاقتك بها ، لنصل بهذه العلاقة إلى مـرحلة تـشعر فـيها الـبنت بالراحة ، وكأنه ليس هناك أي موضوع خلافي بينكما ، فتستعيد الـثقة في علاقـتك بهـا ، وأنـك تحبيـنها لشخـصها ، وأن الـرفض هـو للفعال السيئة وليس لشخصها .

فالتوتر الحاصل في علاقتكما الآن بسبب اختلافكما أحاطك بسياج شائك يؤذيها كلما حاولـت الاقـتراب مـنك أو حاولت أنت الاقتراب منها بنصحها حتى أصبحت تحس بأنها تصاب بالأذى النفسي كلما حاولت الكلام معك ، وما نريد فعله في هذه المرحلة هو محاولة نزع هذا السياج الشائك الذي أصبح يفصل بينكما .

المرحلة الثانية: مرحلة الفعل الصامت من ثلاثة أسابيع إلى شهر:

في هذه المرحلة لن توجهي إليها أي نوع من أنواع الكلام ، وإنما ستقومين بمجموعة من الأفعـال المقـصودة ، فمـثلا قومـي بدعـوتها - بشكل متقطع على فترات ؛ حتى يبدو الأمر طبيعـيًا وتلقائـيًا - للخـروج معك ، ومشاركتك حضور أحد الدروس بدعوى أنك تريدين

مجرد صحبتها وليس دعوتها لحضور الدرس، بقولك: حبيبتي أنا متعبة وأشعر بشيء من الكسل، ولكني أريد الذهاب لحضور هذا الدرس، تعالَي معي، أريد أن أستعين بك وأستند عليك.. فإذا رفضت لا تعلقي ولا تعيدي عليها الطلب، وأعيدي المحاولة في مرة ثانية؛ فإذا حضرته معك اسأليها عن رأيها ودعيها تعبر عن رأيها بحرية، وبإنصات منك جيد، واتركيها حتى تبدأ هي بالسؤال عن الدين وعن أموره.

ويتوازى مع هذا الأمر أن تشاركيها في كل ما تصنعينه في أمور التزامك في أول الأمر من خلال طلب رأيها ومشورتها، وكأن هدفك - بل هو في الحقيقة ما يجب - تقريب العلاقة وتحقيق الاندماج بينكما.. بمنتهى الحب والتفاهم تقولين لها: "حبيبتي تعالَي سمِّعي لي القرآن الكريم الذي حفظته"، أو: "حبيبتي ما رأيك في هذا الحجاب الجديد"، "ما رأيك في هذه الربطة"... كل هذا وأنت تقفين أمام المرآة، تستعدين للخروج مثلاً... وهكذا بدون قصد أوصليها بالطاعات التي تفعلينها أنت.

اتركيها تتحدث عن نفسها، وعن رأيها في الدروس التي تحكين لها عنها بكل حرية

وأود أن أوجِّه نظرك إلى أمور مهمة جدًّا:

- يجب ألا تتعجلي الدخول في مرحلة دون نجاح المرحلة السابقة عليها تمامًا، فالهدف الأساسي من كل هذا هو نزع فتيل التوتر الحاصل في علاقتكما، وإعادة وصل الصلة التي انقطعت بينها وبين أمور الدين؛ فهذا الأمر تماما كالمضاد الحيوية يجب أن تأخذ رجعته بانتظام وحتى نهايتها، فإذا تعجلت الأمر وأصدرت لها ولو أمرًا واحدًا خلال الثلاثة أسابيع فتوقفي وابدئي العلاج من البداية.

- لا تتحدثي في موضوع الحجاب أبدًا، أبدًا في هذا الوقت؛ فهو أمر يجب أن تصل إليه عن قناعة تامة، وإذا نجحتِ في كل ما سبق - وستنجحين بإذن الله، فأنت قد ربيتِ نبتة طيبة حسب ما تذكرين أنك ملتزمة وأن أباها على خُلُق - فسيأتي اليوم الذي تطلب منك هي شخصيًّا أن ترتدي الحجاب، بل قد يأتي اليوم الذي تشتكين فيه من سفر أغطية رأسك وحجابك وهجرتها إلى دولابها الخاص.

- لا تعلِّقي على ملابسها، إلا في أضيق الحدود، وتجاوزي عن بعض التجاوز فيه مثل الألوان التي لا تعجبك.

- اقصري الاعتراض واستخدام سلطتك في المنع على الأخطاء التي لا يمكن التجاوز عنها، مثل: لو أرادت الخروج مع صحبة غير مؤتمنة، أو أي شيء فيه انتهاك شرعي صريح، قد تعترضين وتقولين: "أليس عدم لبس الحجاب بعد البلوغ تجاوز شرعي؟ "لا

يُخالفك أحد في هذا الأمر ولكن هذا الموضوع نحن بصدد علاجه بصورة جذرية حتى نصل إلى تشكيل قناعة داخلية لا تجعل من موضوع الحجاب والطاعة بصفة عامة رد فعل لأوامر الأهل.

- استعيني بالله ولا تحزني، وادعي دائمًا لها، ولا تدعي أبدًا عليها، وتذكري أن الأمر قد يحتاج إلى وقت، لكنه سينتهي بسلام إن شاء الله، فالأبناء في هذه السن ينسون ويتغيرون بسرعة، خاصة إذا تفهمنا طبيعة المرحلة التي يمرون بها وتعاملنا معها بمنتهى الهدوء والتقبل وسعة الصدر والحب.

مرحلة السابعة عشرة وما بعدها:

أيتها الأم المؤمنة الصابرة: بارك الله في جهدك وأثابك عليه خير الثواب، وأقر عينك بطاعة ابنتك... ولكن إن لم يمنّ الله عليها بالحجاب حتى هذه المرحلة، فلا تقنطي من رحمة الله، واعلمي أن لحظة التوبة في علم الله، قد تكون قريبة أو بعيدة، المهم ألا تتوقفي عن محاولاتك.... وفي هذه الحالة يمكنك أن تتبعي معها أسلوب الحوار الهادئ الهادف، وأن تتركي لها حرية الإجابة على الأسئلة التالية:

- هل تحبين يا ابنتي أن تأخذي سيئة بكل شعرة ظهرت منك لغير المحارم؟

تذكري أنك كلما خرجت من بيتك سافرة حصلت على سيئات بعدد من رآك من غير المحارم، فهل حسناتك تعادل هذا الكم من السيئات؟!

- هل تبيعين دنياك الفانية بالآخرة الباقية؟

"إن من آثر دنياه على آخرته خسرهما معا، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معا"

هل يسرك أن يكون الله عز وجل مستاء لعدم حجابك؟

أما علمت أن الله تعالى يضحك لمن يطيعه ويفرح به، بينما يبتسم الشيطان وينفخ في وجه من يعصي ربه؟ [1].

- هل تقبلين أن تكون النساء في الجاهلية قبل الإسلام أفضل وأتقى منك؟

لقد كن يسترن عوراتهن إلا قليلاً من الشعر الموجود بناصية الرأس، وفتحة الجيب فقط!!!

لا أظن أنك تتعمدين ذلك... ولكن عدم حجابك ليس له معنى إلا ذلك!!!

---

(١) فضيلة الشيخ "صفوت حجازي" في محاضرة له عن حب الله.

• هل ترفضين أن تكوني أجمل وأشرف مكانة من الحور العين في الجنة؟

إن نساء المؤمنين يكن أجمل وأعلى مكانة من الحور العين، لأن الحور العين خلقن طائعات، بينما خُلِقتِ للجهاد في الدنيا والصبر عن المعاصي، والتصبر على طاعة الله تعالى وامتثال أوامره!!!

• هل تستطيعين مقاومة الموت وتظلي على قيد الحياة لتهربي من حساب ربك؟

إن الموت قدَر كل الكائنات، وهو مغادرة كل مباهج الدنيا وزينتها، وملابسك وعطورك ومساحيق الزينة، وحُلِيّك وغير ذلك مما تحبين، فهل تغادرينها إلى عزة وكرامة في القبر وفي الجنة، أم إلى ذل وهوان في القبر وفي النار!

• هل تضمنين أن يُمهلك ملك الموت حتى ترتدي الحجاب وتتوبي قبل أن يقبض روحك؟

إن ملَك الموت لا يستأذن من أحد قبل قبض روحه بعد رسول الله ﷺ، لذا فإنه من الحكمة أن يسارع المرء بالتوبة قبل ألا ينفع الندم، ليفوز بحظ كبير عند الله تعالى، «**والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»، فخالقك، وخالقك الدنيا وما فيها من متع ومباهج يقول: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[1].

• هل تقبلين أن تكوني من الفُجّار الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[2].

لعلك تعلمين أن (الحياء ضده الفجور، وهو يعني عدم الخشية من الله تعالى، والمجاهرة بالمعصية)[3]، وهو ما تفعله المُصرّة على عدم ارتداء الحجاب!

وبالطبع سيكون لديها الكثير من الاعتراضات والتساؤلات التي تشغل بالها بخصوص الحجاب، وفيما يلي ذكر بعضها؛ والرد على كل منها:

• أنا لا أقصد شيئا من ارتدائي هذه الملابس التي تسمونها(متبرجة) فما هي إلا (موضة)

نعم، هذا ما يحدث في الغالب... ولكن آن الأوان لأن تنتبهي لما ترتدين من ملابس، وأن تستبدلي ملابسك بغيرها مما يرضي الله ورسوله، حتى لا تكوني - والعياذ بالله - من

---

(١) فضيلة الشيخ/ محمد راتب النابلسي.

(٢) الانفطار: ١٤.

(٣) د. محمد محمود عبد الله. الرياض. دار الشواف، ١٩٩٣.

الذين يستبدلون " الذي هو أدنى بالذي هو خير"

- يعز عليَّ كثيراً أن يقل جمالي بسبب الحجاب.

نعم قد يقل جمالك، ولكن ليس في كل الأحوال؛ فبعض المحجبات يكنَّ أكثر جمالاً بالحجاب، خاصة حين يعمُر الإيمان القلب فيمتلئ الوجه نوراً وبهاء، وتذكَّري أن الجنة هي سلعة الله، والله تعالى سلعته غالية؛ وأن الجنة محفوفة بالمكاره، وأن النار محفوفة بالشهوات... فلا تظني أن الطريق إلى الله سهل ممهد، ولكن البطولة الحقيقية هي أن تتخطي كل العقبات حتى تصلي إليه سبحانه، ولسان حالك يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[(١)].

فتكوني من الأبرار الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[(٢)].

سيتسبب الحجاب في سقوط شعري:

لك أن تعلمي أن هذا القول غير صحيح، والدليل قول الدكتور"محمد ندا" عن" تأثير الحجاب على صحة وسلامة الشعر: " الحجاب حماية للشعر، فقد أثبتت البحوث والتجارب أن تيارات الهواء وأشعة الشمس المباشرة تؤدي إلى فقدان الشعر لنعومته وشحوب لونه، فتصبح الشعر خشنة باهتة اللون، كما ثبت أن الهواء الخارجي(الأكسجين) وتهوية الشعر، ليس له أي دور في تغذية الشعر، ذلك لأن الجزء الذي يظهر من الشعر على سطح الرأس وهو ما يعرف بقصبة الشعر، عبارة عن خلايا قرنية (ليس بها حياة)وهي تستطيل بانقسام برعم الشعر الموجود داخل الجلد... وهذا الجزء النشيط والذي يؤدي انقسامه إلى استطالة الشعر بمعدل نصف ملليمتر كل يوم، يحصل على غذائه من الأوعية الدموية داخل الجلد، ومن هنا نستطيع القول بأن صحة الشعر تتبع صحة الجسم عامة... وأن أي شيء يؤثر على صحة الجسم من مرض أو نقص في التغذية يؤدي إلى ضعف في الشعر.

وفي حالة ارتداء الحجاب، يجب غسل الشعر بالصابون أو الشامبو مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع، حسب درجة تدهن البشرة.. بمعنى أنه إذا كانت البشرة دهنية فينبغي غسل الشعر ثلاث مرات في الأسبوع، وإن كان غير ذلك، فيكتفي بغسله مرتين أسبوعيا..

---

(١) طه: ٨٤.

(٢) المطففين: ٢٢ - ٢٧.

وينبغي ألا يقل تكرار غسل الشعر عن هذا المعدل في كل الأحوال . . إذ إنه بعد مضي ثلاثة أيام تبدأ الدهون في التحلل إلى أحماض دهنية ، وهذا يؤدي إلى كسر قصبة الشعر أي: تقصف الشعر[١] .

إن الحجاب يعوق حركتي:

لقد لقيت المرأة المسلمة من التشريع الإسلامي عناية فائقة كفيلة بأن تصون عفتها ، وتجعلها عزيزة الجانب ، سامية المكان ، وإن الشروط التي فرضت عليه في ملبسها وزينتها لم تكن إلا لسد ذريعة الفساد الذي ينتج عن التبرج بالزينة ، وهذا ليس تقييداً لحريتها بل هو وقاية لها من أن تسقط في درك المهانة ، ووحل الابتذال ، أو تكون مسرحاً لأعين الناظرين[٢] .

كما أن الحجاب لا يتقيد بلباس معين وإنما هو كل ما يستر العورات ولا يصفها أو يشف عنها ، فلك أن ترتدي ما يناسب حرية حركتك مما يحقق الحجاب الصحيح ، وتذكري أن أمهات المؤمنين والصحابيات كن يتحركن بكامل الحرية: يسافرن ، ويحاربن مع الرسول ﷺ، ويعالجن الجرحى ، ويمارسن شتى الأنشطة في الحياة ، دون أن يعيقهن الحجاب عن الحركة . . . فالمشكلة لا تكمن في الحجاب إذن!!!

ولكن القيود الحقيقية هي التي جاءت في الآية الكريمة: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[٣]!!!

أخشى أن أفقد أناقتي بعد الحجاب:

كان هذا الاعتقاد الخاطئ يسود بين الفتيات ولكن الآن - بعد أن امتلأت المحال التجارية بأزياء المحجبات من شتى الموديلات ، والألوان ، وأنواع الأقمشة ، حتى أن غير المحجبات قد أقبلن على ارتدائها من شدة أناقتها - لم يبقَ لك من عذر!

ولا تظني أن الإسلام يريدك رثة الثياب سيئة المظهر ؟ ، ولك أن تراجعي سيرة الحبيب ﷺ الذي كان نظيفاً يدعو للنظافة ، أنيقاً يدعو للأناقة ، وعلى الرغم من هموم ومشاغل أمته كان يحرص على التطيُّب مع أن عَرَقه كان أطيب من الطيب ، وعلى دهن شعره ولحيته ليكونا في أبهى منظر!!

---

(١) د . محمد ندا . الحجاب وتأثيره على صحة وسلامة الشعر ، مقالة .

(٢) إلى الحجاب من جديد . مقالة .

(٣) غافر: ٧١ .

فالمسلم قدوة لغيره، لذا يجب أن يكون أنيق المظهر، أنيق التصرفات.

ولك أن تستمعي لما قالته "فابيان" أشهر عارضة أزياء فرنسية سابقا؛ بعد أن هداها الله للإسلام: " لولا فضل الله علي ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ. لقد قالت ذلك بعد أن ارتدت من أفخر الثياب ما لا تحلم به أية فتاة، وجربت من خطوط الموضة ما تتوق له أية امرأة، ولكنها أدركت أن كل ذلك سراب خادع، وأن نهاية الإنسان - لا محالة - للحساب. جعله الله تعالى لنا ولك يسيراً إن شاء الله.

أخشى أن أبدو أكثر وزنا، أو تختفي رشاقتي بعد الحجاب:

نعم، ولكن ما يضيرك أن يحدث هذا؟ إن الدنيا سويعات قلائل وستمر؛ فإن أنت صنتِ رشاقتك عن أعين الناظرين أبدلك الله في الجنة بقوام ورشاقة خير مما عندك، وإن لم تفعلي احترقت رشاقتك هذه في النار وذابت ثم عادت ثم احترقت . . . وهكذا؛ فما رأيك؟!!!

مازلت صغيرة السن:

لا أظن أنك لا زلت تؤمنين بتلك الاعتقادات القديمة التي كانت تبيح للشابات أن يرتدين ما يحلو لهن بحجة أن يتمتعن بشبابهن، وأن الاحتشام يقتصر على من بلغن من العمر أرذله؛ وأن الحجاب لا ترتديه إلا كبيرات السن اللاتي أدين فريضة الحج لأنهن قد شبعْن من لذات الدنيا؛ وهن الآن يتهيأن للقاء الله لأن آجالهن قد اقتربت!!!

ولعلك تدركين بالمنطق أن الشابة أولَى بستر محاسنها من كبيرة السن. كما أنك إذا طالعت صفحة الوفيات لفوجئت بالأعداد الهائلة من الشباب الذين انتهت أعمارهم فجأة وهم يعتقدون أن مَلَك الموت لا يزور إلا المسنِّين فقط!!! أو الذين اعتقدوا أنه كان سيعطيهم مهلة للتوبة قبل أن يقبض أرواحهم!

واعتقد أن الانطلاق، وممارسة الرياضة، والأنشطة المختلفة، في حدود طاعة الله، مع النعيم الدائم في الجنة . . أفضل من المتع القليلة الزائلة في معصية الله، التي تؤدي إلى جهنم والعياذ بالله!!! وإذا كنا لا نطيق لمسة من نار الدنيا، فهل نطيق لحظة واحدة في جهنم؟!!!

لماذا لا تكوني من الأُوليات اللاتي يسارعن في الخيرات ويسابقن إلى طاعة الله، فتصبحي من الذين قال عنهم سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا

مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

وما يمنعك بُنيتي عن تلبية نداء الحق: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[٢]؟!!!

إن كل يوم يمضي يزيدك من الآخرة قرباً، وعن الدنيا بُعدا . . . فماذا أعددت لنفسك بعد الموت؟

اركبي - يا بنيتي - قطار التوبة قبل أن يرحل عن محطتك.

تأملي - يا حبيبتي - في هذا العرض . . . اليوم قبل الغد.

فكّري فيه - يا قرة عيني - الآن . . . قبل فوات الأوان!!![٣].

إن الحجاب يكلّفني مادياً أكثر من ملابس التبرج

- فالعباءات غالية الثمن، وتفصيلها يتطلب كمّاً أكبر من القماش، هذا ناهيك عن أغطية الرأس.

نعم هذه حقيقة ولكن ألا يستحق المولى سبحانه الذي أنعم عليك بنعم لا تحصى أن تضحي من أجله بخزانة ملابسك، ويكون ثوابك أن تصبري على البدء بثوب أو ثوبين حتى تمتلئ خزانة ملابسك، ويكون ثوابك رضوانه وأمانه؟ إن ما تنفقين من أجل طاعته تعالى هو في سبيل الله، وأنه لابد سيجزيك عنها خيرا في الدنيا والآخرة . . . كما أن ملابسك وكل ما تملكين هو من رزقه تعالى، فهل تنفقين رزقه في معصيته؟!!!

ثم هل تعلمين يا بنيتى أن المرأة المسلمة لا يجوز لها الخروج من المنزل بأي حال من الأحوال حتى يستوفي لباسها الشروط المعتبرة في الحجاب الشرعي والواجب على كل مسلمة تعلُّمها، فنحن جميعا نحرص على تعلم أمور الدنيا ولكن لا يصح أن ننسى الأمور التي تنجينا من عذاب الله وغضبه بعد الموت، ألم يقل الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، إذن فتعلمي شروط الحجاب!

---

(١) الواقعة: ١٠.
(٢) الحديد: ٢١.
(٣) مقالة، د. هويدا إسماعيل. أعذار من لا ترتدي الحجاب وبيان تهافتها.
(٤) النحل: ٤٣.

فإذا كان لا بد من خروجك، فلا تخرجي إلا بالحجاب الشرعي؛ إرضاءً للرحمن، وإذلالاً للشيطان؛ لأن مفسدة خروجك بدون حجاب أكبر من مصلحة خروجك للضرورة.

فلو صَدَقَتْ نيَّتُك يا بنيتي وصحَّتْ عزيمتُك لامتدت إليك ألف يدٍ خيِّرة، ولسهل الله تعالى لك الأمور! أليس هو القائل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾(١).

والدليل هو هذا العدد الكبير من المحجبات، لك أن تسألي واحدة منهن كيف امتلأت خزانة ملابسها تدريجياً بعد الحجاب، لعل جوابها يريحك.

الجو حار في بلادي وأنا لا أتحمله، فكيف إذا لبست الحجاب؟

إذا كانت بلادك من هذا النوع، فهل تذكري كيف كان جو "مكة" والجزيرة العربية بأسرها قبل أن يكون لديهم أجهزة التكييف؟ وهل ترددت المسلمات الأوليات في ارتداء الحجاب لهذا العذر؟ هل كانت الخيام تمنع عنهن الحر؟؟ كلا! ولكنهن امتثلن لأمر الله مهما تكن الظروف، حباً له، وإيماناً به... بل لعلك سمعت من إحدى المحجبات أنها لا تشعر بالحر إلا بعد أن تعود لمنزلها وتخلع الحجاب!!! فهذا والله يحدث يا بنيتي في أشد الأيام حراً، لأن من يتَّقِ الله يجعل له مخرجا، ولأن من ترتدي الحجاب حباً في الله لا تشعر بتبعاته، لأن حبها لله ينسيها ما تعانيه من أجله... هذا لمن تحب الله تعالى حق الحب، أما من عداها فأود أن أذكِّرها بأن حر بلادها لن يصل في درجته إلى نار جهنم، وقانا الله وإياها منها، ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾(٢).

سأرتدي الحجاب بعد أن يتقدم الشاب المناسب لخطبتي:

ومن هو الشخص المناسب في نظرك؟ الدَّيوث الذي مقره النار لأنه يرضى أن يرى الغير عورات زوجته؟

إن من يتقدم لخطبتك وأنت سافرة يعني - في الغالب - رضاه عن ذلك، وإن حاولت ارتداء الحجاب بعد الزواج، فسوف يعترض ويحاربك، لأنه يريدك كما رآك أول مرة، فهل تفضلين رضاه على رضا الله عز وجل؟ وهل تبيعين الجنة بزوج لا يطيع الله فيك؟

---

(١) الطلاق: ٢، ٣.

(٢) التوبة: ٨١.

أما إن اختارك الشاب وأنت تزهين بحجابك، فهذا يعني موافقته الضمنية على ذلك ويعني أنه تقي إن أحبك أكرمك، وإن كرهك لم يظلمك.

وتذكري أنك إن بنيت حياتك الزوجية على أساس من معصية الله، فهل تعتقدي أن تنجح هذه الزيجة؟؟ كما أن الزواج نعمة من الله يعطيها من يشاء، فكم من محجبة تزوجت، وكم من سافرة لم تتزوج!!!

وإذا قلتِ: إن عدم ارتدائي للحجاب هو وسيلة لغاية طاهرة، ألا وهي الزواج، فإني أقول لك: إن الغاية الطاهرة لا تبيح الوسيلة غير الطاهرة في الإسلام، فإذا شَرُفت الغاية فلا بد من طهارة الوسيلة؛ لأن قاعدة الإسلام تقول: الوسائل لها أحكام المقاصد[1].

سأرتدي الحجاب بعد ليلة زفافي كي أستطيع ارتداء ما أريد من الثياب:

ولماذا لا تتطهري من ذنوبك وتبدأي حياتك الزوجية وأنت طائعة مستريحة البال والضمير؟

وهل تظني أن تأجيل طاعة الله من أجل أمر دنيوي ينتج عنه توفيقا في ذلك الأمر؟!!!

إن ضمنت أن يطول عمرك لما بعد ليلة زفافك، فلك أن تنتظريه ثم تتوبي وترتدي الحجاب.

أما إذا كان المدعوون إلى حفل زفافك يقتصرون على النِّساء المسلمات، والأقارب المحارم كالأبِ والأخ والعم والخال - وذلك بمَعزِل عن الرجال الأجانب - فلا بأس من الظهور بكامل زينتك، مع مراعاة حدود العورة الشرعية أمام هؤلاء.

إن زوجي (أو خطيبي) يرفض أن أرتدي الحجاب:

نعم إن هذا يحدث للأسف، ولكن هل يضمن لك زوجك الجنة؟ إن كانت الإجابة هي نعم، فلا بأس من طاعته، ولكن أن يكون الزوج سلمك لجهنم، فهذا مالا أرضاه لك ولا ترضينه لنفسك بالطبع! وتذكري قول الرسول ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، فزوجك عبد ضعيف فاني عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشورا، ناصيته بيد المِلك، فسيري في طاعة المِلك يطعك كل شيء، فقلوب العباد - ومنهم زوجك - بيده تعالى... أما إن أصر

(١) د. هويدا إسماعيل. المصدر السابق، بتصرف.

هذا الزوج على موقفه فلا تربطي مستقبلك في الدنيا ومصيرك في الآخرة به، فلا خير فيه إن كان عاصيا لله؛ والله قادر على أن يعوضك خيراً منه، إن لم يكن في الدنيا الفانية ففي الآخرة الباقية إن شاء الله.

سأفقد زوجي إن أنا ارتديت الحجاب لأنه سيرى غيري أجمل مني:

لعلك تعلمين أن الحجاب مطلوب أمام غير المحارم فقط؛ وأنك في بيتك تستطيعين أن تظهري جمالك لزوجك كما تشاءين، بل هو فرض عليك، كما أن جمال وجهك ليس هو كل المطلوب للاحتفاظ بحب زوجك، فجمال الروح، والعقل، وحسن الطبع يزيدونك جمالاً وجاذبية.

و للشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - قول لطيف في هذه المسألة، يقول: لو أن كل امرأة التزمت بالحجاب الشرعي - كما أراد الله - وسترت مفاتنها إلا عن محارمها، لظل كل زوج معجباً بزوجته، ولأصبحت الزوجة أجمل من يرى من النساء، لأنه لا يرى مفاتن الأخريات، وفي هذا حماية لزوجك وأزواجهن! فإن صانت المرأة أزواج الأخريات بستر محاسنها، ستر الله عن زوجها محاسن الأخريات فأصبحت في عينيه أجمل النساء!!!

إني أخجل من الظهور بالحجاب أمام زملائي، أو أمام أناس بعينهم:

عجباً لك يا ابنتي كيف تخجلين من العفة والاحتشام، وإرضاء الله ولا تخجلين من ظهور عوراتك أمام كل من هب ودب، ومعصية الله؟!!!

أما علمت أن من أرضى الناس بسخط الله سخط عليه الله وأسخط عليه الناس، ومَن أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؟!!!

سأفقد وظيفتي إن ارتديت الحجاب:

نعم، قد يحدث ذلك ولكني أرى أن فقدان وظيفتك أفضل من فقدان رضا الله عنك، وخير لك من أن تفقدي الجنة ونعيمها الذي لا ينفد... ولا تنسي أن فقدان الوظيفة لا يعني إطلاقاً فقدان الرزق، فابن آدم لا يموت قبل أن يستوفي أجله ورزقه، فإذا هربت من رزقك لطاردك حتى يصيبك، كما أن الله تعالى قد ضمن الرزق للمؤمن والكافر على السواء، فهل ينساك وأنت تطيعينه؟!

وتذكري أن ذلك لا يحدث كثيرا، وقصة الكابتن طيار "نيرين سالم" - وهي واحدة من ١٠ سيدات يعملن في مجال قيادة الطائرات بمصر - التي فصلت من

عملها بسبب ارتداء الحجاب لا زالت حديثة العهد، وقد نصرها الله سبحانه وعادت إلى عملها مرفوعة الرأس تزهو بحجابها، بعد أن اعترضت وقاضت الشركة التي تعمل بها استناداً إلى أن قانون عملها لا ينص على منع المرأة من الحجاب مادام لا يعوق عملها.

وقصة "رانيا علواني" التي تعد أشهر سباحة مصرية حصلت على ٧٧ ميدالية على المستوى الدولي والإفريقي والعربي وتم تصنيفها ضمن أفضل ١١ سباحة في سباق ١٠٠ متر على مستوى العالم، والتي تنازلت عن عرشها بكامل اختيارها - وهي لا تزال في ريعان شبابها - فارتدت الحجاب وظلت تتقرب إلى ربها تدريجياً، وتركت المال والشهرة والأضواء، دون أن يرغمها أحد. (و الغريب أن رانيا لم تهتد على يد أحد الدعاة في مصر ممن يُتهمون بالدعوة بين الفنانات لمحاربة الفن! بل على يد أسرة مسلمة مهاجرة تعيش في أمريكا؛ وتلك واقعة تحتاج إلى تمحيص: فالحقيقة أن هناك أسراً مسلمة في الغرب تمثل نماذج مضيئة للمسلمين من حيث الالتزام والعلم والقدوة والدعوة مما يغري الكثير من الغربيين باعتناق الإسلام اقتداء بهذه النماذج).

أخاف أن أخلع الحجاب بعد ارتدائه:

هذه - بالفعل - مشكلة... ولكن لا تستسلمي لهذه الفكرة؛ فإذا كنت مترددة بطبيعتك أو ترين أن الدنيا لا تزال تملأ قلبك، فتدرجي في الحجاب وأعطِ نفسك فرصة لكي تتقبله شيئاً فشيئاً، وتحدثي إلى نفسك لتذكريها بضرورة طاعة الله قبل فوات الأوان، وأن متع الدنيا ومباهجها مهما كثرت وتنوعت وزاد جمالها فهي لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة.... فإذا منَّ الله عليك بارتدائه، فاحرصي على مصاحبة الصالحات، وحضور دروس العلم الشرعي، وتلاوة القرآن؛ وأكثري من الدعاء لله تعالى أن يثبتك، ويعينك على الاستمرار على طاعته؛ وتذكري أن الحجاب توبة، وأن الله يحب التوابين!!! ومن ناحية أخرى فإن العائد في توبته كالمستهزئ بربه والعياذ بالله، فاحرصي على ألا تكوني كذلك.

واحرصي دائما على الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم كما هديتني للحجاب فثبتني عليه حتى الممات، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن

لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾[(١)] .

أنا أفعل الكثير من الطاعات وقلبي مطمئن بالإيمان، فما دخل اللباس؟ إن الحجاب حجاب القلب! :

لعلك تعلمين أنه: " لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه"

أي أنه عليك أن تتقبلي كل أوامر الله ورسوله وتنتهي عن نواهيهما، ولا تكوني كالذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ﴾[(٢)] .

ثم أما تقرئين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[(٣)] . أطهر لقلب عائشة وفاطمة وخديجة . . . - رضي الله عنهن - فهل أنت أطهر قلباً منهن؟؟ [(٤)] .

وتذكري أنك تشبهين - بعدم حجابك مع فعل الطاعات - مَن تحمل قِربة من الحسنات ولكنها مثقوبة بعدم الحجاب، فلا تضيعي أعمالك الصالحة بسبب كل من يراك بغير الحجاب في كل مكان، ولك أن تقارني عدد من رأوك من غير المحارم كل يوم بعدد ما اكتسبت من الحسنات، هل يستويان؟!!!

ولعلك تلحظين أن أمر المرأة بالحجاب فيه (إلماح إلى معنى أصيل في الفطرة الإنسانية وهو أن الأصل الستر بينما الكشف هو الاستثناء؟!! ولم لا، وقد كانت أول فتنة إبليس لآدم وزوجه في الجنة في اللباس، حتى لقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ إذن فالحياء معنى من معاني الحياة، وهو مركب في ذلك المخلوق المكرَّم؛ الذي أُنزل الله إليه اللباس ستراً والرياش زينة؛ كما أُنزل له الهدى برا وتقوى، فقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] [(٥)] .

---

(١) آل عمران: ٨ .

(٢) البقرة : ٨٥ .

(٣) الأحزاب: ٥٣ .

(٤) إلى الحجاب من جديد .

(٥) عبلة محمد سعيد . الإيمان أم الحجاب؟! مقالة .

أنا غير مقتنعة بالحجاب، ثم هل هو فرض أم سنة؟

أولاً: إن عدم اقتناعك بالحجاب ينقض إسلامك ويُنقصه والعياذ بالله، لأنك بانتسابك لدين الإسلام أعلنت استسلامك لأوامر الله، ولقد اختبر المولى سبحانه سيدنا إبراهيم في ابنه الذي رزقه به على كبر، بعد أن حُرم من الولد، فلما بلغ أشده أمره بذبحه، فهل تردد وطلب من أحد أن يقنعه؟ هل كذَّب نفسه وقال تلك الرؤيا كانت أضغاث أحلام؟ وهل تردد إسماعيل أو حاول الهرب؟ وهل اعترضت هاجر المؤمنة الصابرة؟ على الرغم من محاولات الشيطان معهم جميعا؟ وهل كانوا يعرفون السبب؟! لقد اختُبر إبراهيم في فلذة كبده فاستسلم وأطاع، أفلا تطيعين في الحجاب؟!!!

من الأفضل أن تعترفي بضعف إرادتك أو عدم قدرتك على ارتداء الحجاب؛ وتطلبي من الله العون؛ فذلك أهون من أن تردي على الله أمره وتقولي: " أنا غير مقتنعة" فنحن لسنا مكلفين بالاقتناع بأوامره سبحانه وإنما بطاعته؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ فلا تكوني كالذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ والعياذ بالله!!

أما مسألة الفرض والسنة، فلك أن تطالعي آيات الحجاب الواضحة الصريحة التي فصّلها الله سبحانه في القرآن تفصيلاً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ولعلك لا تريدين التخلف عن ركب المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

فإسلامك يعني الاعتراف بالبعث بعد الموت والحساب يوم القيامة، فماذا أعددتِ لهما؟

أنا مقتنعة بوجوب الحجاب، ولكن والدتي (أو والدي) تمنعني لبسه، وإذا عصيتها دخلت النار:

- يجيب على هذا القول أكرم خلق الله، رسول الله -ﷺ-، بقول وجيز

(١) النور: ٥١.

حكيم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» فإن مكانة الوالدين في الإسلام - وبخاصة الأم - سامية رفيعة، بل إن الله تعالى قرنها بأعظم الأمور - وهي عبادته وتوحيده - في كثير من الآيات، كما قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(١).

• فطاعة الوالدين لا يحد منها إلا أمر واحد هو: أمرهما بمعصية الله، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾(٢).

• ولا يمنع عدم طاعتهما في المعصية من الإحسان إليهما وبرهما؛ قال تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾(٣).

• ولكن - مع كل هذا - طاعتها في معصية الله غير جائزة... فكيف تطيعين أمك وتعصين الله الذي خلقك وخلق أمك؟(٤).

أنا أريد أن أتشبه بالغرب المتحضر حتى لا يقال عني رجعية:

• إذا كان رأي هؤلاء يهمك، فلعلك - إن كنت قد تعاملت مع بعض هؤلاء الغربيين - قد اكتشفت أنهم يبحثون لدينا عن الجديد الذي لا يعرفونه، فإذا اكتشفوا أن محدثهم يتكلم بألسنتهم ويفكر بعقولهم، أعرضوا عنه على الفور؛ وبحثوا عن غيره ممن يدلهم على الجديد مما لا يعرفونه عن التراث والحضارات الأخرى... ولعلك لاحظت أنهم يحترمون من يحترم بيئته، ويفخر بتراثه، ويعتز بمعتقداته، فتراهم يتعجبون من قوة إيماننا، وعزوفنا عن الدنيا، وينبهرون بقدرتنا الهائلة على ضبط النفس وطاعة الله؛ وفي نفس الوقت حرصنا على العمل والإنجاز؛ والأعجب من ذلك أنهم يبحثون عن الحقيقة وراحة النفس والسكينة التي لا يجدونها في معتقداتهم البالية، بدليل تزايد أعداد المسلمين عندهم، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حين أقبلوا على القراءة عن الإسلام لمعرفته ومعرفة خصائص أتباعه، فاكتشفوا أنه دين الفطرة السليمة، الذي يحترم العقل، وحرية الإرادة؛ وأنه ضالتهم المنشودة... بل أن الكثير منهم يعيش دون الانتماء إلى أي دين، لا لشيء إلا لأنه غير مقتنع بالأديان الأخرى، وفي نفس الوقت لم تُتح له الفرصة للتعرف على الإسلام!

---

(١) النساء: ٣٦.
(٢) لقمان: ١٥.
(٣) لقمان: ١٥.
(٤) د. هويدا إسماعيل. أعذار من لا ترتدي الحجاب.

ولعلك سمعت قولهم المأثور: "Be yourself"، وهو يعني: كُن نفسك، وتصرف على طبيعتك وفطرتك، وتعامل مع الآخرين بشخصيتك الفريدة التي خلقها الله لك، فما اختلاف الطبائع والشخصيات إلا آية من آياته سبحانه وهو من ضروريات عمارة الكون وصلاحه... ولا تنسي أن حضارتهم قامت على حضارتنا العربية الإسلامية؛ التي تدهورت بسبب بعد المسلمين عن دينهم، وانحرافهم عن صراط الله المستقيم.

وإذا كنت تفضلين موقف الغرب من المرأة، فلا تنخدعي بالمظاهر الزائفة؛ ولك أن تتأملي: من أكرمها ومن أهانها؟ هل الغرب الذي جعل منها أداة رخيصة لتسويق السلع، فلا يكاد يخلو منتج لديهم إلا وعليه صورها الخليعة؟ أم الإسلام الذي أعزَّها وصانها كاللؤلؤة المكنونة؟ حتى ولو كان شكل المحارة لا يعجبنا؛ فهي ضرورية لصيانة اللؤلؤة!!!.

فلو لم تكوني غالية على الإسلام لما حرص على صيانتك كما تصوني جواهرك وأشياءك النفيسة داخل علبة ثم علبة أخرى ثم في الخزانة، ثم تغلقينها بالمفاتيح!!! أم أنك تتركينها عرضة لأن يصيب منها كل من غدا أو راح؟!!!

وإذا كنت لم تقتنعي بما أقوله بعد، فإليك أهدي مقالة:

- إن الله لم يهدِني بعد أرجوك، لا تنتظري الهداية التي قد تأتي أولا تأتي؛ فالله سبحانه يريدك أن تأتيه بملء إرادتك، كما أنه يقول: ﴿ إن الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد: ١١]؛ فلا تطيلي الانتظار فإن الرسول ﷺ يقول: «لا يزال المرء يتأخر حتى يؤخره الله»، فلا تبيعي سعادتك الأبدية في الجنة، بهذه الدنيا الفانية، ودعي عنك هذه الوساوس.

ولابد من السعي لمرضاة الله، كما تركبين الدابة للسفر دون أن تعرفي هل ستبلغين مقصدك أم لا، وكما تتناولين الدواء، والشافي هو الله؛ كذلك خذي بأسباب الحجاب، وقلبك يدعوه تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١).

أنا أكره الحجاب لأن بعض المحجبات سلوكهن سيئ:

أكره أن أُقر لك بهذه الحقيقة... ولكنها واقع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الفاتحة: ٦.

ولكن هناك أيضاً من يحافظون على الصلوات الخمس ويفعلون الفواحش!!! وهناك من يحجُون وهم ينوون التجارة أو يتسترون وراءه ليفعلوا أشياء أخرى . . . فهل هذا يعني أن نكره الصلاة أو الحج؟ أو أن نتوقف عن الصلاة أو الحج بسبب هؤلاء المخطئين؟ فالخطأ إذن ليس في الحجاب أو الصلاة أو الحج وإنما في تصرفات هؤلاء؛ فاكرهي تلك التصرفات كما تشائين، ولكن لا تكرهي الحجاب.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] . . . فكلٌ منّا محاسَبٌ على أفعاله وليس على أفعال غيره . . . . فتذكري يوم ينادَى عيك باسمك:

" فلانة، هَلُمِّي للعرض على الجبار"، حين تجدين نفسك وحيدة لا يصحبك إلا عملك ، فمن يدافع عنك يومئذٍ؟

سأرتدي الحجاب بعد أن أؤدي العمرة؛ أو الحج حتى أرتديه على نقاء وطهارة من الذنوب:

اعلمي أنك بارتداءك الحجاب تكونين قد تُبتي، والتوبة تمحو ما قبلها، بل ويبدّل الله تعالى سيئاتك حسنات إن أنت أحسنت فيما بينك وبين ربك بعد الحجاب؛ كما أن الذهاب للحج والعمرة ليس بيدك وإنما هي دعوة من الله لمن يشاء من عباده، وما أدراك، فلعلك إن تقربت إليه بالحجاب اصطفاك من بين عباده لتنالي شرف زيارة بيته وقبر رسوله!!!

أنا من أنصار تحرير المرأة:

إن كنت تعتقدين فيما فعله "قاسم أمين"، و"هدى شعراوي" فلك أن تقرأي عنه القصة التالية:

أراد المؤرخ " رفيق العظم " أن يداعب" قاسم أمين" بأسلوب عملي مفحم فطرق منزله يوماً ولما رآه الخادم أسرع فأخبر قاسم أمين فخرج لاستقباله فقال له رفيق العظم: أنا في هذه المرة إنما جئت لزيارة حرمكم لأسألها في بعض مسائل اجتماعية أنا معني بها، فأجابه قاسم أمين: أن زوجتي حرمي لا تقابل الرجال! فقال رفيق العظم: عجباً كيف تدعو إلى شيء وتمنع أهلك منه؟ إذن فأنت تدعو الأمة إلى غير ما تريد لنفسك؟ قال قاسم أمين: أن زوجتي تلقت تربيتها وعاداتها من والديها وهي لم تألف ما أدعو إليه وأنا غير مسؤول عن ذلك . فقال رفيق العظم: كلنا هكذا والخير في ذلك، وتهذيب المرأة لا يتوقف على لقائها بالرجال،

فقد أردت أن أبرهن لك أن ما تدعو إليه يمجه الناس جميعاً حتى أهل بيتك . انتهى بنصه[١] .

• أخشى إن التزمت بالزي الشرعي أن يطلق علي اسم جماعة معينة وأنا أكره التحزب .

• لعلك تعلمين يا ابنتي أن في الإسلام حزبين فقط لا غير ، ذكرهما الله العظيم في كتابه الكريم ، الحزب الأول: هو حزب الله ، الذي ينصره الله تعالى بطاعة أوامره واجتناب معاصيه .

• والحزب الثاني: هو حزب الشيطان الرجيم ، الذي يعصي الرحمن ، ويكثر في الأرض الفساد ، وأنت حين تلتزمين أوامر الله – ومن بينها الحجاب – تصيرين مع حزب الله المفلحين ، وحين تتبرجين وتُبْدين مفاتنك تركبين سفينة الشيطان وأوليائه من المنافقين والكفار ، وبئس أولئك رفيقاً .

• أرأيتِ كيف تفرِّين من الله إلى الشيطان ، وتستبدلين الخبيث بالطيب ، ففري يا ابنتي إلى الله ، وطبقي شرائعه ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٢] ، فالحجاب عبادة سامية لا تخضع لآراء الناس وتوجيهاتهم واختياراتهم ؛ لأن الذي شرعها هو الخالق الحكيم .

• وفي سبيل إرضاء الله تعالى ورجاء رحمته والفوز بجنته: اضربي بأقوال شياطين الإنس والجن عرض الحائط ، وعضي على الشرع بالنواجذ ، واقتدي بأمهات المؤمنين والصحابيات العالمات المجاهدات .

وماذا بعد الحجاب؟؟؟

ينبغي أن تسمع منك ابنتك مثل هذه الكلمات:

ابنتي: إنني والله لينشرح صدري كلما رأيتك وقد استسلمت لأمر الله وسعدت بحجابك ، كما تطيب نفسي كلما رأيت مسلمة جديدة وقد حباها الله – مثلك – بالحجاب الشرعي ، وأشعر أن زيادة عدد المحجبات ما هي إلا بشارات لعودة الفطرة السوية للطفو فوق ما علا قلوبنا من جهل وبعد عن ديننا!!!! فالحجاب يا

---

(١) الداعية الإسلامي الأستاذ "عمرو خالد" . درس الحجاب ؛ ودرس الطريق إلى الجنة: أحد دروس رمضان ١٤٢٢هـ .

(٢) الذاريات: ٥٠ .

بنيتي خطوة واسعة على طريق الفوز بمحبة الله تعالى ورضوانه ؛ ولكنها ليست نهاية الطريق . فإن وقفت عندها ، فالخوف عليك من الشيطان أن يعيدك إلى ما كنت عليه قبل الحجاب . . . وإن مشيت في طريقك قُدُماً هيأ الله لك من أسباب الخير وفتح لك من أبواب الطاعة ما تقر به عينك وتهنأ معه نفسك وتسكن به جوارحك ؛ فاستمري ولا تلتفتي إلى الوراء ، بل اشكري المولى القدير بأن تحاولي إنقاذ من حولك من صويحباتك وغيرهن من النار ، وتشجيعهن على اتخاذ هذه الخطوة المباركة ، بالرفق ، ولين الجانب ، والحكمة والموعظة الحسنة ؛ وواظبي على ذكر الله وحضور مجالس العلم الشرعي ، فهناك ستجدين الكثير من الأخوات الصالحات اللاتي يتفق طبعك مع طباعهن ، وتعين كل منكن الأخرى على المزيد من الطاعة ، وعلى الثبات إن شاء الله ؛ فتفزن جميعا بثواب الأخوة في الله ، وتجتمعن على منابر من نور حول عرش الرحمن يوم القيامة إن شاء الله .

والآن أهمس إليك بما يلي ، لأذكّر نفسي وإياك - استجابة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

١ - بارك الله فيك ، لقد أصبحت الآن - من أول لحظة لارتداءك الحجاب - رمزاً للإسلام . . . ويا له من شرف ؛ فبالله عليك أحسني إلى إسلامك .

٢ - إن كونك قدوة لا يعني أنك لا تذنبين ، ولكن إياك والجهر بالمعاصي .

٣ - إن آلاف المحجبات لا يعطين أثراً في النفس كواحدة تعلن اعتزازها التام بل وفخرها بحجابها وحبها له .

٤ - إن حجابك فضل من الله عليك وليس تفضلاً منك ، فاحمدي الله الذي عافاك مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، وادعيه - سبحانه - أن يَمُنَّ به على أخواتك المسلمات .

٥ - تذكري أن غير المحجبة ضحية لشياطين الإنس والجن ؛ وأن وقت هدايتها لم يحن بعد ؛ فرفقاً بها ، وتذكري قول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾(١) .

٦ - لا تجعلي من حجابك زينة لأي سبب ولو كان السبب هو الدعوة .

وتذكري دائماً يا بنيتي أنك عندما ترتدين حجابك فأنت تحتسبين:

١ - ثواب السمع والطاعة . . والرضا والتسليم لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ أي

(١) النساء: ٩٤ .

الفوز بالجنان التي تجري من تحتها الأنهار قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

٢- عبادة تتقربين بها إلى الله محتسبة قوله تعالى في الحديث القدسي: « ... **وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**» (٢).

٣- أن الله سبحانه يحب الحجاب فاحتسبي أن يحصل لك حب الله ورضاه لأنك تفعلين محابّه... قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...** » (٣).

٤- أجر الصبر على: طاعة الله تعالى... والصبر عن معصية الله... وعلى السخرية من حثالة القوم... وحرارة الطقس، وما أروع قطرات العرق تنحدر من جبينك لتملأ وجهك النقي عندما تحتسبينها عند الله، ولن يزعجك وجودها أبداً فهي لا تعني لك شيئاً! لأن المحب يصبر من أجل رضا محبوبه، ولن تكون شدة حرارة الطقس سبباً في تهاونك بالحجاب أبداً لأنك تدركين جيداً معنى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٤).

٥- ثواب نصرة الإسلام عن طريق نصرة الحجاب الشرعي بتكثير سواده في المجتمع. فأبشري بالعز والظفر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥).

٦- ثواب الاقتداء بالصالحات والتشبه بهن، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - جاء رجل إلى الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**» (٦).

٧- ثواب العفاف فأنت مأمورة بصون عرضك وحفظ نفسك، وهي عبادة تؤجرين

---

(١) النساء: ١٣.
(٢) رواه مسلم (٢٦٧٥).
(٣) صحيح البخاري (٦٠٢١).
(٤) التوبة: ٨١.
(٥) الحج: ٤٠.
(٦) البخاري (٦١٦٩).

عليها ، والحجاب يعينك على أداء هذه العبادة .

٨- أجر صون المجتمع من الاختلاط المؤدي إلى الرذيلة وتفشي الفاحشة ، فإنك بالتزامك بالحجاب الشرعي الكامل تقفين مع أخواتك المحجبات سدا منيعا دون تقدم الفساد في بلادك . . . أما إن كان عدد المحجبات قليلاً في بلدك فالسيل يبدأ بقطرة واحدة . . . فارتدي الحجاب واحتسبي أن تكوني أنت تلك القطرة .

٩- ثواب إحياء الفضيلة ونشرها ، فمجتمع نساؤه جميعهن محجبات أحرى بأن تسوده الطهارة والعفة ، وحجابك لبنة أساسية في بناء الفضيلة فتمسكي به بقوة لأن العواصف حولك شديدة وإن لم تكوني قوية بإيمانك فسيطير حجابك مع الأوراق والغبار . . .

١٠- ثواب تعزيز أحد المظاهر التي تُميز الأمة الإسلامية ، وفيه مخالفة اليهود والنصارى وغيرهم ، واحمدي الله أن اختارك لهذه المهمة دون الرجل .

١١- أجر التعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[1] .

ذلك أنك بارتدائك الحجاب الإسلامي تتعاونين مع أخواتك المحجبات على معاونة الشاب المسلم على حفظ نفسه حتى لا يفتتن بك وتفسدي عليه دينه وصفاء قلبه ، وما يتبع ذلك من فساد أخلاقه فتأثمي لأنك كنت السبب في ضلال شاب مسلم شعرت أم لم تشعري والرسول ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2] ولا أظنك تحبين أن يفتنك أحد في دينك لتخسري آخرتك . . . فكيف ترضيه لغيرك؟ .

موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن:

قالت عائشة: يرحم الله نساء المهاجرين الأول . . . لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[3] . شققن مروطهن فاختمرن بها[4] . . . وجلس إليها بعض النساء يوماً ، فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت: "إن نساء قريش

---

(١) المائدة: ٢ .

(٢) رواه البخاري .

(٣) النور ، الآية: ٣١ .

(٤) صحيح البخاري .

لفضليات، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار وأشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيها، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح، معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان".

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن. موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر، واجتناب ما نهى، بلا تردد ولا توقف ولا انتظار. أجل لم ينتظرن يوماً أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن أكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتسدل على الوجوه حتى تغطى، وتتسع لتضرب على الجيوب؛ بل أي كساء وجد، وأي لون تيسر، فهو الملائم والموافق، فإن لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن، وشددنها على رؤوسهن، غير مباليات بمظهرهن الذي يبدون به كأن على رؤوسهن الغربان، كما وصفت أم المؤمنين.

ويمكننا أن نأخذ درساً آخر مما ذكرته عائشة رضي الله عنها عن رجال الأنصار، هو اهتمامهم بتعليم نسائهم القرآن، وإلزامهن بتطبيق أوامر الله حيث قالت: "فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيها".

وإننا نلحظ تقصيراً ظاهراً وإهمالاً مفرطاً في قيام الرجل أو الزوج بتعليم أهله أمور دينهم.. وكأن مسؤوليته انحصرت في الطعام والكسوة.. وكأنه لم يسمع قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ [التحريم: ٦] وقد يعتذر البعض بجهله بأحكام الشرع وفاقد الشيء لا يعطيه، فنقول: إن عليك أن تتعلم ما تنقذ به نفسك ومن تعول من نار وقودها الناس والحجارة.. كما أن وسائل تعليم الأهل كثيرة منها الأشرطة الإسلامية، ومنها حثهم وتوجيههم إلى سماع إذاعة القرآن الكريم، ومجالسة الصالحات، إلى آخره من وسائل الخير..

نعم.. ما أكثر تقصير بعض الرجال في حق تعليم نسائهم.. فإن الرجل - بجهله - يظن أن لا فائدة من تعليم المرأة أمور دينها... وكل ما عليها أن تطيعه فيما أمر وتجتنب ما نهى عنه وزجر.. فإن فعلت ذلك فلتبشر بالجنة.. ونعم المستقر! مردداً صباح مساء: ألست تريدين الجنة؟ فأنا جنتك ونارك.. أطيعيني تسعدي..

وكم يحرم مثل هذا الرجل امرأته - متعلمة كانت أو جاهلة - من الخير حين يحرمها من مجالس الذكر ومجالسة الصالحات والتدارس معهن بحجة أن زوجها

وأولادها أولى بوقتها . . وما عرف المسكين أنها كلما زادت علماً بدينها كلما ازدادت طاعة له ، وكلما قل علمها ازدادت تمردا عليه ، وأنه بالإمكان - لو وجدت النية والعزيمة والتنسيق - الجمع بين مهمات الأسرة ، ومتطلبات الاستزادة من العلم النافع والعمل الصالح .

إن تعليم المرأة المستمر لأمور دينها مسؤوليتك أيها الرجل أمام الله تعالى ، وحق لها عليك سيسألك الله عنه يوم القيامة .

إنك تعلم أنه بتقوى الله ، ثم بالتنظيم والترتيب ستكسب زوجتك الخير دون أن يتضرر بيتك بشيء .

ولا تكن ممن لا يمنع ذلك إلا لأنه يخشى أنها بمزيد من العلم الشرعي ستعرف ما لها من الحقوق فتواجهك بتقصيرك!

فهب - أخي - من رقدتك ، وانفض عنك غبار التقصير فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

أعلم أنك ستقول ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] . . نعم إن هذه الدرجة هي التي تلزمك بتيسير أسباب التعلم لامرأتك . . فمن فمك أدينك .

سؤال مشهور جدا

ماحكم كشف الوجه واليدين للمرأة أمام الرجال الأجانب؟

فقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تغطيتهما وكثير من الناس يجهل ويخلط في هذه المسألة ، ولذا لابد من تحرير محل النزاع بين العلماء فيها .

أولاً: محل الخلاف إنما هو الوجه واليدين ، أما ما عداهما فيجب فيها التغطية بالاتفاق ؛ كالقدم ، والساعد ، وشعر الرأس ، كل هذا عورة بالاتفاق .

ثانياً: اتفق العلماء على وجوب تغطية الوجه واليدين إذا كان فيهما زينة كالكحل في العين ، والذهب والحناء في اليدين .

ثالثاً: اتفق العلماء على وجوب تغطية الوجه واليدين إذا كان في كشفهما فتنة . وقد نص كثير من العلماء القائلين بأن وجه المرأة ليس بعورة على وجوب تغطية الشابة لوجهها دفعاً للفتنة .

وعليه فإن كشف أكثر النساء اليوم لوجوههن أمر محرم باتفاق العلماء ؛ لكونها كاشفة عن مقدمة الرأس والشعر ، أو لأنها قد وضعت زينة في وجهها أويديها ؛ كالكحل أو الحمرة

في الوجه، أو الخاتم في اليد.

فمحل الخلاف إذاً بين العلماء هو الوجه واليدين فقط، إذا لم يكن فيهما زينة، ولم يكن في كشفهما فتنة، واختلفوا على قولين: الوجوب والاستحباب. فالقائلون بأن وجه المرأة عورة قالوا بوجوب التغطية، والقائلون بأن وجه المرأة ليس بعورة قالوا يستحب تغطيته.

ولم يقل أحد من أهل العلم إن المرأة يجب عليها كشف وجهها، أو أنه الأفضل. إلا دعاة الفتنة ومرضى القلوب.

أما العلماء فإنهم لما بحثوا المسألة بحثوا عورة المرأة؛ هل الوجه عورة؟ أو ليس بعورة. بمعنى هل تأثم المرأة إذا كشفت وجهها أو لا تأثم؟ أما استحباب تغطية الوجه للمرأة فهو محل اتفاق بين القائلين بأن وجه المرأة ليس بعورة.

ومن العلماء المعاصرين القائلين بأن وجه المرأة ليس بعورة: الألباني رحمه الله، لكنه يقول بالاستحباب ويدعو النساء إلى تغطية الوجه تطبيقاً للسنة حتى قال في كتابه جلباب المرأة المسلمة: " ولقد علمت أن كتابنا هذا كان له الأثر الطيب - والحمد لله - عند الفتيات المؤمنات، والزوجات الصالحات، فقد استجاب لما تضمنه من الشروط الواجب توافرها في جلباب المرأة المسلمة الكثيرات منهن، وفيهن من بادرت إلى ستر وجهها أيضاً، حين علمت أن ذلك من محاسن الأمور، ومكارم الأخلاق، مقتديات فيه بالنساء الفضليات من السلف الصالح، وفيهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن " انتهى كلامه رحمه الله[(١)].

وأردت بهذا أن يتميز كلام العلماء القائلين بأن وجه المرأة ليس بعورة، وبين دعاة الرذيلة:

فإن العلماء لم يدعُ واحد منهم إلى أن تكشف المرأة وجهها، بل أقل ما قيل بينهم إن التغطية هو الأفضل. بخلاف دعاة السوء الذين يطالبون بكشف المرأة لوجهها. وما الذي يَضُرهم، وما الذي يُغيظهم من تغطية المرأة لوجهها؟! إنه سؤال يحتاج منا إلى جواب. نسأل الله الكريم أن يحفظ نساء المسلمين من كيدهم.

وأعود مرةً أخرى إلى محل النزاع في حكم تغطية المرأة لوجهها ويديها هل هو واجب أو مستحب؟ الراجح من قولي العلماء وجوب تغطية المرأة لوجهها ويديها أمام الرجال الأجانب.

---

(١) جلباب المرأة المسلمة ص٢٦.

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (١).

فالله جل وعلا يقول ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ وقد استقر في فطر الناس أن أعظمَ زينة في المرأة هو وجهها، ولذلك فإن أهم ما يراه الخاطب هو الوجه، وكذلك الشعراء حاضراً وقديماً في غرض الغزل، فالوجه أعظم مقياس عندهم للفتنة والجمال.

وقد اتفق العلماء على وجب ستر المرأة لقدمها وشعرها أمام الرجال الأجانب؛ فأيهما أعظم زينة الوجه واليدين أم القدم؟!، ولاشك بأن الوجه واليدين أعظم في الزينة وأولى بالستر.

بل قد جعل الله ضرب المرأة بقدمها الأرض أثناء مشيها لسماع الرجال صوت الخلخال من الزينة المحرم إبداؤها كما في الآية التي تليها ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ (٢) وكشف المرأة لوجهها ويديها أمام الرجال الأجانب أعظم زينة من سماعهم لصوت خلخالها، فوجوب ستر الوجه واليدين ألزم وأوجب.

الدليل الثاني: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» (٣). وأصل الاستشراف: وضع الكف فوق الحاجب ورفع الرأس للنظر. والمعنى أن المرأة إذا خرجت من بيتها طمع بها الشيطان ليغويها أو يغوي بها.

وهذا الحديث نص في أن المرأة كلها عورة ولم يستثن النبي ﷺ منها شيء.

الدليل الثالث: حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك وهم راجعون من غزوة بني المصطلق وقد نزلوا في الطريق فذهبت عائشة لقضاء حاجتها ثم عادت إليهم وقد آذنوا بالرحيل فلم تجد عقدها فرجعت تتلمسه في المكان الذي ذهبت إليه فلما عادت لم تجد أحداً فجلست. وقد حملوا هودجها على البعير ظناً

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) النور: ٣١.

(٣) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح (الإرواء ١/ ٣٠٣).

منهم أنها فيه ولم يستنكروا خفة الهودج ؛ لأنها كانت خفيفة حديثة السن .

وكان من فطنتها أن جلست في مكانها الذي كانت فيه ، فإنهم إن فقدوها رجعوا إليها .

قالت رضي الله عنها: فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت " وفي رواية: فسترت " وجهي عنه بجلبابي . . .[1] فصفوان ابن المعطل رأى سواد إنسان فأقبل إليه . وهذا السواد هو عائشة - رضي الله عنها - وكانت نائمة ، كاشفة عن وجهها ، فعرفها صفوان ، فاستيقظت باسترجاعه ؛ أي بقوله: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" فعائشة رضي الله عنها لما قالت (فعرفني حين رآني) برزت سبب معرفته لها ولم تسكت فكأن في ذهن السامع إشكال: كيف يعرفها وتغطية الوجه واجب . فقالت: (وكان رآني قبل الحجاب) .

وفي قولها (وكان رآني قبل الحجاب) فائدة أخرى ، ودليل على أن تغطية الوجه هو المأمور به في آية الحجاب .

ثم قالت عائشة - رضي الله عنها - (فخمرت " وفي رواية: فسترت " وجهي عنه بجلبابي) وقولها هذا في غاية الصراحة .

الدليل الرابع: قول عائشة - رضي الله عنها -: "كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات ، فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفناه" أخرجه أحمد وأبو داود وسنده حسن .

الدليل الخامس: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (كنا نغطي وجوهنا من الرجال ، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام)[2] ويقول بعض الناس إن النصوص الواردة في تغطية الوجه خاص بزوجات النبي ﷺ . وهذه الشبهة الضعيفة تروج عند كثير من العامة والجواب عنها أن يقال:

إن الأصل في نصوص الشرع هو العموم إلا إذا دل الدليل على التخصيص ، ولا دليل . هذا أولاً .

ثانياً: أنه قد ثبت عن نساء الصحابة تغطية الوجه كما في أثر أسماء ، وقولها كنا السابق

---

(١) متفق عليه .

(٢) إسناده صحيح أخرجه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي (انظر الإرواء ٤/ ٢١٢) .

(كنا نغطي وجوهنا من الرجال) فأسماء ليست من زوجات النبي ﷺ نغطي يعم نساء الصحابة .

ثالثاً: أن الأمر بالحجاب ورد مصرحاً به لجميع نساء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١) .

وأنقل هنا أقوال بعض العلماء في وجوب تغطية المرأة لوجهها أمام الرجال الأجانب: قال أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾: في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن (٢) .

قال أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] والمرأة كلها عورة؛ بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لضرورة أو لحاجة، كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها (٣) .

قال النووي رحمه الله في المنهاج (وهو عمدة في مذهب الشافعية): " ويحرم نظرفحل بالغ إلى عورة حرة كبيرة أجنبية وكذا وجهها وكفها عند خوف الفتنة (قال الرملي في شرحه: إجماعاً) وكذا عند الأمن على الصحيح " . قال ابن شهاب الدين الرملي رحمه الله في شرحه لكلام النووي السابق: " ووجهه الإمام: باتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه، وبأن النظر مظنة الفتنة، ومحرك للشهوة . . وحيث قيل بالتحريم وهو الراجح: حرم النظر إلى المنتقبة التي لا يبين منها غير عينيها ومحاجرها كما بحثه الأذرعي، ولاسيما إذا كانت جميلة، فكم في المحاجر من خناجر "(٤)اهـ.

قال النسفي الحنفي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾: يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن (٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وكشف النساء وجوههن بحيث يراهن الأجانب غير جائز . وعلى ولي الأمرِ الأمرُ بالمعروف والنهى عن هذا المنكر وغيره، ومن لم يرتدع

---

(١) الأحزاب: ٥٩ .
(٢) أحكام القرآن (٣/ ٣٧١) .
(٣) أحكام القرآن (٣/ ٦١٦) .
(٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الشافعي (٦/ ١٨٧، ١٨٨) .
(٥) مدارك التنزيل (٣/ ٧٩) .

فإنه يعاقب على ذلك بما يزجره "(١) .

قال ابن جزي الكلبي المالكي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ " كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعياً إلى نظر الرجال لهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليستر بذلك وجوههن "(٢) .

قال ابن القيم رحمه الله: " العورة عورتان: عورة النظر، وعورة في الصلاة؛ فالحرة لها أن تصلي مكشوفة الوجه والكفين، وليس لها أن تخرج في الأسواق ومجامع الناس كذلك، والله أعلم "(٣) .

وقال تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله: " الأقرب إلى صنيع الأصحاب أن وجهها وكفيها عورة في النظر "(٤) .

قال ابن حجر في شرح حديث عائشة رضي الله عنها وهو في صحيح البخاري أنها قالت: " لَمَّانَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٥) أَخَذْنَ أُزْرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الْحَوَاشِي فَاخْتَمَرْنَ بِهَا " . قال ابن حجر: "قوله فاختمرن أي غطين وجوههن"(٦) .

قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾(٧): " هذه آية الحجاب في حق سائر النساء، ففيها وجوب ستر الرأس والوجه عليهن "(٨) .

قال البهوتي الحنبلي رحمه الله: " الكفان والوجه من الحرة البالغة عورة خارج الصلاة باعتبار النظر كبقية بدنها(٩)" .

وغيرهم كثير ولولا خشية الإطالة لنقلت أقوالهم .

وقد قال بوجوب تغطية المرأة لوجهها وكفيها جمع كبير من العلماء المعاصرين، منهم أصحاب الفضيلة: عبدالرحمن بن سعدي، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومحمد الأمين الشنقيطي، وعبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وأبو بكر جابر الجزائري، ومحمد بن عثيمين،

(١) مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٨٢) .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٤٤) .
(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٨٠) .
(٤) نهاية المحتاج (٦/ ١٨٧) .
(٥) النور: ٣١ .
(٦) الفتح (٨/ ٣٤٧) .
(٧) الأحزاب ٥٩ .
(٨) عون المعبود (١١/ ١٥٨) .
(٩) كشاف القناع (١/ ٢٦٦) .

وعبدالله بن جبرين، وصالح الفوزان، وبكر بن عبدالله أبو زيد - رحمهم الله، وحفظ الأحياء منهم - وغيرهم كثير.

و أنقل هنا كلام العلامة محمد بن عثيمين. قال رحمه الله بعد أن قرر وجوب تغطية المرأة لوجهها وكفيها: " وإني لأعجب من قوم يقولون: إنه يجب على المرأة أن تستر قدمها، ويجوز أن تكشف كفيها!! فأيهما أولى بالستر؟! أليس الكفان؛ لأن نعمة الكف وحسن أصابع المرأة وأناملها في اليدين أشد جاذبية من ذلك في الرجلين.

وأعجب أيضاً من قوم يقولون: إنه يجب على المرأة أن تستر قدميها، ويجوز أن تكشف وجهها!! فأيهما أولى بالستر؟! هل من المعقول أن نقول إن الشريعة الإسلامية الكاملة التي جاءت من لدن حكيم خبير توجب على المرأة أن تستر القدم، وتبيح لها أن تكشف الوجه؟!.

الجواب: أبداً هذا تناقض؛ لأن تعلق الرجال بالوجوه أكثر بكثير من تعلقهم بالأقدام.

إلى أن قال رحمه الله: " أنا أعتقد أن أي إنسان يعرف مواضع الفتن ورغبات الرجال لا يمكنه إطلاقاً أن يبيح كشف الوجه مع وجوب ستر القدمين، وينسب ذلك إلى شريعة هي أكمل الشرائع وأحكمها.

ولهذا رأيت لبعض المتأخرين القول بأن علماء المسلمين اتفقوا على وجوب ستر الوجه لعظم الفتنة؛ كما ذكره صاحب نيل الأوطار عن ابن رسلان.. "(١)

ارفعي صوتك ضد الخلاعة... ضد الأزياء الماجنة:

(أليست شفاوزر) امرأة ألمانية تحمل راية الدفاع عن الحقوق الإنسانية للمرأة في مواجهة استغلالها في تجارة الخلاعة، واقترحت قانوناً لمكافحة الخلاعة قُدم للبرلمان الألماني، فهذه واحدة من الحركات في الغرب التي يسعى النساء من خلالها لتحرير المرأة من الامتهان والاستغلال الجنسي وجعل المرأة وسيلة للمتعة.

* وكتبت عالمة اجتماعية أمريكية تُدعى (أندريا دوراكن) تحت عنوان [خلاعة]: "بدافع اللذة يربطوننا وكأننا قطع لحم، ويعلقوننا على الأشجار، ويصورون الاغتصاب ويعرضونه في السينما وينشرونه في المجلات".

* وتقول الكاتبة الأمريكية (هيلين ستانبري): " إن المجتمع المسلم مجتمع كامل

---

(١) فتاوى المرأة المسلمة ١/ ٤٠٣، ٤٠٤.

وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الشاب والفتاة " ثم تقول: " ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة. بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من الإباحة والانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا ".

* وهذا اعتراف وهتاف من عارضة أزياء مشهورة.. فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها.. فهي من عالم العطور والفراء ودنيا (الموضات) والأزياء تقول: إن بيوت الأزياء جعلت مني مجرد صنم متحرك، مهمته العبث بالقلوب والعقول... فقد تعلمت كيف أكون باردة قاسية مغرورة فارغة من الداخل.. لا أكون سوى إطار يرتدي الملابس، فكنت جماداً يتحرك ويبتسم، ولكنه لا يشعر، ولم أكن وحدي المطالبة بذلك، فكلما تألقت العارضة في تجردها من بشريتها وآدميتها زاد قدرها في هذا العالم القاسي البارد، أما إذا خالفت أياً من تعاليم الأزياء فتعرض نفسها لألوان العقوبات، التي يدخل فيها الأذى النفسي والجسماني أيضاً. ثم تضيف: (عشت أتجول في العالم عارضة لأحدث خطوط الموضة، بكل ما فيها من تبرج وغرور، ومجاراة لرغبات الشيطان في إبراز مفاتن المرأة دون خجل ولا حياء) وتقول: لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ إلا من الهواء والقسوة، بينما كنت أشعر بمهانة النظرات واحتقارهم لي شخصياً واحترامهم لما أرتديه.

هذا ما قالته (فابيان) عارضة الأزياء الفرنسية الشابة البالغة من العمر ثمانية وعشرين عاماً، وذلك بعد إسلامها وفرارها من ذلك الجحيم الذي لا يطاق، وتوجهها إلى الحدود الأفغانية لتعيش ما تبقى من حياتها وسط الأسر المسلمة وهو كلام واضح لا يحتاج إلى تعليق.

* وتقول الممثلة المشهورة: (بريجيت باردو): كنت غارقة في الفساد الذي أصبحت في وقت رمزاً له، لكن المفارقة أن الناس أحبوني عارية ورجموني عندما تبت، عندما أشاهد الآن أحد أفلامي السابقة فإنني أبصق على نفسي وأقفل الجهاز فوراً كم كنت سافلة... قمة السعادة للإنسان الزواج... إذا رأيت امرأة مع رجل ومعهما أولادهما أتساءل في سري: لماذا أنا محرومة من مثل هذه النعمة[1].

وبعد - أختي القارئة - هذه مقتطفات مختصرة من مئات بل من آلاف الهتافات ضد الخلاعة.. ضد الأزياء المتهتكة.. ضد تعرية الجسد وتسعير الشهوات هذه الآهات في

---

(١) فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر العمر، (ص٥٨).

معظمها من العاقلات أو المجربات من بنات جنسك فهل تعتبرين[١] .؟!

ما هو القصد من ترويج مفهوم الموضات والأزياء؟

أيتها الأخت الكريمة ، لقد أيقن أعداء الإسلام أنك أفضل وسيلة يتوصلون بها لإفساد المجتمع المسلم ، فهذه إحدى عباراتهم التي تبين تخطيطهم لك أيتها المرأة المسلمة ، قالوا: اكسبوا النساء أولاً والبقية تأتي وتقول إحدى الكافرات: ليس هناك طريق أقصر مسافة لهدم الإسلام من إبعاد المرأة المسلمة ، والفتاة المسلمة ، عن آداب الإسلام وشرائعه .

لقد علم أعداؤنا أن من المستحيل أن يتوصلوا لما يصبون إليه ؛ من إفساد المرأة المسلمة خلال أشهر ، أو سنوات معدودة ، فعمدوا إلى أسلوب ماكر وخبيث ، يقوم في أساسه على التدرج ، والتخطيط للمدى البعيد من الزمن ، وارتكازه على إزالة حياء المرأة وتنفيرها من دينها ، مع ملاحظة التدرج في كل ذلك ، وعدم التصريح أو العرض المباشر ، وإليك أمثلة لما يصدر عن أعدائك ، وأعداء المرأة على وجه العموم ، فقد قالوا:

إن أردت الرشاقة وخفة الحركة فعليك بالأزياء . . انتقي منها ما يناسبك ، وما يظهر رشاقتك . . . ينبغي أن تكوني جذابة فهكذا تكون المرأة المتحضرة . . .

تابعي صيحات الموضة . . فالممثلة المشهورة تلبس كذا ، وفلانة تصفف شعرها وتقصه على تلك الطريقة . . . أبرزي نفسك بقدر ما تستطيعن ؛ لتحوزي على إعجاب غيرك ، لينجذب إليك كل أحد . . لينجذب إليك فتى أحلامك ، وشريك حياتك . .

ثم تلبسوا بلبوس الأخلاق ، فقالوا: كيف تحافظين على محبة زوجك؟ البسي كذا وافعلي كذا . . وهكذا ، ثم صرحوا فقالوا: كيف تجذبين انتباه الرجل؟ . . هذا فستان يكشف [**مفاتن الصدر**] ، وهذا يكشف [**مفاتن الظهر**] ، وهذا يكشف [**مفاتن الساقين**] .

وقد كان الخبث أعظم والمكر أكبر ؛ فأغرقوا السوق بالمجلات النسائية ، التي تعرض صور الموديلات الشرقية والغربية ، وهي بجملتها وتفاصيلها مما حرمه الله ورسوله ﷺ ، فتأتي تلك المسلمة المقلدة لتدفع للخياط بالموديل الذي تلبسه تلك الكافرة ، أو الأخرى الفاسقة ، من اللواتي يتاجرن بأعراضهن ، وتريد أن تلبس مثله ، فإن سلمت من الموديل المتبرج ، لم تسلم قطعاً من التقليد والتشبه بتلك

---

(١) خالد بن عبد الرحمن الشايع .

الكافرة، ويقول الرسول ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(١). وهذه البلية قل أن يسلم منها أحد من نساء المسلمين، حتى المتمسكات بالدين منهن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنت ترين - أختي المسلمة - كيف أن الموديلات والأزياء أخذت في التوسع لدى النساء، ويدل على ذلك الكم الهائل من مجلات الأزياء الشرقية والغربية، في الأقمشة، وطرق لبسها، وتفصيلها، وفي العطور وقصات الشعر... إلخ.

تقليد أعمى!!:

نشاهد في هذه الأيام ما يجعل الشخص يمل من الخروج ومشاهدة هذه المنكرات من حوله في الاسواق وفي اجتماعات النساء والأفراح والمناسبات للأسف هذا ونحن مسلمون...

أختي: لماذا تتابعين الموضة وتسيرين خلفهم؟؟

هل لكي تبدي جميلة؟؟ أم تسمينه تطور؟؟ أم تقلدين الناس لمتابعتهم للموضة؟؟

ولكن يخطر في بالي سؤال: هل استفدت من هذه الموضة بشيء؟؟

هل حققت رغبتك في ذلك؟ نحن في بلد إسلامي وأمة إسلامية...

لما هذا التقليد... لما هذا الغباء؟؟ جاؤوا بالأحمر.... اشترينا كل شيء أحمر... جاؤوا بالألوان الفاقعة.. رحنا نجرى وراءها... لماذا؟؟

أشعر أن هناك نوع من الهبل والجنون..!! هل نحن نتبع هؤلاء اليهود والنصارى الذين يهينون إخواننا المسلمين ويستحقرونهم.. أين ذهبت عقولنا عندما نقلدهم...

بل للأسف الأغلبية يسمي هذا.. (تقدم ورقي وأتيكيت)... هل التقدم والرقي يزيد بالتشبه وتقليد شيء ليس له قيمة ولا فائدة ولا غاية... أم التقدم يكون بالعلم وزيادة الإيمان؟؟

أترك الجواب لكم؟؟

إخوتي ألم نسمع بقول الرسول ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قالوا: يارسول الله: اليهود والنصارى؟؟!!**

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١). وجود إسناده ابن تيمية.

قال: «فمن؟» [(١)] . . .

تأملوا هذا الحديث وانظروا ماذا قال الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال: **«حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»** . .

ياناس ياعالم . . جحر ضب خص هنا بالذكر لشدة ضيقه . .؟؟!!

احذروا إخوتي إنه أمر عظيم لقد تفشى مظاهره في المجتمعات الإسلامية . . . .

وكثير من أبناء وبنات العصر انبهروا بالغرب وحضاراتهم الزائفة لأنها قائمة على باطل . .

ألم نسأل أنفسنا يوما لماذا الغرب لا يلبسون لباسنا ولا يقلدونا؟؟

والمشكلة الكبرى نقلدهم . . .

إخوتي نحن ابتعدنا عن الدين لذلك لجأنا لهذه الساخافات . . . وللأسف أصبح الآن الشباب ليس البنات فقط يتابعون الموضة . . البنطلون والكاب والنظارات الشمسية والحلقان والسلاسل .

وأحبائي: هيا بنا لنعود سويا ونرجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله . . ونعمل على مايفيدنا في الدنيا .

* * * * *

المبحث الثاني:
الحجاب الشرعي وحجاب النفاق

يجب أن يكون لباس المرأة المسلمة ضافيا: يستر جميع جسمها عن الرجال الذين ليسوا محارمها . ولا تكشف لمحارمها إلا ما جرت العادة بكشفه من وجهها وكفيها وقدميها .

وأن يكون ساترا لما وراءه فلا يكون شفافا يرى من ورائه لون بشرتها .

وألا يكون ضيقا يبين حجم أعضائها . . في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، ورؤوسهن مثل أسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها عباد الله»** [(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) موطا مالك١٤٢١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: وقد فسر قوله ﷺ: «كاسيات عاريات» بأن تكتسي ما لا يسترها. فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية. مثل من تكتسي الثوب الرقيق يصف بشرتها أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع خلقها، وإنما كسوة المرأة ما يسترها فلا يبدي جسمها ولا حجم أعضائها لكونه كثيفا واسعا، وألا تتشبه بالرجال في لباسها، فقد لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال، ولعن المترجلات من النساء. وتشبهها بالرجل في لباسه أن تلبس ما يختص به نوعا وصفة في عرف كل مجتمع بحسبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: (فالفارق بين لباس الرجال والنساء يعود إلى ما يصلح للرجال وما يصلح للنساء. وهو ما يناسب ما يؤمر به الرجال وما تؤمر به النساء. فالنساء مأمورات بالاستتار والاحتجاب دون التبرج والظهور، ولهذا لم يشرع للمرأة رفع الصوت في الأذان، ولا التلبية، ولا الصعود إلى الصفا والمروة، ولا التجرد في الإحرام كما يتجرد الرجل، فإن الرجل مأمور بكشف رأسه وألا يلبس الثياب المعتادة، وهي التي تصنع على قدر أعضائه فلا يلبس القميص، ولا السراويل، ولا الخف. إلى أن قال: وأما المرأة فإنها لم تنه عن شيء من اللباس لأنها مأمورة بالاستتار والاحتجاب، فلا يشرع لها ضد ذلك. لكن مُنعت أن تنتقب وأن تلبس القفازين، لأن ذلك لباس مصنوع على قدر العضو ولا حاجة بها إليه.

ثم ذكر أن تغطي وجهها بغيرهما عن الرجال. إلى أن قال في النهاية: وإذا تبين أنه لا بد من أن يكون بين لباس الرجال عن النساء، وأن يكون لباس النساء فيه الاستتار والاحتجاب ما يحصل مقصود ذلك ظهر أصل هذا الباب وتبين أن اللباس إذا كان غالبه لبس الرجال نهيت عنه المرأة إلى أن قال: فإذا اجتمع في اللباس قلة الستر والمشابهة نهي من الوجهين.

وألا يكون فيه زينة تلفت الأنظار عند خروجها من المنزل؛ لئلا تكون من المتبرجات بالزينة.

والحجاب معناه أن تستر المرأة جميع بدنها عن الرجال الذين ليسوا من محارمها كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (٢) .

والمراد بالحجاب ما يستر المرأة من جدار أو باب أو لباس، لفظ الآية وإن كان واردا في أزواج النبي ﷺ فإن حكمه عام لجميع المؤمنات، لأنه علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وهذه علة، فعموم علته دليل على عموم حكمه. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى: (والجلباب هو الملاءة، وهو الذي يسميه ابن مسعود وغيره الرداء وتسميه العامة الإزار. وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها فلا تظهر إلا عينها ومن جنسه النقاب)(٤) انتهى.

ومن أدلة السنة النبوية على وجوب تغطية المرأة وجهها عن غير محارمها حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزنا كشفناه»(٥) .

وأدلة وجوب ستر وجه المرأة عن غير محارمها من الكتاب والسنة كثيرة، وإني أحيلك أيتها الأخت المسلمة في ذلك على: - رسالة الحجاب واللباس في الصلاة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. - ورسالة الحجاب للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله. - ورسالة الصارم المشهور على المفتونين بالسفور للشيخ حمد بن عبد الله التويجري. - ورسالة الحجاب للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله. فقد تضمنت هذه الرسائل ما يكفي.

واعلمي أيتها الأخت المسلمة أن الذين أباحوا لك كشف الوجه من العلماء - مع كون قولهم مرجوحا - قيدوه بالأمن من الفتنة. والفتنة غير مأمونة خصوصا في هذا الزمان الذي قل فيه الوازع الديني في الرجال والنساء، وقل الحياء، وكثر فيه

---

(١) النور: ٣١.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) الأحزاب ٥٩.

(٤) سماحة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

(٥) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه.

دعاة الفتنة، وتفننت النساء بوضع أنواع الزينة على وجوههن مما يدعو إلى الفتنة، فاحذري من ذلك أيتها المسلمة، والزمي الحجاب الواقي من الفتنة بإذن الله.

ولا أحد من علماء المسلمين المعتبرين قديما وحديثا يبيح لهؤلاء المفتونات ما وقعن فيه.

ومن النساء المسلمات من يستعملن النفاق في الحجاب فإذا كن في مجتمع يلتزم الحجاب احتجبن، وإذا كن في مجتمع لا يلتزم بالحجاب لم يحتجبن. ومنهن من تحتجب إذا كانت في مكان عام وإذا دخلت محلا تجاريا، أو مستشفى، أو كانت تكلم أحد صاغة الحلي، أو أحد خياطي الملابس النسائية كشفت وجهها وذراعيها كأنها عند زوجها أو أحد من محارمها. فاتقين الله يا من تفعلن ذلك.

ولقد شاهدنا بعض النساء القادمات في الطائرات من الخارج لا يحتجبن إلا عند هبوط الطائرة في أحد مطارات هذه البلاد، وكأن الحجاب صار من العادات لا من المشروعات الدينية.

أيتها المسلمة: إن الحجاب يصونك ويحفظك من النظرات المسمومة الصادرة من مرضى القلوب وكلاب البشر، ويقطع عنك الأطماع المسعورة، فالزميه، وتمسكي به، ولا تلتفتي للدعايات المغرضة التي تحارب الحجاب أو تقلل من شأنه، فإنها تريد لك الشر كما قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[1].

وإذا خرجت المرأة إلى المسجد للصلاة فلابد من مراعاة الآداب: تكون متسترة بالثياب والحجاب الكامل: قالت عائشة - رضي الله عنها -: «كان النساء يصلين مع رسول الله ﷺ ثم ينصرفن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس»[2].

وأن تخرج غير متطيبة: لقوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله، مساجد الله وليخرجن تفلات»[3] معنى «تفلات»: أي غير متطيبات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة»[4].

---

(١) النساء: ٢٧.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

وألا تخرج متزينة بالثياب والحلي: قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لو أن رسول الله ﷺ رأى النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها»[١] وإن كانت المرأة واحدة صفت وحدها خلف الرجال لحديث أنس رضي الله عنه حين صلى بهم رسول الله ﷺ قال: «**قمت أنا واليتيم وراءه وقامت العجوز من ورائنا**»[٢].

وعنه: «صليت أنا واليتيم في بيتنا خلف النبي ﷺ وأمي خلفنا - أم سليم -»[٣].

وإن كان الحضور من النساء أكثر من واحدة فإنهن يقمن صفا أو صفوفا خلف الرجال، لأنه ﷺ: «**كان يجعل الرجال قدام الغلمان، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[٥] ففي الحديثين دليل على أن النساء يكن صفوفا خلف الرجال، ولا يصلين متفرقات إذا صلين خلف الرجال، سواء كانت صلاة فريضة أو صلاة تراويح أو كسوف أو صلاة عيد أو صلاة جنازة.

وإذا سها الإمام في الصلاة فإن المرأة تنبه بالتصفيق ببطن كفها على الأخرى ولقوله ﷺ: «**إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجال ولتصفق النساء**»[٦] وهذا إذن إباحة لهن في التصفيق في الصلاة عند نائبة تنوب ومنها سهو الإمام. وذلك، لأن صوت المرأة فيه فتنة للرجال فأمرت بالتصفيق ولا تتكلم.

وإذا سلم الإمام بادرت النساء بالخروج من المسجد، وبقي الرجال جالسين: لئلا يدركوا من انصرف منهن لما روت أم سلمة قالت «إن النساء كن إذا سلمن من المكتوبة قمن، وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله. فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال»[٧].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الجماعة إلا ابن ماجة.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه الجماعة إلا البخاري.
(٦) مسند أحمد ٢١٧٧٨.
(٧) صحيح البخاري.

قال الإمام النووي – رحمه الله – في المجموع: "ويخالف النساء الرجال في صلاة الجماعة في أشياء:

أحدها: لا تتأكد في حقهن كتأكدها في الرجال.

الثاني: تقف إمامتهن وسطهن.

الثالث: تقف واحدتهن خلف الرجل لا بجنبه بخلاف الرجل.

الرابع: إذا صلين صفوفا مع الرجال، فآخر صفوفهن أفضل من أولها.

* * * * *

المبحث الثالث:
شروط الحجاب الشرعي

أختي المسلمة:

اعلمي أن أهل العلم قد بينوا شروطا للحجاب ثمانية.. فاحرصي على حفظها والعمل بها.. وهي كما يلي:

أولا: أن يكون الحجاب مستوعبا لجميع البدن بلا استثناء، فالوجه والكفان، والقدمان، والذراعان من العورة التي يجب سترها.

ثانيا: أن لا يكون الحجاب زينة في نفسه، كأن يكون مزخرفا أو ملونا بألوان ملفتة أو منقرشا بخيوط فضية أو ذهبية أو غيرها.

ثالثا: أن يكون صفيقاً متيناً ولا يكون شفافاً.

رابعا: أن يكون واسعاً فضفاضاً غير ضيق فيصف شيئا من جسمها أو يظهر أماكن الفتنة في الجسم أو يلف عليه فيجسم الصورة ونحو ذلك.

خامسا: ألا تكون الثياب مبخرة أو مطيبة أو معطرة.

سادسا: ألا يشبه لباس الرجال.

سابعا: ألا يشبه لباس الكافرات مثل أن يكون قصيرا أو عاريا.

ثامناً: ألا يكون ثوب شهرة لقوله ﷺ: **«من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً»**(١).

---

(١) رواه أبو داود.

أسماء القائلين بوجوب تغطية المرأة وجهها من غير النجديين!!

١ - الشيخ الأمير الصنعاني: (يمني).

ألف كتابًا بعنوان " الأدلة الجلية في تحريم نظر الأجنبية "، رد فيه على القائلين بجواز الكشف.

٢ - الشيخ عبدالرب القرشي الملكياري: (باكستاني).

ألف كتابًا بعنوان " الأبحاث الفقهية القيمة " تعرض فيه للقضية ورجح وجوب تغطية المرأة لوجهها. (انظر: ٢ / ٣٦).

٣ - الشيخ أبو الأعلى المودودي: (باكستاني).

ألف رسالة شهيرة بعنوان "الحجاب" قال فيها كلاماً ممتعاً أحببت نقل بعضه للقارئ؛ وهو قوله تعليقًا على آية الحجاب (ص ٣٢٦ - ٣٣٠).

وكل من تأمل كلمات الآية وما فسرها به أهل التفسير في جميع الأزمان بالاتفاق، وما تعامل عليه الناس على عهد النبي ﷺ، لم ير في الأمر مجالاً للجحود بأن المرأة قد أمرها الشرع الإسلامي بستر وجهها عن الأجانب. ما زال العمل جارياً عليه منذ عهد النبي ﷺ إلى هذا اليوم، وإن النقاب مما قد اقترحه القرآن نفسه من حيث حقيقته ومعناه وإن لم يصطلح عليه لفظاً، وكانت نساء المسلمين قد اتخذنه جزءاً من لباسهن لخارج البيت، بمرأى من الذات النبوية التي نزل عليها القرآن، وكان يسمى نقاباً في ذلك العهد أيضاً.

نعم! هو النقاب (Veil) الذي تعده أوروبا غاية في الشناعة والقبح، ويكاد الضمير الغربي يختنق حتى من تصوره، ويعتبره الغربيون عنوان الظلم وسيما الوحشية وضيق الفكر، وهو أول ما يعقد عليه الخنصر إذا ذكرت أُمة شرقية بالجهالة والتخلف في طريق التمدن، وأما إذا وصفت أمة في الشرق بكونها سائرة في طريق الحضارة والتمدن، فأول ما يذكر من شواهده بكل تبجح وافتخار؛ هو كون (النقاب) قد زال عن هذه الأمة أو كاد.

ويا لخزيكم يا أصحابنا المتجددين المستغربين إذا تبين لكم أن هذا الشيء لم يخترع بعد زمان النبي بل نسج بردته القرآن نفسه، وروجه النبي ﷺ في أمته في حياته، على أن شعوركم بهذا الخزي وإطراقكم بالندامة والخجل ليس بنافعكم شيئاً؛ لأن النعامة إن أخفت رأسها في التراب لرؤية الصائد، فإنه لا يطرد الصائد ولا ينفي وجوده، كذلك إن أشحتم بوجوهكم عن الحقيقة، لم تبطل به الحقيقة

الثابتة ولم تمح آية القرآن، وإن حاولتم أن تكتموا هذه الوصمة - كما ترونها - في تمدنكم من وراء حجب التأويل، لم تزيدوها إلا وضوحاً وجلاء، وإذا كنتم قد قررتم أن هذا النقاب عار على أنفسكم وشنار، بعد إيمانكم بوحي الغرب، فليس إلى غسله عن أنفسكم من سبيل غير أن تعلنوا براءتكم من الدين الإسلامي الذي يأمر بالأشياء السمجة البغيضة كلبس النقاب وإسدال الخمار وستر الوجوه.

إنكم يا قوم تنشدون الرقي وتطلبون الحضارة فأنى لدين يمنع ذات الخدر أن تكون عطر المجالس، ويوصيها بالعفة والحياء والاحتجاب، وينهى ربة البيت أن تكون قرة عين لكل غاد ورائح.. أنى لدين مثل هذا أن يصلح في رأيكم للاتباع؟ وأين هو من الرقي؟ ومن التهذب والحضارة؟ إنما الرقي والحضارة يقتضيان الآنسة - إذا همت بالخروج من بيتها - أن تنفض يديها من كل عمل قبل ساعتين من موعد الخروج، لتتفرغ فيهما إلى زينتها وتجملها، فتعطر الجسم كله بالطيب، وتلبس الجذاب الأخاذ، وتبيض الوجه والذراعين بأنواع المساحيق، وتلون الشفتين بقلم الدهان الأحمر Stick Lip وتتعهد قوس الحاجبين وتعده للرمي بسهام النظر! حتى إذا خرجت من البيت رافلةً في هذه الزخارف، استهوى كل مظهر من مظاهر زينتها وجمالها القلوب، وجذب الأنظار، وفتن العقول، ثم لا تطمئن نفس الآنسة بعد هذا كله من التظاهر بالجمال، بل تكون أدوات الزينة والزخرفة محمولة معها في عتيدتها (أي شنطتها)حتى تتدارك بين حين وآخر كل ما نقص أو ضاع من دقائق زينتها.

إن بين مقاصد الإسلام ومقاصد الحضارة الغربية - كما ذكرناه غير مرة - لبوناً بعيداً وفرقاً شاسعاً جداً، ومخطئ بيِّن الخطأ من يريد أن يفسر أحكام الإسلام بوجهة نظر الغرب، ذلك بأن ما عند الغرب من المقياس لأقدار الأشياء وقيمها، يختلف عنه مقياس الإسلام كل الاختلاف، فالذي يكبره الغرب ويعده غاية لحياة الإنسانية، هو في عين الإسلام من التوافه والهنات، وإن ما يهتم به الإسلام ويعظم شأنه هو عند الغرب من سقط المتاع، لذلك كل من قال بصحة المقياس الغربي، فلا بد أن يرى جميع ما في الإسلام واجب الترميم والإصلاح، وإذا مضى يفسر أحكام الإسلام ويشرحها، جاء بها محرفة عن معانيها، ثم لم يوفق في تطبيقها على الحياة العملية حتى في صورتها المحرفة، لما يعترض سبيله إلى ذلك من أحكام القرآن ونصوص السنة البينة، فحريٌّ بمثل هذا الرجل قبل أن ينظر في جزئيات المناهج العملية، أن يتأمل المقاصد التي قد اتخذت للوصول إليها تلك المناهج، وينظر هل

هي صالحة للقبول أم لا. وإن هو لم يكن يوافق تلك المقاصد نفسها فأي غناء يغنيه البحث في المناهج التي تختار لتحقيق تلك المقاصد؟ ولماذا يكلف نفسه مسخ تلك المناهج وتحريفها؟ أليس من الأجدر به الأصلح له أن يهجر الدين الذي يخطئ مقاصده؟ وأما إذا كان يتفق مع تلك المقاصد، فلا يبقى البحث بعد ذلك إلا فيما يتخذ لتحقيقها من المناهج، هل هي صحيحة أم لا؟ وهذا البحث يمكن طيه بكل سهولة، ولكن هذه الطريقة لا يتبعها إلا ذوو المروءة والكرم، وهم قليلون، وأما المنافقون الذين هم بطبيعتهم أخبث ما خلق الله في هذا الكون، فلا يزكو بهم إلا أن يدَّعوا إيمانهم بشيء، ويؤمنوا في الحقيقة بشيء آخر!

فكل ما لا يزال هؤلاء يخوضون فيه من المباحث حول الحجاب والنقاب، هو صادر في الحقيقة عن هذا النفاق. وقد استنفدوا كل ما في طاقاتهم ووسعهم لإثبات أن هذا الوضع من الحجاب إنما كان رواجه في أمم الجاهلية قبل الإسلام. ثم نزل هذا الميراث الجاهلي إلى المسلمين في بعض العصور المتأخرة البعيدة عن عهد النبوة. لماذا يتكلفون هذا البحث والتحقيق التاريخي بإزاء النص القرآني الصريح، والعمل الثابت في عهد النبوة، وتفاسير الصحابة والتابعين لمفهوم الآية؟ إنهم يتكلفونه لمجرد أنه كان - ولا يزال - نصب أعينهم من مقاصد الحياة ما هو مقبول شائع في الغرب. وأنه قد رسخ في أذهانهم من تصورات الحضارة والرقي ما نزل إليهم من سمائه، ولمّا كان لبس الملاءة والنقاب لا يلائم تلك التصورات بحال من الأحوال، فقد جاؤوا بمعول التحقيق التاريخي، ليهدموا به ما هو ثابت في شرعْ الإسلام، وهذا النفاق البين الذي قد تناولوا به هذه المسألة مع غيرها من المسائل، يرجع في أصله إلى ما سبق أن ذكرناه فيهم من خفة العقل وفقد الجراءة الخلقية وعدم التمسك بمبادئ، ولولا ذلك لما سولت لهم أنفسهم أن يأتوا بالتاريخ شاهداً على القرآن؛ مع كونهم يدعون الإسلام وينتحون إليه، بل كانوا أحرياء - ولو أرادوا أن يبقوا مسلمين - أن يستبدلوا المقاصد القرآنية بمقاصدهم هم أو يعلنوا انصرفهم عن الإسلام الذي يعترض سبيلهم إلى التقدم والرقي حسبما يفهمونه من معاني الرقي!.

٤ - الشيخ أحمد عبد الغفور عطار: (حجازي).

ألف كتاباً بعنوان "الحجاب والسفور" لبيان هذا الأمر، قال فيه (ص ٧٣، ٧٤):

كشف الوجه والكفين لا حجة للقائلين به:

أما من ذهب إلى جواز كشف الوجه والكفين من العلماء القدامى فلهم رأيهم المردود بما جاء عن الله في كتابه العزيز، وبما صح عن رسول الله ﷺ في حديثه الشريف.

وأما بعض علماء هذا العصر فقد رأوا إجازة كشف الوجه والكفين خضوعاً منهم لبيئاتهم ومجتمعاتهم التي أصابتها عدوى السفور من غير المسلمين كالأوربيين، واحتجاجاً منهم بما ورد من أحاديث لم تثبت صحتها، أو تعسفاً في تأويلات وتخريجات واستنباطات يردها الدليل الذي لا يقبل ما ذهبوا إليه.

وظاهر التنزيل لا يرضى بالتأويل إذا أريد منه طلاؤه بما يناقضه أو يوجهه الوجهة المناقضة.

وأولئك العلماء المعاصرون الذين ذهبوا إلى جواز كشف الوجه والكفين بما اعتسفوا من التأويل والاستنباط يعيشون في بيئات سفرت فيها المرأة سفوراً فاضحاً، وظهرت المرأة سافرة متبرجة مكشوفة الوجه والجيد والذراع وشيء من الصدر والنحر والساق في أبهى زينة فتانة مغرية، ولم يستطيعوا أن يغالبوا هذا الواقع، فسفر نساؤهم، ودفعوا ببناتهم إلى المدارس والمعاهد، واضطررن إلى السفور، فاضطر أولئك العلماء إلى تسويغ المنكر الذي وقعوا فيه فلجأوا إلى اعتساف الأدلة وذهبوا إلى جواز كشف الوجه والكفين.

٥ - الشيخ وهبي سليمان غاوجي: (سوري)

ألف كتاباً بعنوان "المرأة المسلمة" بيّن فيه وجوب ستر الوجه بالأدلة الشرعية، ثم عقد فصلاً بعنوان "رأي شاذ" قال فيه (ص ٢٠٦ - ٢١٢): (وهناك رأي شاذ في شأن كشف المرأة وجهها ليس هو رأي الحنفية، ولا رأي المذاهب الثلاثة الباقية، ولا جماهير الأئمة من السلف الصالح، ذلك هو رأي الشيخ ناصر الألباني الذي ألف كتاباً لقبه "حجاب المرأة المسلمة " وذهب فيه إلى إباحة كشف المرأة وجهها مطلقاً، خُشيت الفتنة أو لا!).

(لقد هوّن الرجل على بعض الناس - خاصة من يتبعه، ومن يقتنص الرخص - ترك ما عرفه المسلمون من أيامه ﷺ إلى أيامنا هذه من ستر وجه المرأة، وفي هذا الأمر مع ما فيه من مجانبة الصواب مدعاة لإساءة الظن بالسلف وعصور المسلمين المتتابعة إلى يومنا هذا).

٦ - الشيخ محمد علي الصابوني: (سوري)

عقد مبحثاً في كتابه "روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن" بعنوان "آيات

الحجاب والنظر" قال في خاتمته (٢/ ١٨٢ وما بعدها):

(بدعة كشف الوجه: ظهرت في هذه الأيام الحديثة، دعوة تطورية جديدة، تدعو المرأة إلى أن تسفر عن وجهها، وتترك النقاب الذي اعتادت أن تضعه عند الخروج من المنزل، بحجة أن النقاب ليس من الحجاب الشرعي، وأن الوجه ليس بعورة، دعوة (تجددية) من أناس يريدون أن يظهروا بمظهر الأئمة المصلحين الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة ليجددوا للأمة أمر دينها، ويبعثوا فيها روح التضحية، والإيمان، والكفاح.

دعوة جديدة، وبدعة حديثة من أناس يدعون العلم، ويزعمون الاجتهاد، ويريدون أن يثبتوا بآرائهم (العصرية الحديثة) أنهم أهل لأن يُنافسوا الأئمة المجتهدين وأن يجتهدوا في الدين كما اجتهد أئمة المذاهب ويكون لهم أنصار وأتباع.

لقد لاقت هذه الدعوة "بدعة كشف الوجه" رواجاً بين صفوف كثيرة من الشباب وخاصة منهم العصريين، لا لأنها "دعوة حق"؛ ولكن لأنها تلبي داعي الهوى، والهوى محبَّب إلى النفس، وتسير مع الشهوة، والشهوة كامنة في كل إنسان، فلا عجب إذاً أن نرى أو نسمع من يستجيب لهذه الدعوة الأثيمة ويسارع إلى تطبيقها بحجة أنها "حكم الإسلام" وشرع الله المنير.

يقولون: إنها تطبيق لنصوص الكتاب والسنة وعمل بالحجاب الشرعي الذي أمر الله عز وجل به المسلمات في كتابه العزيز، وأنهم يريدون أن يتخلصوا من الإثم بكتمهم العلم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى آخر دعاواهم الطويلة العريضة.

ولست أدري: أي إثم يتخلصون منه، وهم يدعون المرأة إلى أن تطرح هذا النقاب عن وجهها وتُسفر عن محاسنها في مجتمع يتأجج بالشهوة ويصطلي بنيران الهوى ويتبجح بالدعارة، والفسق، والفجور؟!).

إلى أن قال: (فهل يعقل أن يأمرها الإسلام - أي المرأة - أن تستر شعرها وقدميها، وأن يسمح لها أن تكشف وجهها ويديها؟ وأيهما تكون فيه الفتنة أكبر: الوجه أم القدم؟ يا هؤلاء كونوا عقلاء ولا تلبسوا على الناس أمر الدين. فإذا كان الإسلام لا يبيح للمرأة أن تدق برجلها الأرض لئلا يسمع صوت الخلخال وتتحرك قلوب الرجال أو يبدو شيء من زينتها، فهل يسمح لها أن تكشف عن الوجه الذي هو أصل الجمال ومنبع الفتنة ومكمن الخطر؟).

٧ - الدكتور محمد فؤاد البرازي: (سوري)

ألف كتاباً في مجلد بعنوان "حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" طبع عدة طبعات، وهو متميز في تبويبه وترتيبه. ورد فيه على شبهات القائلين بجواز كشف الوجه.

٨ - الدكتور خالد بن علي العنبري: (مصري)

ألف جزءً في تضعيف حديث أسماء، بعنوان "فتح الغفور بتضعيف حديث السفور" قال فيه (ص٦): (والحق الذي لا يُبتغى عنه حِوَلا: وجوب تغطية جميع بدن المرأة بما في ذلك الوجه والكفان).

٩ - الشيخ عبد الباقي رمضون: (سوري)

ألف كتاباً بعنوان "خطر التبرج والاختلاط" قال فيه (ص٧٤): (وخير حجاب المرأة بيتها، لكن إذا خرجت منه لضرورة شرعية وجب عليها أن تستر جميع بدنها).

١٠ - الأستاذة اعتصام أحمد الصرّاف: (مصرية)

ألفت كتاباً بعنوان "أختي المسلمة: سبيلك إلى الجنة" قالت فيه (ص ١٢٠): (إن تغطية الوجه هي الأصل، وقد ندب الشرع لها ندباً شديداً). ولم تستثن إلا أحوال الضرورة؛ كالشهادة ونحوها.

١١ - الشيخ محمد بن سالم البيحاني: (يمني)

ألف كتاباً بعنوان "أستاذ المرأة" قال فيه (ص ٢٨): "وأما خارج الصلاة فتستر بدنها كله حتى الوجه والكفين" ولم يستثن إلا ما كان للضرورة كالشهادة ونحوها.

١٢ - الشيخ طاهر خير الله: (سوري)

قدم لكتاب الشيخ حمود التويجري: "الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور" مؤيداً له.

١٣ - الشيخ عبد القادر بن حبيب السندي: (من علماء السند)

صنف كتابين من أهم الكتب في هذا الموضوع للرد على الألباني:

الأول: "رسالة الحجاب في الكتاب والسنة".

الثاني: "رفع الجُنة أمام جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة".

١٤ - الشيخ أبو بكر الجزائري: (جزائري)

ألف كتاباً بعنوان "فصل الخطاب في المرأة والحجاب" ذكر فيه أدلة وجوب ستر الوجه ورد على شبهات المخالفين.

ثم ألف كتاباً ثانياً بعنوان "تنبيه الأحباب إلى خطأ صاحب تحريم النقاب" رد فيه على أحد السفهاء القائلين بحرمة لبس المرأة النقاب!!

وللشيخ - أيضًا - كتابٌ عن الفتاة السعودية بعنوان "إلى الفتاة السعودية والمسؤولين عنها" حذرها فيه من خطورة كشف الوجه .

١٥ - الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي: (موريتاني)

صاحب الكتاب الشهير: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" تعرض فيه لتفسير آيات الحجاب ، وبين بالأدلة القوية ، وبأسلوبه العلمي المتين وجوب ستر الوجه: (انظر: ٦/ ٥٨٦ من كتابه) .

١٦ - الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم: (مصري)

صاحب الكتاب الشهير "عودة الحجاب" بأجزائه الثلاثة ، الذي فصَّل فيه تاريخ المؤامرة على الحجاب في بلاد المسلمين ، ثم بين في الجزء الثالث أدلة وجوب ستر الوجه ، ورد على شبهات المخالفين بما لا مزيد عليه . وهو كتاب حري بالمسلم والمسلمة اقتناؤه .

١٧ - الشيخ محمد بن يوسف الكافي: (تونسي)

ألف كتاباً بعنوان "المسائل الكافيّة في بيان وجوب صدق خبر رب البريّة" شنع فيه على الداعين إلى كشف الوجه . ونقل الشيخ حمود التويجري بعض كلامه في كتابه "الصارم المشهور" (ص ١٠٨ ، ١٠٩) .

١٨ - الشيخ صالح محمد جمال: (حجازي)

ألف كتاباً بعنوان "المرأة المسلمة بين نظريتين" قال فيه (ص٣٧) كلاماً مهماً عن أهل الحجاز طالما تجاهله البعض أو حاولوا إخفاءه! - فتأمله - .

قال: (وهناك فريق قال بمنع الكشف عن الوجه ووجوب تغطيته أخذاً بحديث عائشة ، وهو ما عليه الجمهور ، وما كنا عليه نحن في هذه البلاد المقدسة قروناً طويلة حتى أواخر القرن الماضي الهجري ، حتى منينا بهذا التقليد الأعمى الذي حذرنا منه الإسلام ، وخرج منا مجتهدو آخر زمن لينبشوا عن آراء فقهية مرجوحة ليستبيحوا بها كشف وجه المرأة ، ويفتوا بذلك تشجيعاً على السفور ، وإيقاظاً للفتنة النائمة ، وفرح بها بعض الشباب وتمسكوا بها دون التفكير في عواقبها الوخيمة العاجلة والآجلة ؛ من إفساد وخطف وجرائم ، لولا السفور والاختلاط لم تقع) .

١٩ - الأستاذة يسرية محمد أنور: (مصرية)

ألفت كتاباً بعنوان "مهلاً يا صاحبة القوارير" ترد فيه على كريمان حمزة المجوزة لكشف الوجه، ومن بديع ما فيه قولها (ص ٦٢): "فإذا كان الإسلام قد اعتبر ظهور القدمين عورة، وأمر بعدم الضرب على الأرجل حتى لا تبدو أو يُسمع صوت الخلاخل، أو تظهر الزينة الخفية؛ فإن أمره بتغطية الوجه أولى؛ لأنه مجمع الحسن".

٢٠ - الشيخ أحمد محمود الديب: (مصري)

ألف كتاباً بعنوان "الردود الخمسة الجلية على أخطاء كتاب السنة النبوية للشيخ الغزالي" جعل الجزء الأول منه في قضية الحجاب؛ حيث دلل بالنصوص الشرعية على وجوب تغطية الوجه، ونقل عن الشيخ أبي بكر الجزائري قوله المهم: "إن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه جُل نساء المؤمنين اليوم في ديار المسلمين إنما بدأ من كشف الوجه؛ بإزالة البرقع والنقاب عنه، حتى بات وأصبح وأضحى وظل وأمسى من المعلوم بالضرورة أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها وحتى فخذيها، ولا يجادل في هذا أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع.. " (ص٢٥).

٢١ - الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: (هندي)

ألف كتاباً بعنوان "إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب" للرد على من أجاز كشف الوجه. وقال بعد أن بين الحكمة من فرض الحجاب (ص١٠): "وهذه الحكمة المقصودة بالحجاب تقتضي أن يعم حكم الحجاب جميع أعضاء المرأة؛ ولا سيما وجهها الذي هو أصل الزينة والجمال...".

٢٢ - الشيخ درويش مصطفى حسن: (مصري)

ألف كتاباً بعنوان "فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب" رد فيها ردًا علميًا على شبهات القائلين بجواز كشف الوجه؛ وقال في آخرها (ص٢٠٨، ٢٠٩): "ونهاية القول مع أصحاب هذا الرأي أن دعوتهم إلى المرأة المؤمنة بكشف وجهها ويديها للأجانب عنها هي دعوى لا تقوم على دليل من الدين، أو مستند صحيح من الشرع الحكيم، فكل الأدلة التي ساقوها قد سبق ردها وتم دحضها".

٢٣ - الأستاذة: الزهراء: فاطمة بنت عبدالله: (يمنية)

ألفت كتاباً بعنوان "المتبرجات" ناصحت فيه النسوة المتحررات، ثم ذكرت شروط

الحجاب الشرعي (ص ١٦١ وما بعدها) وأدلة وجوب ستر الوجه .

٢٤ - الأستاذ العزي مصوعي: (يمني)

وهو مدير عام الإعلام والثقافة باليمن . قدم للأستاذة الزهراء كتابها السابق مؤيدًا ما فيه .

٢٥ - الشيخ محمد علي إسماعيل الأهدل: (يمني)

قدم لكتاب الأستاذة الزهراء ، السابق ، مؤيدًا ما فيه .

٢٦ - الشيخ محمد إبراهيم العيسوي: (يمني)

قدم لكتاب الأستاذة الزهراء ، السابق ، مؤيدًا ما فيه .

٢٧ - الأستاذ محمد أديب كلكل: (سوري)

ألف كتابًا بعنوان " فقه النظر في الإسلام " نصر فيه وجوب تغطية المرأة لوجهها .

٢٨ - الشيخ أبوهاشم عبدالله الأنصاري: (هندي)

كتب مقالات نافعة مفيدة في مجلة " الجامعة السلفية " (من ذي القعدة ١٣٩٨هـ) يرد فيها على القائلين بجواز كشف الوجه .

٢٩ - الشيخ يوسف الدجوي: (مصري)

له فتوى مطولة في هذا الموضوع قال من ضمنها " إن الحكم الشرعي في هذا هو تحريم هذا التبذل وذلك السفور ، حتى أن من يبيح كشف الوجه والكفين من العلماء يجب أن يقول بالتحريم لما يفعله النساء الآن:

١ - لأنهن لا يقتصرن على كشف الوجه واليدين كما هو معروف .

٢ - لابد عند ذلك القائل من أمن الفتنة ، والفتنة الآن غير مأمونة .

إلى أن قال: (فالمسألة إجماعية لايختص بها إمام دون آخر من أئمة المسلمين) . (انظر: مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي ، ٢ / ٧٩٨ - ٨٠٢) .

٣٠ - الشيخ مصطفى العدوي: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " الحجاب " نصر فيها القول بوجوب تغطية الوجه ، ورد على شبهات المخالفين .

٣١ - الأستاذة رغداء: (؟)

ألفت رسالة عن الحجاب بعنوان " حجابك أختي " نصرت فيه القول بوجوب تغطية الوجه . نقل عنها الألباني في رده المفحم (ص ١٠٣) مشنعًا! . ولم أطلع على رسالتها .

٣٢ - الشيخ خالد العك: (سوري)

رجح هذا القول في رسالته " واجبات المرأة المسلمة " وقال (ص ١٧٥): " ليس لها أن تبدي ذلك - الوجه والكفان - للأجانب ".

٣٣ - الشيخ عطية صقر: (مصري)

رجح وجوب التغطية إذا كان على الوجه زينة، أو بسبب الفتنة. (س وج للمرأة المسلمة، ص ٢٤٠).

٣٤ - الشيخ مصطفى صبري " مفتي الدولة العثمانية ": (تركي)

شنع على دعاة سفور الوجه في رسالته " قولي في المرأة ".

٣٥ - الشيخ سعيد الجابي: (سوري)

ذكره الشيخ محمد بن اسماعيل في كتابه " عودة الحجاب، ١ / ٢٨٥ " فيمن يقول بوجوب التغطية، ولم أطلع على رسالته.

٣٦ - الشيخ عبدالله ناصح علوان: (فلسطيني)

ألف رسالة بعنوان " إلى كل أب غيور يؤمن بالله " نصر فيها القول بالوجوب.

٣٧ - الشيخ أحمد عز الدين البيانوني: (سوري)

ذكره الشيخ محمد بن اسماعيل في كتابه " عودة الحجاب، ١ / ٢٨٥ " فيمن يقول بوجوب التغطية، ولم أطلع على رسالته.

٣٨ - الشيخ محمد الزمزمي بن الصديق: (مغربي)

ذكره الشيخ محمد بن إسماعيل في كتابه " عودة الحجاب، ١ / ٢٨٥ " فيمن يقول بوجوب التغطية، ولم أطلع على رسالته.

٣٩ - الشيخ عبدالرحمن أحمد زيني آشي: (حجازي)

ألف رسالة بعنوان " ستر الوجه بين الحق والاضطراب " رد فيها على الألباني.

٤٠ - الشيخ رجائي المصري: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " وجوب الجماعة والقوامة والحجاب " نصر فيها القول بوجوب تغطية الوجه.

٤١ - الأستاذ محيي الدين عبدالحميد: (حجازي)

ألف رسالة بعنوان " قالوا وقلن عن الحجاب " قال في مقدمتها (ص ٣): (والحجاب

الشرعي أن تحجب المرأة كل ما يفتن الرجال بنظرهم إليه، وأعظم شيء في ذلك هو الوجه؛ فيجب عليها أن تستر وجهها عن كل إنسان أجني عنها).

٤٢ - الأستاذ علاء الدين بن محمد: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " لباس المرأة أمام المحارم " اختار فيها وجوب ستر الوجه.

٤٣ - الأستاذ عكاشة بن عبدالمنان الطيبي: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " محجبات لماذا؟ " اختار فيها وجوب ستر الوجه.

٤٤ - الأستاذ عبدالله جمال الدين: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " حجاب المرأة " قال فيها (ص ٣١): (فالذي يجب على المرأة التي تخرج من بيتها لحاجة أن تدلي جلبابها على وجهها حتى تستره).

٤٥ - الشيخ عبدالرشيد بن محمد السخي: (نيجيري)

ألف رسالة بعنوان " السيف القاطع للنزاع في حكم الحجاب والنقاب " رد فيها من قال: (ليس الحجاب في الإسلام إلا أنه عادة من عادات أهل الحجاز)!! واختار وجوب ستر الوجه. وذكر أن نساء الحجاز عرفن بتغطية الوجه على مر الزمان إلى أن غزاهم التغريب. (انظر ص ٨).

٤٦ - الشيخ محمد نسيب الرفاعي: (سوري)

كتب مقالا في مجلة التوعية الإسلامية في الحج (بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٣٩٩هـ) بعنوان " السفور والتبرج وأثرهما السيئ في البيت المسلم " شنع فيه على استهتار المرأة في عصره: (هذا الاستهتار الذي جرها تدريجيًا إلى السفور عن وجهها). وبين أن من كشفت وجهها ستتساهل حتمًا في غيره.

٤٧ - الأستاذ كمال بن السيد سالم: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " من مخالفات النساء " ذكر فيها من شروط الحجاب الشرعي: (أن يستوعب جميع البدن). (ص ١٠٩).

٤٨ - محمد حسان: (مصري)

ألف رسالة بعنوان " تبرج الحجاب " ذكر فيها من شروط الحجاب الشرعي: (أن يستر البدن كله). (ص ١٠٧).

٤٩ - الأستاذ محمد طلعت حرب: (مصري)

أحد من ردوا على مخرب المرأة " قاسم أمين " برسالة عنوانها " تربية المرأة والحجاب " نصر فيها القول بوجوب ستر الوجه .

٥٠ - الشيخ أحمد محمد جمال: (حجازي)

ألف رسالة بعنوان " نساؤنا ونساؤهم " ذكر فيها (ص ٨٧) اتفاق العلماء على منع النساء من الخروج سافرات الوجوه .

٥١ - الشيخ حسن البنا " مرشد جماعة الإخوان المسلمين ": (مصري)

ألف رسالة بعنوان " المرأة المسلمة " قال فيها (ص ١٨): (إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها) . وعلق عليه الشيخ محمد بن إسماعيل - في الهامش -: (الأدلة تؤيد القول بوجوب النقاب كما هو ظاهر كلام فضيلة الأستاذ حسن البنا رحمه الله) .

قلت: أين الفضلاء من جماعة الإخوان - وفقهم الله للخير - عن قول مرشدهم هذا ، يعيدون له نضارته وبهاءه؟!

ويتصدون لمن يريد حرف الجماعة عن الفضيلة من المتساهلين والمفرطين ؛ من أمثال القرضاوي وأبي شقة وغيرهم ممن أثروا على الجماعة فيما بعد ، وأوقعوها في مخالفات كثيرة لا أظن الشيخ حسن البنا يرضاها لهم .

٥٢ - الأستاذة كوثر المنياوى: (مصرية)

ألفت رسالة بعنوان " حقوق المرأة في الإسلام " عقدت فيها فصلا عن الحجاب قالت فيه (ص ١٢٨) بعد إيراد آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ.. ﴾ [الأحزاب: ٢٨] (وفي هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه وتعالى جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعر والوجه وغير ذلك ؛ حتى يُعرفن بالعفة فلا يُفتن ولا يفتن غيرهن فيؤذين) .

٥٣ - الشيخ أحمد بن حجر آل أبوطامي: (قطري)

ألف رسالة بعنوان " الأدلة من السنة والكتاب في حكم الخمار والنقاب " .

٥٤ - الدكتورة مكية مرزا: (حجازية)

ألفت رسالة بعنوان " مشكلات المرأة المسلمة وحلها في ضوء الكتاب والسنة " قالت فيها (ص ٣٥٩ ، ٣٦٠): (وحيث أنه قد قل في هذا العصر: الورع والتقوى ، ولم تؤمن من الفتنة من كل جوانب الحياة العصرية ، وانتشر الفسق والفجور ؛

وجب على المرأة أن تحتاط لدينها بأن تغطي جميع بدنها).

قلت: وللدكتورة رسالة ماجستير - لم تطبع حسب علمي - بعنوان " حجاب المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة ".

٥٥ - الشيخ عبدالحليم محمود " شيخ الأزهر في وقته ": (مصري)

كتب مقالا بعنوان " مظهر المرأة " قال فيه عن المرأة إذا لم تأمن الفتنة: (وجب عليها ستر الوجه والكفين سدًا للذرائع إلى المفاسد). (مجلة صوت العرب، البيروتية، كانون الثاني، عام ١٩٦٧م).

٥٦ - الأستاذ عبدالله بن مرعي بن محفوظ: (حجازي)

ألف رسالة بعنوان " حقوق وقضايا المرأة في عالمنا المعاصر " ذكر فيها من شروط الحجاب (ص ٢٤٨): (أن يكون ساترًا لجميع البدن).

٥٧ - الدكتور يحيى المعلمي: (حجازي)

ألف رسالة بعنوان " المرأة في القرآن الكريم " قال فيها بعد أن تحدث عن ستر الوجه واليدين (ص ١١٠): (إذا خشيت الفتنة فسترهما واجب بلا جدال).

٥٨ - الشيخ محمد بن الحسن الحجوي: (مغربي)

رد في خاتمة كتابه " الدفاع عن الصحيحين " (ص ١٢٩، ١٣٠) على أحد الداعين إلى سفور الوجه في مجلس الملك محمد الخامس - جد الملك الحالي -. ثم قال كلامًا مهمًا يبين لنا تاريخ بداية السفور بالمغرب.

قال: (ولما لج في عناده أشار أمير المؤمنين لبقية أهل المجلس بالكلام، فقام من لم تأخذه حمية الحزبية أوالملق، وقالوا بصوت واحد: اللهم إن هذا منكر؛ يعنون السفور، ومن ذلك اليوم أوحى شياطين الإنس إلى إخوانهم ممن يرى إباحة السفور، ولو مع خوف الفتنة، إلى الأخذ بما قاله هذا الرجل، وسموه فتوى كفتوى عمرو بن لحي! وأعلنوا السفور في شهر جمادى ١٣٦٢هـ، وعليه من ذلك ما حُمّل، فكانت هذه أول سنة السفور بالمغرب).

٥٩ - الشيخ طارق بن عوض الله: (مصري)

صنف كتاباً مهماً في تضعيف حديث أسماء الذي يتكئ عليه دعاة السفور، وسماه "النقد البناء لحديث أسماء".

٦٠ - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (سوري)

ألف كتيباً بعنوان "إلى كل فتاة تؤمن بالله" قال فيه (ص ٥٠):

(فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة - سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة ومن يرى منهم أنه غير عورة كالحنفية والمالكية - أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة بأن كان من حولها من ينظر إليها بشهوة . ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم بأن الفتنة مأمونة اليوم، وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟) .

هذا ما تيسر لي جمعه من أسماء القائلين بوجوب ستر وجه المرأة المسلمة . وأتمنى ممن لديه زيادة أن لا يبخل بها .

(نقلاً عن الأستاذ / سليمان الخراشي)

* * * * *

المطلب الأول:

قصيدة في: مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها

موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي

الصِّدِّيقةُ بنت الصِّدِّيق، حبيبةُ الحبيب، وإلفُهُ القريب، الطَّيِّبةُ زوجُ الطَّيِّب، المُبرَّأةُ مِن فوقِ والطَّيِّباتُ للطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبات سبع سماوات، لم يتزوَّج رسول الله ﷺ بِكْراً غيرها، ولم ينزل عليه الوحيُ في لِحافِ امرأةٍ سواها، ولم يكُنْ في أزواجِهِ مَن هي أحبُّ إليه منها .

ومِن فضلها أنّه لا تُعلَمُ امرأةٌ في الدُّنيا هي أعلمُ بشرعِ الله منها، حُبُّها قُربةٌ، وبُغْضُها ضلالٌ، وسَبُّها فُجورٌ، وقَذْفُها كُفْرٌ، وقد أجمع العلماء على كفرِ مَن قَذَفَها بعد براءتها؛ لأنّه مُكَذِّبٌ للقرآن .

مَن رَضِيَها أُمّاً لـه فهو مؤمن، ومَن لم يرضها فليس بمؤمن، وصَدَقَ الله إذ يقول: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[١] .

* * * * *

(١) الأحزاب: ٦ .

المطلب الثاني:

وهذه قصيدة بلسانها نظمها أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي - رحمه الله -

مَا شَانَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ وَشَانِي ::: هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّانِي
إنِّي أَقُولُ مُبَيِّناً عَنْ فَضْلِها ::: ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بلِسَانِي
يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ::: فالبَيْتُ بَيْتِي والمَكَانُ مَكانِي
إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ::: بصفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعانِي
وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضَائِلِ كُلِّهَ ::: فالسَّبْقُ سَبْقِي والعِنَانُ عِنَانِي
مَرِضَ النَّبِيُّ ومَاتَ بَيْنَ تَرائِبِي ::: فالْيَوْمُ يَوْمِي والزَّمانُ زَمانِي
زَوْجِي رَسُولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ ::: اللهُ زَوَّجَنِي بِهِ وحَبَانِي
وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بِصُورَتِي ::: فَأَحَبَّنِي المُخْتَارُ حِينَ رَآنِي
أنا بِكْرُهُ العَذْراءُ عِنْدِي سِرُّهُ ::: وضَجِيعُهُ في مَنْزِلِي قَمَرانِ[1]
وتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيمُ بحُجَّتِي ::: وَبَراءَتِي في مُحْكَمِ القُرآنِ
واللهُ خَفَّرَنِي[2] وعَظَّمَ حُرْمَتِي ::: وعلى لِسانِ نَبِيِّهِ بَرَّانِي
واللهُ في القُرْآنِ قَدْ لَعَنَ الذي ::: بَعْدَ البَرَاءَةِ بالقَبِيحِ رَمَانِي
واللهُ وَبَّخَ مَنْ أرادَ تَنَقُّصِي ::: إفْكاً وسَبَّحَ نَفْسَهُ في شَانِي[3]
إنِّي لَمُحْصَنَةُ الإزارِ بَرِيئَةٌ ::: ودَلِيلُ حُسْنِ طَهَارَتِي إحْصَانِي
واللهُ أَحْصَنَنِي بخاتَمِ رُسْلِهِ ::: وأَذَلَّ أَهْلَ الإفْكِ والبُهْتَانِ
وسَمِعْتُ وَحْيَ اللهِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ::: مِنْ جِبْرَئِيلَ ونُورُهُ يَغْشانِي
أَوْحَى إلَيْهِ وَكُنْتُ تَحْتَ ثِيابِهِ ::: فَحَنا عليَّ بِثَوْبِهِ خَبَّانِي
مَنْ ذا يُفَاخِرُنِي ويَنْكِرُ صُحْبَتِي ::: ومُحَمَّدٌ في حِجْرِهِ رَبَّانِي؟
وأَخَذْتُ عَنْ أَبَوَيَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ::: ذوَهُما على الإسْلامِ مُصْطَحِبان
وأبِي أَقَامَ الدِّينَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ::: فالنَّصْلُ نَصْلِي والسِّنانُ سِنَانِي
والفَخْرُ فَخْرِي والخلافَةُ في أبِي ::: حَسْبِي بِهَذا مَفْخَراً وكَفَانِي
وأنا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ صاحِبِ أَحْمَدَ ::: وحَبِيبِهِ في السِّرِّ والإعْلانِ
نَصَرَ النَّبِيَّ بمالِهِ وفَعالِهِ ::: وخُرُوجِهِ مَعَهُ مِنَ الأَوْطانِ
ثانِيهِ في الغارِ الذي سَدَّ الكُوَى[4] ::: بِرِدائهِ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ ثانِ

---

(١) القمران: أبو بكر وعمر، وهما ضجيعا النبي ﷺ.

(٢) خفرني: حماني وأجارني.

(٣) في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

(٤) الكوى: جمع كُوَّة، والكوة: الخرق في الجدار يدخل منه الهواء أو الضوء.

وَجَفَا الغِنَى حتَّى تَخَلَّلَ بالعَبَا ::: زُهداً وأذْعَنَ أيَّمَا إذْعَانِ
وتَخَلَّلَتْ مَعَهُ مَلائِكَةُ السَّمَا ::: وأتَتْهُ بُشرَى اللهِ بالرِّضْوانِ
وَهُوَ الذي لَمْ يَخْشَ لَوْمَةَ لائمٍ ::: في قَتْلِ أهْلِ البَغْيِ والعُدْوَانِ
قَتَلَ الأُلى مَنَعوا الزَّكاةَ بكُفْرِهِمْ ::: وأذَلَّ أهْلَ الكُفْرِ والطُّغيانِ
سَبَقَ الصَّحَابَةَ والقَرَابَةَ للهُدَى ::: هو شَيْخُهُمْ في الفَضْلِ والإحْسَانِ
واللهِ ما اسْتَبَقُوا لنَيْلِ فَضيلَةٍ ::: مِثْلَ اسْتِباقِ الخَيلِ يَومَ رِهَانِ
إلاَّ وطَارَ أبي إلى عَلْيَائِهِ ::: فَمَكَانُهُ مِنها أجَلُّ مَكَانِ
وَيْلٌ لعَبْدٍ خانَ آلَ مُحَمَّدٍ ::: بعَدَاوَةِ الأزْواجِ والأخْتَانِ(١)
طُوبَى لِمَنْ وَالى جَمَاعَةَ صَحْبِهِ ::: وَيَكُونُ مِنْ أحْبَابِهِ الحَسَنَانِ
بَيْنَ الصَّحَابَةِ والقَرابَةِ أُلْفَةٌ ::: لا تَسْتَحيلُ بنَزْغَةِ الشَّيْطانِ
هُمْ كالأصَابِعِ في اليَدَيْنِ تَوَاصُلٌ ::: هَلْ يَسْتَوِي كَفٌّ بغَيرِ بَنانِ؟!
حَصِرَتْ(٢) صُدورُ الكافرينَ بوَالدي ::: وقُلُوبُهُمْ مُلِئَتْ مِنَ الأضْغانِ
حُبُّ البَتُولِ وبَعْلِها لَمْ يَخْتَلِفْ ::: مِن مِلَّةِ الإسْلامِ فيه اثْنَانِ
أكْرِمْ بأرْبَعَةٍ أئمَّةِ شَرْعِنَا ::: فَهُمُ لِبَيْتِ الدِّينِ كالأرْكَانِ
نُسِجَتْ مَوَدَّتُهُمْ سَدىً في لُحْمَةٍ ::: فَبِنَاؤُها مِنْ أثْبَتِ البُنْيَانِ
اللهُ ألَّفَ بَيْنَ وُدِّ قُلُوبِهِمْ ::: لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طَعَّانِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمُ صَفَتْ أخْلاقُهُمْ ::: وَخَلَتْ قُلُوبُهُمُ مِنَ الشَّنَآنِ
فَدُخُولُهُمْ بَيْنَ الأحِبَّةِ كُلْفَةٌ ::: وسِبَابُهُمْ سَبَبٌ إلى الحِرْمَانِ
جَمَعَ الإلهُ المُسْلِمِينَ على أبي ::: واسْتُبْدِلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بأمَانِ
وإذا أرَادَ اللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ ::: مَنْ ذا يُطيقُ لَهُ على خِذْلانِ؟!
مَنْ حَبَّنِي فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّنِي ::: إنْ كَانَ صَانَ مَحَبَّتِي وَرَعَانِي
وإذا مُحِبِّي قَدْ ألَظَّ(٣) بمُبْغِضي ::: فَكِلاهُمَا في البُغْضِ مُسْتَوِيَانِ
إنِّي لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لِطَيِّبٍ ::: ونِسَاءُ أحْمَدَ أطْيَبُ النِّسْوَانِ
إنِّي لأُمُّ المُؤمِنِينَ فَمَنْ أبَى ::: حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بالخُسْرَانِ
اللهُ حَبَّبَنِي لقَلْبِ نَبِيِّهِ ::: وإلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ هَدَانِي
واللهُ يُكْرِمُ مَنْ أرَادَ كَرَامَتِي ::: ويُهِينُ رَبِّي مَنْ أرَادَ هَوَانِي
واللهَ أسْألُهُ زِيَادَةَ فَضْلِهِ ::: وحَمِدْتُهُ شُكْراً لِمَا أوْلانِي
يا مَنْ يَلُوذُ بأهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ::: يَرْجُو بذلكَ رَحْمَةَ الرَّحْمانِ(٤)

---

(١) الأختان: كل مَن كان مِن قِبَلِ المرأة، كأبيها وأخيها.
(٢) حصرت: ضاقت صدورهم.
(٣) ألظ: لَزِمَه ولم يفارقه.
(٤) قوله يا من يلوذ بأهل بيت محمد، يبدو أنه يخاطب بها الرافضة لعنهم الله.

صلْ أمّهات المؤمنينَ ولا تَحدْ ::: عَنّا فتَسلبَ حلّةَ الإيمانِ
إنّي لَصادقةُ المقالِ كريمةٌ ::: إي والذي ذلّتْ لهُ الثقلانِ
خذْها إليكَ فإنّما هيَ روْضةٌ ::: محفوفةٌ بالروْحِ والريْحانِ
صلّى الإلهُ على النبيِّ وآلهِ ::: فبهمْ تُشمُّ أزاهرُ البستانِ

* * * * *

المطلب الثالث:
يا أخت فاطمةٍ..!

عبد الرحمن العشماوي:

هذه القصيدة قالها الشاعر عبد الرحمن العشماوي بمناسبة انعقاد مؤتمر بكين عن المرأة عام ١٤١٧هـ:

شدي وثاق الطهر.. لا تتغربي ::: عن عالم الدين الحنيف الأرحبِ
شدي وثاق الطهر.. سيري حرة ::: لا تُخدعي بحديث كل مخربِ
لك من رحاب المجد أخصبُ بقعةٍ ::: ولغيرك الأرض التي لم تخصبِ
لك من عيون الحق أصفى مشربٍ ::: ولعاشقات الوهمِ أسوأ مشربِ
هزّي إليكِ بجذع نخلتنا التي ::: تُعطي عطاءَ الخير دون تهيّبِ
وقفي على نهر المروءة إنه ::: يروي العطاش بمائه المستعذَبِ
وإذا رأيتِ الهابطات فحوقلي ::: وقفي على قمم الهدى وتحجبي
إن الحجاب هو التحرر من هوى ::: جلادة ذات الهوى المتذبذب
وهو الطريق إلى صفاء سريرة ::: وعلو منزلة ورفعة منصب
هذي فتاة الغرب مات ضميرها ::: وتعلقت بوميض برقٍ خلّبِ
هي لو علمت ضحية لعصابة ::: ذهبت لجلب المال أسوأ مذهبِ
هي صورةٌ لمجلة.. هي لعبةٌ ::: لعبت بها كفّ العصيّ المذنب
هي لوحة قد علّقت في حائطٍ ::: هي سلعة بيعت لكل مخربِ
هي شهوة وقتية لمسافرٍ ::: هي آلة مصنوعة لمهربِ
هي رغبةٌ في ليلة مأفونة ::: تُرمَى وراء الباب بعد تحببِ
هي دنيا لمسابقات جمالهن ::: جُلبَت ولو عصت الهوى لم تجلبِ
ياربة البيت الكريم.. لواؤها ::: بالطهر مرفوعٌ عظيم الموكبِ
البيت مملكة الفتاة وحصنها ::: تحميها من لصِّ العفاف الأجنبي
لا تركني لقرار مؤتمر الهوى ::: فسجيةُ الداعي سجية ثعلبِ

لا تخدعـــنّك لفظـــةٌ معـــسولة ::: مـــزجت معانـــيها بـــسم العقـــرب
شـــتان بـــين المـــاء يُـــشربُ صـــافياً ::: والمـــاء يـــشرب بالقـــذى والطُحلـــب
شـــتان بـــين الـــشمس لمـــا أشـــرقت ::: والـــشمس حـــين تلفعـــت بالمغـــرب
شـــتان بـــين مـــسافرٍ متـــزود ::: ومـــسافرٍ يقـــتات عـــود الغُشـــرُب *
لـــو أن مؤتمـــراتهم نظـــرت إلى ::: دمـــع اليتامـــى في ملاجـــيء زغـــرب
ورأت ســـراييفو تـــئن نـــساؤها ::: مـــن ظلـــم أتـــباع الهـــوى المـــتقلب
لـــو أنـــصفت لـــدعت إلى نـــبذ الهوى ::: عـــن ســـاحة الـــرأي الحكيم الأصوب
يـــا ربـــة البـــيت الكـــريم، لـــبَابه ::: قفـــلٌ مـــن الـــتقوى ومـــيراث الـــنبي
لا تتـــركيه وتخرجـــي؛ فلـــربما ::: طـــردتك نابحـــةٌ كـــلاب الحـــوأب
قـــولي لمـــن أكلـــت بثديـــيها اسـكني ::: في كهـــف رغبـــتك الرخيـــصة واغربي
فلـــسوف تلقـــين الـــندامة عـــندما ::: يـــستوقف الإيجـــاز قـــول المطـــنب
يـــا ربـــة البـــيت الكـــريم قـــصائدي ::: مـــن غـــير ينـــبوع الهـــدى لم تشرب
أنـــا لم أبالـــغ، ماكتـــبت قـــصيدة ::: إلا وفـــيها ســـرّ مـــالم أكـــتب
أرســـلت للـــشعر العـــنان فلـــم يزل ::: في عـــالم الخلـــق الـــرفيع يطـــير بي
هـــو مـــركبي في لجـــة العـــصر الذي ::: مـــازال في الأمـــواج يلطـــم مـــركبي
هـــو صـــوتيَ الأعلـــى وجسر مشاعري ::: وهـــو المعـــبر عـــن فـــؤادي المـــتعب
فـــإذا سمعـــت نـــداء شـــعري فاعلمي ::: أن الحقـــيقة عـــندي لم تتغـــيب
يـــا أخـــت فاطمـــة.. وبـــنت خديجـــة ::: ووريـــثة الخلـــق الكـــريم الطـــيب
إن العفـــاف هـــو الـــسماء فحلّقـــي ::: وبطـــيب أخـــلاق الكـــرام تطـــيبي
قـــولي لـــتجّار الهـــوى لـــن تـــربحوا ::: إلا إذا نطقـــت حجـــارةُ أثـــرب**
أنـــا ربّـــةُ البـــيت الكـــريم ولن أقوى ::: إلا علـــى شـــرفٍ عزيـــز المطلـــب
قـــولي لعـــصرٍ تـــاه في مدنـــية عمـــياء ::: قـــد لبـــست عَـــباءة غـــيهب
إن كـــان قائـــدُ كـــل ذات جديلـــة ::: نـــزق الهـــوى؛ فالأرض أتعس كوكب!

* * * * *

(*) العُشرب: نبات موجود في المنطقة الجنوبية، وينبت في صحراء نجد في الربيع.
(**) الأثرب: جبل معروف.

المطلب الرابع:
أختاه عزكِ في حجابكِ فاعلمي

علي بن حسن الحارثي

أختاه عزكِ في حجابكِ فاعلمي ::: وامضي بعزمٍ في الطريق الأقوم
لا تسمعي لدعاية مسمومة ::: لا تُنصتي لربيب قلبٍ مظلمِ
كالنخلة الشمَّاء أنتِ رفيعةٌ ::: بل كالثريَّا أنتِ بين الأنجم
تتسامقين إلى العلا بعقيدة ::: وضاءة بسنى البيان المحكم
أنتِ الشموخُ بحاضرٍ متطامنٍ ::: تدعوكِ أمتك الرؤومِ فأقدمي
أختاه: أبواقُ الضلال كثيرةٌ ::: في الغرب أو في شرقنا المستسلم
يدعون للتحريرِ! دعوىً فجةً ::: وشعارهم: لابد أن تتقدمي!!
وشعارهم: حتَّامَ أنتِ حبيسةٌ ::: في قبضة " السربال " لا تتظلمي؟!
دعوىً ورب البيت يجثمُ حولَها ::: حقدٌ دفينٌ في فؤاد المجرم
دعوىً يباركها الصليبُ وتنتشي ::: طرباً لها نفسُ الرعين الأشأم
ويصوغ إخوانُ القرود بيانَها ::: ويبارك البُلهاءُ قولَ الأجذم
ويلوكها بلسان وغدٍ معجم ::: ويصفقون لقولة المُستهجَم
يشدو بها الإعلام في ساحاته ::: عَبرَ الصحافة ينفثون سمومهم
(وظلالهم)أضحت ضلالاً بيِّناً ::: صيغت بحقدٍ ظاهرٍ لم يُكتم
يا بنت عائشة وبنت خديجة ::: يا من لأمتنا العظيمة تنتمي
قولي لهم: كفّوا العواء فإنني ::: بعقيدتي أسمو برغم اللُّوَّم
عزِّي حجابي! ما ارتضيتُ بغيره ::: عجباً لمن هزؤوا بعزِّ المسلم
أختاه: قولي للتي خُدعت بهم ::: وتشرّبت سَفَهاً زُعافَ الأرقم
ما كلّ ذي نصحٍ يريد بنصحه ::: خيراً ولو ألوى بكفّ المُقسم
قولي لها: خدعوكِ حين تظاهروا ::: بعبارة معسولة وتبسُّم
وبهرجٍ في الزيف يضرب جذرُه ::: وبدعوةٍ (التحرير) ليتكِ تعلمي!
في واحة الإسلام لست حبيسةً ::: ما حالَ دينٌ دون أن تتعلمي
بل أنت للأجيال مدرسةٌ فلا ::: تُهني لما قالوا ولا تستسلمي
قولي لها: عودي فأنت مصونةٌ ::: بحجاب دينك يا أخية فافهمي
كل المنابع قد تكدَّرَ ماؤها ::: وتظلُّ صافيةً منابعُ زمزم

* * * * *

الباب الثالث

صيانة الشرع للمرأة

كرم الإسلام المرأة تكريما عظيماً وأعطاها سائر الحقوق المشروعة لها ولقد سوى بين المرأة والرجل في العبادات والتكليف والثواب والعقاب فالأصل في الأدلة الشرعية التكليفية التسوية بين الجنسين وعدم التفريق بينهما إلا ما خصه الدليل بجنس الرجل كالإمامة الكبرى والصغرى والجهاد ونحوها من العبادات التي تليق بالرجل وتناسب طبيعته.

ينظر الشارع إلى المرأة حين اختلاطها بالآخرين إلى كونها في الأصل عورة ومحلاً للفتنة قال الرسول ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(١) وقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»(٢) وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٣) وقال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾(٤) والشواهد على هذا الأصل كثيرة.

وبناء على هذا الأصل فإن الشارع جعل ضوابط واداباً وأحكاماً للمرأة في تصرفاتها وسلوكياته مع الآخرين دراً للفتنة وتحقيقاً للفضيلة وحفظاً لها من الرذيلة يتمثل ذلك المنهج في الأمور الآتية:

(١) **الخلوة**: نهى المرأة عن الخلوة بالأجنبي قال الرسول ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٥).

(٢) **السفر**: نهى المرأة عن السفر بلا محرم قال الرسول ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»(٦).

(٣) **مس المرأة**: حرم الشرع مس المرأة الأجنبية ومصافحتها قال الرسول ﷺ: «**إني لا أصافح النساء**»(٧).

(٤) **صوت المرأة**: نهى المرأة عن الخضوع بقولها وترقيق كلامها قال تعالى: ﴿ فَلَا

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) آل عمران ١٤.
(٥) رواه أحمد.
(٦) متفق عليه.
(٧) مسند أحمد٢٦٣١٢.

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾[١].

(٥) **الحجـــاب:** أمر الشارع المرأة بالحجاب قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢].

(٦) **التـــبرج والسفور:** نهى المرأة عن التبرج والسفور قال الرسول ﷺ : «**ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٣].

(٧) **القـــرار بالبيت:** رغب المرأة بالقرار في بيتها وحث عليه قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾.

تبرج الجاهلية الأولى قالت عائشة: (وما كانت أحدانا تخرج إلا لحاجة)[٤].

(٨) **نظـــر المـــرأة:** أمر الشارع المرأة بغض بصرها عن الرجال إلا لحاجة قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٥].

(٩) **الاختلاط:** نهى المرأة عن الاختلاط بالرجال قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٦].

(١٠) **العبـــادات القولية الجهرية:** أجمع الفقهاء على أن الأذان لا تتولاه المرأة ولا يصح منها بل هو من خصائص الرجال وقد نصوا أيضاً على أن المرأة لا تجهر بالتلبية في الحج عند حضرة الرجال بل تسرها وكذلك لا تجهر بالقراءة في الصلاة عند الأجانب.

(١١) **الإمامة في الصلاة:** من شروط صحة الإمامة بالرجال أن يكون الإمام رجلا فلا تصح إمامة المرأة بالرجال عند جميع الفقهاء وإنما يباح لها أن تؤم النساء من جنسها.

(١٢) **الجهـــاد:** أسقط الشارع الجهاد عن المرأة ولم يوجبه عليها بل هو من وظائف الرجل المختصة به وإنما يباح لها الخروج للجهاد عند الحاجة كالتداوي ونحوه وفق الضوابط الشرعية قالت عائشة: قلت يا رسول الله على النساء جهاد قال: «**نعم عليهن جهاد لا قتال**

---

(١) الأحزاب: ٣٢.
(٢) الأحزاب: ٥٩.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) النور: ٣١.
(٦) الأحزاب: ٥٣.

فيه الحج والعمرة»[١].

(١٣) **نكــاح المرأة:** لا يـصح للمرأة أن تزوج نفسها أو تزوج غيرها من النساء بل يشترط لصحة نكاحها وجود الولي قال رسول: «لا نكاح إلا بولي»[٢].

(١٤) **الـــرمل والهرولة في العبادة:** لا يـشرع للمرأة الرمل في الطواف والهرولة في السعي قال ابن عبد البر: وأجمعوا أن ليس على النساء رمل في طوافهن بالبيت ولا هرولة في سعيهن بين الصفا والمروة.

(١٥) **اتــباع الجنائز:** نهـيت المـرأة عن إتباع الجنائز قالت أم عطية (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا)[٣].

(١٦) **زيـــارة القـــبور:** نهـيت المـرأة عن زيارة القبور فقد لعن رسول الله زائرات القبور[٤].

فـيجب علـى المـرأة المـسلمة الامـتثال بهـذه الأحكـام والرضا بها وترك ما سواها قال تعـالى: ﴿وَمَــا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْــرِهِمْ﴾ [الأحـزاب: ٣٦] وقال تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

ولا عـبرة بالنـية والقـصد الحسن في هذه المسائل مع ترك الامتثال بالشرع لأن الشريعة بنـيت علـى أحكـام الظاهـر وروعـي في ذلك تحقيق المصالح ودرء المفاسد والعبرة بالغالب والـنادر لا حكـم لـه ولأن القلـوب ضـعيفة والـشهوات غالـبة وربما استغل سذاجة المرأة وحـسن ظـنها أصـحاب القلوب المريضة وأهل الفجور فأوقعوا بها، ولأن الإنسان لا يأمن على نفسه الفتنة والواقع يصدق ذلك ويؤيده.

وإذا كانـت المـرأة وهـي قاصـدة العبادة في أطهر البقاع مأمورة بالحجاب والستر وترك الـزينة والطـيب ومخالطـة الـرجال واجتـنابهم في الطـرقات فكيف يكون حالها وهي قاصدة أماكن الفتنة.

ومـع وضـوح هـذا الأصـل العظـيم في ديـنـنا وكثـرة أدلته وانعقاد الإجماع عليه وعمل

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة وأصله في البخاري.

(٢) رواه الخمسة وهو مذهب أكثر الفقهاء.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه البخاري.

المسلمين عليه طيلة القرون نجد أناسا من بني جلدتنا يخالفون ذلك ويجعلون المرأة في سلوكها كالرجل ويعطونها الحرية المطلقة في الخروج والعمل والسفر واللباس والعلاقات و . . .

ومن الملاحظ أن كثيراً من هؤلاء يتظاهرون بتحكيم الشريعة ادعاءً وزورا ولكن إذا تأملنا في أقوالهم وجدناهم بعيدون كل البعد عن منهج الإسلام ويتنصلون دائما من أحكام الشرع ويصرحون بمخالفته بحجج واهية وأعذار ساقطة تارة بالقول إن هذه الأمور من جراء العادات والتقاليد أو من تأثير الغلو والتشدد أو من فقه أهل الصحراء أو مقيدة لحرية المرأة المشروعة لها ونحو ذلك من الظنون الكاذبة، مع أن عامة هذه المسائل مما أجمع عليه فقهاء المسلمين .

ويجب أن نفرق في هذا المقام بين من يخالف في بعض أفراد المسائل مع تعظيمه للشرع وحرصه على الفضيلة وحفظ المرأة وبين من ينازع في أكثر المسائل ويقدح في أصل الشريعة ويسعى إلى تهوين الأمور دائما وتسهيل الرذيلة فالأول مجتهد معذور في خطأه والثاني مفرط مأزور داخل في الوعيد متبع لهواه[(١)] .

والفقهاء في اختلافهم في بعض المسائل مراعون لهذا الأصل محققون لمقاصد الشرع وإنما اختلافهم لاختلاف أعراف الناس وتأثيرها في مسائل الاجتهاد ودعاء الحاجة أو الضرورة في بعض الأحوال وهذا اختلاف محمود بشرط صدوره عن المؤهلين شرعا من أهل الاجتهاد الذين يميزون بين المسائل ولهم نظر في روح الشريعة وعرفوا بحسن القصد أما أحاد الناس ومثقفوهم فلا يسعهم الخروج عن جادتهم ويلزمهم أن يوكلوا الأمر لهم قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] .

* * * * *

الفصل الأول:
من صور تكريم الإسلام للمرأة

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها .

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى

(١) خالد سعود البليهد عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة .

أن تمتد إليها أيدى بسوء ، ولا ألسنة بأذى ، ولا أعين بخيانة .

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله ، وميثاقه الغليظ ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار ، وأمنع ذمار ، ووواجب على زوجها إكرامها ، والإحسان إليها ، وكف الأذى عنها .

وإذا كانت أماً كان برُّها مقروناً بحق الله - تعالى - وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله ، والفساد في الأرض .

وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها ، وإكرامها ، والغيرة عليها .

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة .

وإذا كانت جدة ، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها ، وأحفادها ، وجميع أقاربها ؛ فلا يكاد يرد لها طلب ، ولا يُسَفَّه لها رأي .

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى ، وغض البصر ونحو ذلك .

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية ، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة .

ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك ، والإجارة ، والبيع ، والشراء ، وسائر العقود ، ولها حق التعلم ، والتعليم ، بما لا يخالف دينها ، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى .

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال ، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه .

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها ، ويحفظ كرامتها ، ويحميها من الألسنة البذيئة ، والأعين الغادرة ، والأيدي الباطشة ؛ فأمرها بالحجاب والستر ، والبعد عن التبرج ، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب ، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها .

ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها ، وإحسان معاشرتها ، والحذر من ظلمها ، والإساءة إليها .

بل ومن المحاسن - أيضاً - أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق ، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة ؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح ، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق .

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها ، سيئاً في معاشرتها ، فلها أن تفارقه

على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع لـه شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومـن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قولـه - تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(١).

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

قال النبي - ﷺ -: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها»(٢).

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته - وهي كنفسه - مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لا بد لـه من الاجتماع والاتصال الخاص بها.

ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعني أن الضرب مذموم بكل حال.

لا، ليس الأمر كذلك؛ فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم ممن نبتوا من حقل الغرب، ورضعوا من لبانه، ونشأوا في ظله.

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون في هذا الحكم، ويتأففون منه، ويعدونه إهانة للمرأة.

وما ندري من الذي أهان المرأة؟ أهو ربّها الرحيم الكريم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تمتهن وتهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله - وهو رأس البيت - مرؤوساً، وتصر على نشوزها،

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وتمشي في غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره.

تُرى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تَمَرَّدْنَ؟

لعل الجواب تضمنه قول الشنفرى الشاعر الجاهلي حين قال مخاطباً زوجته:

إذا ما جئت ما أنهاك عنه ::: فلم أنكر عليك فطلقيني
فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي ::: بسوطك - لا أبا لك - فاضربيني

نعم لقد وجد من النساء - وفي الغرب خاصة - من تضرب زوجها مرة إثر مرة، والزوج يكتم أمره، فلما لم يعد يطيق ذلك طلَّقها، حينئذٍ ندمت المرأة، وقالت: أنا السبب؛ فلقد كنت أضربه، وكان يستحيي من الإخبار بذلك، ولما نفد صبره طلَّقني!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله - تعالى -: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾[1].

وكما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع: «**ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح**».

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي، والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب- أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير؛ فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

ج- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاجُ والتأديب والزجر لا غير؛ فيراعي

---

(١) النساء: ٣٤.

التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د- أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه.

هـ- ألا يكسر عظماً، ولا يشين عضواً، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و- ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز.

فالضرب - إذاً - للمصلحة لا للإهانة، ولو ماتت الزوجة بسبب ضرب الزوج لوجبت الدية والكفارة، إذا كان الضرب لغير التأديب المأذون فيه.

أما إذا كان التلف مع التأديب المشروع فلا ضمان عليه، هذا مذهب أحمد ومالك.

أما الشافعي وأبو حنيفة فيرون الضمان في ذلك، ووافقهم القرطبي - وهو مالكي.

وقال النووي - رحمه الله - في شرح حديث حجة الوداع السابق: (وفي هذا الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب، فإن ضربها الضرب المأذون فيه فماتت وجبت ديتها على عاقلة الضارب، ووجبت الكفارة في ماله).

ومن هنا يتبين لنا أن الضرب دواء ينبغي مراعاة وقته، ونوعه، وكيفيته، ومقداره، وقابلية المحل، لكن الذين يجهلون هداية الإسلام يقلبون الأمر، ويلبسون الحق بالباطل.

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة؛ فإذا وجدت امرأة ناشز أساءت عشرة زوجها، وركبت رأسها، واتبعت خطوات الشيطان، ولم ينجع معها وعظ ولا هجران - فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحال؟

هل من كرامته أن يهرع إلى مطالبة زوجته كل ما نشزت؟ وهل تقبل المرأة ذلك، فينتشر خبرها، فتكون غرضاً للذم، وعرضة للّوم؟

إن الضرب بالمسواك، وما أشبهه أقلُّ ضرراً على المرأة نفسها من تطليقها الذي هو نتيجة غالبة لاسترسالها في نشوزها، فإذا طُلِّقت تصدع بنيان الأسرة، وتفرق شملها، وتناثرت أجزاؤها.

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخف حسناً جميلاً، كما قيل:

وعند ذكر العمى يستحسن العورُ.

فالضرب طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى، ولا ينفع معها الجميل، ولا تفقه الحجة، ولا تقاد بزمام الإقناع.

ثم إذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة، فضرب زوجته وهي لا تستحق، أو ضربها ضرباً مبرحاً - فالدين براء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها.

هـذا وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح، بل قد يعجبها من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع فإنه لا يستقيم أمرها إلا بالضرب.

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه في الوقت ذاته؛ فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب أن يكون قواماً عليها إلا حين يقهرها عضلياً.

وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذه الصنف من النساء موجود، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة؛ ليستقيم على الطريقة.

والذين يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك؛ فتعالوا نطالع الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية.

أ - نشرت مجلة التايمز الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي(١).

ب - ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تُقْدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي(٢).

ج - دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م أشارت إلى ٧٩٪ يقومون بضرب النساء وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن.

وكانت الدراسة قد اعتمدت على استفتاء أجراه د. جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعةكارولينا الجنوبية بين عدد من طلبته.

---

(١) انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص٤٥.

(٢) انظر دور المرأة المسلمة في المجتمع ص٤٦.

وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عالٍ جداً، فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة فكيف بمن هو دونهم تعليماً؟

د - وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن ٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقاً مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب.

وقال إفان ستارك معد هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تصاب بها النساء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات، والسرقة، والاغتصاب مجتمعة.

وقالت جانيس مور - وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل؛ فالأزواج يضربون نسائهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضربات أخرى بالكراسي، والسكاكين، والقضبان المحماة.

وأشارت إلى أن الأمر المرعب هو أن هناك نساء أكثر يُصبن بجروح وأذى على أيدي أزواجهن ولكنهن لا يذهبن إلى المستشفى طلباً للعلاج، بل يُضمِّدن جراحهن في المنزل.

وقالت جانيس مور: إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة، وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن[1].

هـ - وجاء في كتاب ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام البسيوني ص٣٦ - ٦٦ ما يلي:

- ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب الطلاق.

- ٧٧٢ امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساوباولو البرازيلية وحدها عام١٩٨٠م.

- يتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً.

---

(١) انظر من أجل تحرير حقيقي ص١٦ - ٢١ وانظر المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ص٥٦ - ٥٧.

- أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النساء هناك - أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة - يتعرضن لسوء المعاملة كل عام.

- في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية.

- تتعرض امرأة لسوء المعاملة في أمريكا كل ثمان ثوان.

- مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنوياً، ومليونا فرنسية.

- ٦٠٪ من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل - هي نداءات استغاثة من نساء تُساء معاملتهن.

وبعد فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات؛ لعلمنا بأنه ليس بعد الكفر ذنب.

ولكن نفراً من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نسب إلى الغرب وما جرى مجراه؛ فها هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة؛ فهل من مدكر؟

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة ::: فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن أنقذها من أيدي الذين يزدرون مكانها، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها؛ فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها، وينبه على رفعة منزلتها، ثم جعل للرجل حق رعايتها، وإقامة سياج بينها وبين ما يخدش كرامتها.

ومن الشاهد على هذا قوله - تعالى -: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[1] فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل؛ وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبره فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها، والقدرة على دفاع الأذى عنها.

وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها في قوله - تعالى -: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[2].

بل إن الله - عز وجل - قد اختص الرجل بخصائص عديدة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجليلة.

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) النساء: ٣٤.

ومن تلك الخصائص ما يلي:

أ - أنه جُعل أصلها، وجعلت المرأة فرعه، كما قال - تعالى -: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(١).

ب - أنها خلقت من ضلعه الأعوج، كما جاء في قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلَع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيراً**»(٢).

ج - أن المرأة ناقصة عقل ودين، كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن**»(٣).

قالت امرأة: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين**».

فلا يمكن - والحالة هذه - أن تستقل بالتدبير والتصرف.

د - نقص قوَّتها، فلا تقاتل ولا يُسهَم لها.

هـ - ما يعتري المرأة من العوارض الطبيعية من حمل وولادة، وحيض ونفاس، فيشغلها عن مهمة القوامة الشاقة.

و - أنها على النصف من الرجل في الشهادة - كما مر - وفي الدية، والميراث، والعقيقة، والعتق.

هذه بعض الخصائص التي يتميز بها الرجل عن المرأة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -: (ولا ينازع في تفضيل اللهِ الرجلَ على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر؛ فهو أكبر دماغاً، وأوسع عقلاً، وأعظم استعداداً للعلوم، وأقدر على مختلف الأعمال).

وبعد أن استبان لنا عظم شأن القوامة، وأنها أمر يأمر به الشرع، وتقره الفطرة السوية، والعقول السليمة - فهذا ذكر لبعض ما قاله بعض الغربيين من الكتاب وغيرهم في شأن القوامة؛ وذلك من باب الاستئناس؛ لأن نفراً من بني جلدتنا لا يقع الدليل موقعه عندهم إلا إذا صدر من مشكاة الغرب.

---

(١) النساء: ١.

(٢) الترمذي.

(٣) مسند أحمد ٥٠٩١.

أ - تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول: إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية.

ب - الزعيمة النسائية الأمريكية (فليش شلافي) دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

ج - وفي كتاب صدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها: (إن المرأة الحديثة مُغَفَّلة؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم؛ فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق؛ لأننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية؛ للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل.

والرجال ليسوا أغبياء؛ فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده.

د - وتقول طبيبة نفسية أمريكية: (أيما امرأة قالت: أنا واثقة بنفسي « وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها.

هذا ما يقول العقلاء من أولئك القوم، فماذا يقول العلم الحديث في ذلك الشأن؟

لقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهْمَ محاولات المساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل؛ فقد أثبت الطبيب (د. روجرز سبراي) الحائز على جائزة نوبل في الطب - وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في المشاعر وردود الأفعال، والقيام بنفس الأدوار.

وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (بيل) الأمريكية بحثاً طريفاً رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة معينة، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معاً.

وفي هذا دليل - كما يقول أستاذ جامعة بيل - أن نصْفَ مُخَّ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مُخُّ المرأة إلا بشطريه.

وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة في التفكير، وحل المشكلات.

وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكيولوجي في جامعة ألستر البريطانية حيث يقول: إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات.

وأضاف لين: (أنه يجب الإقرار بالواقع، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجماً من دماغ الإناث، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء).

وقال: إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفي ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى.

وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله - سبحانه - أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال - عز وجل -: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾[1].

فكل ميسر لما خلق له، وكل يعمل على شاكلته.

ولا يفهم من خلال ما مضى أن ضعف المرأة ونقصها الخلْقي يعد من مساوئها بل هو من أعظم محاسنها.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: (ألا ترى أن الضعف الخِلْقيَّ والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب.

قال جرير:

إن العيون التي في طرفها حور ::: قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يَصرَعْن ذا اللب حتى لا حراك به ::: وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال ابن الدمينة:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ::: ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
فلم يعتذرْ عُذْرَ البريء ولم تزل ::: به سكتة حتى يقال مريب

فالأول تشبيب بهن بضعف أركانهن، والثاني بعجزهن عن الإبانة في الخصام كما قال

(١) آل عمران: ٣٦.

- تعالى -: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1] ولهذا التباين في الكمال والقوة بين النوعين صح عن النبي - ﷺ - اللعن على من تشبه منهما بالآخر.

وقال - رحمه الله - بعد أن ذكر بعض الأدلة على فضيلة الذكر على الأنثى: فإذا عرفت من هذه أن الأنوثة نقص خلقي، وضعف طبيعي - فاعلم أن العقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته، القوي بطبيعته؛ ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع، ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضر.

* * * * *

المبحث الأول:
حكمة التعدد

ومن إكرام الإسلام للمرأة:

أن أباح للرجل أن يعدد، فيتزوج بأكثر من واحدة، فأباح له أن يتزوج اثنتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، ولا يزيد عن أربع بشرط أن يعدل بينهن في النفقة، والكسوة، والمبيت، وإن اقتصر الزوج على واحدة فله ذلك.

هذا وإن في التعدد حكماً عظيمة، ومصالح كثيرة لا يدركها الذين يطعنون في الإسلام، ويجهلون الحكمة من تشريعاته، ومما يبرهن على الحكمة من مشروعية التعدد مايلي:

١ - أن الإسلام حرم الزنا، وشدَّد في تحريمه؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي تفوق الحصر والعد، والتي منها: اختلاط الأنساب، وقتل الحياء، والذهاب بالشرف وكرامة الفتاة؛ إذ الزنا يكسوها عاراً لا يقف حده عندها، بل يتعداه إلى أهلها وأقاربها.

ومن أضرار الزنا: أن فيه جناية على الجنين الذي يأتي من الزنا؛ حيث يعيش مقطوع النسب، محتقراً ذليلاً.

ومن أضراره: ما ينتج عنه من أمراض نفسية وجسدية يصعب علاجها، بل ربما أودت بحياة الزاني كالسيلان، والزهري، والهربس، والإيدز، وغيرها.

والإسلام حين حرَّم الزنا وشدَّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة، والسكن، والطمأنينة ألا وهو الزواج، حيث شرع الزواج، وأباح التعدد فيه كما مضى.

---

(١) الزخرف: ١٨.

ولا ريب أن منع التعدد ظلم للرجل وللمرأة؛ فمنعه قد يدفع إلى الزنا؛ لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال في كل زمان ومكان، ويتجلى ذلك في أيام الحروب؛ فَقَصْر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج، وذلك يسبب لهن الحرج، والضيق، والتشتت، وربما أدى بهن إلى بيع العرض، وانتشار الزنا، وضياع النسل.

٢ - أن الزواج ليس متعة جسدية فحسب: بل فيه الراحة، والسكن، وفيه - أيضاً - نعمة الولد، والولد في الإسلام ليس كغيره في النظم الأرضية؛ إذ لوالديه أعظم الحق عليه؛ فإذا رزقت المرأة أولاداً، وقامت على تربيتهم كانوا قرة عين لها؛ فأيهما أحسن للمرأة: أن تنعم في ظل رجل يحميها، ويحوطها، ويرعاها، وترزق بسببه الأولاد الذين إذا أحسنت تربيتهم وصلحوا كانوا قرة عين لها؟ أو أن تعيش وحيدة طريدة ترتمي هنا وهناك؟!.

٣ - أن نظرة الإسلام عادلة متوازنة: فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل، والنظرة العادلة تقول بأنه لابد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل.

إذا كان الأمر كذلك؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن؟ ولماذا لا يُنظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في مقتبل عمرها؟ ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج؟.

أيهما أفضل للمرأة: أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى، فتطمئن نفسها، ويهدأ بالها، وتجد من يرعاها، وترزق بسببه الأولاد، أو أن تقعد بلا زواج البتة؟.

وأيهما أفضل للمجتمعات: أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة؟ أو ألا يعدد أحد، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد؟.

وأيهما أفضل: أن يكون للرجل زوجتان أو ثلاث أو أربع؟ أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات، أو أكثر أو أقل؟.

٤ - أن التعدد ليس واجباً: فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون؛ فطالما أن المرأة تكفيه، أو أنه غير قادر على العدل فلا حاجة له في التعدد.

٥ - أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل: وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام، أو أسبوعين كل شهر.

وفي النفاس مانع - أيضاً - والغالب فيه أنه أربعون يوماً، والمعاشرة في هاتين الفترتين

محظورة شرعاً، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى.

وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج، وهكذا.

أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر، والعام؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى سلوك غير مشروع.

٦ - قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد: فيُحْرَمُ الزوج من نعمة الولد، فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى ولود.

وقد يقال: وإذا كان الزوج عقيماً والزوجة ولوداً؛ فهل للمرأة الحق في الفراق؟.

والجواب: نعم فلها ذلك إن أرادت.

٧ - قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً: كالشلل وغيره، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج؛ فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى.

٨ - قد يكون سلوك الزوجة سيئاً: فقد تكون شرسة، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها؛ فبدلاً من تطليقها يبقي الزوج عليها، ويتزوج بأخرى؛ وفاء للزوجة، وحفظاً لحق أهلها، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها.

٩ - أن قدرة الرجل على الإنجاب أوسع بكثير من قدرة المرأة: فالرجل يستطيع الإنجاب إلى ما بعد الستين، بل ربما تعدى المائة وهو في نشاطه وقدرته على الإنجاب.

أما المرأة فالغالب أنها تقف عن الإنجاب في حدود الأربعين، أو تزيد عليها قليلاً؛ فمنع التعدد حرمان للأمة من النسل.

١٠ - أن في الزواج من ثانية راحة للأولى: فالزوجة الأولى ترتاح قليلاً أو كثيراً من أعباء الزوجية؛ إذ يوجد من يعينها ويأخذ عنها نصيباً من أعباء الزوج.

ولهذا، فإن بعض العاقلات إذا كبرت في السن وعجزت عن القيام بحق الزوج أشارت عليه بالتعدد.

١١ - التماس الأجر: فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها، ولا راع؛ فيتزوجها بنيَّة إعفافها، ورعايتها، فينال الأجر من الله بذلك.

١٢ - أن الذي أباح التعدد هو الله - عز وجل -: فهو أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من أنفسهم.

وهكذا يتبين لنا حكمة الإسلام، وشمول نظرته في إباحة التعدد، ويتبين لنا جهل من يطعنون في تشريعاته.

المبحث الثاني:
ومن إكرام الإسلام للمرأة

أن جعل لها نصيباً من الميراث ؛ فللأم نصيب معين ، وللزوجة نصيب معين ، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُفَصَّل في مواضعه .

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل ، وقد يظن بعض الجهلة أن هذا من الظلم ؛ فيقولون: كيف يكون للرجل مثل حظ الأنثيين من الميراث؟ ولماذا يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل؟ .

والجواب أن يقال: إن الذي شرع هذا هو الله الحكيم العليم بمصالح عباده .

ثم أي ظلم في هذا؟ إن نظام الإسلام متكامل مترابط ؛ فليس من العدل أن يؤخذ نظام ، أو تشريع ، ثم ويستقيم الحكم .

ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة: أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج ، وجعل مهر الزوجة واجباً على الزوج - أيضاً - .

ولنفرض أن رجلاً مات ، وخلَّف ابناً ، وبنتاً ، وكان للابن ضعف نصيب أخته ، ثم أخذ كل منهما نصيبه ، ثم تزوج كل منهما ؛ فالابن إذا تزوج مطالب بالمهر ، والسكن ، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته .

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها ، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه على زوجها ، أو على نفقة بيتها أو على أولادها ؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها ، مع مهرها من زوجها ، مع أنها لا تُطَالب بالنفقة على نفسها وأولادها .

أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هو العدل بعينه إذاً؟

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام ؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية ، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها ، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل ؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها ، ولقمة تسد جوعتها ، وربما كان ذلك على حساب الشرف ، ونبيل الأخلاق .

وأين إكرامُ الإسلام للمرأة ، وجَعْلُها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة ، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية ، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار ، وتعدها مخلوقاً نجساً؟ .

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات

والإعلانات؟ .

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة ؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت ؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهي من البشر أو لا؟! .

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها ، ورعاية زوجها ، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها ، أو شبابها ، أو هرمها ، وفي حال فقرها أو غناها ، أو صحتها أو مرضها .

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المتسبين إلى الإسلام - فإنما هو بسبب القصور والجهل ، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين ، والوزر في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص .

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه ؛ لعلاج الخطأ .

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة ، وصيانة ، ومودة ، ورحمة ، ورعاية ، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية .

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني ، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة ، فترى أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية ، وأنها لابد أن تكون دمية يعبث بها كل ساقط ؛ فذلك سر السعادة عندهم .

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها .

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن ، وإبداء الزينة ، وكشف الصدور ، والأفخاذ ، وما هو أشد؟! .

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟! .

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة ، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟! .

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة ، والجدة ، والعجوز؟ .

إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجئ ، ودور العجزة والمسنين ؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها .

وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ينظر إليه من زاوية واحدة دون ربطه بغيره، بل ينظر إليه من جميع جوانبه؛ فتتضح الصورة.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها - كما سبق - لأنها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية - فزعم باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام.

هذه نبذة يسيرة، وصور موجزة من تكريم الإسلام للمرأة.

* * * * *

المبحث الثالث:
من يظلم المرأة؟!!

حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، والله لا يحب الظالمين، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، وكم في هذا الكون من ظلم وظلمات، ودعونا نقف اليوم على جانب من الظلم يقع على فئة كبيرة في المجتمع.

وهذا الظلم قديم يتجدد، لكن بصور وأنماط تختلف في شكلها وربما اتفقت في مضمونها. إنه ظلم المرأة. فقد ظلمتها الجاهليات القديمة، وتظلمها الجاهليات المعاصرة. تُظلم المرأة من قبل الآباء، والأزواج وتُظلم من قبل الصويحبات والحاسدات، بل وتُظلم المرأة من قبل نفسها أحياناً. تظلمها الثقافات الوافدة، والعادات والتقاليد البالية، تُظلم

المرأة حين تمنع حقوقها المشروعة لها، وتُظلم حين تعطى من الحقوق ما ليس لها.

إنها أنواع وأشكال من الظلم لابد أن نكشف شيئاً منها، ونخلص إلى عظمة الإسلام في التعامل معها وضمان حقوقها، والاعتدال في النظرة إليها.

أجل إن ظلم المرأة قديم في الأديان والشعوب والأمم المختلفة فهي عند الإغريق سلعة تباع وتشترى في الأسواق، وهي عند الرومان ليست ذات روح، فهم يعذبونها بسكب الزيت على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيل ويسرعون بها حتى تموت، والمرأة عند القدماء من الصينيين من السوء بحيث يحق لزوجها أن يدفنها وهي حية ولم تكن المرأة عند الهنود ببعيد عن ذلك، إذ يرون الزوجة يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية، على موقد واحد، وكذا الفرس فللرجل حق التصرف فيها بأن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة. ولم تكن حال المرأة بأسعد من ذلك عند اليهودية المحرفة وكذا النصرانية، فهي عند اليهود لعنة لأنها أغوت آدم، وإذا أصابها الحيض فلا تُجَالس ولا تُؤاكل، ولا تلمس وعاءً حتى لا يتنجس!، كما أعلن النصارى أن المرأة باب الشيطان وأن العلاقة معها رجسٌ في ذاتها[(١)].

ومن جاهليات العجم إلى جاهلية العرب، حيث كانوا يتشاءمون بمولدها حتى ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾[(٢)]، بل شهد القرآن على وأدهن وهن أحياء ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[(٣)] كانت تُظلم وتُعضل في ميراثها وحقوقها، وكانت ضمن المتاع الرخيص للأب، أو الزوج حق التصرف فيها.

ومن الجاهليات القديمة إلى الجاهليات المعاصرة حيث ظُلمت المرأة باسم تحريرها، سُلبت العبودية لخالقها واستعبدها البشر، واعتدوا على كرامتها، وفتنوها وأخرجوها من حضنها الدافئ، وحرموها لذة الأمومة وعاطفة الأبوة، فهامت على وجهها تتسول للذئاب المفترسة، وربما كدحت وأنفقت حتى تظل مع عشيقها، وربما سارع للخلاص منها لينضم إلى معشوقة وخادنة أخرى.؟! جاء الإسلام لينصف المرأة ويصلها بخالقها، ويرشدها إلى هدف الوجود وقيمة الحياة، وليصف لها حياة السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

---

(١) ظلم المرأة/ محمد الهبدان: ٢١ - ٢٤.

(٢) النحل: من الآية٥٩.

(٣) التكوير: ٨، ٩.

يَعْمَلُـونَ ﴾ (١) ونزل القرآن ليعلن ضمان حقوق المرأة ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (٢)، وأكـد المصطفى ﷺ على حقوق المرأة، بل حرّج فقال: «اللّهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» (٣).

وقـام المسلمون بأرقـى تعامـل عـرفته البـشرية مع المرأة، بل أشرقت حضارتهم على الأمـم، وتعلمت منهم الشعوب الأخرى كرامة المرأة، ويعترف أحد الغربيين (كوغوستاف لوبون) بذلك حين يقول: "إن الأوروبيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احـترام المـرأة، فالإسـلام إذن، لا النـصرانية هـو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانـت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع، وإذا نظرت إلى نصارى الدور الأول من القرون الوسـطى رأيـتهم لم يحملـوا شيئاً من الحرمة للنساء. وعلمت أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظا نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى" (٤).

وإذا تـشدق المـبهورون اليوم بحضارة الغرب وقيمه، وحطوا من قيم حضارتهم جاءت شهادة المنصفين من الغرب تكذب هذا الادعاء وتثبت أن إصلاح المرأة في الغرب إنما تم بعد احـتكاك المـسلمين في أسـبانيا (الأنـدلس) بالغـرب. وفي هـذا يقـول (مارسيل بوازار) "إن الـشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوروبا - عبر أسبانيا - احترام المرأة (٥)" إننا في فـترات المراهقة الثقافية ننسى أصولنا، ونـنبهر بما عند غيرنا، ولكن اعترافات القوم تعيد إلى بعـضنا الـتوازن، نعـم لقـد ظُلـم ديـنـنا، مـن بعـض أبناء جلدتنا، وزهد البعض في ثقافتنا وقيمنا، وشوه وضع المرأة عندنا من قبل أعدائنا.

وشـاء الله أن يُقام الشهود المنصفون من القوم على أنفسهم ومن سار في ركبهم، فهذه امـرأة غـربية تكـشف الحقيقة بممارسة سلوكية واقعية حين تقول زوجة السفير الإنجليزي في تـركيا: يزعمون أن المرأة المسلمة في استعباد وحجر معيب، وهو ما أود تكذيبه، فإن مؤلفي الـروايات في أوروبـا لا يحاولـون الحقـيقة ولا يـسعون للـبحث عـنها، ولولا أنني في تركيا اجـتمعت إلى النـساء المـسلمات مـا كان إلى ذلك من سبيل. فما رأيته يكذب كل التكذيب أخـبارهم عـنها. إلى أن تقـول ولعـل المـرأة المـسلمة هي الوحيدة التي لا تعنى بغير حياتها

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) آل عمران: من الآية١٩٥.

(٣) رواه ابن ماجه ٣٦٧٨ والبيهقي٥/ ٣٦٣ وصحح إسناده النووي.

(٤) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل/ ٤٣١.

(٥) قالوا عن الإسلام/ ٤٠٩.

البيتية، ثم إنهن يعشن في مقصورات جميلات [١].

هكذا وتظل المرأة المسلمة معززة مكرمة موقرةً لها الحقوق ما بقي الإسلام عزيزاً، ويظل المسلمون أوفياء للمرأة ما داموا مستمسكين بالإسلام. وكلما تغرَّب الإسلام، أو انحرف المسلمون. عاد الظلم للمرأة بصورةٍ أو بأخرى. لا فرق بين هضم حقوقها. أو تلمس حقوقاً ليست لها لتشغلها عن حقوقها ووظائفها النسوية الأساسية. وهذه صور من ظلم المرأة للوعي بها واجتنابها. فهي تُظلم حين تُستخدم سلعةً رخيصة للدعاية والإعلان، وتُظلم المرأة حين تُزجُّ في عمل لا يتلاءم مع أنوثتها. أو يُزجُّ بها في مجتمع الرجال، تُظلم المرأة حين تُضرب بغير حق، أو تعضل لأدنى سبب، أو يتحرش بها جنسياً، أو تغتصب، أو تستغل في التجارة الجسدية، أو بحرمانها من الحياة الزوجية السعيدة، تُظلم المرأة حين يسلب حياؤها ويُعتدى على قيمها ويستهان بروحها وأشراقها. وتخدع بزينة عابرة، وأشكال وأصباغ زائلة، وتُظلم المرأة حين يُقصِّر الولي أو المجتمع في تربيتها، وتُظلم المرأة حين تعرض للأمراض المختلفة كالزهري والسيلان والإيدز. ونحوها.

تُظلم المرأة حين يتأخر زواجها فتعنس، أو تمنع من الحمل والولد فتفلس، أو تزوج بغير إذنها وبمن لا ترغب، تُظلم المرأة حين يُسخط منها حين تولد، أو تُلعن وتسب حين تكبر، تُظلم المرأة حين يغالى في مهرها فيتجاوزها الخُطَّاب إلى غيرها أو تلزم بزوج لا ترغبه، وقد تجبر على زوج فاسد الدين أو سيئ الخلق، تُظلم المطلقة في ولدها، وقد تُظلم المرأة من أقرب الناس لها، تُظلم المرأة بضرتها، وتُظلم المرأة بإفشاء سرها لاسيما في أمر الفراش و"إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها" [٢].

تُظلم المرأة حين يعتدى على مالها بغير حق أو يعتدى على حجابها وحيائها باسم التحضر. وثمة صور أخرى لظلم المرأة حين تقصر في طاعة الله، وترتكب المحرمات. وتضيع الأوقات وتسفل في همتها. وتكون الأزياء والموضة غاية مرادها. تُظلم المرأة حين تختزل حقوقها في قيادة. أو يُزجُّ بها في خلطةٍ بائسة، أو تجد نفسها في كومة من الفضائيات الساقطة. أو تجر لمواقع عنكبوتية مشبوهة. تُظلم المرأة حين تهمش رسالتها الخالدة وتُصرف عبوديتها عن الخالق الحق إلى عبادة الأهواء والشهوات، وكم هو وأدٌ للمرأة حين يوحى لها أن نماذج القدوة ساقطاتُ الفكر، عاشقات الشهوة والشهرة.

---

(١) السابق/ ٤٢٥/ ٤٢٦.

(٢) رواه مسلم/ ١٤٣٧.

وإن من أعظم ظلم المرأة أن يُلبس عليها الحق بالباطل ويستبدل الحسن بالقبيح ، ويصور لها الحياة والعفة بالرجعية والتطرف على حين يصور لها السفور والاختلاط بالمدنية والانفتاح والتحضر؟ وكم تُظلم المرأة حين يقال لها أن من العيب أن يكفلها أبوها ، أو ينفق عليها زوجها ، ويلقى في روعها أن (القوامة) القرآنية ضعف وتبعية ، وإن عليها أن تكد وتكدح لتتخلص من نفقة الآخرين وقوامتهم .

نعم لقد أصبح العامل الاقتصادي كلّ شيء في ذهن أدعياء تحرير المرأة ولذا تراهم يطالبون لها بأي عمل ويقحمونها في كل ميدان فتظل المسكينة تلهث متناسية أعباءها الأخرى وواجباتها الأسرية المقدسة فلا هي أمٌّ حانية ولا مربيةٌ ناجحة .

حتى إذا ذبلت الزهرة والتفتت الكادحة في - العمل بلا حدود - إلى المحصلة النهائية وجدت نفسها في العراء فلا هي أفلحت في التربية وبناء الأسرة ولا هي خلّفت جاهاً يذكر وحشمة تشكر ، وعادت تندب حظها كما ندبت نساء الغرب والشرق قبلها ، وإذا أمكن قبول ظروف الغارقات في الوحل فلا يمكن بحال قبول ظروف امرأة مسلمة قال لها خالقها: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] .

ومن الظلم الواقع على المرأة إلى الظلم الملبس المرأة ، فثمة دعوى وشبهات يخيل لبعض النساء أنهن مظلومات فيها وليس الأمر كذلك . لكنه تشويه وتزوير وتضليل وخداع ومن ذلك:

١ - الدعوى بأن بقاء المرأة في بيتها ظلم لها ، وهذه مغالطة تكشفها نصوص الوحيين فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ومن السنة قال عليه الصلاة السلام: «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»[2] فدل قوله: «قد أذن لكن» على أن الأصل البقاء في البيت ، والخروج إنما يكون لحاجة ، ويشهد بجدواها الغربيون ويقول أحدهم (جاك ريلر): "مكان المرأة الصحيح هو البيت ، ومهمتها الأساسية هي أن تنجب أطفالاً"[3] .

٢ - الادعاء بقصر مسمى عمل المرأة خارج منزلها ، وعدم اعتبار عملها في منزلها عملاً يستحق الإشادة والتقدير ، وليس الأمر كذلك بل اعتبر الشارع الحكيم عملها في بيتها شرفاً

(١) الأحزاب: ٣٣ .

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٧) .

(٣) قالوا عن الإسلام/ ٤١٥ .

وكرامة، وكم نغفل عن مدونات السنة ومصطلحاتها ! وفي صحيح البخاري عن عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيهَا السَّلام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ - وفي رواية: أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهِمَا السَّلام - أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ - فَذَكَرَتْ ذلك لِعَائِشَةَ فلما جاءَ النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ له فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا أي استمرا على ما أنتما عليه فجلس بيننا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: «أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ على خير مما هو لكما من خادم إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ فهذا خير لكما من خادم»[١].

فهل تستطيع امرأة أن تقول إنها خير من فاطمة؟ . أو يقول رجل إنه خير لهذا العمل النسوي البيتي.

٣ - ومن دعاوى الظلم على المرأة القول بأن التعدد ظلم لها، وكم شوهت وسائل الإعلام بمسلسلاتها الهابطة، وأعمدتها الجانحة، صورة التعدد المشروع، والتعدد فوق أنه شرع رباني ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فيه فهو مضبوط بالعدل: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[٢]. والتعدد عوض عن الطلاق في حال عقم المرأة أو مرضها، أو عدم قناعة الزوج بها. فلا خيار في هذه الحالات أو نحوها. إلا الطلاق أو التعدد؟ على أن أمر التعدد الإسلامي عاد مطلباً لجمعيات الغرب، وفي أمريكا أكثر من جمعية يجوب أعضاؤها نساء ورجال مختلف الولايات الأمريكية داعين في محاضراتهم للعودة لنظام التعدد[٣].

وعاد نساء الغرب يدعين للتعدد، وتقول: أستاذة في الجامعة الألمانية: إن حل مشكلة المرأة في ألمانيا هو في إباحة تعدد الزوجات[٤]، ويعترف أحد الغربيين الذي هداهم الله للإسلام بأن التعدد في البلاد الإسلامية أقل إثماً وأخف ضرراً من الخبائث التي ترتكبها الأمم المسيحية تحت ستار المدنية، فلنخرج الخشبة التي في أعيننا أولاً، ثم نتقدم لإخراج

---

(١) مسند أحمد ٢٥٣٤٠.

(٢) النساء: من الآية ٣.

(٣) عن ظلم المرأة - محمد الهيدان/ ٧٨.

(٤) ظلم المرأة - محمد الهيدان/ ٧٨.

القذى من أعين غيرنا.[1] وفي الوقت الذي يؤيد فيه غربي آخر تعدد الزوجات عند المسلمين معتبراً إياه قانوناً طبيعيا وسيبقى ما بقي العالم، هو في المقابل ينتقد النظام الغربي ويبين الآثار المترتبة على الإلزام بزوجة واحدة. ويقول (إيتين دينيه): إن نظرية التوحيد في الزوجة التي تأخذ بها المسيحية ظاهراً، تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي: الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين.

٤ - ويزعمون كذلك أن دية المرأة نصف دية الرجل حيفٌ عليها، وينسون ويتناسون حكمة العليم الخبير بحاجة الرجل للمال للنفقة الواجبة عليه. ومع ذلك فهذه الدية للمرأة في حال قتل الخطأ، مثل دية الرجل كما جاء في الآية الكريمة، وفيها أن الرجل والمرأة سواء، وقد قيل حكمة ذلك: كذلك لما كانت الدية مواساة لأهل المقتول وتعويضاً لهم، فالخسارة المادية في الأنثى أقل منها عند الرجل، إذ الرجل يعمل ويوفر دخلا لأسرته أكثر، فخسارته أعظم من المرأة فكانت الدية في حقه أعظم[2].

* * * * *

المبحث الرابع:
ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟

إن من أعظم النعم التي كرم اللّٰه بها عباده المؤمنين أن شرع الله لهم شريعة قويمة وملة حنيفية، تنظم الإنسان والكون والحياة، تخاطب القلب والعقل والروح، وتحقق رغبات البدن دون تمادي إلى شهوانية حيوانية، أو دون حرمان الرهبانية كما تمارسه النصرانية والنيرفا الهندوكية، وهذا الدين هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4]. ومن محاسن هذه الشريعة القويمة تكريم المرأة وحمايتها والإحسان إليها، خلاف ما عليه الجاهلية الأولى من وأد البنات، وحرمان النساء من الميراث، واعتبارهن من سقط المتاع، فجاء هذا الدين حاكماً بأن: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي

---

(١) قالوا عن الإسلام/ ٤٢٧.
(٢) المرأة بين الجاهلية والإسلام: ١٦١ عن ظلم المرأة للهبدان ٨١.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) الأنعام: ١٥٣.

عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١].

قائلاً: «النساء شقائق الرجال»[٢] آمراً: «استوصوا بالنساء خيراً»[٣] حاثاً: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٤] ولا غرو في ذلك لأن هذه المرأة هي أساس المجتمع، حيث هي الأم الحنون، والزوجة الصالحة، والأخت الفاضلة، فمن مدارسهن الحقيقية يتخرج الأبطال، وتتربى الأجيال، فهي المحور الحقيقي التي عليها صلاح المجتمع أو فساده.

من هنا كانت برامج وخطط المفسدين عبر قرون من السنين موجهة إلى هذا الكيان القوي الطاهر لتحطيمه وزعزعته، والقضاء على معاني الفضيلة فيه، ومن تأمل جهود أولئك في عدد من البلاد الإسلامية المجاورة رأى عملية التدرج في إفساد المرأة وخلطها بالرجل، ونبذها لحجاب الظاهر والباطن، وكانت في يوم من الأيام مضرب المثل في الحشمة والعفة والستر والحياء.

وهكذا خطوات الشيطان وعملائه في البلاد الإسلامية، ولا يسلم من هؤلاء بلد أو مكان، سنة الله تعالى في التدافع والصراع بين الحق والباطل. ولم نسلم في هذه البلاد الطيبة ممن هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يتباكون على وضع المرأة عندنا وظلمها، وعزلها عن شؤون الحياة، ومنعها من العمل. نعم الظلم والاحتقار وأكل الأموال وحقوق المرأة ممنوع شرعاً، ومرفوض طبعاً، ولكن ليس هذا حقيقة مطلبهم وغايتهم، ولكنهم يريدون أن يرسخوا في المجتمع أنموذج أسيادهم من الغربيين في إزالة الفوارق والفواصل والاعتبارات مطلقاً بين الرجل والمرأة، وكم ظلت مؤتمرات المرأة والإسكان في الأعوام الماضية تركز على ذلك، وتطالب المجتمع الدولي بأسره بذلك، ولكن كيف نسي هؤلاء خصوصية هذا البلد، وتناسوا احتكام الجميع هنا إلى شريعة رب العالمين، التي جاءت بالهدى وهم يريدونها ميلاً وهوى، ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن

---

(١) (البقرة: ٢٢٨).

(٢) والحديث أخرجه: أبو داود في سننه، وأحمد في مسنده، والترمذي في جامعه، وأبو يعلى، والدارمي، والبيهقي في السنن الكبرى ونص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما فقال: ((يغتسل)). وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولا يجد البلل فقال: ((لا غسل عليه)) فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك عليها الغسل قال: ((نعم إنما النساء شقائق الرجال)). وقد قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: فتح الباري - ابن حجر [جزء ١ - صفحة ٢٥٤] (والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خص).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٥٣)، ومسلم برقم (١٤٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢٦٦).

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴾[١] .

والتفريق بين المتماثلين ، هم يريدون الجمع بين المتباينين ، هم من نصيب الشيطان المفروض الذي تعهد أن يضلهم ويمنيهم ، ويأمرهم بتغيير خلق الله ، أما المؤمنون فهم عباد الله ، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[٢] .

إن من نعمة الله علينا أن هيأ لنسائنا وبناتنا أجواء تربوية ، وميادين تعليمية بمناهج مميزة ، تحوطها الفضيلة ، وتحرسها تعاليم الشريعة ، على مسمع ومرأى من أهل العلم والغيرة ، منذ عقود من السنين على شيء من النقص والانحسار ، ولكنه على أية حال أنموذج فريد ، وتجربة نوعية تفردت بها هذه البلدة في استقلال تعليم المرأة ، وكانت محط إعجاب وإكبار للكثير من الشعوب الإسلامية ، ولا ينكر ذلك إلاَّ جاهل أو حاسد أو صاحب هوى .

ومنذ زمن بعيد وتعليم المرأة عندنا يواجه حملة شعواء من أهل الصحافة ودعاة التحرير ، الذين أعملوا أقلامهم ، وأنشبوا مخالبهم بذلك الكيان التعليمي الرائد[٣] .

يقول الأستاذ الداعية محمد قطب: في كتابه تحرير المرأة: وهو يصور لنا حالة إحدى البلاد الإسلامية في التبرج والسفور ، ومن أين كانت بدايته ، وتلك البلاد أصبحت أسوة في التغريب والانحلال لكثير من بلاد المسلمين اليوم .

يقول: (وأصبح من المناظر المألوفة أن ترى الأمهات متحجبات والبنات سافرات ، وكانت الأداة العظمى في عملية التحويل هذه هي التعليم من جهة ، والصحافة من جهة أخرى . .) .

ثم يقول: (فأما التعليم فقد اقتضى معركة طويلة حتى تقرر على المستوى الابتدائي أولاً ، ثم المستوى الثانوي ، ثم المرحلة الجامعية) .

ويقول: (وسقط الحجاب تدريجياً عن طريق بنات المدارس ، ولو خرجن عن تقاليد المجتمع المسلم دفعة واحدة ومن أول لحظة ، هل كان يمكن أن يقبل أحد من أولياء الأمور أن يرسل ابنته إلى المدرسة لتتعلم؟ كلاَّ بالطبع ، ولتكن الخطة على الأسلوب المتبع في عملية التحويل كلها بطيء ولكنه أكيد المفعول منعاً لإثارة الشكوك) .

---

(١) النساء: ٢٧ .

(٢) الإسراء: ٦٥ .

(٣) محمد بن عبد الله الخضيري .

إن المنادين بتحرير المرأة لم يفقهوا بل لم يسمعوا صيحات النساء في الغرب، وفي اليابان اللواتي يطالبن بالعزل التام عن الرجال، والعودة إلى عش الزوجية، أين هؤلاء من تجنيد الشباب للعمل؟ وتوفير فرص العمل لهم؟. وتحريرهم من رق البطالة والضياع؟ ومن أولى بالعمل عند تزاحم الفرص وندرتها النساء أم الرجال؟!.

إن أولئك الكتاب المستغربين لا يتكلمون بلسان المجتمع ولا يعبرون عن آرائه، لأنه مجتمع مسلم محافظ، رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، رضي بالعلماء والغيورين أن يكونوا حماة للفضيلة، حراساً لقواعد المجتمع من المعلمات والمتعلمات، وحينما جربت الدول الأخرى، ووضعت ثقتها وزمام أمرها بغير أهل الصلاح والغيرة، وصل أمرها وحالها إلى ما هي عليه الآن، فهل يرضى مسلم بذلك؟!.

إن نظام تعليم الفتاة في هذا البلد الطيب ظل مضرب المثل بحمد الله، وذلك نعمة كبرى، حيث الخصوصية والحشمة، والآداب الشرعية والنظم المرعية، فهل يصح أن نهدر هذه النعمة، ونلغي تلك الخصوصية، التي لها ما بعدها من الآثار التي علمتنا الأحداث تدرجها ومرحليتها، كاختلاط الجنسين من البنين والبنات، بدءاً بالمراحل الابتدائية الأولى، وكذلك التقارب في أنشطة الجنسين، وإقحام الفتاة في مناشط وأندية وبرامج تتنافى مع جبلتها وطبيعتها، وكذلك الدعوة إلى تغيير المناهج وتوحيدها، وكذلك وهو الأهم تهميش دور العلماء في الإشراف على تعليم المرأة.

وهذا ما يؤكد علينا جميعاً الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نناصح من ولاه الله أمرنا، قال النبي ﷺ: **«ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسلم - ومنها - مناصحة من ولاه الله أمركم»**[1].

فالواجب هو دفع منكرات الإعلام كل بما يستطيع، بالحوار الهادئ، والمناصحة المشفقة، والكتابة المؤصلة، والردود العلمية، ومن لا يستطيع هذا ولا ذاك فليبتعد عن الشر وأهله، ومواطنه المقروءة والمرئية لئلا يغتر وينجر فيضل ويضل، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

ولا ننسى أهمية التربية على الفضيلة في البيوت والمدارس، هي واجبات كل مسلم وكل مسؤول، خاصة في مثل هذا العصر الذي يحارب فيه الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، ويطالب الغرب النصراني بتغيير المناهج وطمس هويتها، فهل في هذه المرحلة

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٦٥٣)، وأحمد في مسنده برقم (١٣٣٧٤).

يحلـوا لبعـضنا الاسـترخاء والتكاسـل، وعـدم الجديـة أو عدم الشعور بخطورة المرحلة التي نعيـشها، فلا ترى منه حسن قوامة ولا حسن رعاية للمرأة والأسرة كافة، إن اليهود يربون صـغارهم علـى كـره المـسلمين والاسـتعداد لقـتالهم وإخـراجهم مـن فلـسطين، فماذا نحن وهمومنا مع صغارنا وكبارنا من البنين والبنات؟

فحين يكون الانتماء لهذا الدين، وحينما يكون الحجاب والفضيلة عقيدة راسخة، فإن ذلـك لا يـسقط مهما سلط عليه من أدوات التحطيم والتحجيم والتغريب، إن الذين سقط عـندهم الحجـاب، هـم أولئك الذين اعتبروه من العادات والتقاليد، حينها لم يصمدوا أمام ريـاح التغيير، لأن التقاليد الخاوية من الروح عرضة للسقوط إذا اشتد عليها الضغط، فهل مدافعتـنا الآن عـن مكتـسباتنا التربـوية والتعليمـية والأخلاقية، دفاع عن عادات وتقاليد، حينها سنخسر الرهان، ونهزم في معركة المبادئ كما خسر غيرنا.

أم أنـنا ننطلق من ثوابت شرعية، ونعطي القضية أبعاداً دينية وقيمية، حينها نعمل ولا نكل ونسعى ولا نمل.

فالعقـيدة الحـية المتمكـنة مـن القلـوب لا تقهـر، ولا يتخلى عنها أصحابها مهما وقع علـيهم مـن الـضغوط، وإن الاسـتعلاء بالإيمان والعلم الشرعي يقي الناس من الذوبان في عـدوهم، ولـو انهـزموا أمامـه في المعارك الميدانية، والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق باللّـه تعـالى يجعـل المـسلم فرداً ومجتمعاً ودولة، يشعر بالاكتفاء الذاتي، بعيداً عن الابتذال والتـسول مـن عـالم القـيم المـنحطة، وما كان الغزو الفكري يتسرب إلى نفوس المسلمين لو كانـوا على إسلام صحيح، ولما جرنا الغرب إلى أمركة الحياة والمجتمع، واعتبار ذلك حتمية حقيقـية كمـا يـصوره اليهود للبشرية، ليدفعوها في المسار الذي أغرقوها به، وحين انجرفت أوربا في تيار التطوير اليهودي فذلك لخوائها من العقيدة الصحيحة التي تصلح للحياة [1].

أمـا نحـن المـسلمين فـنحن قـادرين وجديـرين أن نـصمد ولا نهـزم في معـارك القـيم والأخـلاق، وهـذا هـو مـا سجله التاريخ عن أمة الإسلام في سالف عصورها، فهل نبقى علـى تلـك الـصفة ليـتحقق لـنا ذلك المجد، نعم يتحقق لنا ذلك بإذن اللّه إذا وفينا بالشرط الربانـي، قـال تعـالى: ﴿ وَإِن تَـصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[2].

---

(١) محمد قطب / تحرير المرأة.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

ولا تكتفوا بالدعاء وحده وتدعوا العمل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾(١) ونسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم(٢).

* * * * *

المبحث الخامس:
وشهد شاهد من أهلها!!!

في سياق رؤيتنا الحضارية لواقع المرأة الغربية من الداخل. سنترك دائما أصحاب الشأن يتكلمون وسنترك الأرقام تفصح عن الحقيقة، فربما ننشئ حوار حضارات حقيقيًا، ليس فقط بين فكرين أو منهجين وإنما أيضًا بين واقعين.

سنتوقف عند العنف الأسري ضد المرأة في الغرب، حيث سيظهر هذا الدراسة أن المرأة المهانة ليست امرأة أفغانستان ذات البرقع، ولا امرأة جزيرة العرب التي تعيش في حيز من الصون والحرمة يدعو كل المجتمع ليقدم لها التوقير والاحترام، وإنما الابتذال الحقيقي هو في جعل المرأة سلعة كما جميع السلع. والعدوان عليها بشتى أشكال التعسف والاضطهاد الذي ستقدمه لنا الأرقام التالية:

أولاً: المرأة في أمريكا:

في عام ١٩٨١ أشار 'شتراوس' إلى أن حوادث العنف الزوجي منتشرة في ٥٠: ٦٠٪ من العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين قدر 'راسل' عام ١٩٨٢ هذه النسبة بـ٢١٪، وقدرت 'باغلو' النسبة بأنها تتروح بين ٢٥ و٣٥٪ كما بين 'أبلتون' في بحثه الذي أجراه عام ١٩٨٠ على ٦٢٠ امرأة أمريكية أن ٣٥٪ منهن تعرضن للضرب مرة واحدة على الأقل من قِبل أزواجهن، ومن جهتها أشارت 'والكر' استنادًا إلى بحثها عام ١٩٨٤ إلى خبرة المرأة الأمريكية الواسعة بالعنف الجسدي، فبينت أن ٤١٪ من النساء أفدن أنهن كن ضحايا العنف الجسدي من جهة أمهاتهن، و٤٤٪ من جهة آبائهن. كما بينت أن ٤٤٪ منهن كن شاهدات لحوادث الاعتداء الجسدي لآبائهن على أمهاتهن.

في عام ١٩٨٥ قتل ٢٩٢٨ شخصًا على يد أحد أفراد عائلته، وإذا أردنا معرفة ضحايا القتل من الإناث وحدهن لوجدنا أن ثلثهن لقين حتفهن على يد زوج أو شريك حياة،

---

(١) الحج: ٧٧.
(٢) المصدر: شبكة نور الإسلام.

وكـان الأزواج مسئولين عن قتل ١٩٨٤، في حين أن القتلة كانوا من رفاقهن الذكور في ١٠٪ من الحالات.

أمـا إحـصاءات مرتكبي الاعتداءات ضد النساء في أمريكا: ثلاثة من بين أربعة معتدين هـم مـن الأزواج، ٩٪ أزواجًـا سابقين، ٤٥٪ أصدقاء، و٣٢٪ أصدقاء سابقين. إحصائية أخـرى تـدرس نسبة المعتدين، تبين أن الأزواج المطلقين أو المنفصلين عن زوجاتهم ارتكبوا ٦٩٪ من الاعتداءات بينما ارتكب الأزواج ٢١٪.

وقـد ثـبت أن ضـرب المـرأة مـن قبل شريك لها، هو المصدر الوحيد، والأكثر انتشارًا الـذي يـؤدي إلى جـروح للمـرأة، وهـذا أكثـر انتشارًا، مـن حـوادث السيارات والسلب والاغتصاب كلها مجتمعة.

وفي دراسـة أخرى تبين أن امرأة واحدة من بين أربعة نساء، يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة، يبلغن عن التعرض للاعتداء الجسماني من قبل شركائهن.

تم توزيـع بيانات على مستوى الولايات شملت ٦٠٠٠ عائلة أمريكية ونتج عنها ٥٠٪ مـن الـرجال الذين يعتدون بشكل مستمر على زوجاتهم يعتدون أيضًا وبشكل مستمر على أطفالهم.

واتضح أن الأطفال الذين شهدوا عنف آبائهم معرضون ليكونوا عنيفين ومعتدين على زوجاتهم، بنسبة ثلاثة أضعاف، من الذين لم يشهدوا العنف في طفولتهم، أما أولياء الأمور العنيفون جدًا فأطفالهم معرضون ألف ضعف ليكونوا معتدين على زوجاتهم في المستقبل.

ثانيًا: المرأة في بريطانيا:

أمـا في بريطانيا فإن أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك. وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦٪ خلال عام واحد إلى نهاية آذار ١٩٩٢، كما وجد أن ٢٥٪ من النـساء يتعرضـن لـلضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن. وتتلقى الشرطة البريطانية ١٠٠ ألف مكالمة سنويًا لتبلغ شكاوى اعتداء على زوجات أو شريكات، علمًا بأن الكثير منهن لا يبلغن الشرطة إلا بعد تكرار الاعتداءات عليهن عشرات المرات. وتشير 'جين لويس' إلى أن ما بين ثلث إلى ثلثي حالات الطلاق تعزى إلى العنف في البيت، وبصورة رئيسية إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي.

وقـد أظهـر استطلاع نشرت نتائجه في بريطانيا تزايد العنف ضد النساء. ففي استطلاع شـاركت فـيه سـبعة آلاف امـرأة قالـت ٢٨٪ مـن المـشاركات: إنهـن تعرضـن لهجـوم من

أزواجهن ، ويفيد تقرير بريطاني آخر أن الزوج يضرب زوجته دون أن يكون هناك سبب يبرر الضرب ويشكل هذا ٧٧٪ من عمليات الضرب . ويستفاد من التقرير نفسه أن امرأة ذكرت أن زوجها ضربها ثلاث سنوات ونصف سنة منذ بداية زواجها ، وقالت: لو قلت له شيئًا إثر ضربي لعاد ثانية لذا أبقى صامتة ، وهو لا يكتفي بنوع واحد من الضرب بل يمارس جميع أنواع الضرب من اللطمات واللكمات والركلات والرفسات ، وضرب الرأس بعرض الحائط ولا يبالي إن وقعت ضرباته في مواقع حساسة من الجسد .

وأحيانًا قد يصل الأمر ببعضهم إلى حد إطفاء السجائر على جسدها ، أو تكبيلها بالسلاسل والأغلال ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحال ساعات طويلة .

تسعى المنظمات النسوية لتوفير الملاجئ والمساعدات المالية والمعنوية للضحايا ، وتقود "جوان جونكلر" حملة من هذا النوع ، فخلال اثني عشر عامًا مضت ، قامت بتقديم المساعدة لآلاف الأشخاص من الذين تعرضوا لحوادث اعتداء في البيت ، وقد جمعت تبرعات بقيمة ٧٠ ألف جنيه إسترليني لإدارة هذه الملاجئ وقد أنشئ أول هذه المراكز في مانشستر عام ١٩٧١ ، ثم عمت جميع بريطانيا حتى بلغ عددها ١٥٠ مركزًا .

غربيات لا يبغين بالإسلام بدلا!!

أختاه . . ألم يخطر لك ببال أيّ امرأة أنتِ؟ وأيّ دين تنتسبين إليه؟!!

ألم تسمعي عن تلك النصرانية التي أروي لك قصتَها من تجرِبتي في الغربة دون واسطة وقد كنا في رحلة دعوية وترفيهية في مدينة سياتل ، وما إن غربتْ شمس ذلك اليوم إلا وقد جاءت البشائر بإسلامها وانشراح صدرها لدين الإسلام وارتدائها للحجاب .

وعندما سُئلتْ كيف تم ذلك؟ قالت: إن سبب اعتناقها للإسلام هو ما رأته من مظاهر الحشمة وخلق الحياء بين المسلمات ومِن تَركهن للاختلاط والتبرج الذي دمر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم وما رأت في ذلك من البهاء والجمال ، وكيف انجذبت إلى نداء الروح الذي تحرك في سويدائها حين اصطف المسلمون للصلاة خاشعين متذللين لله على الجانب الآخر في مشهد هو غايةٌ في التأثير . .

أما الشيء المثير حقا في هذه الحادثة ، أن أولئك النسوة اللائي كُنّ سببا لهدايتها ، كنّ كلهنّ من الأمريكيات اللاتي اخترن الإسلام على ما سواه من الأديان وتعبدن لله لا سواه وعضضن بالنواجذ على مقتضى لا إله إلا الله . . واقتدينَ بأمهات المؤمنين ، فلبسنَ الحجاب الكامل دون أن يُرى من إحداهن شيء!!

بـل ألم تـسمعي عـن تلـك المرأة النصرانية الأخرى التي رأت فتيات مسلمات يمشين في الطـريق مُـتوجاتٍ بوقار الحشمة والحجاب ؛ فحرك مرآهنّ في نفسها ساكنا! وبعد أن سَألتْ عـن خـبرهن وقـيل لهـا إنهـن يَـدِنَّ بالإسلام ، اتجهت إلى دراسة هذا الدين حتى انتهى بها المطـاف إلى اعتـناقها للإسـلام!! إن هذا المشهد الذي قد يظنه البعض عاديا وغير مؤثر ، قد كـان لـه الـدور الأول في إنقاذ نفس إنسان من النار وجريان مثل أجر هذه الأخت المهتدية لهاتيك الفتيات المحجبات وهن غافلات لا يدرين عن أمرها شيئا .

وأمـا مـشاعر أولـئك المسلمات الجديدات بعد ذلك وسعادتهن وراحتهن فلا تسألي!! هـذه مجمـوعة مـن الغـربيات اللاتي ذقن طعم الإيمان ولذة الاستقامة على هذا الدين يقلن واحدة تلو الأخرى: - زادني الحجاب جمالاً .

- الحجاب إعلان عام بالالتزام .
- الحجاب شعار تحرر .
- الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية .
- عندما أسلمتُ أصررتُ على ارتداء الحجاب بالكامل . . من الرأس إلى القدم .
- الحجـاب جـزء مـني ، مـن كيانـي ، فقد ارتديته قبيل إسلامي لإحساسي أني أحترم نفسي وأنا أرتديه .

وأخريات منهن يهتفنَ تباعا:

- شعرتُ أنني كنت دائماً مسلمة .
- اكتسبتُ من الإسلام القوة لمواجهة الناس .
- أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي .
- وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي .
- قبل إسلامي كنتُ لا شيء ، والأجدر باسمي - قبل إسلامي - أن يكون "لاشيء" .
- أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين .
- صارت الصلاةُ ملاذي والسجود راحتي وسكينتي .
- فرحتي لا تُوصف .
- شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه .
- المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة .

- المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد .
- أُحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي .
- تعرفتُ على وحدانية الله فبكيت .
- نطقتُ بالشهادتين فسرتْ في عروقي قوة خارقة .
- الإسلام هو الذي أعطاني الأمان .
- اكتشفت كنوزاً كنتُ أجهلها .
- حياتي بدأتْ عندما أسلمت ، وسنواتُ عمري الماضية لا قيمة لها .

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستنطق الدمعة من الجفن ، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية "تيريز" تصرخ حتى إن صوتها ليكاد أن يصل إلى نجوم السماء الزهر: "لا أريد أن أتحدث ، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً ، ولو كتبتم كتباً ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي ، أنا مسلمة ، مسلمة ، مسلمة ، قولوا لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي ، قولوا لهم عَبْر وسائل الإعلام كلها: "تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها ، بلباسها ، بأعمالها ، بأفكارها .

شمس الله تُشرق على الغرب:

ويطيب لي هنا أن أُثلِّثَ بثالثة الأثافي ، قصة العالمة الألمانية "زيغريد هونكة" صاحبة الكتاب الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب" والذي بينتْ فيه ، كما هو معلوم ، فضل حضارة المسلمين وتمدنهم على الغرب ونهضته الأخيرة بعد عصور الظلام التي غطتْ أوروبا في غطيطها قرونا طويلة . . زيغريد هونكة التي تَمَلّك حبُّ العرب وثقافتِهم ومجدِهم شَغاف قلبها بما لا يكاد أن يكون له مثيل بين الأوربيين وأحبتْ الإسلام لحبها لهم ولعلمها بأنه هو الذي أخرجهم بين الأمم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حدثني بخبرها الدكتور علي الدفّاع عالم الرياضيات المعروف في جامعة البترول بالظهران بنفسه مشافهة قال: كنت في أحد المؤتمرات العلمية في أوروبا وقد تحدثتُ إلى الدكتورة هونكة وكنت مطلعا على كتاباتها وإنصافها لعقيدتنا وحضارتنا ورأيتُها وقد كبرتْ سِنُّها قلت لها: إن لي حلما جميلا أرجو له أن يتحقق!! فقالت لي: وما هذا الحلم . . قال فأجبتُها: بأن حياتك العلمية والثقافية الطويلة في الدفاع عن مآثر العرب والمسلمين وتاريخهم أرجو أن يكون لهذه الحياة الحافلة وهذه السيرة العلمية المميزة تكملة جميلة وأن تختم بأحسن ختام وذاك بأن تدخلي في الإسلام!! قال محدثي: وقد رأيتُ عينيها اغرورقتا بالدموع ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: "بيني وبين

ذلك قاب قوسين أو أدنى" قال فما مر عام أو أكثر حتى سمعتُ خبر اعتناقها للإسلام وسمعتُ خبر وفاتها بعد ذلك بمدة رحمها الله . . اهـ .

وعندما سُئلتْ في أحد المؤتمرات الإسلامية ما نصيحتها للمرأة العربية التي تريد طي الماضي وخلع الحجاب، قالت زيغريد هونكة: " . . لا ينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها مقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فُطرنَ عليها، وأن تلتمس العربيةُ لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقا لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة الممثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصاميا يعتمد على نفسه .

ومثلها قالت الكاتبة الأمريكية هيلسيان ستانسبري بعد أن قضت في إحدى العواصم العربية عددا من الأسابيع . وعندما عادت إلى بلادها لم يكن ذلك ليمنعها من أن تدلي بشهادتها وتمحض النصح حيث تقول: "إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول . وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة تحتِّم تقييدَ المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية، التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا . . امنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا .

الحضارة الغربية:

والسؤال هنا لأي شيءٍ دعت الحضارة المدنية اليوم؟ وماهي الحقوق التي ضمنتها للمرأة؟

١- أجمل لك القول أن الحضارة الغربية اليوم هي: ضمان للمارسة قتل هوية المرأة، وهضم لأدنى حقوقها .

٢- المرأة الغربية حياتها منذ الصغر نظر إلى مستقبل في صورة شبح قاتل، لا تقوى على صراعه، فهي منذ أن تبلغ السادسة عشرة تطرد من بيتها، لتُسلِم أُنوثتها مخالب الشهوات الباطشة، وأنياب الاستغلال العابثة، أوساط الرجال .

٣- فما إن تدخل زحمة الأوهام الحضارية، وإذا بأعين الناس تطاردها بمعاول النظر التي تحبل منها العذارى .

٤- تتوجه نحوها الكلمات الفاسدة، وكأنها لكمات قاتلات، تبلد من الحياء، وتفقدها أغلى صفة ميزها الله بها، هي: " حلاوة أنوثتها " التي هي أخص خصائصها، ورمز هويتها.

٥- تُستغل أحوالها المادية، فتدعى لكل رذيلة، حتى تصبح كأي سلعة، تداولها أيدي تجار الأخلاق، وبأبخس الأثمان، فإذا فقدت شرفها، وهان الإثم عندها، هان عليها ممارسته.

٦- يخلق النظام الأخلاقي الغربي اليوم في المجتمعات ثمرات سامة لكل مقومات الحياة، أولها الحكم على هوية المرأة بالإعدام السريع، على بوابة شهوات العالم الليبرالي، الديمقراطي، والرأسمالي.

٧- فالمرأة اليوم أسوأ حالاً مما مضى، كانوا من قبل يقتلون المرأة، فاليوم يجعلون المرأة هي التي تقوم بقتل نفسها.

شهادات الأعداء:

شهد القوم على فساد نهجهم تقول " هيليسيان ستانسيري " امنعوا الاختلاط، وقيِّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا، وأمريكا.

وتقول " بيرية الفرنسية " وهي تخاطب بنات الإسلام " لا تأخذنْ من العائلة الأوربية مثالاً لكُنَّ، لأن عائلاتها هي أُنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى.

وتقول الممثلة الشهيرة "مارلين مونرو" التي كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها: " إحذري المجد... إحذري من كل من يخدعك بالأضواء... إنى أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أما... إني امرأة أفضل البيت... الحياة العائلية الشريفة على كل شيء... إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية " وتقول في النهاية " لقد ظلمني كل الناس... وأن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة ".

وتقول وتقول الكاتبة " اللادى كوك " أيضا: " إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، ولا يخفى ما فى هذا من البلاء العظيم عن المرأة، فيه أيها الآباء لا يغرونكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا فعلموهن الابتعاد عن الرجال، إذا دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن

الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر الاختلاط بين الرجال والنساء . ألم تروا أن أكثر أولاد الزنا أمهاتهن من المشتغلات فى المعامل ومن الخادمات فى البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار . . ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مما نرى الآن ، ولقد أدت بنا الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصوره فى الإمكان حتى أصبح رجال مقاطعات فى بلادنا لا يقبلون البنت ما لم تكن مجربة ، أعنى عندها أولاد من الزنا ، فينتفع بشغلهم وهذا غاية الهبوط فى المدينة ، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة .

وتقول . تقول الكاتبة الإنجليزية " أنى رود " عن ذلك: " إذا اشتغلت بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . . . أياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهما بسوء . نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثل للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها .

نشرت صحيفة الأخبار المصرية [١]: أنه قد أقيمت في هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن . . وكان موضوع الحديث والخطب التي ألقيت في حضور الأميرة (آن) البريطانية هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة . . وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة عمرها ١٧ عاماً رفضت رفضاً باتاً حركة التحرير النسائية وقالت أنها تريد أن تظل لها أنوثتها ولا تريد أن ترتدي البنطلون بمعنى تحدي الرجل . وأنها تريد أن تكون امرأة وتريد زوجها أن يكون رجلاً . وصفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة (آن)[٢] .

ومن هذا صرح الدكتور " جون كيشلر " أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو (أن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي وأن ٤٠٪ من الرجال مصابون بالعقم ، وقال الدكتور أن الإعلانات التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي . ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونجرس

---

(١) في عددها الصادر في ٢٠/ ١٠/ ١٩٧٢م، ص ٤ .

(٢) كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين؟! ص ٥٠ .

الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا تحت عنوان (أخلاق المجتمع الأمريكي المنهارة).

* * * * *

المبحث السادس:
المرأة قبل الإسلام وبعده

حقـــائـــق:

الحق أن هذه المرأة عانت معاناة كثيرة، بل كانت ضحية كل نظام، وحسرة كل زمان، صفحات الحرمان، ومنابع الأحزان، ظلمت ظلماً، وهضمت هضماً، لم تشهد البشرية مثله أبداً.

صفحات من العار:

إن من صفحات العار على البشرية، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر، لم تمر حضارة من الحضارات الغابرة، إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب، وأصناف الظلم والقهر فعند الإغريقيين قالوا عنها: شجرة مسمومة، وقالوا هي رجس من عمل الشيطان، وتباع كأي سلعة متاع وعند الرومان قالوا عنها: ليس لها روح، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار، وتسحب بالخيول حتى الموت.

وعند الصينيين قالوا عنها: مياه مؤلمة تغسل السعادة، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية، وإذا مات حُق لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود قالوا عنها: ليس الموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة، بل وليس للمرأة الحق عند الهنود أن تعيش بعد ممات زوجها، بل يجب أن تحرق معه.

وعند الفرس: أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء، ويجوز للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت.

وعند اليهود: قالوا عنها: لعنة لأنها سبب الغواية، ونجسة في حال حيضها، ويجوز لأبيها بيعها.

وعند النصارى: عقد الفرنسيون في عام ٥٨٦م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟

وأخيراً" قرروا أنّها إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب" . وأصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل(المحرف) ؛ لأنّها تعتبر نجسة ،وعند العرب قبل الإسلام: تبغض بغض الموت ، بل يؤدي الحال إلى وأدها ، أي دفنها حية أو قذفها في بئر بصورة تذيب القلوب الميتة .

* * * * *

المبحث السابع:
تحرير المرأة الحقيقى هو فى الإسلام

ثم جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء ، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح ، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية في حضاراتها أبداً .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (٣) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ (٤) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٥) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ (٦) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (٧) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ (٨) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ (٩) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (١٠) .

---

(١) البقرة: ٢٢٨ .
(٢) النساء: ١٩ .
(٣) البقرة: ٢٣٢ .
(٤) البقرة: ٢٣٦ .
(٥) الطلاق: ٦ .
(٦) الطلاق: ٦ .
(٧) النساء: ٢٤ .
(٨)النساء: ٧ .
(٩) النساء: ٣٢ .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٢) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (٣) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (٤) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾ (٥) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ (٦) .

جاء الإسلام ليقول: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٧) .

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة " .

وكان يؤتى ﷺ بالهدية ، فيقول: «اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة» .

وهو القائل: «استوصوابالنساء خيراً» (٨) .

وهو القائل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر» (٩) .

وهو القائل: «إنما النساء شقائق الرجال» (١٠) .

وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (١١) .

وهو القائل: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (١٢) .

وهو القائل: «أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك» (١٣) .

---

(١) النور: ٣٣ .
(٢) البقرة: ١٨٧ .
(٣) هود: ٧٨ .
(٤) النساء: ٣٤ .
(٥) النساء: ١٩ .
(٦) النساء: ١٩ .
(٧) البقرة: ٢٢٩ .
(٨) البخاري .
(٩) صحيح مسلم٢٦٧٢ .
(١٠) مسند أحمد .
(١١) رواه البخاري .
(١٢) رواه مسلم .
(١٣) مسند أحمد .

وهو القائل: «**من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة**» [١].

ومن هديه: «**عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد**» [٢].

وهو القائل: «**وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**» [٣].

وهناك الكثير والكثير من الأدلة والبراهين، على أن الإسلام هو المحرر الحقيقي لعبودية المرأة، وحتى يُعلم هذا الأمر بصورة أو ضح، سأبين حفظ حقوق المرأة في الإسلام وهي جنين في بطن أمها إلى أن تنزل قبرها.

آيـــات بينات!!!

١- حفظ الإسلام حق المرأة: - وهي في بطن أمها، فإن طُلقت أمها وهي حامل بها، أوجب الإسلام على الأب أن ينفق على الأم فترة الحمل بها: ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُن ﴾ [٤].

٢- حفظ الإسلام حق المرأة: - بحيث لا يُقام على أمها الحد، حتى لا تتأثر وهي في بطن أمها، (ولما جاءت الغامدية وقالت: يا رسول الله طهرني فقال لها: «**حتى تضعي ما في بطنك**».

٣- حفظ الإسلام حق المرأة: - راضعة؛ فلما وضعت الغامدية ولدها، وطلبت إقامة الحد قال ﷺ: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**».

٤- حفظ الإسلام حق المرأة: - مولودة من حيث النفقة والكسوة: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف ﴾ [٥].

٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - في فترة الحضانة التي تمتد إلى بضع سنين، وأوجب على الأب النفقة عليها في هذه الفترة لعموم أدلة النفقة على الأبناء.

٦- حفظ الإسلام حق المرأة: - في الميراث عموماً، صغيرة كانت أو كبيرة قال الله: ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا

---

(١) سنن النسائي.
(٢) مسند أحمد.
(٣) رواه البخاري.
(٤) الطلاق: ٦.
(٥) البقرة: ٢٣٣.

النِّصْفُ ﴾[١].

٧- حفظ الإسلام حق المرأة: - في اختيار الزوج المناسب، ولها أحقية القبول أو الرد إذا كانت ثيباً لقوله عليه الصلاة والسلام لا تنكح الأيم حتى تستأمر.

٨- حفظ الإسلام حق المرأة: - إذا كانت بكراً فلا تزوج إلا بإذنها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا تنكح البكر حتى تستأذن

٩- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صداقها، وأوجب لها المهر: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٢].

١٠- حفظ الإسلام حق المرأة: - مختلعة، إذا بدَّ لها عدم الرغبة في زوجها أن تخالع مقابل الفداء لقوله عليه الصلاة والسلام: «اقبل الحديقة وطلقها».

١١- حفظ الإسلام حق المرأة: - مطلقة، ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

١٢- حفظ الإسلام حق المرأة: - أرملة، وجعل لها حقاً في تركة زوجها، قال الله: ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾[٤].

١٣- حفظ الإسلام حق المرأة: - في الطلاق قبل الدخول، وذلك في عدم العدة، قال الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾[٥].

١٤- حفظ الإسلام حق المرأة: - يتيمة، وجعل لها من المغانم نصيباً، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[٦] وجعل لها من بيت المال نصيباً قال الله: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[٧] وجعل لها في القسمة

---

(١) النساء: ١١.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) البقرة: ٢٤١.

(٤) النساء: ١٢.

(٥) الأحزاب: ٤٩.

(٦) الأنفال: ٤١.

(٧) الحشر: ٧.

نصيباً ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ﴾[(١)] وجعل لها في النفقة نصيباً ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى ﴾[(٢)].

١٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - في حياتها الاجتماعية، وحافظ على سلامة صدرها، ووحدة صفها مع أقاربها، فحرم الجمع بينها وبين أختها، وعمتها، وخالتها، كما في الآية، والحديث المتواتر.

١٦- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صيانة عرضها، فحرم النظر إليها ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[(٣)].

١٧- حفظ الإسلام حق المرأة: - في معاقبة من رماها بالفاحشة، من غير بينة بالجلد ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[(٤)].

١٨- حفظ الإسلام حق المرأة: - إذا كانت أماً، أوجب لها الإحسان، والبر، وحذر من كلمة أف في حقها.

١٩- حفظ الإسلام حق المرأة: - مُرضِعة، فجعل لها أجراً، وهو حق مشترك بين الراضعة والمرضعة ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[(٥)].

٢٠- حفظ الإسلام حق المرأة: - حاملاً، وهو حق مشترك بينها وبين المحمول ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[(٦)].

٢١- حفظ الإسلام حق المرأة: - في السكنى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾[(٧)].

٢٢- حفظ الإسلام حق المرأة: - في صحتها فأسقط عنها الصيام إذا كانت مرضع أو حبلى.

٢٣- حفظ الإسلام حق المرأة: - في الوصية، فلها أن توصي لِما بعد موتها ﴿ مِنْ بَعْدِ

---

(١) النساء: ٨.
(٢) البقرة: ٢١٥.
(٣) النور: ٣٠.
(٤) النور: ٤.
(٥) الطلاق: ٦.
(٦) الطلاق: ٦.
(٧) الطلاق: ٦.

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (١).

٢٤- حفظ الإسلام حق المرأة: - في جسدها بعد موتها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ: «**كسر عظم الميت ككسره حيا**».

٢٥- حفظ الإسلام حق المرأة: - وهي في قبرها، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**».

* * * * *

الفصل الثاني:
المرأة بين عز الإسلام وذلّ الجاهلية المعاصرة

إن الباحث الحقيقي لأن ننظر إلى واقع المرأة المسلمة، في الأمس القريب زمن وجود الدولة الإسلامية وفي ظل مجتمع يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، هو مقارنته بالواقع الذي تعيشه المرأة المسلمة حالياً في مجتمعات غير إسلامية تحكم بغير كتاب الله وسنة رسوله، وتطبق قوانين الكافر المستعمر صاحب السيادة والريادة حيث يصول ويجول دون رقيب ولا حسيب. فماذا قدم الإسلام للمرأة؟ وماذا قدمت المرأة للإسلام؟ وما هي حالها بعد زوال دولة الإسلام؟ وماذا يكيد لها أهل الكفر في كل بقاع الأرض؟ لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة منذ أن أشرق فجر الإسلام فأكرمها حين أذلها أهل الكفر، وصان عرضها حين داسه أهل الكفر والجاهلية قديماً، فأعطاها حقوقها كاملةً حين لم تكن إلا سلعةً ومتعةً لأهل الكفر، وحافظ على تلك المكانة التي أعظم بها المرأة ورفع من شأنها من خلال الدولة الإسلامية التي كانت تصون أعراض المسلمين وتذود عنها، وكان خليفة المسلمين يجيِّشُ الجيوش من أجل شرف امرأة وعرضها. وفي ظل هذه الكرامة والمجد العظيم شاركت المرأة في الحياة، وكان لها دور كبير لا يمكن أن ينسى أو يهمل على مر العصور. لقد كُرِّمت المرأة في ظل الإسلام وفي كنف سلطانه فقدّمت من أجل إعزاز دين الله الكثير الكثير... ابتداءً بأم المؤمنين خديجة الكبرى كيف صحبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودافعت عنه وصدقته حين كذّبه الناس وكانت له عوناً وسنداً في دعوته إلى الله، ومن بعدها عائشة وزيرة صدق لرسول الله، وسمية أول شهيدة في الإسلام، ونسيبة بنت كعب التي قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة**» عندما دافعت

(١) النساء: ١١ - ١٢.

عن رسول الله وثبتت أمام الكفار في أحد، نِعمَ المجاهدة المطبِّبة المؤمنة التقية النقية هي، وخولة بنت الأزور، وهند بنت عتبة، وصفية بنت عبد المطلب، والخنساء رضي الله عنها التي عرفت بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفَّى إبان الجاهلية، وما أن لامس الإيمان قلبها، وعرفت مقام الأمومة ودور الأم في التضحية والجهاد في إعلاء البيت المسلم ورفعة مقامه عند الله، حتى وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت معركة القادسية تقول لهم: «إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لابن أب واحد وأم واحدة، ما خَبث آباؤكم، ولا فُضِحَت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا، ولما بلغها خبرهم ما زادت على أن قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته» هؤلاء المجاهدات الصابرات الحافظات القانتات وغيرهن الكثيرات سُطِّرت سيرتهن بماء الذهب في تاريخ الإسلام العظيم. هكذا كانت أمهاتنا.

وهكذا كان الإسلام عظيماً، فعظمت معه المرأة، فأنعم بهن من نساء أكرمهن الإسلام، ورفع من شأنهن، وحمى أعراضهن، ودافع عن شرفهن، فحافَظنَ على دينهن وتمسّكنَ به أكثر فأكثر، واعتصَمنَ بحبل الله جميعاً وهنَّ على ثقة بأنّهنَّ بالإسلام العظيم وصَلنَ لهذه الدرجة العليا. وبقيت المرأة شامخةً كريمةً عزيزةً مصونةً بعزِّ الإسلام وحامية بيضة الإسلام دولة الخلافة على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان. ولكن عندما أصيب الإسلام في المقتل، كانت الرصاصة مباشرة إلى قلب الإسلام، فسقطت حامية بيضة الإسلام العظيم دولة الخلافة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

فماذا خسرت المرأة المسلمة من سقوط دولة الخلافة وانتهاء الحكم بما أنزل الله، وتنحية الشرع جانباً ووضعه في سجون الاتهام بالرجعية والتخلف؟؟ إن حالها توافق حال امرأة كانت تعيش في بيتها تحيط بها جدرانه من كل ناحية قوية ثابتة لا يستطيع أحد أن يقتحمه عليها عنوة تعيش بهدوء وسلام وأمن وطمأنينة مع زوجها وأبنائها، وبينما هي كذلك يتسلل العدو الكاره الحاقد متخفياً في ثياب الصديق المحب الودود، فيشرَعُ في نقض عرى البيت عروةً عروةً، وهدمه حجراً حجراً، إلى أن هدم البيت بأكمله، وقتل الزوج الذي يصونها ويحميها، وصارت تلك المرأة في العراء لا تعرف كيف تستر نفسها، ولا كيف تحمي أولادها، ولا يوجد من يرعاها ويدافع عنها، وصار كل من حولها يريد الحصول عليها بأي ثمن، ويريد أن يرى تلك المرأة التي كانت كاللؤلؤة في المحارة لا ينظر إليها أحد، ولا يستطيع أن يبطش بها أحد، كل منهم يريدها لنفسه، يريدها سافرةً ظاهرةً للعيان، يتهافت إليها القاصي والداني من كلاب البشرية، فما أصعبها من حال آلت إليه تلك

المرأة. هذا ما حصل لك أيتها المسلمة عندما سقط البنيان العظيم، وهدم على يد أهل الكفر، وأبعدوا راعيَ البيت وربَّ الأسرة عن صون عرضك وكرامتك، من لو استصرَختِهِ واخليفتاه لقالها مدويةً مجلجلةً تهز عروش الطغاة: لبيك أَمَةَ الله.

قالوا مراوغين: إن الإسلام حبسها بأحكامه وقيَّدها بشروطه وضيَّق عليها الخناق، ولم يعطها حريتها فتفعل ما تشاء وتقوم بما تحب ولا تقوم بما لا تحب... قالوا لماذا تفرضون عليها أحكاماً وحراماً وحلالاً؟ دعوها تعيش دعوها بحريتها، قالوا لمَ هذا الحجاب؟ إنه يضايقها ويقيدها، شعرها جميل لمَ تخفيه؟، فخلعوا عنها حجابها، خلعوا عنها إسلامها، خلعوا عنها حكم الله في حقها: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(١) واعتبروا كل من ترتدي الحجاب هي متهمة بالتخلف والرجعية، وأضافوا كذبتهم الجديدة "إرهابية" وما حدث في دول الاتحاد الأوروبي ليس عنكم ببعيد. ثم لماذا هذا الجلباب؟ فلتخلعه عنها، أجسدها منظره منفر لدرجة أن تخجل منه؟ لا بل هي الجميلة، فبكلمات مزخرفة أزالوا عنها ثوب العفاف والطهر وأمرَ ربِّها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢) فاستباحوا جسدها واستعملوه سلعة لترويج البضائع وإشباع الشهوات، فصارت تعيش لا تأمَنُ على نفسها في بيتها، في الطرقات، في كل شؤون حياتها. هذا ما آلت إليه حالها. والمصيبة الطامة وجود نساء ساذجات تعبد الله على حرف، تتنازل ببساطة ويسر عن دينها، وتقبل بأن تَذِلَّ وتهان، سبحانك اللهم تستر النساء ويهتِكْنَ سترك لهنَّ بأيديهن، عفوك ربي إن قومي لا يعلمون.

وهناك أخوات أُجبرنَ على حياة الذل والمهانة وتلويث الشرف والعِرض، ولا حامي لهن ولا يوجد من يذود عنهن أو يدافع عن كرامتهن التي انتهكت، وهنَّ كثر فانظروا إليهنَّ في العراق، وأفغانستان، والشيشان، وفي كل مكان لا يطبَّق فيه شرع الله، إنهن مسلمات قابضات على الجمر، قابضات على دين الله، ويتحملن المشاق والتضييق عليهن ولكنهن يصبِرنَ ويتحمّلنَ في سبيل الله. كل هذا يحدث للمسلمة، لماذا المسلمة بالذات؟ لماذا هذه الحرب الشرسة عليها باسم الحرية؟ لماذا هذه الهجمة الدنيئة على المسلمة باسم المساواة؟ أتعلمين أختي المسلمة لماذا أنت فقط؟ لأنك تقولين ربِّيَ الله، وليس ربي ما تفترون، فقط

---

(١) النور: ٣١.
(٢) الأحزاب: ٥٩.

لأنك تقولين لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقط لأنك تسجُدين لله ولا تسجدين لشهواتهم وأفكارهم العفنة، فقط لأنك تنتهين عمّا حرم الله في زمنٍ فيه نساء أهل الكفر عارياتٌ وضيعاتٌ يبِعْنَ أنفسهن بثمن بخس على قارعة الطريق.

ومما يزيد الطين بلة حال من احتسبوهم على المسلمين حكاماً، ووَلَّوهم أمر المسلمين، وجعلوهم رعاة بل هم الرعاع والله، فها هم الحكام المرتمون بأحضان الغرب، الموالون لسياسته، والخاضعون لإرادته، والمنفذون لأهدافه، يفعلون ما يطلبه منهم، ويقدِّمون له الولاء والسمع والطاعة. إن الغرب الكافر الذي عمرانه على دمار الآخرين، الذي يغذي جسمه من دماء المقهورين، والذي لم يَبْنِ جنته المزعومة، التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، إلا من استعباد الناس واستغلالهم واستعمارهم، ومص دمائهم، ونهب خيراتهم... فكيف يكون الدواء وهو الداء بعينه؟! ثم إن الغرب نفسه، وعلى أرضه، يدَّعي أنه يحيا برفاهية وغنًى وكفاية وحرية مزعومة... يعيش تفككاً أسرياً، وانحلالاً خلقياً، وانحطاطاً في القيم، وغرقاً في الشهوات، واختلاطاً في الأنساب سببه زنا المحارم، ووفرةً في الجرائم تدل على شذوذ خلقي وفراغ روحي وقلق نفسي...

فلننظر على سبيل المثال إلى روسيا فيما أوردته قناة Bbc العربية: «تشير بعض التقارير المستقلة إلى أن الكثير من الرجال القادرين على العمل في روسيا حالياً إما يعانون من البطالة، أو يتواجدون في السجون، أو يدمنون على الكحول. فمن بين ٢٠ مليون رجل قادر على العمل نجد مليون رجل في السجون، و٤ ملايين يخدمون في القوات المسلحة، و٥ ملايين يعانون البطالة، و٤ ملايين من المدمنين على الخمر، ومليون يدمنون تعاطي المخدرات. كما أن حوالى ٦٠٪ من إجمالي السكان في روسيا هم من المسنين والأطفال المعاقين».

هذه هي حال بلد حضاري، وما خفي كان أعظم. كما أنه يعيش في بهيمية واضحة بحق نفسه، وبحيوانية شرسة بحق غيره، والدليل على ذلك ما أوردته قناة العربية بخصوص الشُّوَّاذ جنسياً حين قالت: «وضعت دول غربية مثل الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا قضية الشوّاذ جنسياً في العالم العربي على أجندة المحادثات مع المسؤولين العرب في السنوات الأخيرة، لدرجة أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك تدخل شخصياً لصالحهم في مصر، فيما تَفِدُ إلى العراق جمعيات أميركية لدعمهم هناك - كما ذكرت تقارير صحفية نشرتها صحف ومواقع إخبارية أجنبية». وتقول وكالة أسوشيتد برس إن «مشاعر المواطنين في المنطقة العربية إزاء الشذوذ الجنسي مؤكد أن الناس ينظرون إليه باعتباره انحرافاً خطيراً تقف وراءه

مؤامرات أميركية إسرائيلية لتحطيم الإيمان وتشويه معالم الدين لديهم» وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنهم يريدون أن ينقلوا عفن حضارتهم إلى المسلمين بأي وسيلة ممكنة. هذا بالإضافة إلى حال بريطانيا الدولة العظمى حيث أوردت قناة العربية عن صحيفة التايمز اللندنية في ٢٥/ ٧/ [redacted]٢٠٠م: (كنيسة بريطانية تبارك زواج رجال الدين الشوّاذ: «تمنح كنيسة بريطانية مباركتها للزواج بين رجال الدين الشوّاذ جنسياً الراغبين في دخول عقد شراكة مدني». إلا أن الكنيسة البريطانية ترفض منح هذه الشراكة الزوجية المدنية صفة "العلاقة الزوجية الرسمية" كما أنها ستطالب رجال الدين الشوّاذ الراغبين بالزواج الحفاظ على طهارتهم أي علاقة زوجية "بلا ممارسة جنسية". وكان أسقف "نوريتش" قد أشرف على إعداد هذا الحل بالنسبة لرجال الدين الشوّاذ.

كما يذكر أن المجمع الإنجيلي العالمي منقسم حول فكرة زواج رجال الدين الشوّاذ، ووصل إلى حافة الانشقاق بعد انتخاب أول أسقف شاذ جنسياً، ريف روبنسون في الولايات المتحدة. ومن المتوقع أن يجري احتفال رسمي بأول زواج لرجال دين شوّاذ في ديسمبر/ كانون أول القادم. وكان جاك سبونغ، أسقف أبرشية تابعة للكنيسة الأسقفية البروتستانتية وهي أبرشية "نيوورك" في أميركا، قد أعلن مؤخراً بعد تقاعده أن "نصف الأساقفة الكاثوليك شاذون جنسياً").

هذا نتاج فساد حضارتهم الغربية وهذه حالهم، فأي دول عظمى تلك التي تعيش في وحل الشواذ ومستنقع الانحطاط الخلقي. فكان حقاً على المسلمين أن يختاروا الإسلام، ويلفظوا حضارة الغرب التي ابتلعوها ولكن لم يهضموها في يوم من الأيام. وإذا ما تذكروا أيامهم الخوالي يوم كانوا متمسكين بالإسلام، كانوا خير أمة أخرجت للناس، وإن المسلمين لم يتأخروا عن مقدمة الركب إلا يوم تخلوا عن الانقياد لأوامر الله في شؤون حياتهم كافة. ووالله الذي لا إله إلا هو، لو قارنا بين أحكام الإسلام وما تحمله من رحمة وهداية، وبين تعاليم الغرب وما تفرضه من شقاء وغواية، لوجدنا البون شاسعاً، وأننا نترك عزنا للذل والصغار. كما أن العالم كله، وأوله الغرب، بحاجة ماسة إلى الإسلام لينقذ نفسه مما يتردى فيه، بل قل مما أرداه به الفكر الغربي والحضارة الغربية.

هذا ما يدركه الغرب ويجن جنونه له، ويكيد للمسلمين كيداً عظيماً، ويمكر مكراً تزول منه الجبال، ولعله يتمخّض عن كيدهم هذا وعي المسلمين على إسلامهم بشكل يجعلهم أهلاً لحمل الإسلام إلى العالم كله. أما أولئك المغرضين من دعاة تحرير المرأة كفاهم كذباً ونفاقاً، أي تحرير يريدون للمرأة المسلمة، تحرير من إسلامها ومن شرفها ومن

كرامتها. أهذا ما يبتغون؟ فلا والله فإن نساء المسلمين كريمات بإسلامهن، عزيزات بعقيدتهن، ويعلمن المخطط جيداً وما يُرمى إليه. فلا وألف لا، لسن ممن يبعْنَ الشرف بالرذيلة، والعزة بالمهانة. والكرامة بالذل. لسن كما تريدون، ولسن كما ترغبون، بل هن كما يريد من خلق وهو العليم الخبير. إنهن بإذن الله صابرات ثابتات على دينهن، عاملات لإقامة شرع الله في الأرض من جديد، لتعود العزة والكرامة ولا يكون لأمثالكم عليهن سلطان. وإن فجر الخلافة لناظره قريب، فمهلاً يا دعاة التخريب، سيأتي اليوم الذي تندمون فيه على ما قدمتم، فإمام المسلمين وخليفتهم نسمعه من بعيد يثبتهنّ ويشد من أزرهن: «أيا نساء المسلمين صبراً، فإن كرامتكن وأعراضكن معلقة في عنقي، وإني بإذن الله لموفٍ، وإن الله ناصر عباده المخلصين، فاصبرن واحتسبن». فيا خليفة المسلمين ويا إمامنا، هن الصابرات بإذن الله لم ولن يحِدْنَ عن طريق رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين اللواتي سبقتهن إلى الإسلام، وهن على ثقة بنصر من الله عظيم، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) أيا خير أمة أخرجت للناس هل من معتصم؟ أيا راعيَ الرعية ويا حاميَ الحمى، أيا خليفةَ المسلمين، أزمانك عنا ببعيد؟ واخليفتاه، واغوثاه. اللهم إنا مغلوبون فانتصر، اللهم إنا مغلوبون فانتصر. اللهم إنا نسألك ما وعدتنا: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢).

* * * * *

المبحث الأول:
قضية تحرير المرأة المسلمة

الحرية كلمة عذبة تتوق إليها النفوس البشرية، وقيمة سامية تؤكد إنسانية الإنسان، لذلك فلا غرو أن يسعى إليها كل الأفراد، ويبذلوا في سبيلها الغالي والنفيس، ويؤيدوا كل من يحمل لواءها ويذود عنها.

وقد جاء الإسلام حاميًا للحرية مدافعًا عنها، فحرر المرأة من الذل والخزي والهوان الذي كانت تعيش فيه أيام الجاهلية وأخذ بها إلى حمى العزة والكرامة والشرف؛ سواء أكانت هذه المرأة ابنة، أو أختًا، أو أمًا، أو زوجة.

---

(١) الروم: ٤.
(٢) النور: ٥٥.

دعوات تحرير المرأة:

وقد ظهرت في بلاد المسلمين دعوات لتحرير المرأة، وهي في حقيقة أمرها دعوات للانحلال والتسيب الاجتماعي والخلقي، بدأت بدعوة النساء إلى نبذ الحجاب الشرعي الساتر لها، الحافظ لعفتها وكرامتها، والخروج من البيت بحجج شتى كالعمل والمساواة مع الرجل والاختلاط بالرجال اختلاطًا فاحشًا دون ضابط من خلق أو دين، وهذا الذي أدى إلى ضعف الحياء وفقدان العفة والسقوط في مهاوي الرذيلة، مما يسبب الإضرار بالبيت والأسرة والمجتمع.

ولم توازن هذه الحركات في دعوتها إلى تحرير المرأة بين واجباتها داخل بيتها، وبين مسؤولياتها خارجه فأثر ذلك على بناء الأسرة، وحرم الأطفال من الحياة الأسرية الهادئة، وخلا البيت ممن يقوم على شؤونه.

ودعاوى تحرير المرأة برفعها شعار المساواة والحرية تُنَفِّر من قوامة الرجل؛ مما يؤدي إلى التمرد عليه وعلى التقاليد الإسلامية والروابط الأسرية، وفي كلٍّ ضياع للأسرة ثم للمجتمع كله، يشهد على صدقه الواقع.

ومن المحزن أن الكثير من المسلمات انبهرن ببريق هذه الدعوات، وظنن أنها تحقق ما يردن من سعادة ونعيم، وهذا يرجع لأسباب سوء أحوال المرأة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وجعل بعض العادات والتقاليد غير الشرعية ملصقة بالإسلام؛ كتسلط الرجل على المرأة بدعوى القوامة وسلبها حقوقها، أو عدم إشراكها معه في التفكير والرأي بدعوى نقصان العقل.

وجهل المرأة بتعاليم الإسلام، وعدم تعليمها ما ينفعها، وإغراقها في الأفكار المدمرة لعقلها وبيتها كدعوى التحرر.

ومن هذه الأسباب أيضًا: الحركة الاستعمارية المسلطة على العالم الإسلامي. ومحاولات التدمير الفكري والاجتماعي من قبل أعداء الإسلام وهو ما يعرف بالغزو الفكري.

الإسلام وتحرير المرأة:

وعلى كل من ابتليت بهذه الدعوى وصدَّقتها وانجرفت في تيارها أن تعلم أن الإسلام قد حرر المرأة، فحفظ لها حقوقها بما يضمن عدم إساءة الرجل لها، وأتاح مجالات تنمية كفاءتها ومواهبها الفطرية.

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها الاقتصادية فجعل لها من الميراث نصيبًا بعد أن كانت

محرومة منه ، بل وساواها في بعض حالات الميراث بالرجل ، ودافع عن حقوقها الاجتماعية فأعطاها حرية اختيار الزوج ، بل وحرية طلب الطلاق في حالة تعثر الحياة الزوجية ، وجعل لها حق حضانة الأطفال ، وحافظ على عفتها وشرفها وكرامتها فأمرها بالحجاب والتستر ، وكلف الرجل بالإنفاق عليها حتى ولو كانت ثرية ، حتى لا تضطر للخروج من أجل العمل ، فإن اضطرت للخروج فلا غبار عليها .

أدلة تكريم المرأة:

وأدلة القرآن والسنة كثيرة في بيان تكريم المرأة . قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٢] .

وقال الرسول ﷺ : «إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»[٣] ، وقال ﷺ : «من أُبتُلِي من البنات بشيء، فأحسن إليهن، كُنَّ له سترًا من النار»[٤] .

أكاذيب وأباطيل:

وعلى الرغم مما حققه الإسلام للمرأة من حقوق نجد من ينادي بتحرير المرأة المسلمة ، ويزعم - كذبا وبهتانًا - أن الإسلام يقيد حركتها ويجعلها حبيسة بيتها وأسيرة زوجها وهيكلا متحركًا خلف أسوار حجابها إلى غير ذلك من الأكاذيب ؛ مما يعد هجومًا على الإسلام وخداعًا للمسلمة ، ليمكن استخدامها حربًا على دينها ومجتمعها .

وكل ذلك ليس إلا شعارات براقة خادعة يُبتغى من ورائها إفساد المرأة بحجة تحريرها وإخراجها من بيتها وطبيعتها التي خلقها الله وفطرها عليها . وبهذا الشعار الماكر يخربون البيوت ، ولقد كان هذا السهم الغادر موجهًا إلى صدر المجتمعات الإسلامية للنَيل من أبنائه وبناته ، وسهمًا لمحاربة العفة والطهارة .

---

(١) النساء: ١٢٤ .
(٢) النساء: ١٩ .
(٣) ابن ماجه .
(٤) سبق تخريجه .

دور الاستعمار:

وقد تزامنت هذه الدعاوى الماكرة - التي ظهرت في القرن التاسع عشر - مع الاحتلال الاستعمارى لمعظم الأقطار الإسلامية ، وكان الهدف منها طمس الهوية الإسلامية وإذابة اعتزاز المسلمة بدينها وخلقها وإفساد رسالة المرأة السامية في تربية النشء تربية إسلامية ، وفي هذا يقول زعيم المبشرين القس (زويمر): ليس غرض التبشير التنصير فقط . . . ولكن تفريغ القلب المسلم من الإيمان . . . وإن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسنا بكل الوسائل الممكنة ، لأنها هي التي تتولى عنا مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه عن مقومات دينه .

نتيجة التحرر:

ثم جاء الخطر الجسيم من المنادين بهذه الحركة والحاملين للوائها ممن ينتسبون للإسلام . وكانت نتيجة من اندفعن مع هذا التيار أن دفعن الثمن ، ففقدت المرأة سعادتها وكرامتها كابنة وأم ، وزوجة ذات رسالة في تربية النشء .

وخسرت الأسرة بذلك مقومات صلاحها وبقائها ، بوصفها وحدة أولى ولبنة أساسية في المجتمع ، بحكم ما أصاب الأسرة من طبيعة الصراع بين عنصريها الرجل والمرأة ، فلم تعد السكن الهادئ ولا المنزل السعيد ، والمسلمة الواعية تستشعر هذا الخطر المحدق بها ، وتحرص على تجنبه وعدم الانزلاق فيه .

هبط الغرب على العالم الإسلامي بجيوشه وعساكره وهو يعلم بتجربة الحروب الصليبية أن تطويع هذا العالم لن يكون بالحروب بل يكون بإيجاد جيل جديد ينتمي إليه فكراً وعقيدة ، فعمدوا من أجل ذلك إلى إنشاء المدارس الغربية التي تدرِّس اللغة والتاريخ والثقافة الغربية ، وبعد ذلك عمدوا إلى إرسال خريجي هذه المدارس في بعثات خارجية إلى الجامعات التي تكفلت بما بقي من العقول الإسلامية كما تكفل الفساد المنتشر في البلاد التي سافرت إليها العقول بتضييع البقية الباقية من جيل شباب عاد ليخرب الأمة ويعمل على تحويل المجتمعات العربية الإسلامية إلى صورة من المجتمعات التي عاد منها .

وكان من بين الخريجين "قاسم أمين" المخرب الأول الذي عاد من الغرب بكل مفاهيمه ليطبقها على مجتمع لا يمت إليه بصلة ، فطالب بتعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه الغرب لهدم الإسلام ، " وقاسم أمين شاب نشأ في أسرة تركية مصرية فيه ذكاء غير عادي ، حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة وهو في سن العشرين . . . ومن هناك التقطه الذين يبحثون عن الكفاءات النادرة والعبقريات الفذة ليفسدوها ، ويفسدوا

الأمة من ورائها! التقطوه وابتعثوه إلى فرنسا . . . اطلع قبل ذهابه إلى فرنسا على رسالة لمستشرق يتهم الإسلام باحتقار المرأة وعدم الاعتراف بكيانها الإنساني ، وغلى الدم في عروقه ، كما يصف في مذكراته ، وقرر أن يرد على هذا المستشرق ويفند افتراءاته على الإسلام . ولكنه عاد بوجه غير الذي ذهب به! لقد أثرت رحلته إلى فرنسا في هذه السن المبكرة تأثيراً بالغاً في كيانه كله ، فعاد إلى مصر بفكر جديد ووجهة جديدة ، عاد يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه المستشرقون وهم يخططون لهدم الإسلام .

عاد ليطالب بنزع حجاب المرأة . . .

عاد ليطالب بتعليم المرأة وخروجها من بيتها . . .

عاد ليطالب باختلاط المرأة بالرجل . . .

لقد أدرك قاسم أمين أن الوصول إلى الغاية لن تأتيَ مرة واحدة، لذلك عمد هو ومن تبعه إلى أسلوبين:

١ - أسلوب التدرج حيث أنه لم يطالب في البداية بنزع حجاب الرأس كلياً ، بل نادى بسفور الوجه فقط ، ولم يطالب بتعليم المرأة لتصل إلى مستوى جامعي بل نادي بالتعليم الابتدائي ، ولكنه كان حريصاً في كل ما يكتب على أن يضع كلمة "الآن" التي تعني الاكتفاء بهذا الحد من المطلب وقت مطالبته به إلى آن آخر فيقول: " ربما يتوهم ناظر أنني أرى (الآن) رفع الحجاب بالمرة . . إنني لا أقصد رفع الحجاب (الآن) دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم . . وإنما أطلب (الآن) ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي " .

وهكذا تتطور الدعوة مع الزمن فمن المطالبة " بالمساواة في التعليم إلى المطالبة بالمساواة في الميراث ، ومن المطالبة بحريتها في الدخول والخروج والتنزه إلى المطالبة بحريتها في السفر وقضاء السنوات الطوال منفردة ، وافق زوجها أو لم يوافق ، ومن المطالبة بتقييد حق الرجل في التعدد إلى المطالبة بحقها هي في التعدد ثم حقها أن يكون لها الصديق التي ترتضيه " .

٢ - التشكيك بالنصوص القرآنية والدعوة إلى اللحاق بركب التطور ومن هنا كانت دعواهم إلى إعادة قراءة النصوص قراءة جديدة مراعين مبدأ تاريخية النصوص ونسبيتها ، حيث أن كثيراً من الأحكام لم تعد تلائم العصر المتطور الحالي ، فكما كان هناك رجال فقهاء اجتهدوا وفهموا النصوص القرآنية فهماً يوافق عصرهم يوجد في عصرنا الحالي رجال " بل ونساء " ممكن أن يجتهدوا بالنصوص اجتهاداً معاصراً ، لذلك كثيراً ما رفع هؤلاء شعار "

هؤلاء رجال ونحن رجال " لرفض اجتهادات مثل اجتهاد الشافعي ومالك وغيرهما من الفقهاء واعتماد فتوى معاصرة مثل فتوى محمد شحرور الذي يرى أن الجيب الذي ورد في القرآن هو شِقُّ الإبط .

ومن النماذج المعاصرة عن هجومهم على النصوص القرآنية قول أحدهم: " اعتبرت الشريعة المرأة نصف إنسان ، فشهادة امرأتين بشهادة رجل ونصيب الرجل من الميراث نصيب امرأتين ، كان ذلك طفرة في العصر الذي نزلت فيه الشريعة الإسلامية ، بل إنه أكثر من طفرة ، غير أن ١٥ قرناً من الزمان كافية في الواقع أن تهيئ العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة " .

هذا باختصار السبيل الذي سلكوه من أجل الوصول إلى ما سَمَّوْهُ تحرير المرأة تحريراً كاملاً يجعلها متساوية مع الرجل في كل المجالات دون مراعاة للفروقات البيولوجية بين الإثنين ، ودون مراعاة لشرع أو دين ، لأن الشرائع تتطور أحكامها كما سبق أن أسلفنا .

أما أبرز ما دعا إليه هؤلاء فيكمن في نبذ كل ما يمنع هذه المساواة بين الجنسين ويكرس التفرقة على أساس الجنس ، لهذا رَأَوْا في بنود المساواة رفع حجاب المرأة ، اختلاطها بالرجال ، وتعليمها .

* * * * *

المبحث الثاني :
المرأة بين التحرير والتغرير

لقد أخذت قضية تحرير المرأة حيزاً مهماً من تفكير الناس في العصر الحالي حتى عُقدت من أجل هذه القضية المؤتمرات والندوات التي تطالب برفع الظلم عن المرأة وإعطائها حقوقها التي حرمتها منها الأديان والأعراف والتقاليد .

وقد استفحل هذا الأمر حتى خرج عن إطار اللهو والتسلية لبعض النساء الفارغات عن أي عمل لتنعكس آثاره الخطيرة على المرأة بالدرجة الأولى ، وإذا كنّا في لحظة من اللحظات أُعجبنا بامرأة شابة تعمل شرطية على الطريق أو جندية تحمل السلاح ووجدنا في هذا الأمر قوة إرادة وتحدٍّ عند من فعلن هذا ، فإن الأمر خرج عن إطار التسلية عندما أصبحنا نرى امرأة أخرى عجوزاً تبحث في القمامة أو تجوب الشوارع تجر عربتها الثقيلة لتؤمن رغيف خبزها .

إن الأمر ، لم يعد لعبة ومزحة تتسلى بها الفتاة التي تخرجت من الجامعة لتثبت للناس أنه لا فرق بينها وبين الرجل في الذكاء والعطاء فتنافس الرجل في وظيفة وتتساوى معه في أجر

أو حتى تسلبه وظيفة بأجر أقل لتنفق ما تقبضه على الزينة والتبرج والترف بينما يكون الرجل الذي نافسته مسؤولاً عن أسرة، أو على الأقل يسعى لبناء أسرة.

إن العمل بالنسبة للفتاة يبقى في إطار تمضية الوقت وإثبات الذات فترة طويلة من الزمن، حتى تصبح ذات يوم فتجد أن الوظيفة التي كانت تتسلى بها أصبحت تأخذ منها كل وقتها (من الفجر إلى النجر) فلا حياة اجتماعية ولا أصدقاء ولا فرصة حتى للتعرف على فتى الأحلام، فهي تعود من العمل متعبة فتنام كالقتيل، هذا الأمر لم يعد يرضي أحداً! كيف ستمضي بقية عمرها! وكيف ستتعرف على فتى أحلامها الآتي على حصان أبيض! الأمر قد يطول على هذه الحالة! ولكن لا بديل آخر، فهي لا تستطيع أن تترك العمل وقد اعتادت أن تجد المال بين يديها ولا تستطيع أيضاً أن تعيش الفراغ في المنزل تنتظر فارس الأحلام الذي قد يتأخر في المجيء أو حتى لا يجيء! أما إذا جاء فانه يجيء بشروط، ففيما كان هو الذي يأتي على حصان أبيض لينقذ المرأة من وضعها الأسري، اختلف الوضع اليوم فأصبحت المرأة هي التي تأتي على حصان أبيض لتقدم للرجل حلولاً لمشاكله المادية، فيعملان معاً (من الفجر إلى الفجر) لكي يصبح العمل بالنسبة للمرأة واجباً وليس تطوعاً[1].

ما ورد كان نموذجاً عن وضع من أوضاع المرأة المتحررة اليوم، ذكرتها كمقدمة للحديث عن قضية تحرير المرأة.

* * * * *

المبحث الثالث:
من صور إغراء المرأة المسلمة: دفعها للمناداة بالمساواة مع الرجل!

مفهوم المساواة:

إن أصل هذا المطلب بدأ أيضاً مع الثورة النسوية في أوروبا حيث كان للمرأة بالفعل قضية، قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وفي ساعات العمل نفسها بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر.

هذا المطلب كان في البداية يمثل منتهى العدل، وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان، أما بعد ذلك فقد تطور هذا المطلب ليشمل المساواة في كل شيء، وهذا أمر، كما تعلمون، مستحيل هذا ببساطة لأن بينهما اختلافات حقيقية جسمية ونفسية، حتى ولو نجحت بعض النساء في

(١) د. نهى قاطرجي.

تبوء المراكز العالية وفي القيام بأعمال جسدية شاقة إلا أن هذا لا يعني أن كافة النساء يمكنهن أداء ذلك العمل أو يرغبن فيه. فمهما ارتقت " المرأة في مستواها العلمي والثقافي ومهما كانت دوافعها النفسية أو الاقتصادية للخروج إلى العمل، تبقى رغبة المشاركة في تكوين أسرة إحدى أهم مكونات فطرتها الأصلية، كما يشير الاستبيان الذي أُجْرِي بين الفتيات في بعض الدول العربية ".

وقد أكدت الدكتورة إلهام منصور، إحدى مناصرات تحرير المرأة، على هذا الأمر فقالت: " إن الثقافة كما لم تفعل بعد في الرجل اللبناني فهي كذلك لم تفعل بعد في المرأة اللبنانية التي تعتبر مثقفة لأن أغلب النساء المثقفات هن راضيات بوضعهن، ويعملن على ترسيخه، وينادين بوجوب إعطاء حقوق للرجل تفوق حقوق المرأة، وهذا الواقع يدلنا دلالة مباشرة وواضحة أن العلم بالنسبة للمرأة اللبنانية ليس سوى وسيلة للحصول على الزوج الأفضل وذلك لأن أغلب الشبان قد أصبحوا اليوم مثقفين ويفضلون الزوجات المثقفات، والثقافة هنا تأخذ طابع الزيادة الخارجية عند المرأة فهي لا تنصهر مع شخصيتها كي تغيرها من الداخل ".

هذه الحقيقة في تباين أهداف المرأة والرجل أكد عليها الفيلسوف " أوجست كونت" أحد فلاسفة الغرب المعاصرين حيث يقول: " إن الرجل والمرأة يهدفان إلى آيات متباينة في الحياة، فمرمى الرجل هو العمل وآية المرأة الحب والحنان "، ويقول الفيلسوف أيضاً: " حتى في الزواج لا يوجد مساواة بين الرجل والمرأة، لأن لهما حقوقاً وواجبات مختلفة فالرجل قَوّامٌ على البيت وهو الذي يعول المرأة، لأن المرأة يجب أن تجرّد من هموم المادة ".

هذا الكلام الذي ورد على لسانهن ولسان فلاسفتهن يعتبر أكبر دليل على أن ما يطالبون به مخالف لفطرة الله سبحانه وتعالى، والإسلام إنما جاء ليثبت هذه الحقيقة لا ليدعُوَ إلى أمر لا أساس له من الصحة، فالإسلام كدين لا يهتم بمصالح فرد دون آخر، وهو عندما بيَّن للمرأة حقوقها وواجباتها فرض على الرجل أيضاً حقوقاً وواجبات مغايرة تتناسب مع تركيب كل منهما البيولوجي والنفسي والجسد عدوة الفطرة «"بينما العدل هو الذي يضع الموازين القسط لكل شيء، ولكل علاقة، فيعطي لكل شيء حقه، حسب فطرته وأهليته ووظيفته التي وجد من أجلها.

فللمرأة إذن وظيفة تتناسب مع فطرتها التي فطرها الله عليها، " وعناصر تكوينها أنها ذات بطن يلد وحضن يربي، ومكانتها الفذة هي فيما فُطرت عليه فقط، ومن الممكن توفير المساواة المطلوبة بينها وبين الرجل.. ولكن ذلك يكون على حساب امتيازاتها.. والنتيجة

تحويلها إلى نوع جديد من الرجال ".

ويمكن أن أختم فكرة المساواة بلطيفة وردت في القرآن الكريم تدل على قمة المساواة والعدل وعدم التفرقة بين المرأة والرجل حيث وردت كلمة رجل مفردة ٢٤ مرة، ووردت كلمة امرأة مفردة ٢٤ مرة أيضاً، قمة المساواة.

فما جاء به الإسلام من تشريعات لابد أن يخضع إليها المسلم وينقاد لها وقلبه مطمئن بالإيمان، مستسلم تمام الاستلام؛ لا كما يريده الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.. وليس كما يريده دعاة التحلل والانسلاخ والشهوات المنحرفة ودعاة تسوية المرأة بالرجل، الذين يريدون أن تصبح المرأة كالرجل لا فروق بينهما، لكنهم في قرارات أنفسهم يدركون هذا التفاوت، ويقرون بفطريته..

"و كل مسلم فهم الإسلام يعرف تكريم الإسلام للمرأة، أمًا كانت أو بنتا أو زوجة أو أختا، وأنه قرر لكل واحدة منهن من الحقوق والبر والرحمة، ما يقنع المرأة المسلمة ويرضيها، وما لم تتطلع إلى أكثر منه، وذلك عين العدل والحكمة ".

إن كل من يحاول تسوية المرأة بالرجل "إنما أتي في نظري من تأثره بالحضارة الغربية المزيفة ومن غلوه في قضايا المرأة متناسيا التفاوت بين الرجل والمرأة الذي بينه القرآن والسنة والواقع والتاريخ الإنساني وأن هذا التفاوت بين الذكر والأنثى بارز حتى في الحيونات صغيرها وكبيرها.

فالقرآن فاوت بين الرجل والمرأة في المواريث فالأخ يأخذ ضعف ما تأخذه أخته من الميراث" و" الإسلام يفرض على المرأة أن لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه"لقد أكرم الإسلام المرأة وأعطاها حقوقها التي تليق بها كاملة نظريا يرافقه التطبيق بكل ما في التطبيق من عدالة ودقة، وصحح أوضاعها جميعا، ولو كانت المناصب الكبيرة والصغيرة في الدولة، من حقوق النساء لما توقف رسول الله ﷺ عن بيانها وتوضيحها وتنفيذها بعزم وقوة "كل هذه التشريعات حق وعدل وحكمة ووضع للأمور في نصابها والإسلام حين يشرع هذه التشريعات العادلة الخالدة لا يتملق أصحاب الشهوات والأهواء الجامحة، ولا يتنزل إلى رغبات النفوس المريضة والعقول المخبولة، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [(١)] و قال تعالى - بعد ذكر تشريعات عظيمة - ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

---

(١) المؤمنون: ٧١.

الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ [١].

فليحذر الذين يستمعون لكل ناعق، فإن أصحاب إثارة هذه المسائل يريدون زعزعة تماسك المرأة أولاً باعتبارها أمًا أو بنتا أو زوجة أو أختا، ثم زعزعة أركان الأسرة وضرب استقرارها ثم تفكيك المجتمع وإقصاء الإسلام من حياة المسلمين في حياتهم اليومية..، لأنهم عَلموا حقيقة مكانة المرأة في المجتمع المسلم ودورها الفعال في تماسك الأسرة ثم المجتمع ثم الدولة، وبقاء الإسلام عزيزاً مصانا محترما[٢].

* * * * *

المبحث الرابع:
الاختلاط بين الجنسين وتحريمه من الكتاب والسنة

الاختلاط:

الاختلاط باب من أبواب الشر، يبدأ بالنظرات، ثم الابتسامات والسلامات والكلمات، وينتهي باللقاءات، ثم المصائب والفضائح والنكبات، والاختلاط حبل من حبائل الشيطان يزين به للناس الشر، ويلبس عليهم بأنه شيء صغير حقير، فيندفع أصحاب الهوى إليه غافلين عن شره، ومعظم النار من مستصغر الشرر. وقد حذرنا الله - تعالى - فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[٣].

معنى الاختلاط:

الاختلاط الفاسد هو اجتماع النساء والرجال الذين ليسوا بمحارم لهن في مكان واحد دون التزام للضوابط الشرعية، من غض البصر وقول المعروف وعدم الخضوع بالقول وتجنب إبداء زينة المرأة وغير ذلك من الآداب الشرعية وهذا الاختلاط الفاسد يمكنهم فيه الاتصال بالنظر أو الإشارة، أو بالكلام، أو بالملامسة، مما يوقع في الريبة والفساد.

الاختلاط عادة جاهلية:

والاختلاط بهذا المعنى الذميم عادة جاهلية قديمة، جاء الإسلام فوضع له الحدود والضوابط، وظل المسلمون محافظين على حدود الحشمة وآداب العفة، وصيانة الحرمات

---

(١) النساء: ٢٧.

(٢) د. نهى قاطرجي.

(٣) النور: ٢١.

والأعـراض، حتـى غزت أوروبا بلاد المسلمين فأشاعوا فكرة الاختلاط الفاسد من جديد. وقد أرادوا أن يمحوا الروح الإسلامية السائدة في المجتمع الإسلامي.

وقـد اتخذ أعداء الأمة من بعض المثقفين الذين سافروا إلى أوربا، وحصَّلوا العلم هناك ناصـرًا لمآربهم ومعينًا لتحقيق أهدافهم، حيث نادوا بالاختلاط الذميم وادعوا أنه ضرورة نفسية واجتماعية، وحجتهم في ذلك أنه يمنع العقد، والشعور بالخجل تجاه الجنس الآخر، وأن منعه حرمان خطير، فهو يؤدي إلى الإشباع العاطفي، ويعلم الذوق، وفن التعامل الراقي!!

ومـن ثـم ذم هـؤلاء وأتـباعهم الـتحجب، واستقرار المرأة في بيتها، وقد ظهر هذا في تعليمات مـدارس التبشير الـتي أنشئت خصيصًا لهذه الغاية، والتي تستند في إعادة تشكيل المرأة المسلمة على النمط الغربي الذي تتلاشى فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة، ومن ثم الدين والعقيدة والأخلاق.

وعمـدوا إلى القـرآن والسنة، يحاولـون لـي أعناق النصوص حتى تتمشى مع أهوائهم حتـى يخدعـوا عوام الناس، فضلوا وأضلوا، وهكذا نمت بذرة السفور والاختلاط المحرم في المجتمع المسلم، وأصبح مجتمعًا ممسوخًا يمثل نسخة باهتة من المجتمع الغربي ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ ﴾[1].

آثار الاختلاط:

والاخـتلاط الفاسـد شـرٌّ كلـه، فهو يبدد طاقات الشباب، ويقتل ملكاتهم، ويصيبهم باليأس والإحباط، بالإضافة إلى التفكك والضياع وانتشار الجرائم والفساد وسقوط المجتمع فريسة للرذيلة والانهيار، وهـذه كلـها أمـور مـن الطبيعـي أن تحـدث في مجتمع عمد إلى الاخـتلاط فاتخـذه سبيلاً! فهل رأيت إنسانًا قفز في البحر ثم خرج منه دون أن يبتل؟! وهل يلقي أحدنا بنفسه في النار دون أن يحترق؟!

العلاج الأمثل:

وفي العـودة إلى الإسـلام ومـبادئه السامية العلاج الأمثل لهذه الأخطار، حيث يوضح الإسلام أن خير حجاب للمرأة بيتها، ولم يبح الاختلاط بدون ضوابط.

وقـد حـرص المسلمون الأُول علـى آداب الاخـتلاط، حتـى إنهم كانوا إذا انتهوا من

---

(١) النساء: ١٤٣.

صلاتهم مكثوا قليلا حتى تخرج النساء قبلهم، خوفًا من الوقوع فيما حرمه الله من النظر غير المباح أو الملامسة غير المشروعة أو نحو ذلك، وذلك أدعى لجلب المصالح، ودرء المفاسد، وغلق منافذ الشيطان.

موقف الإسلام:

وقد يتساءل البعض هل نحجر على المرأة ونحبسها في بيتها، ونجعلها أسيرة جدرانه باسم الإسلام؟

والحقيقة أن الالتزام بالدين ليس حجرًا على المرأة، وليس قيدًا عليها، فلقد شهدت عصور الإسلام الزاهرة ما يخالف هذا الرأي الجائر، فقد كانت النساء تشهد الجماعة والجمعة في مسجد الرسول (وتسمع الخطبة والعلم، حتى إن أم هشام بنت حارثة حفظت سورة (ق) من فم الرسول من كثرة ما سمعتها من فوق منبر الجمعة.

وفي رواية لأم عطية قالت: سمعت رسول الله يقول: «**يخرج العواتق اللاتي لم يتزوجن، وذوات الخدور - يعني الزوجات - والحيض، ليشهدن الخير ودعوة المؤمنين، ويعتزل الحيض المصلى**»[(١)] تعني بذلك خروج النساء لشهود صلاة العيد.

وكانت النساء يحضرن دروس العلم وتسألن عن أمور دينهن، وامتد هذا النشاط النسائي إلى المشاركة في خدمة الجيش والمجاهدين، فعن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع النبي سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى[(٢)]. بل صح عن نساء بعض الصحابة أنهن شاركن في بعض الغزوات والمعارك الإسلامية بحمل السلاح، عندما أتيحت لهن الفرصة، ومن ذلك ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب يوم أحد حتى أشاد الرسول بما قامت به من أعمال[(٣)]، وكذلك اتخذت أم سليم خنجرًا يوم أحد تبقر به بطن من يقترب منها.

ضوابط الاختلاط:

إن اللقاء بين الرجال والنساء جائز إذا كان الهدف هو المشاركة في غاية كريمة تتطلب جهودًا متضافرة من الجنسين، ولكن في إطار الحدود التي رسمها الإسلام وبينها لعباده لما فيه صلاحهم وسعادتهم ومن ذلك:

---

(١) متفق عليه.

(٢) ابن ماجه.

(٣) الذهبي في سير أعلام النبلاء.

(١) وجود الضرورة أو السبب النبيل الموافق للشرع، وحبذا لو وجد محرم للمرأة معها.

(٢) عدم الإسراف أو التوسع في خروج المرأة إلا لسبب جائز.

(٣) الالتزام بغض البصر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[١].

(٤) التزام المسلمة بالزي الشرعي الذي يصون كرامتها ويحفظ حياءها، ويكون عنوانًا لوقارها.

(٥) أن تتجنب الزينة التي تقود لارتكاب الفواحش والمنكرات.

(٦) الالتزام بآداب الإسلام في حركاتها وسكناتها، وفي وقوفها ومشيها، وفي كلامها وصمتها.

وهكذا يصون الإسلام كرامة المرأة، وعفتها، ويحقق لها طهرها ونقاءها، ويرفع من قدرها ومكانتها، في مقابل زيف نداءات العصرية والمدنية والحرية المزعومة التي أشاعت الفساد على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات.

قال الدكتور مفرح القوسي - وفقه الله -: "لقد دل الكتاب والسنة على منع الاختلاط بين الجنسين وتحريمه وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه، ودليل ذلك من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾[٢]، حيث أمر سبحانه أمهات المؤمنين - وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك - بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد، لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى شرور عدة كالتبرج والخلوة بالأجنبي، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر، وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ، ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة، وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

القلوب ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ويرشد إلى الحق والصواب .

وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً ، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ، ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها ، وخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه .

٢ - وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١) ، حيث أمر عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام - وهو المبلغ عن ربه - أن يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، وذلك يتضمن ستر باقي أجسامهن بالجلابيب إذا أردن الخروج لحاجة لئلا تحصل لهن الأذية من مرضى القلوب .

فإذا كان الأمر بهذه المثابة فما بالك بنزولها إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم وإبداء حاجتها إليهم بحكم الوظيفة ، والتنازل عن كثير من أنوثتها لتنزل إلى مستواهم ، وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة .

٣ - وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٢) ، حيث يأمر سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات أن يلتزموا بغض البصر وحفظ الفرج عن الزنا ، ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم . ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها ، ولا شك أن اختلاط النساء بالرجال ؛ والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها وإطلاق البصر - الذي هو من لوازم هذا الاختلاط - من أعظم وسائل وقوع الفاحشة ، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة له في العمل في مختلف مجالاته وميادينه . فاقتحامها هذا الميدان أو اقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها .

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها وأمرهن الله بإسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها ، لأن الجيب محل الرأس والوجه ، فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة عند نزول المرأة

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩ .

(٢) سورة النور: ٣٠ .

إلى ميدان الرجال واختلاطها معهم في الأعمال، والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير، وكيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما يقوم به؟!!.

والإسلام يحرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة، ولذلك نجده حرم على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي إلى الطمع فيهن كما في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[١]، يعني مرض الشهوة، فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط؟!!.

ومن البديهي أن المرأة إذا نزلت إلى ميدان الرجال لابد أن تكلمهم وأن يكلموها، ولابد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، والله حكيم عليم حين أمر المرأة بالحجاب والبعد عن الاختلاط، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر، فالحجاب واجتناب الاختلاط يمنع بإذن الله من الفتنة ويحجز دواعيها وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء والبعد عن مظان التهمة[٢].

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية[٣]، فهذا يدل على أن سؤال أي شيء من النساء الأجنبيات إنما يكون من خلف ستر يستر الرجال عن النساء والنساء عن الرجال. وخير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها الذي يحجبها عن الرجال الأجانب؛ بحيث لا يروا شيئاً من جسدها، ولا شيئاً من لباسها ولا زينتها الظاهرة ولا الباطنة.

وأما دليل ذلك من السنة فهو ما يلي:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»**[٤]، حيث يرشد هنا النبي ﷺ إلى ضرورة إبعاد الرجال عن النساء في الصلاة التي أقرب ما يكون فيها المسلم إلى ربه، حيث تضعف شهوات النفس وتخف وساوس الشيطان وإغوائه ويكون المسلم فيها والمسلمة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٢) انظر: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية ص ٢٠ - ٢٢، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار طيبة - الرياض.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (تسوية الصفوف وإقامتها) ج٤/ ص ١٥٩.

أبعد عن مواضع الفتنة والريبة، فكيف في غير الصلاة؟!!، فهذا مما يدل على ضرورة منع الاختلاط بين الجنسين في ميادين العمل وغيرها.

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها»**(١)، قال الطيبي: "والمعنى المتبادر أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع، لأنها حبائله وأعظم فخوخه"(٢)، وقال المنذري: فيستشرفها الشيطان "أي ينتصب ويرفع بصره إليها ويَهمُّ بها، لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها"(٣).

٣ - وما روي عن أم حميد الساعدية رضي الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، فقال: **«قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتكِ في بيتك خير لكِ من صلاتكِ في حجرتكِ، وصلاتكِ في حجرتكِ خير لكِ من صلاتكِ في داركِ، وصلاتكِ في داركِ خير لكِ من صلاتكِ في مسجد قومكِ، وصلاتكِ في مسجد قومكِ خير لكِ من صلاتكِ في مسجدي»**(٤).

فهذه الصحابية امرأة صالحة تقية ذات خلق ودين، ومع ذلك بيَّن لها ﷺ الحق والخير في أي الأماكن تكون صلاتها فيه أفضل وأبقى، وذكر لها على الترتيب الأماكن التي يتميز بعضها عن بعض في الخير، وهي: بيتها، والمراد به هنا: المكان الذي تكون فيه المرأة أكثر ستراً وبعداً عن أعين الناس، وهو مكان مبيتها مع زوجها الذي لا يراها فيه أحد سواه، ثم حجرتها - ويظهر من الحديث أنها أقل من البيت ستراً وصوناً، وبعد حجرتها دارها، وهي التي تكون فيه بعيدة عن أنظار الرجال الأجانب، وبعد الدار مسجد قومها، لأنه أقرب المساجد إلى سكنها، والنزول إليه لا يقتضي منها السير كثيراً، فاستشراف الشيطان لها فيه

---

(١) رواه الترمذي في سننه في (أبواب الرضاع)، الباب رقم (١٨) برقم (١١٨٣)، وقال: "حديث حسن صحيح غريب" ج٢/ ص٣١٩. وقال كل من الهيثمي والمنذري: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمر، ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ج٤/ ص٣١٤، والترغيب والترهيب ج١/ ص٣٠٤.

(٢) المناوي - فيض القدير ج٦/ ص٢٦٦، ط دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٣) الترغيب والترهيب ج١/ ص ٣٠٦.

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب (الإمامة في الصلاة)، الباب (١٧٧)، الحديث رقم (١٦٨٩) ج٣/ ص٩٥. كما رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٢١٤) ج٣/ ص ٣١٨، وعزاه الحافظ ابن حجر في (الفتح) إلى الإمام أحمد والطبراني، وقال: "وإسناد أحمد حسن، وله شاهد من حديث أبي مسعود عند أبي داود" ج٢/ ص ٣٥٠.

أقل في المساحة والزمن، وبعد مسجد قومها يأتي مسجده ﷺ، وهو أبعد فتضطر معه إلى السير لمسافة أطول، وحينئذ يكون استشراف الشيطان لها أطول مدة وأشد تمكيناً، ولذا نصحها ﷺ بالصلاة في بيتها، لأنه أشد الأماكن ستراً لها وبعداً عن مخالطة الرجال الأجانب، ومنه يتبين حرص النبي ﷺ على صيانة المرأة إلى هذا الحد الذي ليس وراءه ما بعده، لأنه مدرك لما ينتج عن خروجها من بيتها من أخطار على الفرد والأسرة والمجتمع.

وإذا كان خروج المرأة الصالحة التقية للصلاة مع رسول الله ﷺ في مسجده غير مستحب، فما القول في خروج النساء إلى الأندية وميادين الدراسة والعمل وساحات السياسة ومسيرات الاحتجاج وغيرها مما ينادي أصحاب هذه الدعوى إلى خروج المرأة المسلمة إليها؟!!.

٤ - الأحاديث التي يحذر فيها النبي ﷺ من الدخول على النساء والخلوة بهن، ومن ذلك: ما روي عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو[1]؟ قال: «**الحمو الموت**»[2].

وما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[3].

وما روي عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[4].

ومن المعلوم لكل مجرب أنه يستحيل التحرز عن الوقوع فيما حذرت عنه هذه الأحاديث في تلك المجتمعات التي تجيز اختلاط الجنسين ببعضهما في ميادين العمل والتعليم ونحوها.

---

(١) الحمو: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح)، الباب (١١١)، الحديث رقم (٥٢٣٢) ج٩/ ص٣٣٠. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (السلام)، باب (تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها) ج ١٤/ ص ١٥٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح)، الباب (١١١)، الحديث رقم (٥٢٣٣) ج٩/ ص٣٣٠ - ٣٣١. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الحج)، باب (سفر المرأة مع محرم إلى حج أو غيره) ج٩/ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ج٣/ ص ٤٤٦، ورواه الترمذي في سننه من حديث عمر رضي الله عنه في (أبوب الفتن)، باب (ما جاء في لزوم الجماعة) برقم (٢٢٥٤) ج٣/ ص٣١٥، وقال: "حديث حسن صحيح غريب". ورواه الحاكم في المستدرك وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين" ج١/ ص ١٩٨.

▪ - الأحاديث التي تأمر بغض البصر، وهي عديدة، منها: ما روي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري"[١].

وما روي عن بريدة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: **«يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»**[٢].

وما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر"[٣].

وكذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: "كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: **«احتجبا منه»**، فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟، فقال ﷺ: **«أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه»**[٤].

ومما لا شك فيه أنه لن يتسنى للرجال ولا للنساء غض البصر في ظل إباحة اختلاطهما ببعضهما في ميادين العمل والتعليم وغيرها ولو كان ذلك بقصد تبليغ الدعوة الإسلامية.

ثانياً: لقد فقه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الأدلة الشرعية الدالة على تحريم الاختلاط وامتثلوا لها، فاجتنبوا الاختلاط ومنعوه. ومما نُقل عنهم في هذا الجانب يُثبت هذا ويقرره، ومن ذلك ما يلي:

١ - روي أنه دخلت على عائشة رضي الله عنها مولاة لها، فقالت لها: "يا أم المؤمنين

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الآداب)، باب (نظر الفجأة) ج١٤/ ص١٣٨ - ١٣٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٥/ ص٣٥٣، ٣٥٧. ورواه أبو داود في سننه في كتاب (النكاح)، باب (ما يؤمر به من غض البصر) ج٢/ ص٢٤٦، الحديث رقم (٢١٤٩). ورواه الترمذي في سننه في (أبواب الاستئذان والآداب)، باب (ما جاء في نظرة الفجاءة) ج٤/ ص١٩١، الحديث رقم (٢٩٢٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب". ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ج٢/ ص٢١٢.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الحج)، باب (الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما) ج٩/ ص٩٧.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ج٦/ ص٢٩٦. وأبو داود في سننه في كتاب (اللباس)، باب (في قوله عز وجل: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) ج٤/ ص٦٣ - ٦٤، الحديث رقم (٤١١٢). والترمذي في سننه في (أبواب الاستئذان والآداب)، باب (ما جاء في احتجاب النساء من الرجال)، ج٤/ ص١٩١ - ١٩٢، الحديث رقم (٢٩٢٨)، وقال: "حديث حسن صحيح".

طفتُ بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً، فقالت لها عائشة: لا آجركِ الله، لا آجركِ الله، تدافعين الرجال؟!!، ألا كبَّرتِ ومررت"(١).

٢ - كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الغيرة على النساء، فهو الذي أشار على النبي ﷺ بحجب نسائه فوافقه القرآن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب"(٢)، وكان رضي الله عنه "ينهى الرجال عن الدخول إلى المسجد من باب النساء"(٣).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "روى الفاكهي من طريق زائدة عن إبراهيم النخعي قال: نهى عمران أن يطوف الرجال مع النساء، قال: فرأى رجلاً معهن فضربه بالدرة"(٤).

٣ - وعن ابن جريج أنه قال: أخبرني عطاء - إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال - قال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال؟، قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: أي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حَجْرة(٥) من الرجال لا تخالطهم(٦). وهذا مما يدل على حرص النساء في صدر الإسلام على عدم مزاحمة الرجال أو الاختلاط بهم حتى في المطاف بالمسجد الحرام.

٤ - وروي أنه قيل لسودة رضي الله عنها: "ألا تحجين وتعتمرين كما يفعل أخواتك، فقالت: قد حججت واعتمرت فأمرني الله أن أقرَّ في بيتي. قال الراوي: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها رضوان الله عليها"(٧).

٥ - وأُثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال مستنكراً اختلاط النساء

---

(١) رواه الإمام الشافعي في مسنده ص ١٢٧، ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (التفسير)، الباب (٨)، الحديث رقم (٤٧٩٠) ج٨/ ص ٥٢٧.

(٣) عبد الوهاب الشعراني - كشف الغمة عن جميع الأمة ج١/ ص١٠٤، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر.

(٤) فتح الباري ج٣/ ص ٤٨٠.

(٥) حجرة: بفتح الحاء وسكون الجيم، أي ناحية، وهو مأخوذ من قولهم: نزل فلان حجرة من الناس، أي: معتزلاً. انظر: لسان العرب، مادة (حجر).

(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (الحج)، الباب (٦٤)، الحديث رقم (١٦١٨)، ج٣/ ص٤٧٩ - ٤٨٠.

(٧) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج١٤/ ص١٨٠ - ١٨١. والشوكاني - فتح القدير ج٤/ ص٢٨١.

بالرجال: "ألا تستحيون ألا تغارون أن يخرج نساؤكم؟، فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العُلوج[1]"[2].

٦ - وروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن زوجته عاتكة بنت زيد شرطت عليه ألا يمنعها الخروج إلى المسجد فأجابها، فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخر شق ذلك عليه ولم يمنعها، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه، فلما مرت ضرب بيده على عَجُزها فنفرت من ذلك ولم تخرج بعد[3].

٧ - وعن أبي عمر الشيباني أنه رأى عبد الله بن مسعود يُخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: "أُخرجن إلى بيوتكن فهو خير لكُنّ"[4]. وعنه رضي الله عنه أنه قال - حاثاً المرأة على قرارها في بيتها -: "إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟، فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عَبَدت امرأة ربها بمثل أن تعبده في بيتها"[5].

وبعد: فكيف يقال بعد كل ما تقدم إن الإسلام لم يمنع الاختلاط ولم يمنعه رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام؟!!، إن هذا إلا محض افتراء لا يُقبل صدوره من مسلم عنده أدنى فقه لنصوص الشريعة وأحكامها ومعرفة لِسِيَر الصدر الأول للإسلام.

ثالثاً: إطلاق القول بأن مجتمعات المسلمين في عهد النبي ﷺ وعهد صحابته رضوان الله عليهم مجتمعات مختلطة في المساجد والأسواق ومجالس العلم وساحات الجهاد ومجالس التشاور في أمور المسلمين... إلخ، إطلاق غير سدير ولا سليم.

أما في المساجد والطرقات، فلم يكن فيها اختلاط بين الرجال والنساء بالصورة التي يريدها دعاة الاختلاط، لأن الرجال كانوا في زمن النبي ﷺ وصحابته يُصلُّون في مقدمة المسجد والنساء في مؤخرته مع عنايتهن بالحجاب والتحفظ من كل ما يثير الفتنة، وكان النبي ﷺ يذهب إليهن في يوم العيد بعدما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن لبعدهن عن سماع

---

(١) العُلوج: جمع علْج، وهو الرجل من كفار العجم، أو الضخم القوي.

(٢) ابن الجوزي - أحكام النساء ص ٣٤، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) انظر: ابن الأثير الجزري - أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٦/ ١٨٥، ط دار الفكر - بيروت.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٩/ ص ٢٩٤، الحديث رقم (٩٤٧٥). وروى البيهقي نحوه في السنن الكبرى عن سعد بن إياس ج٣/ ص ١٨٦.

(٥) رواه الطبراني في (المعجم الكبير) برقم (٩٤٨٠) ج٩/ ص٢٩٤، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات" - مجمع الزوائد ج٢/ ص٣٥، وقال المنذري: "إسناده حسن" - الترغيب والترهيب ج١/ ص ٣٠٥.

خطبته ، فعن عبد الرحمن بن عابس أنه قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قيل له: "أشهدت العيد مع النبي ﷺ ؟ قال: نعم ، ولولا مكاني من الصغر ما شهدتُه ، حتى أتى العَلَم الذي عند دار كثير ابن الصامت فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكّرهن وأمرهن بالصدقة" (١) .

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: (ثم أتى النساء) يُشعر بأن النساء كن على حدة من الرجال غير مختلطات بهم ، وقوله (ومعه بلال) فيه أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه ، لأن بلالاً كان خادم النبي ﷺ ومتولي قبض الصدقة ، وأما ابن عباس فقد تقدم أن ذلك اغتفر له بسبب صغره" (٢) .

ولم يقتصر منع الاختلاط بين الرجال والنساء على الجمع الكثير فحسب ، بل تناول ذلك المرأة الواحدة إذا صلت مع الرجال ، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: "صلى النبي ﷺ في بيت أم سليم ، فقمتُ ويتيم خلفه ، وأم سليم خلفنا" (٣) .

وقد خصص ﷺ في مسجده باباً للنساء يدخلن ويخرجن منه لا يخالطهن فيه الرجال ، فقد ترجم أبو داود في سننه باباً بقوله (باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال) ، ثم روى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لو تركنا هذا الباب للنساء»** (٤) ، قال نافع تلميذ عبد الله بن عمر: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات" .

وكان الرجال في عهده ﷺ يؤمرون بالتريث في الانصراف حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد لئلا يختلط بهن الرجال في الطريق من المسجد إلى البيت مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساءً من الإيمان والتقوى . فعن هند بنت الحارث أن أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا سَلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه ، ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم .

قال الإمام الزهري رحمه الله: نَرَى - والله أعلم - أن ذلك كان لكي ينصرف النساء

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (العيدين) ، الباب (١٨) ، الحديث رقم (٩٧٧) ج٢/ ص٤٦٥ .

(٢) فتح الباري ج٢/ ص ٤٦٦ .

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأذان) ، الباب (١٦٤) ، الحديث رقم (٨٧١) ، ج٢/ ص٣٥١ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب (الصلاة) ، باب (في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال) ، الحديث رقم (٤٦٢) ، ج١/ ص١٢٦ . وقد صحح الشيخ الألباني الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وذلك في (صحيح الجامع الصغير) ج٥/ ص٦١ ، برقم (٥١٣٤) .

قبل أن يدركهن أحد من الرجال"(١) . وفي رواية أخرى: "كان ﷺ يُسَلِّم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ "(٢) .

يقول الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث الاحتياط في اجتناب ما قد يُفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت"(٣) .

ويقول ابن قدامة: "إذا كان مع الإمام رجال ونساء، فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يَرَى أنهن قد انصرفن، ويقمن هن عقب تسليمه"، ثم يتابع قائلاً - عقب الاستشهاد بالحديث المذكور آنفاً -: "لأن الإخلال بذلك من أحد الفريقين يُفضي إلى اختلاط الرجال بالنساء"(٤) .

وكان يُؤْذَن للنساء في الخروج إلى المساجد في الليل لكونه أستر وأخفى وأبعد عن الفتنة. يقول ﷺ : «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»(٥)، ويُروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من الغلس"(٦) .

كما كان يُطلب منهن اجتناب الطيب والزينة لكونهما من دواعي الفتنة، يقول ﷺ : «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تَمسَّ طيباً»(٧)، ويقول: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»(٨) . ولقد تنبهت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى خطر تساهل المرأة في خروجها من بيتها فقالت: "لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل"(٩) .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب (الأذان)، الباب (١٦٤)، الحديث رقم (٨٧٠) ج٢/ ص٣٥٠ - ٣٥١ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب (الأذان)، الباب (١٥٧)، الحديث رقم (٨٥٠) ج٢/ ص ٣٣٤ .
(٣) فتح الباري ج٢/ ص ٣٣٦ .
(٤) المغني ج٢/ ص ٢٥٤ .
(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٢ .
(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (مواقيت الصلاة)، الباب (٢٧)، الحديث رقم (٥٧٨)، ج٢/ ص٥٤ . ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها) ج٥/ ص١٤٣ - ١٤٤ .
(٧) رواه مسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٣ .
(٨) رواه مسلم في صحيحه في الموضع السابق، ج٤/ ص ١٦٣ .
(٩) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (الأذان)، الباب (١٦٣)، الحديث رقم (٨٦٩)، ج٢/ ص٣٤٩ . ورواه مسلم في صحيحه - واللفظ له - في كتاب (الصلاة)، باب (خروج النساء إلى المساجد) ج٤/ ص١٦٣ - ١٦٤ .

وكان النبي ﷺ ينهى النساء أن يتوسطن الطريق ويأمرهن بلزوم حافاته حذراً من الاختلاط بالرجال والفتنة بمماسة بعضهم بعضاً أثناء السير في الطريق، فعن أبي أُسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء في الطريق: «**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن(١) الطريق، عليكن بحافات الطريق**»، فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٢].

وأما مجالس العلم فقد كان النساء في عهده ﷺ لا يختلطن فيه بالرجال الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويُرشد القرآن والسنة علماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، فقد كن يجلسن - في معزل عن الرجال - في مؤخرة المسجد[٣]، فيسمعن المواعظ والخطب ويتعلمن أحكام دينهن، مع عنايتهن بالحجاب وإخفاء الزينة، فأين هذا مما ينادي به اليوم دعاة التحديث من اختلاط الجنسين في التعليم وغيره؟، فكيف يجوز لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول إن جلوس الطالبة بحذاء الطالب في كرسي الدراسة مثل جلوس الصحابيات مع أخواتهن في مؤخرة المسجد لسماع الذكر وتعلم أحكام الدين؟، هذا لو سلمنا بوجود الحجاب الشرعي المتضمن تغطية الوجه والكفين، فكيف إذا كان جلوسها مع الطالب في كرسي الدراسة مع كشف الوجه والكفين وإظهار الزينة والمحاسن، وغير ذلك مما يجر إلى الفتنة ويُوقع في المحذور؟!!.

ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة، ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير من بيّنهم الله سبحانه في قوله: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾[٤].

ولهذا دعا المصلحون إلى إفراد النساء عن الرجال في دور التعليم، وأن يكُنَّ على حدة

---

(١) تحققن الطريق: أي تتوسطنه. انظر: لسان العرب، مادة (حقق).

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب (الأدب)، باب (في مشي النساء مع الرجال في الطريق)، الحديث رقم (٥٢٧٢) ج٤/ ص٣٦٩، وقد حسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٩٤٢) ج١/ ص٣١٧.

(٣) إلى الحد الذي يضطر معه النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً إلى القيام إليهن لعدم قدرتهن على سماع صوته لبعدهن عنه، كما مر معنا قبل قليل.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

والـشباب علـى حدة حتى يَتمكنَّ من تلقي العلم من المدرسات بكل راحة من غير حجاب ولا مـشقة، لأن تلقـي العلـوم مـن المدرسات في محل خاص أصون للجميع وأبعد لهن من أسباب الفتنة وأسلم للشباب من الفتنة، ولأن انفراد الشباب في دور التعليم عن الفتيات مع كونه أسلم لهم من الفتنة فهو أقرب إلى عنايتهم بدروسهم وشغلهم بها وحسن الاستماع إلى الأساتذة وتلقي العلوم عنهم بعيدين عن ملاحظة الفتيات والانشغال بهن[١].

وأما ساحات الجهاد فيجيب عنها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قائلاً: "قد يتعلق بعض دعاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التي لا يدرك مغزاها ومرماها إلا مـن نَـوَّر الله قلـبه وتفقـه في دين الله وضم الأدلة الشرعية بعضها إلى بعض، وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض. ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول ﷺ في بعض الغزوات. والجواب عن ذلك: أن خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب علـيه مـا يُخـشى عليهن من الفساد، لإيمانهن وتقواهن وإشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجـاب بعد نزول آيته، بخلاف حال الكثير من نساء العصر، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها إلى العمل يختلف تماماً عن الحالة التي خرجن بها مع الرسول ﷺ في الغزو، فقياس هذه على تلك يُعتبر قياساً مع الفارق. وأيضاً فما الذي فهمه السلف الصالح حول هذا وهم لا شك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم وأقرب إلى التطبيق العلمي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ فمـا هـو الـذي نُقـل عـنهم علـى مـدار الزمن؟، هل وَسَّعُوا الدائرة كما يُنادي دعاة الاخـتلاط فـنقلوا مـا ورد في ذلـك إلى أن تعمـل المـرأة في كـل ميدان من ميادين الحياة مع الـرجال تـزاحمهم ويـزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها، أم أنهم فهموا أن تلك قضايا معيـنة لا تـتعداها إلى غيرهـا؟. وإذا استعرضـنا الفتوحات الإسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة[٢]"[٣].

وأمـا مجالس التـشاور في أمـور المـسلمين، فلـم تكـن المـرأة قـط عضواً فيها في صدر الإسـلام، فهـي – مثلاً – لم تشارك الصحابة في اجتماع سقيفة بني ساعدة إثر وفاة الرسول ﷺ للتـشاور فـيمن يختارونه خليفة لهـم، ولم يحـدث أن جمـع الخلفـاء الراشـدون النسـاء لاستـشارتهن في قضايا الدولة وشؤون المسلمين كما كانوا يفعلون مع الرجال، ولا نعلم في

---

(١) انظر: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز / الرسائل والفتاوى النسائية ص ٣٢، ٣٧.

(٢) يعني: ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء.

(٣) الرسـائل والفـتاوى النـسائية ص ٢٣ – ٢٤. وأشـنع مـن ذلـك أن يحتج البعض على جواز دخول المرأة للعـسكرية بهـذه الحـوادث الفـردية المقـيدة! انظـر: رسـالة "القـصيبي من القصص الموضوعة إلى الأحاديث الصحيحة" لسليمان الخراشي، منشورة في موقع (صيد صيد الفوائد) على شبكة الإنترنت.

تاريخ الإسلام كله أن المرأة كانت تسير مع الرجل جنباً إلى جنب في إدارة شؤون الدولة وسياستها، وكل ما يرويه التاريخ لنا هو أن النبي ﷺ أخذ بيعة النساء يوم فتح مكة من دون أن يصافحهن(١).

ومن زعم أن هذا يدل على اختلاط النساء بالرجال في صدر الإسلام للمشاركة في سياسة الدولة والإسهام في حل قضايا المسلمين وشؤونهم فقد أخطأ وحَمَّلَ وقائع التاريخ ما لا تحتمل.

نعم وقع في بعض أدوار التاريخ الإسلامي أن شاركت المرأة في بعض قضايا الدولة وشؤونها، وكان لبعضهن مشورة في بعض أمور المسلمين، ولكن هذه تصرفات ووقائع نادرة لمناسبات خاصة تُقَدَّر بقدرها لا يُبنى عليها حكم ولا تأخذ حكم القاعدة. وأحكام الإسلام إنما تؤخذ من نص ثابت في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، أو قياس صحيح عليهما، أو إجماع التقى عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم، وعليه فلا يصح الاستدلال بالتصرفات الفردية من آحاد الناس، حتى ولو كان أصحابها من الصحابة(٢) رضوان الله عليهم أو التابعين من بعدهم. فمن المقطوع به أن تصرفات هؤلاء جميعاً توزن بميزان الشرع الإسلامي، وليس الشرع هو الذي يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم، ولذا فإن من مقررات علماء السلف قولهم: (لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة أو التابعين مثلاً قوة الدليل الشرعي دون حاجة إلى الاعتماد على دليل آخر لبطل أن يكونوا معرضين للخطأ، ولوجب أن يكونوا معصومين مثل رسول الله ﷺ، وليس هذا لأحد إلا للأنبياء عليهم وعلى خاتمهم الصلاة والسلام، أما ما عداهم فحق عليهم قول رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطّاء»(٣)، وإلا فما بالنا لا نقول - مثلاً - بحل شرب الخمر، وقد وُجد فيمن سلف في القرون الخيرية من شربها؟!(٤)

---

(١) انظر: د. مصطفى السباعي - المرأة بين الفقه والقانون ص ١٥١، ط السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) هناك فرق بين "قول الصحابي" و"واقعة حال له" فتنبه لهذا.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك، ج٣/ ص١٩٨. ورواه الدارمي في سننه في كتاب (الرقاق)، باب (في التوبة) ج٢/ ص٢١٣ برقم (٢٧٣٠). كما رواه الترمذي في سننه في أبواب (صفة القيامة)، الباب (١٥)، الحديث رقم (٢٦١٦) ج٤/ ص ٧٠. وحسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٤٣٩١) ج٤/ ص١٧١، وتتمة الحديث: "وخير الخطائين التوابون".

(٤) انظر: محمد بن أحمد المقدم - عودة الحجاب، القسم الثالث ص ٤٠٩ - ٤١٠، ط التاسعة ١٤١٥هـ، دار طيبة - الرياض.

رابعاً: الزعم بأنه لم يُمنع الاختلاط إلا في المجتمعات الإسلامية الانفصالية التي سادت في عصور الانحطاط، إنما هو وهم ومحض افتراء يُستغرب صدوره من أي مسلم لديه معرفة - ولو يسيرة - بتاريخ الإسلام وشرعه، فكيف ممن يمثل اتجاهاً إسلامياً محافظاً ويترأسه في بلد عربي مسلم؟.

لقد مُنع الاختلاط في الإسلام منذ نزول آيات الحجاب، ومنعه النبي ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان، وما سقناه فيما سبق من الأدلة الشرعية والأقوال والوقائع كاف لإثبات ذلك. ولم يخل عصر ولا مصر من بلاد الإسلام والمسلمين من منع الاختلاط والتشدد في أمره؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وحرصاً من المخلصين الغيورين في مختلف الأماكن والأزمان على تطبيق شريعة الإسلام. ولن يستطيع أصحاب هذا الزعم الباطل - مهما أجهدوا أنفسهم - أن يقدموا دليلاً صحيحاً يبرهن على صحة مُدَّعاهم.

وأما ربط منع الاختلاط بعصور الانحطاط ففيه ما لا يخفى من الاستهتار بكلام الله ورسوله، والازدراء بما يدعو إليه المصلحون من منع الاختلاط والتحذير منه، والتأثر بمقولات الغرب حول التقدم والتحضر والمدنية.

خامساً: يفهم علماء الأمة ومحققوها قديماً وحديثاً من قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ (١) وجوب لزوم المرأة المسلمة بيتها وعدم خروجها منه إلا عند الضرورة وتحريم اختلاطها بالرجال الأجانب عنها.

يقول عبد الرحمن بن الجوزي: "قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن" (٢).

ويقول الحافظ ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة" (٣).

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: "قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ يعني: اسكنَّ فيها ولا تتحركن ولا تبرحن منها" (٤).

ويقول أحمد مصطفى المراغي: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ج٦/ ص ٣٧٩، ط الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٣/ ص ٤٨٢.

(٤) أحكام القرآن ج٣/ ص١٥٣٥، بتحقيق: علي البجاوي، ط دار الفكر.

لغير حاجة، وهو أمر لهن ولسائر النساء"[١].

ويقول حسنين محمد مخلوف: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾: الزمنها فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة، ومثلهن في ذلك سائر نساء المؤمنين"[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكُنَّ"[٣].

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري: "وقوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ أي: اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن إلا لحاجة لابد منها"[٤].

ويقول أبو الأعلى المودودي - بعد حديثه عن دائرة عمل المرأة -: "صفوة القول أن خروج المرأة من البيت لم يُحمد في حال من الأحوال، وخير الهدي لها في الإسلام أن تلازم بيتها كما تدل عليه آية (وقرن في بيوتكن) دلالة واضحة"[٥].

وأما اختلاف العلماء في معنى الآية - حيث ذهب بعضهم إلى أنها من الوقار وهو السكون، وذهب البعض الآخر إلى أنها من القرار وهو البقاء - فلا يُبطل صحة الاستدلال بالآية على منع الاختلاط، لأن كلا المعنيين يدلان على ضرورة لزوم المرأة بيتها وعدم خروجها منه إلا لحاجة شرعية، وهو ما ذهب إليه المفسرون.

يقول - على سبيل المثال - الإمام القرطبي - بعد أن ساق القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ ﴾ وأقوال العلماء واللغويين في بيان معانيها -: "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء؛ كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة؛ على ما تقدم في غير موضع"[٦].

ويقول الشوكاني - بعد أن ساق كذلك القراءات تلك وأقوال العلماء في بيان معانيها -:

---

(١) تفسير المراغي ج٢٢/ ص٦، ط الثانية ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن ص ٥٣١، ط الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

(٣) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٦/ ص ٢١٩، ط عام ١٤٠٤هـ - نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج٣/ ص٥٦١، ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بدون ذكر الناشر.

(٥) الحجاب ص ٢٣٥، دار الفكر.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج١٤/ ص١٧٩.

"المراد بالآية أمرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن"[(١)].

ويقول أبو بكر الجصاص: وقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ روى هشام عن محمد بن سيرين قال: قيل لسودة بنت زمعة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: والله لقد حججت واعتمرت ثم أمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج، فما خرجت حتى أخرجوا جنازتها. وقيل: إن معنى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ كن أهل وقار وهدوء وسكينة، يقال: وَقَر فلان في منزله يَقِرُ وقُوراً إذا هدأ فيه واطمأن به، وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج"[(٢)].

ويقول أبو الثناء الألوسي - بعد أن ذكر القراءات المتعددة لقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ ﴾ -: "والمراد على جميع القراءات أمرهن رضي الله تعالى عنهن بملازمة البيوت، وهو أمر مطلوب من سائر النساء"[(٣)].

وأما الاحتجاج على عدم صحة الاستدلال بالآية على منع الاختلاط بإدعاء الاختلاف في تعيين المخاطب بالآية هل هن نساء النبي ﷺ أم عامة النساء، فليس بشيء، وذلك لما يلي:

١ - لأن هذه الآية والتي قبلها تحفهما قرائن قوية تدل على أن الأحكام الشرعية الموجودة فيها ليست خاصة بأمهات المؤمنين، وإنما هي عامة لجميع النساء المسلمات، ذلك أن امتياز أمهات المؤمنين من غيرهن المذكور في قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[(٤)]، إنما هو خاص بما ذُكر قبله لا بما ذُكرَ بعده، بمعنى أنه خاص بالأحكام المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[(٥)] وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾[(٦)]، دون الأوامر والنواهي المذكورة بعده وهي قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[(٧)]، فتلك الأوامر والنواهي موجهة للنساء عامة بدليل أنه لا يجوز لأحد أن يقول إنه يجوز للنساء المسلمات أن يخضعن

---

(١) فتح القدير ج٤/ ص ٢٧٨.
(٢) أحكام القرآن ج٣/ ص ٤٧١، ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(٣) روح المعاني ج٢٢/ ص٦، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.
(٧) سورة الأحزاب، الآيتان ٣٢ - ٣٣.

بالقول ليطمع الذي في قلبه مرض وأن لا يقُلْن قولاً معروفاً وأن لا يقرن في بيوتهن ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ولا يُقمن الصلاة ولا يؤتين الزكاة ولا يطعن الله ورسوله. فهذه الأحكام ليست خاصة بأمهات المؤمنين لأن عللها تجري في غيرهن أيضاً.

٢ - ولأنه إذا كانت أمهات المؤمنين - مع ما كُنَّ عليه من التقى والعفاف وقوة الإيمان والبصيرة بالحق - مأمورات بعدم الخضوع في القول والقرار في البيوت وعدم التبرج، فغيرهن من النساء المسلمات مأمورات بذلك من باب أولى، ولا سيما في هذا العصر الذي قَلَّ فيه الوازع الديني عند كثير من الناس وكثرت فيه المفاسد والفتن.

٣ - "ولأن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا يجوز أن يخص بها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص، فهي عامة لجميع الأمة في عهده ﷺ وبعده إلى يوم القيامة، لأنه سبحانه بعث رسوله ﷺ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، وهكذا القرآن الكريم لم ينزل لأهل عصره النبي ﷺ وإنما أنزل لهم ولمن بعدهم ممن يبلغه كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٣)، وقال عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (٤) الآية(٥).

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي - في الرد على هذا الاحتجاج -: "قد ذهب بعض الناس إلى أن هذا الأمر خاص لأزواج النبي ﷺ لابتداء الآية بخطاب: يا نساء النبي، ولكنا نسأل: أي وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأمهات المؤمنين دون سائر النساء؟، فقد قيل فيها: ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٦)، فتأمل كل هذه الوصايا والأوامر، وقل لي: أي أمر منها لا يتصل بعامة النساء

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة سبأ الآية: ٢٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٥) سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية ص ٣٣ - ٣٤.
(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

المسلمات؟ ، وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين؟ أو قد أبيح لهن أن يخضعن بالقول ويكلمن الرجال كلاماً يغريهم ويشوقهم؟ أو يجوز لهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية؟ ، ثم هل ينبغي لهن أن يتركن الصلاة والزكاة ويُعرضن عن طاعة الله ورسوله؟ ، وهل يريد الله أن يتركهن في الرجس؟ ، وإذا كانت كل هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات فما المبرر لتخصيص كلمة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وحدها بأزواج النبي ﷺ ؟!! .

إن مصدر الفهم الخاطيء في الحقيقة هو مبتدأ الآية: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ ، ولكن هذا الأسلوب لا يختلف - مثلاً - عن قولك لولد نجيب: يا بني لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع وتأتي بما لا يليق من الحركات ، فعليك بالأدب واللياقة ، فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يُحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة ولا يُطلب منهم الأدب واللياقة ، بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيار لمحاسن الأخلاق وفضائلها لكي يصبو إليها كل ولد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعد في بلوغه . وقد اختار القرآن الكريم هذه الطريقة لتوجيه النساء ، لأن نساء العرب في الجاهلية كن على مثل الحرية التي توجد في نساء الغرب في هذا الزمان ، وكان العمل جارياً على تعويدهن الحضارة الإسلامية بشيء من التدريج ، وتعليمهن حدود الأخلاق والضوابط الاجتماعية على يد النبي ﷺ. ففي تلك الأحوال عني الإسلام بضبط أمهات المؤمنين بضابطه على وجه خاص حتى يكن أسوة لسائر النساء وتُتبع طريقتهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين .

هذا الرأي نفسه - وهو تعميم نساء المسلمين بالخطاب - أبداه العلامة أبو بكر الجصاص في كتابه (أحكام القرآن) فقال: (وهذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي ﷺ وأزواجه ، فالمعنى عام فيه وفي غيره ، إذ كنا مأمورين باتباعه والاقتداء به إلا ما خصه الله تعالى به دون أمته) "[١] .

ويؤكد الشيخ أبو بكر الجزائري على تعميم نساء المسلمين بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ثم يُتابع قائلاً: "غير أن المبطلين لم يروا ذلك ، فقالوا في هذه الآية والتي قبلها: (إنها نزلت في نساء النبي ﷺ وهي خاصة بهن ولا تعلق لها بغيرهن من نساء المؤمنين وبناتهم) ، وهو قول مضحك عجيب . . . وهاتان الآيتان مثلهما مثل إقسام الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه لو أشرك لحبط عمله وكان من الخاسرين في آية الزمر ، مع العلم أن رسول الله ﷺ معصوم لا يتأتى منه الشرك ولا غيره من الذنوب ، ولكن الكلام من باب

---

(١) الحجاب ، هامش ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(إيـاك أعـني واسمعي يا جارة)، وعليه فإذا كان الرسول على جلالته لو أشرك لحبط عمله وخـسر؛ فغـيره مـن بـاب أولى. كمـا أن الحجـاب لـو فرض على نساء النبي وهن أمهات المؤمـنين كـان علـى غيرهـن مـن بـاب أولى، ويـبدو أنه لما كان الحجاب مخالفاً لما كان عليه العـرب في جاهليـتهم ولم يُـشرع تدريجاً - إذ لا يمكن فيه التدريج - بدأ الله تعالى فيه بنساء رسول الله ﷺ حتى لا يُقال - وما أكثر من يقول يومئذ، والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين -: (انظروا كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة...)، إلى آخر ما يقول ذوو القلوب المريضة في كل زمان ومكان، فلما فرضه على نساء رسـوله ﷺ لم يـبق مجـال لامـرأة تـؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسـول ﷺ فـترى الـسفور لها ولا تراه لأزواج الرسول ﷺ وبناته، وهذا يُعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلي ومن باب أولى كتحريم ضرب الأبوين قياساً على تحريم التأفيف في قولـه تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾.

سادســاً: القـول بـأن تعـويل الإسلام في تحقيق أهدافه وقيمه في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد إنما يقوم فقط على التوعية والتربية العقائديتين وإشاعة أجواء الطهر والعفة والتعاون على الخير...؛ قول غير سديد ولا دقيق.

فـلا شـك أن التوعـية الإيمانـية والتربـية العقديـة والـتعاون على الخير هي من وسائل الإسـلام الأساسـية في تطهـير العلاقـات بـين الجنسين من التحلل والفساد. غير أن شريعة الإسـلام لم تَكـل الناس إلى ضمائرهم فقط التي قد تهن، ولا إلى نفوسهم التي قد تضعف، ولكنها سَنَّت تدابير وإجراءات وقائية ترد هذه الضمائر إلى الاستقامة إذا نزعت إلى التمرد، وتغلـق علـى الـنفوس مداخل الشيطان وتوصد مسارب الفساد إذا استشرفت هذه النفوس للفتن ولم ترتدع بوازع الإيمان والتقوى.

ومن تلك التدابير والإجراءات الوقائية - مما يخص موضوعنا هنا -:

مـنع الاخـتلاط بـين الجنـسين، وتحـريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وتحريم التبرج وإظهار الزينة، والأمر بغض البصر، وتحريم الخضوع بالقول، وتحريم سفر المرأة بغير محرم، وتحريم الدخول إلى بيوت الآخرين بغير إذن...

إن التوعـية والتربـية العقديـتين وإشـاعة أجـواء الطهـر والعفة والتعاون على الخير في العلاقات البشرية لا يكفي في تطهير العلاقات بين الجنسين من التحلل والفساد، ما لم ينضم إليه سد جميع أبواب الفتن وذرائع الفساد.

فـنحن لا نعـارض توعـية الجنسين وتربيتهما تربية إسلامية عقدية، وإشاعة قيم الطهر

والخلق والفضيلة . . . ، وإنما نعارض استغناء النساء بذلك عن القرار في البيوت والبعد عن الاختلاط بالرجال الأجانب في مجالات العمل والتعليم ونحوهما . فنقصان التربية العقدية والقيم الخلقية من أحد الجنسين كاف في وقوع الفتنة عند اختلاطهما ، فنحن نخاف كلاً منهما على الآخر ولا نرد الشبهات التي تساورنا وإن ردها غيرنا ، وماذا يسعنا أن نقول عنا بعد ما قال الله في قرآنه على لسان امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] ، ولله در الشريف الرضي حينما قال:

لا العفُّ عفٌّ حينَ تملكُ لُبَّهُ ::: تلكَ اللّحاظُ ولا الأمينُ أمين

ومن جرَّاء ذلك لزم أن لا تسنح أي فرصة للجنسين وأن تُسد طرقها ، وفرض الحجاب ومنع الاختلاط معناه: حجبُ طرق الفرصة على النفوس بأخصر وجه[2] .

واعتبار قرار النساء في البيوت أنه بمثابة تحويل هذه البيوت إلى سجون للنساء والحكم عليهن جميعاً بما حكم به اللاتي أتين الفاحشة ، هذا الاعتبار ينطوي على استخفاف بحكم الله ورسوله ، وفيه تضليل للقارئ ، لأنه وإن كان الأصل هو قرار المرأة في بيتها ، فإن الإسلام يُجيز لها الخروج منه عند الحاجة إلى ذلك مع الالتزام بالحجاب الشرعي واجتناب مخالطة الرجال ، فيجيز لها مثلاً الخروج لزيارة الوالدين ، ولصلة الأرحام ، وللحج مع محرم ، ولطلب علم ، ولمراجعة طبيب ، وللإدلاء بشهادة لدى القاضي ، ولأداء الصلوات في المسجد إذا أُمنت الفتنة ، ولقضاء حاجة مشروعة لا تقضى إلا بوجودها ونحو ذلك .

سابعاً: الجزم بأنه ليس في الإسلام ما يوجب على الزوجة القيام برعايتها لبيتها وزوجها وأطفالها ؛ جزم لا يُسلم لصاحبه ، ففي الإسلام ما يوجب ذلك على الزوجة:

١ - فقد روى الإمام البخاري أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادماً ، فقال لها ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم"[3] .

٢ - كما روى البخاري أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت تعلف فرس زوجها الزبير وتسقي الماء وتخرز الدلو وتعجن وتنقل النوى على رأسها من

---

(١) سورة يوسف ، الآية: ٥٣ .

(٢) انظر: مصطفى صبري - قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب ص ٦٩ - ٧٠ ، ط الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب (النفقات) ، الباب (٦) ، الحديث رقم (٥٣٦١) ، ج٩/ ص٥٠٦ .

أرض لـه تبعد عنها ثلثي فرسخ[(١)] .

ففـي هـذين الحديـثين ما يُفيد بأنه على المرأة أن تقوم بخدمة زوجها وبيتها ، فقد شكت فاطمـة رضـي الله عـنها - في الحـديث الأول - لأبيها النبي ﷺ ما كانت تلقاه من مشقة في خدمـة بيـتها وزوجهـا ، فلم يقل ﷺ لعلي رضي الله عنه: لا خدمة عليها وإنما هي عليك . يقـول الإمـام الطـبري: "يُؤخذ من الحديث أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيـتها في خبـز أو طحـن أو غير ذلك أنه لا يلزم الزوج إحضار خادم لها إذا كان معروفاً أن مثلها يلي ذلك بنفسه ، ووجه الأخذ: أن فاطمة لما سألت أباها ﷺ الخادم لم يأمر زوجها بأن يكفـيها ذلـك إما بإخدامها خادماً أو باستئجار من يقوم بذلك أو بتعاطي ذلك بنفسه ، ولو كانـت كفايـة ذلك إلى علي لأمره به كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول ، مع أن سَوْق الصداق ليس بواجب إذا رضيت المرأة أن تؤخره ، فكيف يأمره بما ليس بواجب عليه ويـترك أن يأمـره بالـواجب؟ . وحكـى ابـن حبيب عن أصبغ وابن الماجشون عن مالك أن خدمـة البـيت تلـزم المرأة ولو كانت الزوجة ذات قدر وشرف إذا كان الزوج معسراً ، قال: ولذلك ألزم النبي ﷺ فاطمة بالخدمة الباطنة[(٢)] وعلياً بالخدمة الظاهرة"[(٣)] .

ويقـول ابـن القيم: "هذا أمر لا ريب فيه ، ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة ، وفقيرة وغنـية ، فهـذه أشـرف نـساء العالمين كانت تخدم زوجها ، وجاءته ﷺ تشكو إليه الخدمة فلم يُشكها[(٤)]"[(٥)] .

وفي الحـديث الثانـي لمـا رأى الـنبي ﷺ خدمة أسماء زوجها الزبير لم يقل لـه: لا خدمة علـيها وأن هـذا ظلـمٌ لهـا ، بـل أقـر الـزبير علـى اسـتخدامها ، كما أقر سائر أصحابه على اسـتخدام زوجـاتهم مـع علمه ﷺ بأن منهن الكارهة والراضية[(٦)] . بل روي عن المطلب بن عـبدالله بـن حـنطب أنـه قـال: "دَخَلَت أَيِّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاء عَروساً ، وقامت آخر الليل تطحن - يعني: أم سلمة رضي الله عنها"[(٧)] .

يقول الشيخ السيد سابق: "وقد جرى عرف المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه

---

(١) المصدر السابق ، كتاب (النكاح) ، الباب (١٠٧) ، الحديث رقم (٥٢٢٤) ، ج٩/ ص٣١٩ - ٣٢٠ .

(٢) المقصود بالخدمة الباطنة: خدمة البيت والقيام بأعماله .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج٩/ ص٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٤) أي لم يسمع شكايتها .

(٥) زاد المعاد ج٥/ ص١٨٨ - ١٨٩ .

(٦) انظر: المرجع السابق ج٥/ ص ١٨٨ .

(٧) الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٢/ ص٢٠٥ .

بما ذكرنا - من خدمة المرأة لبيتها وزوجها - ألا ترى أن أزواج النبي ﷺ وأصحابه كانوا يتكلفون الطحين والخبز والطبيخ وفرش الفراش وتقريب الطعام وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت عن ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع، بل كانوا يضربون نساءهم إذا قصرن في ذلك، ويأخذونهن بالخدمة، فلولا أنها مُسْتَحقَّة لما طالبوهن، هذا هو المذهب الصحيح"[(١)].

٣ - وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**»[(٢)]، "قال العلماء: الراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته"[(٣)]، فالمرأة مسؤولة في بيت زوجها ومؤتمنة وموكلة وربة مملكة، رعيتها الزوج والأولاد والبيت وما حوى.

٤ - وما روي عن حصين بن محصن أنه قال: "حدثتني عمتي قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «**أي هذه! أذاتُ بعلٍ أنت؟**»، قلتُ: نعم، قال: «**كيف أنت له؟**» قلت: ما آلوه[(٤)] إلا ما عجزت عنه، قال: «**فانظري أين أنتِ منه، فإنما هو جنتكِ ونارِكِ**»[(٥)]. يقول الشيخ الألباني رحمه الله معلقاً على الحديث: "الحديث ظاهر الدلالة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها وخدمتها إياه في حدود استطاعتها، ومما لا شك فيه أن من أول ما يدخل في ذلك؛ الخدمةُ في منزله، وما يتعلق به من تربية أولاده ونحو ذلك"[(٦)].

٥ - وقوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾[(٧)]، قال ابن كثير في تفسير الآية: "﴿ **فَالصَّالِحَاتُ** ﴾ أي من النساء ﴿ **قَانِتَاتٌ** ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن"[(٨)]، وقال ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآية: "فالمرأة الصالحة

---

(١) فقه السنة ج٢/ ص٢٠٣، ط الخامسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب (النكاح)، الباب (٩٠)، الحديث رقم (٥٢٠٠)، ج٩/ ص٢٩٩.
وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الأمير العادل) ج١٢/ ص٢١٣.

(٣) النووي - شرح صحيح الإمام مسلم ج١٢/ ص٢١٣.

(٤) ما آلوه: أي لا أقصر في طاعته وخدمته.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ج٤/ ص٣٤١، وج٦/ ص٤١٩، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ص٢٩١، والحاكم في المستدرك وصححه ج٢/ ص٢٠٦. ووافقه الألباني في كتاب آداب الزفاف في السنة المطهرة، هامش ص ٢٨٦، ط الثانية عام ١٤٠٩هـ، المكتبة الإسلامية - عمان.

(٦) آداب الزفاف في السنة المطهرة ص ٢٨٦ بتصرف يسير.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٨) تفسير القرآن العظيم ج١/ ص٤٩١.

هي التي تكون قانتة، أي مداومة على طاعة زوجها"[١].

٦ - وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ فقال: «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»[٢].

فيستفاد من هذا الحديث ومن الآية الكريمة التي قبله أن من الحقوق الشرعية التي فرضها الله عز وجل للزوج على زوجته طاعته في المعروف، وهذه الطاعة أمر طبيعي تقتضيه الحياة المشتركة بين الزوجين، ويُسهم كثيراً في حفظ كيان الأسرة من التصدع والانهيار، وقيام الزوجة بما تستطيعه من رعايتها لبيتها وعنايتها بشؤون زوجها وأطفالها إنما هو من لوازم الطاعة بالمعروف. هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال ما نصه: "قوله: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ يقتضي وجوب طاعتها لزوجها مطلقاً: من خدمة، وسفر معه، وتمكين له، وغير ذلك"[٣]، وقال في موضع آخر: "يجب على الزوجة خدمة زوجها في مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب والخبز والطحن...، لأن الزوج سيدها في كتاب الله، وهي عانية عنده بسنة رسول الله ﷺ، وعلى العاني والعبد الخدمة، ولأن ذلك هو المعروف...، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة"[٤].

ويقول الشيخ الألباني رحمه الله معقباً على كلام شيخ الإسلام: "وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى، أنه يجب على المرأة خدمة البيت، وهو قول مالك وأصبغ كما في (الفتح)، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكذا الجوزجاني من الحنابلة كما في (الاختيارات)، وطائفة من السلف والخلف كما في (الزاد)، ولم نجد لمن قال بعدم الوجوب دليلاً صالحاً. وقول بعضهم: (إن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام)، مردود بأن الاستمتاع حاصل للمرأة أيضاً بزوجها، فهما متساويان في هذه الناحية، ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أوجب على الزوج شيئاً آخر لزوجته ألا وهو نفقتها وكسوتها ومسكنها، فالعدل يقتضي أن يجب عليها مقابل ذلك شيء آخر أيضاً لزوجها، وما هو إلا خدمتها إياه، ولا سيما أنه القوّام

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٣٢/ ص ٢٧٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٢/ ص٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨. والنسائي في سننه في كتاب (النكاح)، باب (أي النساء خير) ج٦/ ص٦٨. ورواه الحاكم أيضاً في المستدرك في كتاب (النكاح) ج٢/ ص١٧٥، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم".

(٣) مجموع الفتاوى ج ٣٢/ ص٢٦٠.

(٤) المرجع السابق، ج٣٤/ ص٩٠ - ٩١ بتصرف يسير.

عليها بنص القرآن الكريم ، وإذا لم تقم هي بالخدمة فسيضطر هو إلى خدمتها في بيتها ، وهذا يجعلها هي القوامة عليه ، وهو عكس للآية القرآنية كما لا يخفى ، فثبت أنه لابد لها من خدمته ، وهذا هو المراد"(١) .

ويقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ حفظه الله معلقاً على مبدأ طاعة الزوجة لزوجها فيما لا معصية فيه: "وهذا أمر طبيعي ، فإن كان الزواج شركة ، وكان الرجل هو صاحب القوامة ، فلابد من طاعته فيما يأمر وينهى في حدود الشرع ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . . ، إن الزوجة الذكية هي التي لا تتخلى عن طبيعتها الرقيقة الهادئة الطيبة ، إنها كما صوَّرها الحديث الشريف راعية في بيت زوجها تصونه وترعاه: «**إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»(٢) .

ثامناً: لقد خلق الله عز وجل الرجل والمرأة وجعل بينهما فروقاً عديدة ، منها فروق جسدية تكوينية ، وفروق عقلية سلوكية ، وفروق نفسية وجدانية ، وهذه الفروق تؤكد الاختلاف والتباين بينهما ، وأن كلاً منهما مؤهل بخصائص وطاقات تخدم مجاله وميدانه ، فالاختلاف في التكوين والخصائص يقابله اختلاف في التكليف والوظائف .

وطبيعة تكوين المرأة الجسدي والعقلي والنفسي يؤهلها لمهمتين أساسيتين ووظيفتين حيويتين في الحياة الإنسانية نصت عليهما النصوص الشرعية ، وهما(٣):

الاختلاط ممنوع:

أختى المسلمة . . يا جوهرة هذا المجتمع:

إن الجواهر كلها تعوض إن سرقت أو ضاعت أو كسرت . . إلا أنت . . فمن ذا الذي يعوضنا المرأة المسلمة . . . الشريفة . . العفيفة . .!!

ثم اعلمي:

أن من يسر الإسلام وسماحته أنه حرم علينا الاختلاط بين الجنسين صيانة للأعراض ، وحفظا للكرامة ، وبعداً عن الشبهات . .

فالحجاب بالنسبة لك كالواحة التي تتفيئين بظلالها وتتمتعين بجلالها . . وليس الحجاب

---

(١) آداب الزفاف ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) نظرات في الأسرة المسلمة ص ٧١ - ٧٢ ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي - بيروت .

(٣) للاستزادة في معرفة طبيعة هاتين الوظيفتين راجع كتاب (مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة) للدكتورة مكية مرزا ص ٤٩ وما بعدها ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، دار المجتمع .

سجنا من السجون كما يصور ذلك لك دعاة العلمانية والتغريب . . فاحذري ثم احذري من كيدهم . بل الجوهرة الغالية الثمينة لا تكون إلا مكنونة محفوظة!!

الأدلة:

* قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

* وقال ﷺ : «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ - يعني أقارب الزوج - فقال: «الحمو الموت» (٢) .

* وقال ﷺ : «لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما» (٣) .

* وقال ﷺ : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير لـه من أن يمس امرأة لا تحل لـه» (٤) .

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، قالت: " كنا نغطي وجوهنا من الرجال" (٥) . ومن هنا نعلم أن:

من صور الاختلاط المحرم ما يلي:

١ - اختلاط البنات مع ابن العم وابن العمة .

٢ - اختلاط البنات مع ابن الخال وابن الخالة .

٣ - الاختلاط مع أخ الزوج بالنسبة للزوجة .

٤ - اختلاط أخوات الزوجة مع زوجها .

٥ - اختلاط أخ المرأة من الرضاع مع أخوات أخته من الرضاع .

---

(١) ٣١) سورة النـور .

(٢) [متفق عليه] .

(٣) [رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح] .

(٤) [رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث حسن] .

(٥) [رواه الحاكم ، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

٦ - خلوة خطيب الفتاة بالفتاة وخروجه معها وحديثه وذلك قبل العقد وإنما جاز له النظر إليها بحضور وليها إذا عزم على الزواج فقط .

٧ - صعود العريس مع العروس على النصة أو المنصة (الكوشة) في ليلة الزفاف ، أمام النساء .

٨ - صعود أقارب العريس والعروس على المنصة أمام النساء .

٩ - مباشرة الرجال بالخدمة في الحفلات في بعض الفنادق كما يحدث ذلك في بعض حفلات الزفاف وذلك في قسم النساء .

١٠ - اختلاط النساء بالرجال الأجانب عموما بحجة أن القلوب بيضاء أو " إنما الأعمال بالنيات" .

١١ - خلوة القواعد من النساء بالرجال الأجانب وإنما أجاز الشرع لهن كشف الوجه فقط وإن يستعففن فهو خير لهن .

١٢ - اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي بحجة أنه من القبيلة أو العشيرة .

١٣ - التساهل في الاختلاط للفتيات في سن البلوغ بالشباب والرجال الأجانب بحجة أنهن صغيرات .

١٤ - اختلاط الخادمات بالرجال في البيوت .

١٥ - اختلاط السائقين والخدم من الرجال بنساء البيت .

١٦ - خلوة صاحب الليموزين أو سائق التاكسي بالمرأة في السيارة .

١٧ - خلوة السائق بالمرأة في السيارة .

١٨ - حج بعض النساء وسفرهن من غير محرم .

١٩ - اختلاط الخادمات والخدم بالمسافرين على متن الطائرات أو البواخر .

٢٠ - اختلاط الطالبات بالطلاب في صفوف الدراسة في الجامعات أو المدارس .

٢١ - قيام النساء بتدريس الرجال في الجامعات أو الكليات والمدارس وكذلك قيام الرجال بتدريس النساء مباشرة .

٢٢ - اختلاط الطلاب المبتعثين بالعائلات الغربية والسكن معهم في منزل واحد .

٢٣ - الدعوة إلى تدريس المرأة للأولاد في الصفوف الدراسية الأولى هي دعوة خبيثة للتدرج في الاختلاط .

٢٤ - الدعوة إلى ابتعاث النساء إلى الخارج بحجة التحضير للدراسات العليا، وما يؤدي إليه من التطبع بالأفكار الغربية الهدامة.

٢٥ - اختلاط الطلاب بالطالبات في الصفوف الدراسية العليا بحجة الدراسة الميدانية.

٢٦ - خلوة الرجال المشرفين على الرسائل الجامعية بالطالبات بحجة الإشراف على الرسالة.

٢٧ - خلوة المدرسين الخصوصيين بالطالبات بحجة التدريس.

٢٨ - الدعوة إلى حضور الأمسيات الشعرية واللقاءات العلمية والمحاضرات المختلفة والتي تلقيها بعض النساء أو الرجال ويحضرها النساء والرجال جنبا إلى جنب.

٢٩ - اختلاط الممرضات والطبيبات بالرجال الأجانب حتى ولو كانوا من الممرضين أو الأطباء.

٣٠ - خلوة الطبيب بالممرضة أو الطبيبة.

٣١ - خلوة الطبيب بالمريضة من غير محرم لها

٣٢ - كشف المرأة على الطبيب لغير حاجة أو ضرورة أو مع وجود الطبيبة لانتفاء الضرورة.

٣٣ - اختلاط النساء بالرجال في حفلات التوديع والاستقبال وبعض المناسبات.

٣٤ - اختلاط النساء بالرجال في المختبرات الطبية والصيدليات بدعوى ضرورة ذلك في العمل.

٣٥ - اختلاط النساء مع الرجال في الألعاب والملاهي بحجة يوم العائلات.

٣٦ - اختلاط النساء مع الرجال في المطاعم والكافتريات بحجة قسم العائلات.

٣٧ - اختلاط النساء بالرجال أو خلوة المرأة بصاحب المعرض أو الدكان.

٣٨ - اختلاط النساء بالرجال في مراكز التسويق (السوبر ماركت).

٣٩ - سفر المرأة بالسيارة أو الطيارة أو الحافلات أو غير ذلك من غير محرم لها.

٤٠ - اختلاط النساء بالرجال في الملاعب والأندية وفي المدرجات.

٤١ - الألعاب والرياضات النسائية وتكوين الفرق الرياضية للسيدات مما يؤدي إلى الاختلاط وكشف العورات.

٤٢ - اختلاط النساء بالرجال في المتنزهات العامة وعلى الشواطئ.

٤٣ - اختلاط الرجال بالنساء وكذلك النساء بالرجال وذلك أثناء سفر المسلمين والمسلمات إلى الخارج للسياحة، وكذلك حضور دور السينما والسيرك والمسارح وغيرها من أماكن اللهو.

٤٤ - تصوير النساء من قبل المصورين.

٤٥ - اختلاط النساء بالرجال في المناسبات والاحتفالات البدعية، مثل: مولد النبي ﷺ والنصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج وغيرها كما يحصل في بعض البلاد باسم الدين والعياذ بالله.

٤٦ - اختلاط النساء من مقدمات البرامج بالرجال.

٤٧ - اختلاط الممثلات بالممثلين في الأفلام والمسلسلات.

٤٨ - التحاق النساء بالسلك العسكري الميداني.

٤٩ - الاجتماعات المختلطة بين الرجال والنساء في أي دائرة أو عمل بحجة تدارس الموضوعات.

٥٠ - مطالبة المرأة الاشتراك في أعمال تخص الرجال كسياقة الطائرات والقطارات والبواخر والسيارات.

٥١ - العمل في وظيفة (السكرتيرة) لما فيه من وضوح التبرج والخلوة المحرمة.

٥٢ - أي عمل للمرأة يؤدي إلى اختلاطها بالرجال مثل عملها في المصانع وغيرها بحجة زيادة الانتاج والمساهمة في تنمية المجتمعات.

٥٣ - اختلاط المسلمين بالنساء الأجنبيات (غير المسلمات) بحجة أنهن كافرات أو الخلوة بهن.

.... وغير ذلك من الصور المحرمة من صور الاختلاط.

وكلمة اختلاط لفظ مستحدث في عصرنا، فهذه الكلمة لم تستعمل في أي موضع من القرآن الكريم سواء بلفظها أو مدلولها، ولم ترد في أي حديث نبوي ولا في أي كتاب من كتب الفقه والتشريع، ولكن بدأ الكلام يكثر عن الاختلاط بعد أن رأى رجال الإصلاح من المسلمين ما هي عليه المرأة الأوروبية من زينة وتجمل " وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في الاجتماع الغربي، ولما رَأَوْا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً، حتى يجاري تمدنهم تمدن الغرب، ثم أثَّرت فيهم النظريات الجديدة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة الصنفين ".

إن المطالبين بحرية المرأة واختلاطها بالرجل هم فريقين ، " فريق يعلم جيداً أن الطريق الذي تسير فيه القضية سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا ، وهو يريد ذلك ويسعى إليه جاهداً لأنه من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وفريق آخر مخدوعٍ مستغفَل لأنه مستعبَد للغرب لا يرى إلا ما يراه الغرب . . . وهذا وذاك مسخران معاً لخدمة الصليبية في المجتمع الإسلامي ، وخدمة اليهودية العالمية كذلك " .

إن مخطط الغرب في تدمير الإسلام ليس مخططاً حديثاً ، فقد شرح " شكيب أرسلان" في مقالة نشرتها المنار ١٩٢٥ م . هدف دعاة الحرية والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل بقوله: "عند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م قال أحمد رضا بك من زعماء أحرار الترك: ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر " غلطة " وهي سافرة الوجه فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية " .

لقد عمل هؤلاء منذ تلك الفترة على تنفيذ مخططاتهم التدميرية فنجحوا ، بعد أن أبعدوا المسلم عن دينه وعقيدته ، في بث الشكوك والتساؤلات حول القضايا الاجتماعية مستعينين بالنصوص الإسلامية من ناحية وبالجدل من ناحية أخرى .

أما النصوص الإسلامية فقد اعتبروها حجة على المعارضين للاختلاط بحجة أن الإسلام أباح للمرأة الخروج للصلاة في المسجد كما سمح لها بالجهاد مع الرجال ومداواة الجرحى ، إن الرد على هذا الأمر بسيط ، ذلك أن مفهوم الاختلاط المباح في الإسلام هو ذلك الاختلاط " المأمون ، وهو الذي يكون لأسباب طبيعية . وتتحقق خلاله مصالح اجتماعية أو اقتصادية ، وقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها في طلب هذه المصالح في ظل الآداب والأخلاق ، وليس هو الاختلاط العابث الماجن المستهتر الذي من شأنه مضيعة الوقت والعبث بالفضيلة والانطلاق العابث بغير حدود وقيود " ، فإن مثل هذا النوع من الاختلاط لا يقره أي دين مهما بلغت درجة تقدمه وانفتاحه .

أما أسلوب الجدل فاستخدموه لإثبات نظرياتهم النفسية الجنسية الحديثة التي لا ترضى عنها الشرائع ولا الأخلاق ، فيقولون: " إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة تهذبت طباع كل منهما وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء! أما إذا ضُرِب بينهما بسور من الاحتجاب فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كُلاً منهما بصاحبه! فتُشيع في ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع .

و(الجواب على هذا القول): إنه صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع ، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها

وجنوا من ثمارها خلال فترة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها، وبديهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا بها بل لأنهم يشبعون كل يوم منها.

من هنا نؤكد على أهمية اجتناب الاختلاط بغير سبب خاصة في الحفلات العامة والحفلات الخاصة، والابتعاد عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات خاصة أن كثيراً من حفلات الاختلاط تشوبها الخلوات، والإسلام لا يجيز أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها، وفي ذلك جاء الحديث الشريف: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**».

* * * * *

الفصل الثاني:
وقفة مع الإنترنت

بعد أن تحدثنا وتحاورنا حول خطورة الفضائيات وموقف المسلم والمسلمة تجاهها، نتحدث الآن عن حدث جديد وتقنية مدهشة انتشرت في العالم ومازالت تتطور بشكل سريع مع الأيام حتى دخلت بلاد المسلمين بشكل مكثف بكل ما فيها من خير وشر وهي شبكة الإنترنت العالمية أو ما تسمى بالشبكة العنكبوتية العالمية التي لا تحتاج إلى الدخول فيها سوى حاسب آلي فيه ما يسمى (بالمودم) وبرامج خاصة وخط هاتف واشتراك بالشركة المزودة بالخدمة.

أختي المسلمة: ما هو موقفك من هذه الشبكة التي تنامت شهرتها؟

قبل أن تحددي موقفك لا بد لك أن تأخذي فكرة عنها من حيث نفعها وضررها.

هل في هذه الشبكة نفع وخير؟ الجواب: نعم فيها نفع وخير كثير لمن أحسن استخدامها، فهي شبكة معلوماتية ضخمة يتم الاتصال من خلالها، وتبادل المعلومات بين كثير من الجهات والأشخاص ويشمل الاتصال؛ كتابة وسماع أصوات، ورؤية صور ثابتة ومتحركة، كما يمكنك عبرها أن ترسلي بالبريد الإلكتروني لأي شخص أو مكان في العالم وتصل الرسالة في ثوان معدودة بتكلفة رخيصة جداً تغنيك عن البريد العادي، ويمكن كذلك كما هو حاصل الآن الدعوة إلى الله عبر هذه الشبكة ونشر العقيدة الصحيحة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح وتبليغها إلى أماكن يصعب الوصول إليها ومناقشة الكفار من النصارى وغيرهم ودحض شبهاتهم وغير ذلك مما هو مفيد في الدعوة إلى الله تعالى، وقد وردت بعض الإحصاءات عن بعض المراكز الإسلامية تبين أن مجموعة كبيرة من الناس أسلموا عن طريق الشبكة. وهناك فوائد أخرى كالبحوث العلمية التطبيقية

والنظرية يمكن التوصل لها دون حاجة للسفر والترحال وكذلك مواقع الأخبار والصحف والتجارة الإلكترونية ويمكن كذلك عقد المؤتمرات بالصوت والصورة مع عدة أشخاص في مختلف أرجاء العالم في الوقت نفسه وغيرها من الفوائد الأخرى .

وهنا يأتي سؤال آخر في غاية الأهمية ، ماهو الجانب السلبي لتلك الشبكة العالمية؟

والجواب: إن الجانب المظلم السفلي لهذه الشبكة المترامية الأطراف يتمثل في كثير من المساوئ والأضرار ، فعلى هذه الشبكة تظهر المواقع التي تنشر الرذيلة وتهدم الفضيلة كالمواقع الجنسية الإباحية والتي تقدر بمليوني موقع ، إضافة إلى مواقع المخدرات والقمار والسرقة والكذب والمراسلات المحرمة بين الشباب والفتيات ومواقع العنف والعنصرية وغيرها من المساوئ والمفاسد الكثيرة وهي في تطور وازدياد مستمر ففي كل يوم ينطلق في مسار الشبكة ما لايقل عن مئة موقع إباحي جديد نسأل الله العافية والسلامة .

والآن أختي المسلمة لعلك أخذت نبذة يسيرة عما يعرض في هذه الشبكة وعرفت شيئاً عن منافعها ومضارها بقي أن تعرفي عن ظاهرة غريبة انتشرت وصار لها رواج في مجتمعاتنا الإسلامية ألا وهي مقاهي الإنترنت التي يرتادها أكثر المراهقين تضييعاً للأوقات وبحثاً عن الشهوات والملذات المحرمة ويالالأسف الشديد فقد جاءت آخر الإحصاءات بأن ٩٥ ٪ من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي يستخدمونه من أجل الترفيه والتسلية فقط وليس بحثاً عن الفائدة والمعلومات ، وهذا يدلنا على المستوى الثقافي المتدني في التعامل مع شبكة الإنترنت .

والأغرب من ذلك أن تخصص هذه المقاهي قسماً لدخول النساء تشجيعاً منها لفتياتنا على الانحراف وتضييع الأوقات والبحث عن المنكرات ومن المعلوم أن المرأة المسلمة الحريصة على وقتها عندها من المسؤوليات والأعمال ما لا يبقي لها وقتاً فارغاً ، وأي فراغ يبقى لمن تُحسبُ أنفاسها وتكتب أعمالها والتراب بعد الموت وسادها ويوم العرض يكشف حسابها .

أختي المسلمة . . . الحذر كل الحذر من هذه المقاهي العائلية التي تشجع الفتاة على الخروج من بيتها دون حاجة أو ضرورة فوالله ما استفادت امرأة من كثرة خروجها إلا الآثام والأوزار ، وليس هناك خير من كلام الله العظيم الحكيم القائل لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام وهن العفيفات الأطهار ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١).

ذكرى أخيرة:

تذكري دوماً يا أختاه أنه:

* الأضرار في استخدام الإنترنت أكبر من المنافع.

* درهم وقاية خير من قنطار علاج.

* سد الذرائع مقدم على جلب المصالح.

* أن الله تعالى يراقبنا ويحاسبنا على كل صغيرة وكبيرة، فطوبى لمن خاف الله وعمل لليوم الآخر. وخسراً لمن أطلق لنفسه العنان وصار عبداً للشيطان أسأل الله العظيم بمنه وكرمه وإحسانه أن يحفظنا من الشرور والاثام وأن يجنبنا الفواحش ويعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يصرف عنا كيد الإنترنت ومخاطرها؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقفة أخيرة لمستخدمات شبكة الإنترنت

(قصة مؤثرة)

هذه قصة واقعية مأساوية كتبتها صاحبتها إلى صديقتها وطلبت منها أن تنشرها عبر الإنترنت لتكون عظة وعبرة لكل فتاة تستخدم الإنترنت، وقد نقلناها لكم من أحد المنتديات؛ سائلين الله عز وجل أن ينفع بها ويجعلها عظة وعبرة حقاً كما أرادت وتمنت صاحبتها، فإلى هذه القصة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صديقتي العزيزة بعد التحية والسلام لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتي، أنت الوحيدة في هذا العالم التي أبوح لها بما فعلت كل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن يأخذني الموت قبل أن أقتل نفسي، لا أدري ما سأفعله بنفسي حيث يغمرني اليأس وكل ما بين عيني ظلام في ظلام، سوف تقرئين في السطور التالية مأساتي التي ربما تكرهينني بسببها ولك كل العذر في ذلك، ولكن أرجو منك أن تنشري قصتي في صفحة من صفحات الإنترنت لكي تكون عبرة لمن تستخدم الإنترنت وخصوصاً "التشات".

ما من يوم يمر علي إلا وأبكي فيه حتى أعدم الرؤية، كل يوم أفكر بالانتحار عشرات

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

المرات، لم تعد حياتي تهمني أبداً، أتمنى الموت كل ساعة، ليتني لم أولد ولم أعرف هذه الدنيا، ليتني لم أخلق، ماذا أفعل أنا في حيرة وكل شيء عندي أصبح بلا طعم ولا لون، لقد فقدت أعز ما أملك، بيدي هذه أحرقت نفسي وأسرتي، أحرقت بيتي وزوجي وأبنائي، ولن يقدر أحد على إرجاع ما أضعت لن يستطيع أحد مساعدتي أبداً، لقد وقع الأمر وأصبح وصمة عار في تاريخي، إنني أضع قصتي هذه بين يديك لكي تنشريها حتى تكون علامة ووقاية لكل بنت تستخدم الإنترنت ولكي تعتبروا يا أولي الأبصار".

بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي القليلات، دعتني ذات يوم إلى بيتها وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً وقد أثارت في الرغبة لمعرفة هذا العالم لقد علمتني كيف يستخدم وكيف أتصفح وأبحث عن المواقع الجيدة والرديئة وبعدها طلبت من زوجي أن يدخل الإنترنت في البيت، وكان ضد تلك المسألة ويرفضها رفضاً تاماً ولكنني استطعت إقناعه خاصة وأنا أشعر بالملل الشديد والوحدة وأنا بعيدة عن أهلي وصديقاتي، وتحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت فلم لا أستخدم أنا هذه الخدمة وأحادث صديقاتي عبره فهو أرخص من فاتورة الهاتف على أقل تقدير، فوافق زوجي رحمة بي وفعلاً أصبحت أحادث زميلاتي بشكل يومي، وبعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطالب فقد انشغلت به كثيراً، وكان كلما خرج من البيت أقبلت كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد حتى أني أقضي الساعات الطوال دون أن أشعر.

وبدأت أتمنى غياب زوجي كثيراً وأنا التي أشتاق إليه بعد خروجه بقليل، أنا أحب زوجي بكل ما تعني هذه الكلمة وهو لم يقصر معي حتى وحالته المادية ليست بالجيدة، كان بدون مبالغة يريد إسعادي بأي طريقة، ومع مرور الأيام تعلقت بالإنترنت وأصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي وقد كنا نسافر إليهم كل أسبوعين، كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ جهاز الكمبيوتر بشكل جعله يستغرب فعلي، لم يكن عنده شك بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل في الإنترنت، ربما كان لديه فضول وكان يعاتبني ويقول لي الإنترنت مجال واسع للمعرفة ويحثني على تعلم اللغات وكيفية عمل مواقع يكون فيها نفع للناس وليس مضيعة للوقت، أحسسته بعدها بأني جادة وأريد التعلم والاستفادة وأني لا أذهب (للتشات) إلا لمكالمة أخواتي وصديقاتي.

لقد تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة وكنت أعرف متى يعود زوجي فلا

أدخل في الإنترنت، ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً كنت في السابق في أحسن شكل وأحسن لبس عند عودته من العمل، وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى قليلاً حتى اختفى كلياً، وكنت أختلق الأعذار بأنه لم يخبرني بعودته أو أنه عاد مبكراً على غير العادة، ربما أدرك زوجي لاحقاً أن كل ما أفعله في الإنترنت مضيعة للوقت ولكنه كان يشفق علي من الوحدة وبعد الأهل وقد استغللت هذا أحسن استغلال وكان كلما وبخني على عدم اهتمامي بأبنائنا ألجأ إلى البكاء والدموع وأستخدم كيد النساء كما يقولون، هكذا كانت حياتنا لمدة ستة أشهر تقريباً لم يكن يخطر ببال زوجي إني أسيء استخدام هذه الخدمة أبداً.

خلال تلك الأيام بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم امرأة، كنت أحاور كل من يحاورني حتى وأنا أعرف أنه رجل، كنت أطلب المساعدة من بعض الذين يدعون المعرفة في الكمبيوتر والإنترنت، تعلمت منهم الكثير إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير لما له من خبرة واسعة في هذا المجال، كنت أخاطبه دائماً وألجأ إليه ببراءة كبيرة في كثير من الأمور حتى أصبحت بشكل يومي، أحببت حديثه ونكته فقد كان مسلياً، وبدأت العلاقة تقوى مع الأيام خلال ثلاثة أشهر تقريباً، كان بيني وبينه الشيء الكثير أغراني بكلامه المعسول وكلمات الحب والشوق التي ربما لم تكن جميلة بهذه الدرجة ولكن الشيطان جملها بعيني كثيراً.

في يوم من الأيام طلب سماع صوتي وأصر على طلبه حتى أنه هددني بتركي وأن يتجاهلني في (التشات) حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع، لا أدري لماذا، حتى قبلت مع بعض الشروط أن تكون مكالمة واحدة فقط فقبل ذلك، استخدمنا برنامج للمحادثة الصوتية، ورغم أن البرنامج ليس بالجيد ولكن كان صوته جميلاً جداً وكلامه عذب جداً، طلب مني رقمي وأعطاني رقم هاتفه إلا أنني كنت مترددة في هذا الشيء ولم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة، إنني أعلم أن الشيطان الرجيم كان يلازمني ويحسنها في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين وما أملك من أخلاق، حتى أتى اليوم الذي كلمته من الهاتف ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف، لقد انجرفت كثيراً، أنا وهو كنا كالعمالقة في عالم (التشات)، الكل كان يحاول التقرب منا والويل لمن يحاربنا أو يشتمنا. ومن يقرأ كلماتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي أو كثير الغياب عن البيت، ولكن العكس من ذلك هو ما يحدث كان زوجي يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلي، ومع مرور

الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنت أقضي بها ما يقارب (٨) إلى (١٢) ساعة يومياً، أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت، ألومه على هذا كثيراً، وفعلاً أخذ بكلامي ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير، ثم بعد ذلك أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر ورغم انزعاجه كثيراً من فاتورة الهاتف والتي تصل إلى آلاف الريالات إلا أنه يقدر على ثنيي عن هذا أبداً.

علاقتي بذلك الرجل بدأت بالتطور وأصبح يطلب رؤيتي بعد أن سمع صوتي والذي ربما مله، لم أكن أبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالي به، بل كنت فقط أعاتبه على طلبه وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته، ولكني كنت أترفع عن ذلك لا لشيء سوى أنني خائفة من الفضيحة، وليس من الله، أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم ويريد فقط رؤيتي لا أكثر، فقبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر طلب كهذا يأتي منه، وأن يراني فقط دون أي كلام، أعتقد أنه لم يصدق بأني تجاوبت معه بعد أن كان شبه يائس من تجاوبي، فأوضح لي بأن السعادة تغمره وهو إنسان يخشى أن يصيبني أي مكروه وسوف يكون كالحصن المنيع ولن أجد منه ما أكره ووافق على شروطي وأقسم بأن تكون نظرة فقط لا أكثر... نعم تجاوبت معه تواعدنا والشيطان ثالثنا في أحد الأماكن لقد رآني ورأيته وليتني لم أره ولم يراني لقد أعجبت به وأعجب بي في لحظة قصيرة لا تتعدى دقيقة واحدة، لم يكن زوجي قبيحاً ولا بالقصير أو السمين لكن الشيطان جعلني أشعر في تلك اللحظة بأني لم أر في حياتي أوسم منه. ومن جهته لم يصدق أنه كان يتحادث مع من هي في شكلي قال لي بأني أسرته بجمالي وأحبني بجنون، كان يقول لي سوف يقتل نفسه إن فقدني بعدها، كان يقول ليته لم يرني أبداً، لقد زادني أنوثة وأصبحت أرى نفسي أجمل بكثير من قبل حتى قبل زواجي.

هذه بداية النهاية يا أخواتي لم يكن يعرف أني متزوجة وأن لي أبناء، لقد عرف كيف يستغل ضعفي كأنثى وكان الشيطان يساعده بل ربما يقوده، أراد رؤيتي بعدها مرة أخرى وكنت أتحجج كثيراً وأذكره بالعهد الذي قطعه حتى أني أخبرته بزواجي وأني لا أقدر على رؤيته ويجب أن تبقى علاقتنا في الإنترنت فقط، لم يصدق ذلك وقال لي: لا يمكن أن أكون متزوجة ولي أبناء!! قال لي: أنت كالحورية التي يجب أن تصان، أنت كالملاك الذي لا يجب أن يوطأ وهكذا أصبحت مدمنة على سماع صوته وإطرائه حتى جعلني أكره زوجي الذي لم ير الراحة أبداً في سبيل تلبية مطالبنا وإسعادنا بدأت أصاب بالصداع إذا غاب عني ليوم أو يومين،

أصاب بالغيرة إذا تخاطب أو خاطبه أحد في (التشات)، لا أعلم ما الذي أصابني إلا أنني أصبحت أريده أكثر فأكثر. لقد شعر بذلك وعرف كيف يستغلني حتى يتمكن من رؤيتي مجدداً، كان كل يوم يمر يطلب فيه رؤيتي، وأنا أتحجج بأني متزوجة. وهو يقول: ما الذي يمكن أن نفعله، أنبقى هكذا حتى نموت من الحزن.. أيعقل أن نحب بعضنا ولا نستطيع الاقتراب: لا بد من حل يجب أن نجتمع، يجب أن نكون تحت سقف واحد، لم يترك طريقة إلا وطرقها وأنا أرفض وأرفض حتى جاء اليوم الذي عرض فيه علي الزواج وأن أتطلق من زوجي حتى يتزوجني هو وإذا لم أقبل فإما أن يموت أو أن يصاب بالجنون أو يقتل زوجي، الحقيقة رغم خوفي الشديد إلا أني وجدت في نفسي شيئاً يشدني إليه. وكأن الفكرة أعجبتني كان كلما خاطبني ترتعش أطرافي وتسطك أسناني كأن البرد كله داخلي، احترت في أمري كثيراً أصبحت أرى نفسي أسيرة لدى زوجي وأن حبي له لم يكن حباً، بدأت أكره منظره وشكله لقد نسيت نفسي وأبنائي، كرهت زواجي وعيشتي كأني فقط أنا الوحيدة في هذا الكون التي عاشت وعرفت معنى الحب، عندما علم وتأكد بمقدار حبي له وتمكنه مني ومن مشاعري عرض علي بأن اختلق مشكلة مع زوجي وأجعلها تكبر حتى يطلقني لم يخطر ببالي هذا الشيء وكأنها بدت لي هي المخرج الوحيد لأزمتي الوهمية، وعدني بأنه سوف يتزوجني بعد طلاقي من زوجي وأنه سوف يكون كل شيء في حياتي وسوف يجعلني سعيدة طوال عمري معه، لم يكن وقعها علي سهلاً ولكن راقت لي هذه الفكرة كثيراً وبدأت فعلاً أصطنع المشاكل مع زوجي كل يوم حتى أجعله يكرهني ويطلقني، لم يحتمل زوجي كل تلك المشاكل التافهة والتي أجعل منها أعظم مشكلة على سطح الأرض، وبدأ فعلاً بالغياب عن البيت لأوقات أطول حتى صار البيت فقط للنوم، بقينا على هذه الحالة عدة أسابيع، وأنا منهمكة في اختلاق المشاكل حتى أني أخطط لها مسبقاً، وبدأ هو يمل من طول المدة كما يدعي ويصر على رؤيتي لأن زوجي ربما لن يطلقني بهذه السرعة حتى طلب أن يراني وإلا؟؟؟ ووقتها قبلت دون تردد كأن إبليس اللعين هو من يحكي عني ويتخذ القرارات بدلاً مني، وطلبت منه مهلة أتدبر فيها أمري - قال زوجي: إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام، أحسست أن هذا هو الوقت المناسب، أراد زوجي أن يرسلني إلى أهلي كي أرتاح نفسياً وربما أخفف عنه هذه المشاكل المصطنعة، فرفضت وتحججت بكل حجة حتى أبقى في البيت، فوافق مضطراً وذهب مسافراً في يوم الجمعة كنت أصحو من

النوم فأذهب إلى التشات وأغلقه فأذهب إلى النوم وفي يوم الأحد كان الموعد حيث قبلت مطالب صديق (التشات) وقلت له بأني مستعدة للخروج معه كنت على علم بما أقوم به من مخاطرة ولكن تجاوز الأمر بي حتى لم أعد أشعر بالرهبة والخوف كما كنت في أول مرة رأيته فيها . . .

وخرجت معه ، نعم لقد بعت نفسي وخرجت معه اجتاحتني رغبة في التعرف عليه أكثر وعن قرب ، اتفقنا وجاء في نفس الموعد وركبت سيارته ثم انطلق يجوب الشوارع لم أشعر بشيء رغم قلقي فهي أول مرة في حياتي أخرج مع رجل لا يمت لي بأي صلة سوى معرفة سبعة أشهر تقريباً . . . كان يبدو عليه القلق أكثر مني ، وبدأت الحديث قائلة له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت ، أخشى أن يتصل زوجي أو يحدث شيء قال لي بتردد: وإذا يعني عرف ربما يطلقك وترتاحين منه ، لم يعجبني حديثه ونبرة صوته بدأ القلق يزداد عندي ، ثم قلت له: يجب أن لا تبتعد كثيراً ، لا أريد أن أتأخر عن البيت . قال لي: سوف تتأخرين بعض الوقت لأني لن أتنازل عنك بهذه السهولة أريد أن أملي عيني منك ربما لن يكون هناك مجال عندك لرؤيتي بعدها ، هكذا بدأ الحديث ثم اتخذ اتجاهاً رومانسياً لا أعلم كم من الوقت بقينا على هذا الحال حتى أني لم أشعر بالطريق الذي كان يسلكه ، وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه . . . مظلم أشبه باستراحة أو مزرعة ، بدأت أصرخ عليه ما هذا المكان إلى أين تأخذني . . .

وإذا هي ثوان معدودة والسيارة تقف ورجل آخر يفتح في الباب ويخرجني بالقوة ، كان كل شيء علي كالصاعقة صرخت وبكيت واستجديت بهم ، أصبحت لا أفهم ما يقولون ولا أعي ماذا يدور حولي شعرت بضربة كف على وجهي وصوت يصرخ علي وقد زلزلني زلزالا فقدت الوعي بعده من شدة الخوف ، إني لا أعلم ماذا فعلوا بي؟ أو من هم؟ وكم عددهم؟ رأيت اثنين فقط ، كل شيء كان كالبرق من سرعته لم أشعر بنفسي إلا وأنا مستلقية في غرفة شبه عارية ، ثيابي تمزقت ، بدأت أصرخ وأبكي وكان كل جسمي متسخ ، لم تمر سوى ثوان وإذا بالذئب يدخل علي وهو يضحك ، قلت له: بالله عليكم خلو سبيلي ، خلو سبيلي ، أريد أن أذهب إلى البيت ، قال: سوف تذهبين إلى البيت ولكن يجب أن تتعهدي بألا تخبري أحداً وإلا سوف تكونين فضيحة أهلك وإذا أخبرت عني أو قدمت شكوى سيكون الانتقام من أبنائك ، قلت له: فقط أريد أن أذهب ولن أخبر أحداً ، تملكني رعب شديد كنت أرى جسمي يرتعش ولم أتوقف عن البكاء ،

هـذا الـذي أذكـر مـن الحادثـة ، ولا أعلـم أي شـيء آخـر سـوى أنه استغرق خروجي إلى حـين عودتـي مـا يقـارب الأربـع سـاعات ، ربطـوا عـيني وحملونـي إلى الـسيارة ورمونـي في مكـان قـريب مـن البيت ، لم يرنـي أحـد وأنـا في تلـك الحالـة ، دخلـت البـيت مسرعة وبقـيت أبكـي وأبكـي حتـى جفـت دموعـي ، تـبين لـي بعـدها بـأنهم اغتـصبوني وكـنت أنـزف دماً لم أصـدق مـا حـدث لـي ، أصـبحت حبيـسة لغـرفتي لم أر أبنائـي ولم أدخل في فمـي أي لقمـة ، يـا ويلـي مـن نفـسي لقـد ذهـبت إلى الجحـيم برجلـي ، كـيف سـيكون حالـي بعـد هـذه الحادثـة ، كـرهت نفـسي وحاولـت الانـتحار ، خـشيت مـن الفـضيحة ومن ردة فعل زوجي . . .

لا تـسأليني عـن أبنائـي فـبعد هـذه الحادثـة لم أعـد أعـرفهم أو أشـعر بوجـودهم ولا بكـل مـن حولـي ، حتـى بعـد أن رجـع زوجـي مـن الـسفر شـعر بالتغير الكبير والذي لم يعهـده مـن قـبل وكانـت حـالتي سيئة لدرجـة أنـه أخذنـي إلى المستـشفى بقـوة ، والحمـد لله أنهـم لم يكـشفوا علـي كـشفاً كـاملاً بـل وجدونـي في حالـة مـن الجفـاف وسـوء التغذيـة وتوقفـوا عـند ذلـك ، طلـبت مـن زوجـي أن يأخذنـي إلى أهلـي بأسـرع وقـت ، كـنت أبكـي كـثيراً وأهلـي لا يعلمـون شـيئاً ويعـتقدون أن هـناك مـشكلة بـيني وبـين زوجـي ، أعـتقد أن أبـي تخاطـب معـه ولم يـصل إلى نتـيجة حـيث أن زوجـي هـو نفـسه لا يعلـم شـيئاً ، لا أحـد يعلـم مـا الـذي حـل بـي حتـى إن أهلـي عرضـوني علـى بعـض القـراء اعـتقاداً مـنهم بأنـي مريـضة ، أنـا لا أسـتحق زوجـي أبـداً فقـد طلـبت مـنه هـذه المـرة الطـلاق وقـد كـنت في الـسابق أطلـب الطـلاق لنفـسي وهـذه المـرة أطلـبه إكـراماً لزوجي وأبـي وأبنائـي ، أنـا لا أسـتحق أن أعـيش بـين الأشـراف مطلقـاً ، وكـل مـا جرى لي هو بسببي أنا!!

أنـا التي حفرت قبري بيدي وصديق (التشات) لم يكون سوى صائد لفريسة من البنات اللواتـي يـستخدمن التـشات ، كـل من سيعرف قصتي سوف ينعتني بالغبية والساذجة ، وفي المقابـل أتمنـى بأن لا يحدث لأحد ماحدث لي ، أتمنى أن يسامحني زوجي فهو لا يستحق كل هذا العار ، وأبنائي أرجو أن تسامحوني ، أنا السبب . . أنا السبب والله أسأل أن يغفر لي ذنبي ويعفو عن خطيئتي .

الآن . . وبعـد أن قـرأت قـصة صـديقتي (والكـلام لناشرة القصة) أما آن للبنات ومن يستخدم (التشات) والشباب الذي يلهث وراء الشهوات أن يخافوا الله في أنفسهم وأهليهم ، هـي ليست غلطة الإنترنت بل نحن الذين لم نحسن استخدامه نحن الذين نترك الخير والفائدة

العظيمة ونبحث عن الشر وما هو مناقي لأخلاق المسلم ، إن الشر كل الشر في الفراغ الذي لم نحسن استغلاله فعاد علينا بالوبال ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل . .

بقي أن أقول . . . لقد توفيت صديقتي (صاحبة القصة) قبل أسابيع ، ماتت ومات سرها معها ، زوجها لم يطلقها وقد علمت أنه حزن عليها حزناً شديداً ، وعلمت أنه ترك عمله ورجع لكي يبقى بجانب أبنائه شعرت بعدها أن هذه الحياة ليست ذات أهمية ليس بها طعم أبداً إلا من استثمرها في طاعة الله ورسوله ﷺ.

الشات.. وخطوات الشيطان:

عندما ظهر اسمه فجأة على شاشة الحاسوب . . وقرأت أول عبارة كتبها: "أختاه أود أن أتعرف عليكِ" خفق قلبي بقوة ، شعرت بأنني اجتاز مرحلة من حياتي إلى مرحلة جديدة ، أحسست أن ثمة شيء ينتفض داخلي ، شيء مبهم . . شيء غامض ، ترى هل هو حب المغامرة ، الرغبة في خوض تجربة ، الأمل في أن تتغير حياتي وتتبدل لتمتزج بطعم جديد . . بشكل جديد . . برائحة مغايرة غير التي اعتدت عليها . . . . أم أن هذا الشيء الذي ينتفض داخلي ما هو إلا وخزة ضمير . . رجفة خوف من الله . . دقة على ناقوس الخطر تهتف بي أن "عودي ولا تقدمي ولا تردي . . . "ولِمَ أعد . . ؟؟

لقد اكتست حياتي ثوب الملل ، وطغت عليها صبغة الكآبة ، وأسدل عليها ستار الرتابة والتكرار والسأم . نعم أنا فتاة مثالية بشهادة أهلي ووالدي الحنونين . . بشهادة أقاربي وأصدقائي الذين لا أتوانى عن بذل جهدي في مساعدتهم ، والوقوف معهم في السراء والضراء . .

أنا مثالية بشهادة مدرستي ومعلماتي . . وما شهادات التقدير المعلقة على الحائط إلا دليل دامغ على ذلك ، بشهادة نفسي التي نهيتها عن ارتكاب المحرمات ، وصرفتها عن إتيان الصغائر والكبائر ، بشهادة نفسي التي كسوتها بلباس التقوى ورداء العفة ووشاح النقاء والطهر . بشهادة نفسي التي عزمت واعتزمت أن أسخرها لخدمة دين الله ، وأبذلها سعياً وراء كل طاعة ودحراً لكل معصية . . بشهادة نفسي التي جعلت منها قدوة لزميلاتي حتى أصبحت لديهم الناصح الأمين والمستشار المؤتمن . . بشهادة . . . . ولكن مهلاً إنه يعاود إرسال رسالة أخرى "أختاه أرجو أن تردي هل تسمحين بأن نتعارف"ما أروع هذه الكلمات . . يبدو لي أن من يرسلها لا يقل التزاماً ومثالية عني . . ولِمَ لا؟؟ . . لن أسمح إلا بالحوار

الهادئ الرصين الملتزم في حدود ما أحل الله وبعيدا عن نواهيه . . الاسم . . . السن . . المرحلة الدراسية . . . . . . انطفأ الحاسوب وأغلقت أنوار الغرفة . .

ما أروع هذا الحديث الذي دار بيننا . إنه شخصية رائعة ملتزمة رصينة . . لن أنام ليلتي . . أود أن أستعيد كل عبارة . . كل جملة . . بل كل حرف كتبناه معاً . . .

يا له من شعور مبهر باهر رائع . . وأنا أجد من يوافق أفكاري . . ويحمل ذات مبادئي . . ويسترسل معي في هذا الحديث الممتع . . مضت الأيام والأسابيع والشهور . .

رباه لم أعد أحتمل غيابه عني . . لم أعد أطيق انتظار لقائه . . لم أعد أقوى على فراق كلماته . . رباه إلى أين أسير وفي أي الدروب أمشي . ؟؟ وكل هذه الساعات التي أقضيها معه ، وأخدع بها أهلي بأني أذاكر وأدرس وأمضي الوقت في مراجعة دروسي . .

دروسي . . !! وماذا عن دروسي ومذاكرتي . . ؟؟ ما عدت أذكر منها إلا أشباحاً عالقة في الذهن . . كلما حاولت المكوث أمام كتبي تخطفني الذكريات . . وتحلق بي الآمال وأنا استعيد كلماته كلمة كلمة بل حرفا حرفاً . . وماذا عن أهلي وأقاربي وصديقاتي الذين اعتزلتهم ، وأصبحت أمضي جل وقتي معه . . وماذا عن معلماتي اللاتي . . . لكن المرة الأخيرة كان حديثه أروع وكلماته أجمل . . وحرارة مشاعره أقوى . . لقد اعترف لي بحبه إنه يحبني ويتعلق بي مثلما تعلقت به . . ولا يطيق فراق الحاسوب للقائي ، لقد طلب مني طلباً غريباً في آخر مرة . . طلب أن يأخذ رقم هاتفي لنتحدث . .

رقم هاتفي . . ؟؟ هل هذا معقول . . هل ستسمح لي تربيتي وأخلاقي بهذا . . هل يمكن أن أقدّم هذا التنازل . . ولكن . . لم لا . . ؟؟ أما يمكن أن يقضي هذا على حالة التشتت التي أصابتني ، ويوضح صورة هذا الإنسان المجهول أمامي . . ويقلل من تفكيري به . . سأتصل به أنا لقد أعطاني رقم هاتفه . . لقد حفظته عن ظهر قلب . . . . ياااه ما أروع صوته ورقة نبراته وعذوبة عباراته . . لن يسعني إلا أن أتصل به وأتواصل معه يوماً بعد يوم . . . اليوم هو يوم لقائي الأول به لقد حدد لي مواصفاته وهيئته . . سأنتظره هنا في هذا المكان العام . نعم إنه مكان عام لا غبار عليَّ في ذلك . . لكني كذبت . . كذبت على أهلي . . كذبت على أمي وأبي لأجد حجة لخروجي . . ادعيت مرض إحدى صديقاتي اللاتي كنت أزورهن وأقوم بواجب صداقتي إزاءهن . . . لقد تبدل حالي . . أكذب

وأخادع وانفرد بنفسي لساعات أصاحب خواطري واستجيب لشهوات نفسي و . . . . أتهرب من صديقاتي وألوذ بالفرار من أعينهن المتسائلة عن تبدل حالي . . وتدهور مستواي في الدراسة . . وفقدي لكافة المراكز التي حققتها في الأنشطة . . تبدل حالي ما عدت أساعد أمي ، وأفر من عيني أبي وأضيق ذرعاً بحديث ونصح أخوتي ، أغلقت باب نفسي دون الجميع وفقدت كل شيء حلو في حياتي . .

لكن وجوده في حياتي له نكهة خاصة . . لقد صدقت كل كلمات الأغاني التي بدأت تثير انتباهي وهم يتحدثون عن اللهفة واللوع والشوق لرؤية الحبيب . . ياه أظنني ألمح شخصاً بنفس المواصفات يبدو لي إنه هو . . فهو يبحث بعينيه في أرجاء المكان إنه هو يرن عليَّ . . قلبي يخفق بشدة . . ترى هل سأعجبه . . هل سيجدني فتاته التي تصورها خياله . . هل سيظل على عهده معي بالحب والمودة . . إنه يقترب . . يقترب . . يقترب . . . . لكن أين سيكون لقاؤنا القادم . . هل بنفس الشقة التي اعتدنا اللقاء فيها . . ؟؟ لكن كيف سأخرج . . لقد فرغت كل حيلي . . وافتضحت محاولاتي العديدة للكذب والتهرب ، لم يعد لأهلي ذرة من ثقة بي . . خاصة بعد أن ظهرت نتائج الامتحان ورسبت في عدة مواد . . وأرسلت المدرسة كشفا بأيام غيابي التي كنت أخرج فيها لمقابلته . . . . لكني سأحسم أمري معه . . إما أن يتقدم لخطبتي كما وعدني . . وإما . . وإما . . لكن لم يعد ثمة خيار أمامي لقد ضاع مني كل شيء: احترام أهلي وثقتهم بي . . تقدير زميلاتي . . ثناء معلماتي . . تفوقي . . مستقبلي . . بل لقد ذبحت عفتي دون أن تراق نقطة دم واحدة . . !! نعم . . فقدت عفة خواطري التي تلح وتطاردني حتى استجيب لها ، فقدت عفة بصري بعد أن اعتدت النظر إلى ما حرم الله حتى هذه المواقع التي دلني عليها وأصبحت ارتادها حتى أدمنتها ، فقدت عفة سمعي مع أول عبارة حب محرم وأول كلمة عشق آثم ، فقدت عفة جوارحي بعد أن ابتذلتها بين يدي من لا يتقي الله ولا يخافه ، من ابتغاني أداة لمتعته ، ووسيلة لتسليته ، بعدما جعلت من نفسي ألعوبة بين يديه حتى إذا ما ثارت ثائرتي لفعاله وغضبت ، أسكتني بوعد هامس بالزواج . . فقدت عفة ضميري الذي روضته على الكذب والغش والخداع ، واستباحة حرمتي ، وانتهاك كرامة جسدي . . فقدت عفة نفسي وروحي وإحساسي وخواطري بل وحتى أحلام ذاتي . ولكن ماذا بعد . . ؟؟ ماذا بعد كل هذا الانحدار الذي لا نهاية له . . إلى أي مدى سأظل أسقط وأسقط من وهدة إلى وهدة ، ومن منحدر إلى منحدر . . رباه إنه لا يرد على رسائلي ، ويغلق هاتفه

دوني، ويتهرب مني بعد أن شعر بإلحاحي في أن يتقدم لخطبتي.. لقد كتب رسالة بعد أيام من مطاردته والبحث عنه يقول لي فيها: لا يمكنني أن أمنح اسمي لإنسانة سهلة المنال مثلك.. هكذا.. أنا أصبحت صفتي وكل ما يذكره من أمري أني إنسانة (سهلة المنال).. بعد أن كنت الفتاة المثالية.. النموذج المحتذى.. الناصح المؤتمن.. بعد أن كنت مضرب المثل في الخلق والدين والعلم والثقافة أصبحت فجأة (سهلة المنال)..

نعم لديه حق لقد قادني تفريطي وتنازلي بأن أصبحت هكذا.. من مجرد كلمة كتبت على شاشة الحاسوب إلى مفرطة في أمر نفسها وجسدها وكرامتها.. هكذا وصلت إلى أسفل الدرج وقاع الهاوية.. لقد رحل ليبحث عن ضحية جديدة.. وفريسة أخرى يروى بها ظمأ نفسه العطشى التي تمرست على نصب شباك الحب والعشق لتقع فراشه تحت وطأة ضعف النفس وعذوبة التجربة وحب المغامرة..

لقد ذبحت نفسي ألف ألف مرة.. وأنا استجيب له واتبع خطوات الشيطان خطوة بعد خطوة..

لقد خنتهم خنتهم جميعاً.. خنت أهلي الذين خدعتهم ودنست ثقتهم في التراب.. خنت زوجي - إذا قدر لي الله بالزواج - والذي كان يجب أن يأخذني جوهرة مصونة.. لم تمسها عين ولم تمتد إليها يد ولم يسبقه إليها أحد.. خنت زوجي وخنت فرحتي به إذا جاء.. تلك الفرحة التي ستمتلئ بالخوف والريبة من أن يكتشف أمري ويفتضح سري وتنهار حياتي.. خنت أبنائي الذين مازالوا في رحم الغيب.. كان يجب أن يجدوا لهم أماً طاهرة الحس.. عفيفة الوجدان والشعور والخواطر.. لم تمتلئ ذاكرتها بمرارة ذكريات الذل والزلل وارتكاب المحرمات.. رباااه رحمتك يا إلهي.. هل من أمل أن ألملم شتات نفسي.. واستعيد طهارة روحي وعفاف قلبي.

ابنتي الكريمة.... في غرفة المحادثة لصوص وذئاب!!!

لعل رسالتي هذه إليك تصل بواسطة الوالد العزيز، أو الأخ الفاضل، أو الوالدة العزيزة، أو تقرئينها مباشرة من هذه المجلة. وهي ان تكوني مقتدية ببنات الرسول ﷺ وبنات الصحابة رضي الله عنهم وبالبنات المؤمنات من ذلك الزمان إلى يومنا هذا تقتدين بهن في الإيمان والأعمال الصالحة، وعلى وجه الخصوص المحافظة على العرض والعفاف والشرف والحياء، فلا تسمحي لكائن من كان بأن

يتسلق عليك أسواره، أو يخترق عليك جدرانه، بواسطة إلكترونية أو هاتفية أو يدوية أو مقابلة ومواجهة أو سواها.

إنك إن سمحت لأحد من الغرباء (وكل من ليس بمحرم فهو من الغرباء) إنك إن سمحت لأحد من أولئك الغرباء بالدخول إلى حياتك فكأنما تفتحين باب البيت لذئب مفترس هارب من حظيرته، أو حديقة الحيوان.

تخيلي يا بنيتي ذلك الذئب عند باب بيتكم - لا قدر الله - فهل ستفتحين الباب له، لكي يدخل بيت الأسرة ويصبح أفراد الأسرة تحت رحمته، يفتك بهذا، وينهش ذاك، ويهاجم هذا ويقتل ذاك.. هل يعجبكِ ذلك المنظر الرهيب الشديد.

إن الشاب الذي يتسلل إليك عبر غرفة المحادثة في الشبكة المعلوماتية أو عبر الجوال أو الهاتف أو الرسالة أو المقابلة أو سواها إنه ذئب بشري لا همّ له إلا أن يفترس الأخلاق والشرف والعرض، ولا يهمه أن تصيري مخلوقاً مدمراً ضائعاً هالكاً، ولا يهمه أن تهدر سمعة الأسرة وقيمتها الاجتماعية وسعادتها واستقرارها، ولا يهم ذلك الشاب الثعلب الغادر الماكر إلا تحقيق رغبته الجسدية الحرام، مهما تفوه بالكلمات الرقيقة والعبارات العاطفية، ومهما أقسم بأغلظ الأيمان أنه يريد التعارف والزواج.. فأولئك لصوص لا يظهرون في النور وإنما هم خفافيش لا يعيشون إلا في الظلام، وكثيراً ما صرح المثيرون من التائبين منهم أنهم لا يمكن بحال من الأحوال أن يقترن الواحد بفتاة غبية جاهلة ذات تربية سيئة، تلك التي تسمح للغرباء أن يدخلوا حياتها ولو بالهاتف فقط.

واعلمي أنك - يا بُنيتي - إذا منحت فرصة لذلك الذئب البشري أن يحادثك ويكلمك إلكترونياً أو هاتفياً أو شخصياً فاعلمي أن تلك الفرصة ستشجعه تشجيعاً عظيماً على المضي قدماً في سبيل الحصول على ما هو أكثر وسيجن جنونه، ويستخدم معك كل ما يستطيع من وسائل الخداع والإغراء حتى يظفر منك بمقابلة ولقاء، فإذا تم ذلك فإنه خلال ثوان وليس دقائق ستجدين نفسك كالخروف بين يدي الجزار الشديد، فماذا يملك الخروف لنفسه بين يدي الجزار؟ وماذا يستطيع أن يفعل؟ وهل له أي حيلة في الدفاع عن نفسه؟ ولا أظنك - يا بنيتي - إلا قد شاهدت مرة وأكثر موقف الخروف عندما يمسك به الجزار للذبح والسلخ.. إلا أن الفرق أن ذلك الجزار قد يكون متقرباً إلى الله بالأضحية أو إكرام الأهل أو الضيف أو كسب الرزق.. بينما ذلك الشاب المنحرف - قاتله الله - يتقرب إلى الشيطان

الرجيم بإغواء بنات المسلمين ونسائهم وذبح شرفهم وأعراضهم هذا الشاب منحرف لأنه استخدم عقله وعلمه وذكاءه وصحته استخداماً سيئاً . . لم يشكر الله على نعمة العقل والعلم والذكاء والصحة فيستخدمها في طاعة الله بدلاً من المعصية، وفيما ينفع إخوانه المسلمين بدلاً مما يؤذيهم ويضرهم وهو منحرف لأنه لم يعمل بقول الله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه ﴾ (١) لا بقول الرسول ﷺ : «احب لأخيك ما تحب لنفسك» .

فمهما كان وضعه لا يمكن أن يرضي أن يأتي شخص غريب فيعمل مع شقيقته أو أمه ما يفعله هو مع بنات الناس . إنك - يا بنيتي - المسؤولة الأولى والأخيرة عن نفسك ومسؤولة عن أسرتك . فبإمكانك أن تغلقي الباب دون أولئك الذئاب التي تحنق ولا تأكل، فتسلمي ويسلم دينك وشرفك . وتسلم أسرتك وسعادتها وشرفها . بإمكانك أن تكوني فتاة متعقلة ذكية حازمة . وبإمكانك أن ترتكبي المعصية والإثم وتسلكي الطريق الوعرة التي ستؤدي بك إلى المشكلات الكبيرة والمصائب الخطيرة التي ستجعلك تفكرين أو تقدمين كما فكر واقدم غيرك تحت وطأة الفضائح والمشكلات الشديدة من الفتيات الجاهلات الغبيات المنجرفات على الانتحار وقتل النفس الذي قال الله سبحانه بشأنه: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيه نَاراً ﴾ وينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ . وروى الترمذي عن جابر بن سمرة أن رجلاً قتل نفسه فلم يصل عليه النبي ﷺ . وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً» وقال عليه الصلاة والسلام: «الذي يطعن نفسه إنما يطعنها في النار، والذي يتقحم فيها يتقحم في النار والذي يخنق نفسه يخنقها في النار» . وروى أيضاً عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «من تحسا سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديده فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبداً» .

إنك - يا بنيتي - إن استجبت لتلك الذئاب البشرية فإنك بالإضافة إلى تلك المغامرات المجنونة البشعة فإنك تمارسين كبيرة من أشد الكبائر . تلك هي عقوق الوالدين، حيث تضعينهما في أزمة حقيقية طاحنة تقلقها أشد القلق، وتشعرهما بالفشل الذريع في تربيتك

---

(١) النور: ٣٣ .

وتنشئتك، وتخيفهما اشد الخوف على سمعتهما وشرفهما. ذلك الذي كان يدفع العرب في الجاهلية إلى ممارسة عادة وأد البنات خشية العار، قد يدعو عليك الوالد أو الوالدة بدعوة في لحظة تأزم وشدة فربما شقيت بها مدى الحياة. وقد قال الرسول ﷺ (ثلاثة لا ترد دعوتهم) وذكر منها دعوة الوالد ،ولده فحذار حذار يا بنيتي[1]!

الشات وخطره "قصص وعبر":

إن الإنترنت وسيلة جميلة جدًا ومفيدة لمن يستخدمها خير استخدام؛ لأنه سلاح ذو حدين، فمن استخدمه في الخير فجزاه الله خير الجزاء، ومن استخدمه في الشر، فأسأل الله أن يجازيه بما يستحق.

فقد شاع في أيامنا هذه مشكلة الشات، ونرى كثرة وقوع الفتيان والفتيات في الشراك الذي نصب لهم من أعداء الأمة، بأن يجعلوا الشباب هدفهم الأساسي هو التحدث مع الجنس الآخر أن يجعل كل جنس ينال إعجاب الجنس الآخر، ولا يبالي إذا كان هذا عن طريق حرام أم حلال، المهم عنده أن يشبع غرائزه الشيطانية، ولم يقتصر ذلك فقط على الفتيات الغير متزوجات، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد أن تنجرف المرأة المتزوجة والذي يفترض بها أن تكون أصبحت ناضجة وعاقلة، نجدها وللأسف الشديد تنجرف وراء وساوس إبليس اللعين، ويصل بهن الحد إلى كره ما أحل الله لهن ويزين الشطان لهن حتى يرين أن السعادة مع ذلك الشخص الذي تعرفت عليه عن طريق الشات - عفانا الله وإياكم.

هذه القصة عندما قرأتها لم أتمالك نفسي وبكيت من شدة الحسرة التي شعرت بها على هذه الأمة، التي تنزلق وراء شهواتها - إلا ما رحم ربي - وهذه قصة واحدة وما خفي كان أعظم، وهذا هو ونقرأ في ثنايا القصة أنها تعلمت طريقة التصفح على الإنترنت عن طريق صديقاتها، إذًا فإن صديقاتها كن رفيقات سوء لها، إذًا الصحبة الصالحة لها دخل كبير جدًا في التوجيه الصحيح للأبناء والبنات. أين أتم يا أولياء الأمور؟!!! . أين أنتم من أبنائكم وبناتكم؟!!! .

اتقوا الله فيهم، فهم أمانة في أعناقكم، وستسألون عنهم يوم القيامة!!.

ألم تقرءوا حديث رسول الله ﷺ الذي جاء في صحيح البخاري حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا

---

(١) د. حمدان بن محمد الحمدان مجلة الدعوة/ العدد ١٩٠٢ / بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٤ يوليو ٢٠٠٣م/ بتصرف.

عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْأَمِيرُ رَاعٍ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، أين الغيرة في قلوبكم؟!!!.

لماذا تدمرون أبناءكم وبناتكم بترك وسيلة مثل الإنترنت في أيديهم دون توعية؟!.

لماذا تلقون بهم إلى الهلاك؟!.

- والعياذ بالله - الأب يهمل أولاده بحجة أنه يبذل جهدًا كبيرًا في العمل لكي يأمن المستقبل لهم.

والأم منشغلة إما في عملها وإما تتسامر مع صديقاتها عن طريق الهاتف أو عن طريق الزيارات الكثيرة ،وإذا أمعنا النظر نجد أن مثل هؤلاء الشباب ترعرعوا في منزل مثل هذا الذي ذكرت، وبالطبع بعيد عن التدين كل البعد. الأم والأب يهملون أبناءهم وبناتهم لذا نجدهم يتوجهون إلى الإنترنت لتنفيس ما لديهم مع أصدقاء السوء في ما يسمى بالشات دون رقابة فالملام هنا الآباء والأمهات وليس الأبناء - والله المستعان -.

نسأل الله العلي القدير أن يصون شباب الأمة عن عمل المعصية، وأن يحمي بناتنا من الانجراف وراء الشهوات(١).

الغناء في سطور:

* قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢) هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو ويرددها ثلاثا(٣).

* قال رسول الله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرى والحرير والخمر والمعازف»(٤).

* قال أبو بكر الصديق: " الغناء والعزف مزمار الشيطان ".

* قال أصحاب الإمام أبي حنيفة: " استماع الأغاني فسق والتلذذ بها كفر ".

---

(١) محمد إبراهيم الغباشي.

(٢) (٦) سورة لقمان. قال ابن مسعود في هذه الآية:.

(٣) [تفسير ابن كثير٤/ ٤٤١].

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ١٠/ ٥١.

* **قال الإمام أحمد:** " الغناء ينبت النفاق في القلب ".

* **قال الإمام القرطبي:** الغناء ممنوع بالكتاب والسنة:

* **قال الإمام ابن الصلاح:** " الغناء مع آلة، الإجماع على تحريمه ".

* **قال ابن القيم رحمه الله:** " الغناء بريد الزنا "

أختي المسلمة..

يا من تحب الله ورسوله نقول لك: " **فماذا بعد الحق إلا الضلال "؟!**

فتـــوى:

ما حكم استماع الموسيقى والأغاني، وما حكم مشاهدة المسلسلات التي يتبرج فيها النساء؟

ج - استماع الموسيقى والأغاني حرام ولا شك في تحريمه، وقد جاء عن السلف من الصحابة والتابعين أن الغناء ينبت النفاق في القلب واستماع الغناء من لهو الحديث والركون إليه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ سورة لقمان.

قال ابن مسعود في تفسير الآية: " والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء " وتفسير الصحابي حجة وهو في المرتبة الثالثة في التفسير لأن التفسير له ثلاث مراتب: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة. حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسير الصحابي له حكم الرفع، ولكن الصحيح أنه ليس له حكم الرفع، وإنما هو أقرب الأقوال إلى الصواب. ثم إن الاستماع إلى الأغاني والموسيقى وقوع فيما حذر منه النبي ﷺ بقوله: «**ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحرى والحرير والخمر والمعازف**» يعني يستحلون الزنا والخمر والحرير وهم رجال لا يجوز لهم لبس الحرير والمعازف هي آلة اللهو [رواه البخاري من حديث أبي مالك الأشعري أو أبي عامر الأشعري] وعلى ذلك فإن أوجه النصيحة إلى إخواني المسلمين بالحذر من سماع الأغاني والموسيقى، وألا يغتروا بقول من قال من أهل العلم بإباحة المعازف فالأدلة على تحريمه واضحة وصريحة، وأما مشاهدة المسلسلات التي بها النساء فإنها حرام مادامت تؤدي إلى الفتنة بالمرأة والمسلسلات كلها غالبها ضارة حتى وإن لم يشاهد فيها المرأة أو تشاهد المرأة الرجل لأن أهدافها في الغالب ضرر على المجتمع في سلوكه وأخلاقه.. أسأل

الفتنة بالمرأة والمسلسلات كلها غالبها ضارة حتى وإن لم يشاهد فيها المرأة أو تشاهد المرأة الرجل لأن أهدافها في الغالب ضرر على المجتمع في سلوكه وأخلاقه.. أسأل الله تعالى أن يقي المسلمين شرها وأن يصلح ولاة أمور المسلمين لما فيه إصلاح المسلمين.. والله أعلم[1]. اهـ.

ابحثي عن البديل:

أختي الكريمة: أود أن أسأل سؤالاً مهماً كيف أعمل فيما يتبقى لدي من الوقت لي ولأبنائي؟

- إن منع هذا الجهاز الفاسد المفسد من بيتك ليس بالأمر السهل ولكن الأصعب أن تعالجي الأضرار بعد وقوعها وأن تستخرجي الأدواء بعد استفحالها، وليكن زادك في ذلك الصبر والمصابرة والدعاء والتضرع إلى الله بأن يعينك في مهمتك في درء هذه المفسدة العظيمة ووقاية بيتك وأبنائك من شرها وأوصيك بأن تضعي نصب عينيك قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[2] وقول النبي ﷺ: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

وتستطيعين يا عزيزتي تعويض أبنائك بما هو خير البدائل كالأفلام والأشرطة الإسلامية المرئية والمسموعة وكالألعاب المباحة والمسابقات المفيدة والمتنوعة وكذلك أجهزة الكمبيوتر العصرية وغيرها..

كما لا يفوتني أن أذكرك بأمر هام فيه خير عظيم، ألا وهو إلحاق الأبناء بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، والمراكز الصيفية وقت الإجازات فلئن ينشأ أبنائك على حب القرآن خير لهم من أن ينشأوا على حب الفحش والغناء.

وبذلك تأكدي أنه لن يبقى في وقتهم فراغ بعد ذلك وأنت كذلك يا أختي: لا تحرمي نفسك من الأجر والثواب العظيم في مجالس الذكر التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة ويذكرها الله فيمن عنده وها أنت ترين أن دور تحفيظ القرآن الكريم الخاصة بالنساء أصبحت منتشرة في كل مكان ولله الحمد.

أختي الكريمة: ولكن أطفالي الصغار ماذا أفعل بهم؟

يمكنك أن تضعيهم عند أهلك وما هي إلا ساعة زمان وتعودين إليهم وانظري كم من الساعات تضيع علينا ولا نحسب لها حساباً أو يمكنك أن تضعيهم في الحضانة التابعة للدار

---

(١) (فتوى الشيخ ابن عثيمين من كتاب فتاوى المرأة ص ١٠٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢.

نفسها إنه فضل عظيم من الله فماذا نريد بعد ذلك؟!

وتأكدي بأنك لن تعرفي النور إلا معهم ولن يكون لحياتك قيمة إلا بهم واسألي - إن شئت - من جرب قبلك كيف ندموا على أوقاتهم التي أضاعوها بدون كتاب وكيف انتظمت أوقاتهم وتباركت أعمالهم بعد أن ساروا في طريق الله وليكن الإخلاص والصبر زادك .

ولك مني دعوة صادقة:

بأن يوفقك الله لكل خير وينير دربك ويسدد خطاك ويبارك فيك وفي أعمالك ويصلح لك النية والذرية إنه سميع مجيب ولكل أخت سارت على دربك دعوات صادقات بالنصر والثبات .

أختاه... حاسبي نفسك:

قد لا يخفاك يا أختي الكريمة أن النساء أكثر أهل النار كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولعل ذلك بسبب اتباعنا لأنفسنا وأهوائنا ، وميلنا إلى الدنيا والتزين لها ، وقلة محاسبتنا لنفوسنا .

إن النفس أمارة بالسوء كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾ سورة يوسف وهي بطبيعتها تميل إلى الشهوات واللذات ولذلك تحتاج منا إلى محاسبة دقيقة ومجاهدة قوتة . .

نسائلها دوماً: لم فعلت ذا؟! ولم تركت ذاك؟!

ألا تتقربين إلى الله؟! ولماذا لا ترجين النجاة؟!

يا نفس ألا تخافين من النار؟!

وإذا كنت تخافين فلم تعصين؟! وعن طريق تبعدين؟!

هل تريدين النعيم والخلود؟! أم تريدين الفناء والزوال؟!

هل الدنيا أحق بالاهتمام أم الآخرة؟!

يا نفس ، أليس لك في الموت ذكرى؟! أليس لك فى غيرك عبرة؟! متى تصحين من الغفلات؟! وتعودين لخالق الأرض والسموات؟! يا نفس اصبري عن هذه المحرمات تنالي رضى ربك والفوز بالجنات .

يا نفس لك أرجو النجاة فهيا سارعي للخيرات .

الطريق إلى محاسبة النفس:

١ - نحاسبها أولاً على الفرائض هل هي كاملة أم لا فإن كان فيها نقص تداركناه بالقضاء أو بالإصلاح.

٢ - ثم نحاسبها على ما نهانا الله فإن ارتكبنا شيئاً منها نتداركه بالتوبة والاستغفار ونتبعها بالحسنات الماحية.

٣ - ثم نحاسب أنفسنا على الغفلة، فإن وجدنا أنا قد غفلنا عما خلقنا الله له تداركنا ذلك بالذكر والإقبال على الله تعالى.

٤ - ثم نحاسب النفس أخيراً بما تكلمنا به أو مشت أرجلنا إليه أو بطشت أيدينا به أو سمعته آذاننا أو رأت أعيننا إليه.

المحرم يقيك المغرم "بإذن الله":

إن مما أمرنا الله تعالى به في كتابه العزيز غض البصر عن النظر إلى المرأة الأجنبية عنا، مثل بنت عمنا وبنت خالنا وغيرهن من النساء ممن هن لسن لنا بمحارم: "فإن ذوات القربى التي يصح لنا زواجهن لسن بمحارم". قال تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.

وكذلك أمر الله تعالى النساء بغض النظر إلى الرجال الأجانب عنهن، قال تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن.

وما ذلك الأمر إلا لأن النظر رسول الفتنة وبريد الفساد، وقال شاعر

كل الحوادث مبدؤها من النظر ::: ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في ::: أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ::: فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ::: لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وفي القصة التالية سترى كيف رأى أحد الرجال امرأة تطوف ببيت الله الحرام فأعجبته؛ فلم يغض بصره عنها، بل استرسل في النظر إليها وحاول التكلم معها، ولكنها راقبت الله تعالى واجتهدت في صده عن غيه.

جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى ما نصه: "بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف بالبيت فأعجبته، فسأل عنها فإذا هي من البصرة، فكلمها مراراً فلم تلتفت إليه، وقالت: إليك عني فإنك في حرم الله، وفي موضع عظيم الحرمة.

فلما ألح عليها ومنعها من الطواف أتت محرماً لها، وقالت له: تعال معي أرني

المناسك، فحضر معها، فلما رآها عمر بن أبي ربيعة عدل عنها، فتمثلت بشعر الزبرقان السعدي:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ::: وتتقي مربض المستأسد الضاري

فبلغ الحاكم خبرهما: فقال: "وددت أنه لم تبق فتاة في خدرها إلا سمعته".

تنبيه:

ولأهمية وجود المحرم كالابن والأخ والأب وابن الأخ وابن الأخت والعم والخال مع المرأة في بعض الحالات لئلا تعدو عليها الذئاب نجد أن النبي ﷺ أمر المرأة بأن تجعل معها محرماً في حالتين:

الأولى: إذا أرادت أن تختلي بأجنبي عنها.

الثانية: إذا أرادت أن تسافر.

جاء في الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»**[1].

وجاء في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها»**[2].

وفي رواية: "مسيرة يوم"، وفي أخرى: "مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو حرمة منها".

وكل امرأة لا تلتزم بالتوجيه النبوي الوارد في الحديثين أعلاه لتكن على علم بأنها عاصية لله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وتجب عليها التوبة والرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، فإن الموت يأتي بغتة.

نسأل الله السلامة والعافية مما يحدث اليوم بين ظهرانينا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أتعرفين من تعصين!!:

* إذا سولت لك نفسك معصية فتذكري من ذا الذي تعصينه إنك تعصين خالق

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح مسلم.

السموات والأرض، من لـه الملك كله، من لـه الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة . .

من إذا أراد شيئاً قال لـه كن فيكون سبحانه وتعالى .

* إن الله عظيم ونحن ضعفاء . . إن الله غني . . ونحن فقراء .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[١] .

"وما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض " .

* إنه تعالى غني عنا وعن عبادتنا ولو كنا جميعاً أتقياء أنقياء ما زدنا في ملكه شيئاً "ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " .

* إن لله ملائكة لا يحصي عددهم إلا هو سبحانه وتعالى، يسبحونه بالليل والنهار لا يعصونه طرفة عين، يطوف بالبيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى .

إن ملكاً من ملائكة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وقد أذن لنبينا عليه صلوات الله وسلامه أن لجذث عن ملك قدميه في الأرض ورأسه تحت العرش .

فمن نكون نحن الفقراء الضعفاء حتى نعصيه ونخالف أوامره؟!

ومن المستفيد من الطاعة والعبادة؟! بل ومن الخاسر بالمخالفة والمعصية؟! أما آن لنا أن نفقه قول الله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[٢] .

تذكري يوماً عظيماً!!!

يوماً تشيب لهوله الولدان الذين لم يقترفوا ذنباً قط فكيف بمن يقارف الذنوب والمعاصي

(١) (٢٥٥) سورة البقرة .

(٢) (٧) سورة الإسراء .

بالليل والنهار . . تذكري ذلك اليوم يوم يختم على فيك ويقال لأركانك انطقي فتنطق بأعمالك فليت شعري بم ستنطق عينك وهي تنظر للحرام، وبم ستنطق أذنك وهي تسمع للغناء، وبم ستنطق يدك وهي تقلب تلك القنوات؟!! سنقف جميعاً بين يدي الجبار فيسألنا عن كل صغيرة وكبيرة ترى ماذا سنقول وأيما جواب سنجيب إذا سألنا عن عمرنا فيما أفنيناه؟!

أنقول: أمام الدش والتلفاز ذهبت أوقاتنا يا رب!!

أفي النظر في وجوه المومسات!!

وفي متابعة الأغاني والمسلسلات!!

وفي مشاهدة الأفلام والمباريات والدعايات!!

وفي عرض الأزياء والموضات!!

هكذا يارب قضينا أكثر الأوقات!!

تباً لما كان هذا جوابه . . وخسراً لمن هذا مآله وحاله .

هل تطيقين النار؟!:

لا والله يا أختي لا نطيق النار لحظة، وها أنت ترين قلة صبرنا على لسعة من نار الدنيا فكيف بنار الآخرة، التي فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها .

تعالي معي لنقف على بعض الآيات والأحاديث في وصف جهنم وأهلها أعاذنا الله وإياك منها:

١ - يقول الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾[1] إنها نار عظيمة تأكل كل شيء لا تبقى ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطون وتطلع على الأفئدة لا تنطفئ ولا تخبو مع الأيام، قعرها بعيد وحر شديد وماؤها الحميم يصب فوق رؤوس الكافرين ولشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم وظلها اليحموم (قطع الدخان) وقودها الناس والحجارة أهلها خالدون فيها أبداً لا يرحلون ولا يبيدون ولا يموتون ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم

(١) سورة الحج ١٩ - ٢٠].

مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[١] .

٢ - قال رسول الله ﷺ : «**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**» . وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً**» وفي رواية مسلم والترمذي: «**مسيرة ثلاث**» ، «**وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**»[٢] وهذا التضخيم لصورهم ليكون أبلغ لهم في التعذيب .

٣ - قال عز وجل: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** ﴾[٣] .

إذاً هذا هو طعام أهل النار يأكلون من شجرة الزقوم وهي شجرة خبيثة جذورها تضرب في قعر النار قبيحة المنظر كأنها رؤوس الشياطين ومع ذلك لا يجد أهل النار طعاماً غيرها فيأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم فإذا امتلأت أخذت تغلي في أجوافهم فيتألمون لذلك ألماً شديدا فيندفعون إلى الحميم ذلك الماء الحار الذي بلغ منتهى الحرارة فيشربون منه كشرب الإبل التي تشرب وتشرب ولا ترتوي لمرض أصابها وعند ذلك يقطع الحميم أمعائهم وقد صور لنا الرسول ﷺ شناعة الزقوم وفظاعته فقال "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه " .

٤ - أما أهون أهل النار عذاباً فقد قال عنه ﷺ : «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**» .

٥ - أما حالهم فهم في بكاء وعويل وندم شديد يبكون حتى تنتهي الدموع ويتمنون الرجوع ولكن هيهات قال ﷺ : «**يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ولو ارسلت فيه السفن لجرت**» .

بسمة: نسأل الله أن يعيذنا من النار وأهلها وأن يبعدنا عنها فوالله إنا لا نطيقها ولا نصبر على حرها وعذابها ، وكم نحن بحاجة لمن يذكرنا ويخوفنا ويعظنا وينبهنا فالقلوب قاسية والنفوس لاهية والدنيا غرور .

---

(١) (٣٦) سورة فاطر .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) [سورة الواقعة ، الآيات: ٥١ - ٥٦] .

وسائل وبرامج مقترحة لصد الهجوم على المرأة:

- فضح دعاة تحرير المرأة وأساليبهم .
- استغلال أماكن التوجيه المقامة (جمعيات ، منابر ، مدارس . . .) لتوجيه المرأة وتعليمها وتثقيفها .
- إعداد ووضع البرامج الأسرية .
- طرح حلول لمشاكل المرأة في المجتمع من الوجهه الشرعية .
- فضح أماكن الفساد (منتزهات ، كوافير ، مقاهي انترنت . . .) .
- إيجاد وسائل بديلة لتوعية النساء .
- السعي في إعداد بعض القيادات النسائية من الخيرات للرد على دعاة الفساد (فكلمة المرأة أقوى تأثير من كلمة الرجال فيما يخصها) .
- ربط النساء بالقدوات الصالحة من السلف الصالح .
- نشر الأنظمة والقرارات التي تمنع تجاوزات النساء .
- فضح المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة والتوصيات الصادرة منها .
- فضح المعاهدات التي تتم بين الدول حول موضوع المرأة . . .
- رصد جميع الدعاوى لتحرير المرأة وإفسادها في هذا البلد والرد على جميع من يدعون إلى تغريب المرأة المسلمة .
- تنويع أساليب الرد وجمع الحشود ضد دعاة التغريب .
- إيجاد بدائل إعلامية للمرأة .
- إعداد ملفات متكاملة عن وضع المرأة في هذا البلد وما يراد منها وتوزيعه على المشايخ وطلبة العلم وأهل الغيرة .
- المبادرة بأطروحات تحافظ على مكانة المرأة وتبعدها عن الفساد .
- إيجاد البدايل المكانية للأسر .
- ستصدار فتاوى شرعية مسبقة لبعض الأمور التي يخشى أن تقع في المستقبل .
- إيجاد متخصصين في الدراسات الاجتماعية .
- السعي في إبراز قيادات اجتماعية مؤثرة .

* تقديم النصيحة لأهل الباطل .
* ربط الناس بالله وبالمحكمات .
* تعليم الأسر وتفيعل دورهن في الدعوة إلى الله .
* استغلال الوسائل الإعلامية (خاصة الانترنت ، وخاصة مواقع الناس في الدعوة إلى الله وفي فضح أهل الفسادوأعمالهم) .
* جمع الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة والرد عليها بدراسات محكمة .
* إيجاد بعض الكتاب يتحققون في الكتابة عن المرأة .
* إيجاد مدارس ومحاضن تربوية أو كليات وجامعات .
* توعية الداعيات بما يراد من المرأة .
* طرح الفروق الفردية بين النساء .
* إظهار الأرقام عن واقع المرأة الغربية وتحللها .
* إيجاد مركز معلومات عن المرأة .
* توجيه الدعوة الأسرية في القبائل والأسر الكبيرة .
* احتساب الأجر في الأنكار على دعاة تحرير المرأة .
* توجيه نساء الخيرين لأعمال البر .
* اكتشاف الطاقات النسائية .
* دعم المجالات النسائية الجيدة .
* تفعيل النساء في المجال الاجتماعي .
* الاهتمام بنساء النخبة .
* اهتمام كل فرد بأسرته .
* إقامة المخيمات الدعوية (القسم النسوي) .
* التوسع في فتح دور التحفيظ .
* الدخول في الجمعيات النسائية .
* تجهيز خطب وتقارير في مواقع الخطباء .
* التواصل مع أهل الخير الغيورين المؤثرين للإنكار .

* الزواج المبكر .
* السعي في تمكين الطيبات من الأعمال الإدارية النسائية .
* إيجاد مراكز اجتماعية متخصصة .
* السعي في وجود قيادات شرعية نسائية .
* الاستفادة من بعض الكاتبات الجيدات في الصحف .
* نشر إحصائيات مخيفة عن حالة الغرب وأثر انحلال المرأة في انهيار المجتمع .
* فتح مواقع في الانترنت خاصة بلامرأة وتوجيهها .
* دعم المجلات والصحف النسائية الجيدة ونشرها .
* استغلال أوقات الفراغ ببرامج ومشاريع دعوية .
* مخاطبة الفطرة وإبرازها .
* نشر اعترافات تائبات وعاملات وموظفات في الدول الإسلامية .

* * * * *

خاتمة الكتاب

وأخيراً... أختاه:

لقد أعطى الإسلام للمرأة قيمة عظيمة لم يعطها أي دين سابق ولا شريعة ولا قانون أرضي فهي لها القيمة المادية العظمى المتمثلة بالذهب كما لها القيمة الاعتبارية الجليلة إذ أنها تربي الأجيال وتحفظ النسل فهي تمثل العمود الفقري في الحياة.

ومثلها كمثل الدرة المحفوظة في لوح زجاجي يمنع لمسها إلا لصاحبها.

وعلى هذا الأساس تآمر الغرب على المرأة في أمتنا وأوهموا ضعيفات.

الإيمان بأن نزع الحجاب ولبس اللآلئ والتزين والسفوروالإتكيت والموضة ومعارضة الوالدين كل ذلك من باب التحضر، كما أوهموها بأن ضرورة إيجاد الحبيب لهن هو من دواعي الشخصية الحديثة المتطورة والإستقلال في التفكير وأن الخلق والحشمة والتصرف السليم المبني على الشريعة.

والدين في كل مجالات الحياة هو من دواعي الرجعية والتخلف.. إلا ساء ما يحكمون.

وقد قال مسؤول غربي: لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن!

أي لن يستطيع الغرب الحاقد السيطرة على الشرق المسلم حتى تزيح المرأة المسلمة الحجاب عن وجهها.

وتنبذ كتاب الله وراء ظهرها، وهذا ما أرادوه لنسائنا ومجتمعاتنا واستجاب لهم الكثيرون مخدوعين.

تارة ومقلدين تارة أخرى بينما رفض هذه العولمة القديمة النساء المؤمنات والعوائل المحافظة.

ولهؤلاء المساكين المقلدين نقول: إنكم بهذا اشتركتم ليس فقط في جريمة إغضاب رب العالمين.

وترك الشرع الحنيف وإنما أصبحتم مشتركين في جريمة هدم مابنته أجيال وأجيال من خلق عظيم وتعاليم سامية ودفعت بسببه دماء زكية طاهرة كثيرة على مدى أكثرمن ١٤٠٠ عام!!

أختــــاه:

احذري على دينِك ، وعلى عقلِكِ ، وعلى أخلاقِكِ ، وعلى مبادئكِ العقَديّة ، واحذري مِـن أن تكوني مُشاركةً ، أو موافِقةً في أيِّ مُنكرٍ قوليٍّ أو عمليٍّ ، وقدّمي رِضا اللهِ على رِضا الـنّاس ، واحرِصي أَن تجعلي من حبِّكِ للهِ ، وحُبِّكِ لما يُحِبُّهُ ويرضاه ، دافِعاً ، ووسيلةً لتغيِيرِ هـذا الواقـعِ لِيـتَوافَقَ مـع هـذه المحبّة ، فتسْعدِي حينئذٍ ، ويَسْعَدَ مُجْتَمَعُكِ سعادةً حقيقيّةً في الدّنـيا والآخِـرة ، إنّهم ، يا رعاكِ الله ، يريدون أن يجعلوا مِنكِ مِعْوَلَ هدْمٍ ، فكوني يَدَ بِناء ، وأبشري بعد ذلك بالفلاح . . . .

تأمّلـي طـويلاً في واقِـعِ حـياتِكِ مِـن خِلالِ ما قرأتي اسال الله أن ينفعنا بما علمنا ،وأن يعلمـنا مـا ينفعنا ، فإنّ العُمُرَ يمضي بسُرْعة . . فلا تدَعِيهِ يمضي وأنتِ مِنه في غفْلة ، والموتُ يأتي بغْتة ، فاستعِدّي لـه مِن هذه اللحظة . . . أسأل اللهَ تعالى أن يهدِيَنا جميعاً سبُلَ السّلام ، وأن يُخرجَنا مِن الظُّلُماتِ إلى النّور ، وأن يقِيَنا شرَّ كُلِّ ذي شرٍّ ، وأن يُثبّتَنا وإيّاكِ على الهدى حتّى نلقاه ، إنّه سميعٌ قريبٌ مُجيب . . . . آميـــــن .

تم بحمد الله

* * * * *

المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- ابن جرير الطبرى .
٣- ابن سعد في الطبقات .
٤- البيهقي في السنن الكبرى .
٥- المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي .
٦- أحكام النساء ابن الأثير الجزري - أسد الغابة في معرفة الصحابة .
٧- إعلام الموقعين .
٨- آداب الزفاف .
٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير .
١٠- الذهبي في سير أعلام النبلاء .
١١- المغني ، لابن قدامة .
١٢- السنة للخلال .
١٣- المسلمة في الكتاب والسنة .
١٤- التسهيل لعلوم التنزيل .
١٥- الترغيب والترهيب .
١٦- التسهيل لعلوم التنزيل .
١٧- الرحيق المختوم .
١٨- المرأة بين الجاهلية والإسلام .
١٩- الطبراني في المعجم الكبير .
٢٠- الأدب المفرد .
٢١- الآداب الشرعية لابن مفلح .
٢٢- الانتصار للشريف المرتضى .
٢٣- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم ١٩٣٨ - في ٢٤/ ٥/ ١٣٩٨هـ .
٢٤- البخاري كتاب الأدب .
٢٥- شبكة نور الإسلام .
٢٦- تفسير ابن جرير الطبرى .
٢٧- تفسيرالقرآن العظيم .
٢٨- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .

٢٩- تفسير المراغي .

٣٠- تفسير ابن كثير .

٣١- تفسير في ظلال القرآن .

٣٢- تحفة العروس .

٣٣- تحرير الوسيلة الخميني .

٣٤- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي .

٣٥- جامع العلوم والحكم .

٣٦- جلباب المرأة المسلمة ص٢٦ .

٣٧- دكتور محمد محمود عبد الله . الرياض . دار الشواف ، ١٩٩٣ .

٣٨- دكتور محمد ندا . الحجاب وتأثيره على صحة وسلامة الشعر ، مقالة .

٣٩- دكتور محمد محمود عبد الله . كيف نربي أولادنا؟ الرياض . دار الشواف ، ١٩٩٣ .

٤٠- دكتوره هويدا اسماعيل . أعذار من لا ترتدي الحجاب وبيان تهافتها ، مقالة .

٤١- دكتور مصطفى السباعي - المرأة بين الفقه والقانون .

٤٢- روح المعاني .

٤٣- زاد المسير في علم التفسير .

٤٤- سعاد عبد الرحمن الولايتي . عوديها الحجاب: مقالة على موقع لها أون لاين .

٤٥- سنن الترمذي .

٤٦- سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية محمد بن أحمد المقدم - دعوة الحجاب ، القسم الثالث ص ٤٠٩ - ٤١٠ ، ط التاسعة ١٤١٥هـ ، دار طيبة - الرياض .

٤٧- سنن البيهقي .

٤٨- سنن ابن ماجة .

٤٩- سنن النسائي .

٥٠- سنن أبوداود .

٥١- سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرسائل والفتاوى النسائية ص ٢٠ - ٢٢ ، ط الأولى ١٤٠٩هـ ، دار طيبة - الرياض .

٥٢- سير أعلام النبلاء للذهبي .

٥٣- شخصيةالمرأة المسلمة في صور القرآن والسنة .

٥٤- شخصيةالمرأة المسلمة (كما يصوغها الإسلام في القرآن والسنة) .

٥٥- شعب الإيمان .

٥٦- صيد الفوائدعلى شبكة الإنترنت .

٥٧- صفوة البيان لمعانى القرآن .
٥٨- صفوة التفاسير .
٥٩- طبقات ابن سعد .
٦٠- ظلم المرأة للهبدان .
٦١- عون المعبود .
٦٢- عبلة محمد سعيد . الإيمان أم الحجاب؟! مقالة .
٦٣- فتح القدير .
٦٤- فضيلةالشيخ" محمد ناصر الدين الألباني" . حجاب المرأة .
٦٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري .
٦٦- فضيلة الشيخ "محمد راتب النابلسي .
٦٧- فتياتنا بين التغريب والعفاف ، د . ناصر العمر ، (ص٥٨) .
٦٨- فتوى الشيخ ابن عثيمين من كتاب فتاوى المرأةص ١٠٦ .
٦٩- فقه السيرة النبوية .
٧٠- فصل الخطاب في المرأة والحجاب .
٧١- قالوا عن الإسلام د . عماد الدين خليل .
٧٢- كشاف القناع .
٧٣- كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين؟! .
٧٤- مدارك التنزيل .
٧٥- محمد سعيد مرسي . فن تربية الأولاد في الإسلام ، ج٢ ؛ ص ١٢٩ .
٧٦- موطأ مالك .
٧٧- مصطفى صبري - قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب .
٧٨- نظرات في الأسرة المسلمة .
٧٩- مستدرك الحاكم .
٨٠- مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة) للدكتورة مكية مرزا .
٨١- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الشافعي ٦/ ١٨٧-١٨٨) .
٨٢- نيل الأوطار للشوكاني .
٨٣- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الشافعي .
٨٤- هبة حسين . طفلك واحترام ذاته . القاهرة . دار المعارف ، ١٩٩٧ .

* * * * *

كتب مطبوعة للمؤلف

١ - إحكام الأحكام في تجويد القرآن/ مكتبة الإيمان المنصورة

٢ - النفاق وأثره في حياة الأمة/ مكتبة جزيرة الورد القاهرة

٣ - المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب/ مكتبة الإيمان المنصورة

٤ - النبى ﷺ كأنك تراه(قيم إنسانية من حياة الرسول ﷺ / مكتبة الإيمان المنصورة

٥ - المرأة بين عز الإسلام وذل الجاهلية المعاصرة/ مكتبة الإيمان المنصورة

* * * * *

كتب تحت الطبع ستصدر قريبا إن شاء الله

دراسة منهجية من القرآن والسنة فى:

١ - تربية الطفل/ مكتبة الإيمان المنصورة

٢ - شخصية المسلم فى ميزان الشريعة/ مكتبة الإيمان المنصورة

٣ - منهج الطبري في تفسير القرآن: التفسير بالمأثور/ مكتبة الإيمان المنصورة

٤ - خطورة رفع الإسرائيليات والموضوعات إلى الرسول في كتب التفسير/ مكتبة الإيمان المنصورة

٥ - إلا من أتى الله بقلب سليم/ مكتبة الإيمان المنصورة

٦ - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة/ مكتبة الإيمان المنصورة

* * * * *

الفهرس

مقدمـــة ٥
أهمية الموضوع ١١
المرأة عند غير المسلمين: ١٢
الباب الأول: المرأة والتربية ١٥
الفصل الأول: كيف تربي المرأة ذاتها؟! ١٦
المبحث الأول: أسس وأُطر تربوية عامة ١٦
المبحث الثاني: خطوات تربية المرأة ذاتها ١٩
المبحث الثالث: المنهج الإيماني الذي رسمه السلف في تربية الأولاد ٢١
المبحث الثالث: تخلى المرأة المسلمة عن واجباتها هو أصل المشكلة ٢٥
العلاقة بين التربية والتعليم: ٢٦
رسالة المرأة في الحياة: ٣٠
أثر تربية المرأة في تحقيق التنمية الشاملة: ٣٠
الفصل الثانى: تربية البنات من المهد إلى الزواج ٣٤
تمهيد ٣٤
تعليم البنت واجب أم لا؟! ٣٧
المبحث الأول: ضوابط الإسلام فى هذا الجانب ٣٨
المبحث الثانى: من يقوم بالتربية الجنسية؟ ٤٠
كيف ننمي في المراهق قدرته على الضبط والتحكم في الرغبة الجنسية؟ ٤١
المبحث الثالث: دور الوالدين في التربية الجنسية ٤٢
المبحث الرابع: نماذج من تساؤلات المراهقين والمراهقات وإجابتها العلمية ٤٤
- ما هي الدورة الشهرية وكيف تحدث؟ ٤٤
المبحث الخامس: التربية الجنسية في المنهج الإسلامي ٤٥
١ - التفريق في المضاجع: ٤٥
٢ - الاستئذان: ٤٥
المبحث السادس: مجالات إشباع الجانب الجنسي ٤٦
المبحث السادس: نصائح عامة في التربية الجنسية ٤٧

إذا كيف نتعامل مع المراهقين في هذا الجانب؟: ٤٩
المبحث السابع: ختان الإناث ٥٢
المبحث الثامن: المرأة والمجتمع ٥٨
الفصل الثالث: المنهج القرآني فى تربية المرأة المسلمة (تربية المرأة في سورة التحريم)........ ٦٢
المبحث الأول: أهمية تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية........ ٦٢
المطلب الأول: المرأة مصنع الأمة وأساس بنيان........ ٦٢
المطلب الثاني: أولا: التعريف بسورة التحريم ٦٣
المطلب الثالث: ١- تربية المرأة على عدم تحريم ما أحله الله ٦٤
المطلب الرابع: ٢- تربية المرأة على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٦٥
المطلب الخامس: ٣- تربية المرأة على التوبة ٦٥
المطلب السادس: ٤- تربية المرأة على كتم الأسرار........ ٦٦
المطلب السابع: ٥- تربية المرأة على الإيمان........ ٦٦
المطلب الثامن: ٦- تربية المرأة على عبادة الله ٦٧
المطلب التاسع: ٧- تربية المرأة على الهجرة إلى الله ٦٨
المطلب العاشر: ٨- تربية المرأة على وقايتها لنفسها وأهلها من النار ٦٨
المطلب الحادى عشر: ٩- تربية المرأة على الطمع في الجنة........ ٦٩
المطلب الثانى عشر: تربية المرأة على مجاهدة أعداء الله........ ٧٠
المطلب الثالث عشر: ١١- تربية المرأة من خلال ضرب الأمثال........ ٧٠
المبحث الثانى: المنهج النبوي في التعامل مع النساء ٧٢
المبحث الثالث: دور المرأة التربوي . . . المأمول والمعوقات ٧٤
المطلب الأول: دور المنزل في تنشئة الفرد........ ٧٥
المطلب الثانى: الأدوار التربوية المناطة بالمرأة الأم........ ٧٦
المطلب الرابع: معوقات في أداء الأدوار التربوية ٨١
المطلب الخامس: علـم المـرأة وعملهـا........ ٨٢
المطلب السادس: تعليم المرأة ٨٤
المطلب السابع: مسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله........ ٩٠
المبحث الرابع: العلاقات الزوجية في المنهج الإسلامي........ ٩٧
المطلب الأول: مـن حكـم الـزواج........ ٩٩

المطلب الثاني: الكفاءة في الزواج ١٠٠
المطلب الثالث: الحقوق الزوجية ١٠٠
المطلب الرابع: عندما يتنازل الرجل عن قوامته ١٠٨
المطلب الخامس: الزواج أحكام وعقبات ١٠٩
المطلب السادس: مقومات السعادة الزوجية ١١٦
ما هي مقومات السعادة الزوجية؟ ١١٨
المطلب السابع: الحث على تيسير المهور في الكتاب والسنة ١٢٣
المبحث الخامس: هل ترضونه لأخواتكم . . .؟!! ١٢٥
المطلب الأول: الـــزواج العرفــي ١٢٥
الزواج العرفي: ١٢٦
المطلب الثاني: زواج المسيار ١٣٠
المطلب الأول: تعريفـه ١٣٠
المطلب الثالث: نكـــاح المتعـــة ١٣٣
الفرق بين الزواج الشرعي والزواج عند الشيعة الإماميـة: ١٤٢
المطلب الرابع: وبعد: أختاه . . . هل هذا يصدقه عاقل؟؟!!! ١٤٣
الزواج على الطريقة العنكبوتية!! ١٤٣
المطلب الخامس: أختاه . . . . عودي إلى القدوة ١٤٦
تربية الرسول ﷺ لبناته رضي الله عنهن: ١٤٦
تزويج النبي - ﷺ - لبناته: ١٤٩
صداق بنات النبي ﷺ : ١٥٢
رعاية النبي - ﷺ - لبناته بعد الزواج: ١٥٣
الباب الثاني: ١٥٧
المـرأة المسلمـة والحجاب ١٥٧
تمهيـد ١٥٨
وجوب الحجاب على المرأة، وتحريم إبدائها لزينتها: ١٥٨
أعداء العفة: ١٦١
الفصل الأول: الأنثى والضعف والحجاب ١٦٣
المبحث الأول: بناتنا والحجاب ١٦٧

١- ما هو الحجاب؟ ١٦٧
٤ - لماذا نسعى لترغيب بناتنا - منذ الصغر - في الحجاب؟ :............ ١٧٠
كيف ندرب بناتنا على حب الحجاب؟............ ١٧١
المبحث الثاني: الحجاب الشرعي وحجاب النفاق ٢١٢
المبحث الثالث: شروط الحجاب الشرعي ٢١٧
المطلب الأول: قصيدة في: مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها ٢٣١
المطلب الثاني: وهذه قصيدة بلسانها نظمها أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي - رحمه الله - ٢٣٢
المطلب الثالث: يا أخت فاطمةٍ . .! ٢٣٤
المطلب الرابع: أختاه عزكِ في حجابكِ فاعلمي ٢٣٦
الباب الثالث ٢٣٧
صيانة الشرع للمرأة ٢٣٧
الفصل الأول: من صور تكريم الإسلام للمرأة ٢٤١
المبحث الأول: حكمة التعدد ٢٥٢
المبحث الثاني: ٢٥٥
ومن إكرام الإسلام للمرأة............ ٢٥٥
المبحث الثالث: من يظلم المرأة؟!! ٢٥٧
المبحث الرابع: ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟ ٢٦٣
المبحث الخامس: وشهد شاهد من أهلها!!! ٢٦٨
شهادات الأعداء: ٢٧٤
المبحث السادس: المرأة قبل الإسلام وبعده............ ٢٧٦
المبحث السابع: تحرير المرأة الحقيقي هو في الإسلام ٢٧٧
الفصل الثاني: المرأة بين عز الإسلام وذلّ الجاهلية المعاصرة ٢٨٢
المبحث الأول: قضية تحرير المرأة المسلمة ٢٨٧
دعوات تحرير المرأة: ٢٨٨
الإسلام وتحرير المرأة: ٢٨٨
أدلة تكريم المرأة: ٢٨٩
المبحث الثاني: المرأة بين التحرير والتغرير ٢٩٢

المبحث الثالث: من صور إغراء المرأة المسلمة: دفعها للمناداة بالمساوة مع الرجل! ٢٩٣
المبحث الرابع: الاختلاط بين الجنسين وتحريمه من الكتاب والسنة.............................. ٢٩٦
الاختلاط: ٢٩٦
الاختلاط عادة جاهلية: ٢٩٦
من صور الاختلاط المحرم ما يلي:.. ٣٢٣
الفصل الثاني: وقفة مع الإنترنت ٣٢٨
وقفة أخيرة لمستخدمات شبكة الإنترنت.. ٣٣٠
الشات . . وخطوات الشيطان:.. ٣٣٧
ابنتي الكريمة . . . . في غرفة المحادثة لصوص وذئاب!!!...................................... ٣٤٠
الشات وخطره قصص وعبر:.. ٣٤٣
الغناء في سطور:... ٣٤٤
وسائل وبرامج مقترحة لصد الهجوم على المرأة:... ٣٥٣
خاتمة الكتاب ٣٥٦
المصـادروالمراجـع ٣٥٨
المصـادروالمراجـع ٣٥٩
كتب مطبوعة للمؤلف.. ٣٦٢
الفهـرس.. ٣٦٣

* * * * *

٦- ما هو الحجاب؟ ١٦٧
٤ - لماذا نسعى لترغيب بناتنا - منذ الصغر - في الحجاب؟ :........................ ١٧٠
كيف ندرب بناتنا على حب الحجاب؟........................ ١٧١
المبحث الثاني: الحجاب الشرعي وحجاب النفاق ٢١٢
المبحث الثالث: شروط الحجاب الشرعي ٢١٧
المطلب الأول: قصيدة في: مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها ٢٣١
المطلب الثاني: وهذه قصيدة بلسانها نظمها أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي - رحمه الله - ٢٣٢
المطلب الثالث: يا أخت فاطمةٍ . .! ٢٣٤
المطلب الرابع: أختاه عزكِ في حجابكِ فاعلمي ٢٣٦
الباب الثالث........................ ٢٣٧
صيانة الشرع للمرأة........................ ٢٣٧
الفصل الأول: من صور تكريم الإسلام للمرأة ٢٤١
المبحث الأول: حكمـة التعـدد ٢٥٢
المبحث الثاني: ٢٥٥
ومن إكرام الإسلام للمرأة........................ ٢٥٥
المبحث الثالث: من يظلم المرأة؟!! ٢٥٧
المبحث الرابع: ماذا ينقمون على المرأة في ظل الإسلام؟........................ ٢٦٣
المبحث الخامس: وشهد شاهد من أهلها!!! ٢٦٨
شهادات الأعداء: ٢٧٤
المبحث السادس: المرأة قبل الإسلام وبعده........................ ٢٧٦
المبحث السابع: تحرير المرأة الحقيقى هو فى الإسلام ٢٧٧
الفصل الثانى: المرأة بين عز الإسلام وذلّ الجاهلية المعاصرة ٢٨٢
المبحث الأول: قضية تحرير المرأة المسلمة ٢٨٧
دعوات تحرير المرأة: ٢٨٨
الإسلام وتحرير المرأة: ٢٨٨
أدلة تكريم المرأة:........................ ٢٨٩
المبحث الثاني: المرأة بين التحرير والتغرير ٢٩٢

المبحث الثالث: من صور إغراء المرأة المسلمة: دفعها للمناداة بالمساواة مع الرجل! ٢٩٣
المبحث الرابع: الاختلاط بين الجنسين وتحريمه من الكتاب والسنة..............................٢٩٦
الاختلاط: ٢٩٦
الاختلاط عادة جاهلية: ٢٩٦
من صور الاختلاط المحرم ما يلي:...٣٢٣
الفصل الثاني: وقفة مع الإنترنت ٣٢٨
وقفة أخيرة لمستخدمات شبكة الإنترنت..٣٣٠
الشات . . وخطوات الشيطان:...٣٣٧
ابنتي الكريمة . . . . في غرفة المحادثة لصوص وذئاب!!!...٣٤٠
الشات وخطره قصص وعبر:...٣٤٣
الغناء في سطور:..٣٤٤
وسائل وبرامج مقترحة لصد الهجوم على المرأة:..٣٥٣
خاتمة الكتاب ٣٥٦
المصـادروالمراجـع ٣٥٨
المصـادروالمراجـع ٣٥٩
كتب مطبوعة للمؤلف...٣٦٢
الفهـرس...٣٦٣

* * * * *